مؤلفات ثروت أباظة

١١

Bibliotheca Alexandrina
0107487

الهيئة المصرية
العامة للكتاب

المقـــالات

مؤلفات .. ١١

ثروت اباظة

المقالات

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٨

آدم الجديد

الفصل الأول

كان حيدر أبو عبيد تواقا أن يهب له الله غلاما من زوجته زنوبة الملوانى التى تزوج بها منذ ثلاث سنوات .

وما كان زواجه عن حب وانما بعد تفكير وتدبر وبالحاح على أبيه فقد كان يرجو أباه أن يخطب له ولم يكن حيدر رهيف الفؤاد ولا كان تعلق بفتاة بعينها . ولا كان يعنيه أن تكون زوجة ذات جمال أو شيء من مال ولا أن تكون ذات رشاقة أو تكون هيفاء القوام .

كل ما كان يريده أن يتزوج وحين فاتح أباه عبيد الكيالى فى هذا الأمر فوجيء بأبيه يقول له بعد صمت قصير :

– انتظر حتى يختار ربنا الى جواره أحد فتيان القرية .

وتولى الذهول حيدر :

– ما صلة زواجى يا آبا بموت واحد من فتيان القرية .

– يكون مهرها نصف الفتاة البكر .

– واذا لم يمت أحد من فتيان القرية .

– لابد أن يموت .

– متى ؟

– حين يريد الرحمن الرحيم .

– قد تمر سنوات .

– ونحن ماذا وراءنا ؟

وأطرق حيدر لحظات ثم قال :

– وماذا نفعل اذا كانت زوجة الذى يموت عندها عيال وتضطر أو أضطر أنا أن أنفق عليهم من دم قلبى .

– قد تكون بلا عيال .

– اذن فقد تكون عقيما .

– أو يكون الزوج هو العقيم .

ـ اذن يا آبا أنت تريد أن تنتظـر حتى يموت فتى من فتيـار شقلبان . وأن يكون هذا الفتى عقيما ؟

ـ لا يكثر على الله يا بنى .

ـ كثر خيرك يا آبا .

وانصرف حيدر عن أبيه وراح يفكر وحده فى هذا البخل الشديد الذى خلقه الله مع هذا الأب .

فهو شحيح بالسليقة حتى ليفكر اذا شرب كم يكلفه كوب الماء وهل يحتاج اليه كاملا أم يكتفى بنصفه .

ولم يستطع رغم هذا التقتير والشح على نفسه وعلى بنيه أن يجمع شيئا من المال يساوى العيشة الضنك التى يعيشها هو وابنه وابنتاه .

ذهب حيدر فى ذلك اليـوم الى صديقه بيومى رمضان وروى له الحوار الذى دار بينه وبين أبيه وعجب أن بيومى لم يدهش بل قال :

ـ ان فعل أبوك غير هذا فلا يكون عم عبيد الذى نعرفه .

ـ لك حق ولكن كيف استطاع أن يصل الى هذا التفكير ؟ المهم ما الحل ؟

ـ لا حل الا أن تعتمد على نفسك .

ـ كيف ؟

ـ اسرح معى .

ـ ماذا أفعل ؟

ـ ما أفعله .

ـ يا أخى أنت تشترى أردبين ذرة أو قمح أو شعير قبل موعد الحصاد بثمن بخس ممن ضاقت بهم الحياة واضطروا الى مال قبل الحصاد وتبيع ما تشترى بعد الحصاد وتكسب شيئا هائلا ولا يكاد ما تكسبه يكفيك ومع ذلك تريدنى أن أسرح معك .

ـ جرب حظك .

ـ ومن أين لى برأس المال .

ـ أى مبلغ .

ـ أنت تعرف البير وغطاه .

ـ أسلفك فى العملية الأولى ٠

ـ على بركة الله ٠

وحدث فعلا ما توقعه بيومى وبدأ حيدر يكسب صبابات من المال استطاع فى نهاية العام أن يكتنز منها عشرين جنيها ٠ وخيل اليه أنه أصبح من الأثرياء فعشرون جنيها كانت تعنى شيئا ذا شأن وخاصة لابن عبيد الكيالى ٠

قال بيومى :

ـ ما رأيك ؟

ـ الحمـــد لله ٠

ـ ليس هذا ما أسألك فيه ٠

ـ اذن ماذا تريد ؟

ـ ألا تكفى هذه الجنيهات لتجعلنى أتزوج ٠

ـ ولم لا ، على أن تختار فتاة فقيرة يريد أهلها أن يزوجوها لأى أحد مهما يكن فقيرا وأبوه عم عبيد الكيالى ٠

ـ وأنا لا يهمنى من تكون ٠٠٠ وهل تتصور أن أكون ابن عمك عبيد الذى لا يجهل أحد بخله وأضع شروطا للزوجة التى تقبلنى ٠

ـ توكل على الله ٠

ـ أتعرف واحدة ؟

ـ أعرف ٠

ـ انطـق ٠

ـ زنوبة ٠

ـ بنت حميدة بائعة الفجل ٠

ـ ما عيبها ؟

ـ والله نعم الاختيار ٠ ثم ان البنت أيضا ليست قبيحة قبحا يدعو الى النفور ٠

ـ على العكس ٠٠ بيضاء وقوامها حلو ٠

ـ على بركة الله ٠

ـ هيا نذهب الى أبيك ليخطبها لك ٠

ـ وأبى ما شأنه بهذا ٠

ـ انه أبوك مهما كان شحيحا جلدة ٠

ـ لو طلبت منه ذلك سيرفض طبعا ٠

ـ قل له انك ستدفع المهر من جيبك ٠

ـ ولو ، أليست ستعيش معنا فى البيت وستكلفه المأكل والمشرب لقد زوج خيرية وروحية قبل أن يبلغا السادسة عشر ليتخلص من طعامهما وشربهما ٠

ـ اسمع ٠

ـ ماذا ؟

ـ هيا بنا الى خالتك حميدة مباشرة وما فيه الخير يقدمه ربنا ٠

وفعلا قدم الله سبحانه الخير لحيدر وقبلت حميدة زواجه من زنوبة ولكنها توسلت اليه :

ـ اسمع يا حيدر أنا وزنوبة ليس لنا رجل وأنا والحمد لله أكسب طعامى ولا أطمع فيك ولكنى أرجوك أن تعيش معنا فى البيت حتى لا أصبح وحدى اذا أخذت أنت بنتى الوحيدة ٠

وفكر حيدر قليلا ، ولم لا اننى بهذا سأكون قد أرضيت أبى كل الارضاء وأنا الآن عرفت طريقى بتسويق بضعة الأجولة من الحبوب وأستطيع أن أنفق على نفسى وعلى زوجتى وأمها أيضا اذا اقتضى الأمر وحينئذ لن يجد أبى سببا فى منعى من الزواج ٠

ـ والله القول قولك يا أمه حميدة ٠

وذهب الى أبيه وقبل أن يكمل حديثه قال أبوه :

ـ ألم تجد الا بنت حميدة ٠

وأكمل حيدر متغاضيا عن اعتراض أبيه :

ـ ومعى مهرها وسنعيش فى بيت أمها ٠

ولم يمهله أبوه بل سارع :

ـ والله ونعم الاختيار خذوهم فقراء يغنكم الله ٠

ـ أطال الله عمرك ٠

ـ والفرح من سيدفع تكاليفه ٠

ـ ولا فرح ولا يحزنون ٠ ثلاث زجاجات شربات وكم نفر من الأعيان ودمتم ٠ وأنا الذى سأشترى الشربات وتم الزواج ٠

★★★

ومرت عليه ثلاث سنوات دون أن تنجب زنوبة له طفلا وكان هو قد مرن على العمل فى سوق الغـــلال ولكن فى كميات غاية فى الهوان والضآلة · ولهذا لم يكن عجيبا أن يعيش حياة فيها كثير من الاقتصاد اذا أشفقنا أن نقول فيها كثير من الضيق ·

ومع ذلك كان يتوق الى طفل ·

وشاء الخلاق العظيم أن يحقق له أمنيته وحملت زنوبة · وربما كان مما يستحق الذكر أنها ولدت ولدها يوم مات جده عبيد وربما فى نفس اللحظة وصدق بيت شوقى العظيم الذى استوحاه من القرآن الكريم :

فقلت أحكامك حرنا لها يا مخرج الحى من الميت

وفرح حيدر كل الفرح بالولد الذى رزق به ولعله فى خبيئة نفسه فرح أيضـــا بموت أبيه ولكنه اضطر تحسبا للنـــاس وتقدهم أن يلجم الفرحتين · وأقام لأبيه شبه مأتم ولم تجرؤ واحدة من النسوان اللواتى حضرن ولادة ابنه أن تزغرد أو أن تبدى أى فرح بمجىء الغلام ·

وهكذا قدم ابن حيدر البكر فى مأتم جده قدوما صامتا لا يجاوب فيه بكاء المولود زغاريد ذويه وصديقات أمه ·

★★★

لم يجد حيدر اسما خيرا من عبد الشكور ليسمى به ابنه وكيف لا يشكر الله وقد ورث خمسمائة جنيه عن أبيه ورزق بابنه البكر فى يوم واحد ·

الفصل الثانى

أوشك الجيش الألمانى أن يدخل مصر حين وصل العلمين . وراحت الجيوش الانجليزية تجمع أوراقها .

وفجأة انقلبت المعارك انقلابا تاما لصالح الجيش البريطانى وتشتت الجيش الألمانى بددا فى الصحراء وأصبح هم الجنود الألمان الباقين على وجه الحياة من الجيش الألمانى أن يهربوا من الأسر الانجليزى .

وانتشر من الجنود الألمان فى قرى الدلتا وكان من نصيب شقلبان جنديان من الألمان هما مارك وهوفمان وكان مارك يجيد الانجليزية ولم يكن فى شقلبان أحد يستطيع أن يكمل جملة انجليزية الا عبد الشكور الذى كان قد وصل الى السنة الثانية من التجارة المتوسطة التى دخلها بعد جهد جهيد مع والده حيدر الذى كان يصر أن يخرجه من المدارس بعد الابتدائية ورفض كل الرفض أن ينتسب الى الدراسة الثانوية .

ـ والله لا يمكن .

ـ يا آبا أنا لا أمل لى فى الحياة الا أن أحصل على شهادة جامعية .

ـ كنت ابن من أنت حتى تنال شهادة جامعية .

ـ أقل منى حصلوا عليها .

ـ آباؤهم كانوا يطيقون .

ـ ادفع لى المصاريف وأنا سأعمل وأعيش .

ـ هذا كلام حتى اذا دخلت الفاس فى الراس أصبحت مضطرا أن أتكفل أنا بكل شىء . وكان بيومى رمضان حاضرا فاذا هو يصيح فجأة :

ـ تاهت ووجدناها .

ونظر حيدر اليه فى لهفة وأكمل بيومى :

ـ تدخل التجارة المتوسطة .

قال حيدر :

ـ ولو انها ستتكلفنى انما لا بأس وأمرى الى الله .

وقال عبد الشكور :

ـ أمرى أنا الى الله ٠

وهكذا لم تجد القرية الا عبد الشكور ليربط مع الأجنبيين اللذين قدما اليها وهما فى ملابس رثة وذقنين متطاولين واستطاع عبد الشكور أن يفهم عن مارك الذى يتقن الانجليزية كل الاتقان انهما هاربان من موقعة العلمين وانهما سارا على ساحل البحر مستعينين بالزاد الذى صحباه من جيشهما وحين بلغا الاسكندرية حرصا أن يختبئا فى النهار ويسيرا فى الليل حتى وصلا الى الطريق المؤدى الى مديرية البحيرة فراحا يتنقلان بين القرى موغلين فى الدلتا واتفقا على أن يبتعدا عن الاسكندرية ما أطاقا البعد حتى لا تعثر عليهما القوات الانجليزية وفهم عبد الشكور عنهما أن القرى جميعها كانت ترحب بهما حين يعلم أهلوها أنهما من جيش هتلر الذى كان يمثل عند الغالبية العظمى من المصريين الخلاص من الاحتلال البريطانى البغيض ٠

وطلب أعيان شقلبان الى عبد الشكور أن يلح عليهما أن يقيما عندهم عندما علموا أن مارك نجار وأن هوفمان ميكانيكى كهربائى وقد تداول الأعيان فيما بينهم وانتهى رأيهم الى هذا الطلب ، الذين أرادوا من عبد الشكور أن يبلغه للهاربين وقد ارتأى هؤلاء الأعيان انهم أولا سيكرمون جنديين من جنود هتلر وثانيا سينتفعون بخبيرين فى النجارة واصلاح ماكينات الرى والدراس ورحب الجنديان بهذا العرض ٠

ولم يتصور أحد من القرية المدى البعيد الذى سيؤثر به بقاء هذين اللاجئين فى حياة عبد الشكور جميعها ٠

★★★

كان عبد الشكور رغم تلقيه الدراسة بمدرسة التجارة المتوسطة يقيم فى البلدة فقد رأى أبوه أن هذا وان يكن مجهدا لولده الا أنه أكثر وفرا من أن يستأجر له حجرة فى المدينة ٠ وهكذا كان عبد الشكور يصحو قبل الفجر ليكون بالمدرسة فى موعده ٠

وهكذا أيضا كان فقر أبيه المدقع سببا فيما صار اليه أمره بعد ذلك ٠

وفى لحظة من اللحظات التى تصيب الانسان من أحلام اليقظة حلم عبد الشكور أن يعقد صداقة بينه وبين مارك ويتعلم منه الانجليزية

والألمانية . ولماذا لا ؟ انه يعلم أنه حتى بعد انتهائه من دراسته لن يجد الوظيفـــة فى انتظـاره وقد كان يرى حملة الشهادات حيارى ضائعين بشهاداتهم لا يجدون وظيفة فقد كانت أزمة الوظائف فى تلك السنين طاحنة شأنها دائما فكيف به وهو لا يحمل الا مؤهلا متوسطا .

أصبح عبد الشكور موقنا كل اليقين ألا أمل له فى الحياة الا أن يتقن لغة ويزداد الأمل ان أصبحت اللغة لغتين .

أنا لا أملك مالا ولابد أن مارك سيحتاج الى مال ... أبى بالكاد وبتجارته المتهافتة يقيم أود بيتنا على الرغم من أنه لا ولد له غيرى . وأنا لا أحصل على حلة الا بطلوع الروح . ولكن انتظر يا ولد يا عبد الشكور مارك لن يحتاج الى مال فقط وأغلب الأمر أن القرية بما تحتاجه من الأعمال فيها ستمكن الهاربين من الحياة انما مارك يحتاج الى من يكلمه فلا شك أنه وصديقه قد استنفدا بينهما كل حديث .

لأعقد بينى وبينه صداقة وطيدة وأتفق معه أن أعلمه اللغة العربية ويعلمنى هو الانجليزية التى يتقنها ولا أدرى لماذا مع أن الألمانية هى لغته الأصلية .

★★★

فى خبث لا نظير له أراده له الخلاق الفعال بدأ عبد الشكور يرمى شباكه على مارك ولا يحرم منها هوفمان . وما لبث أن عرف أن مارك من أم انجليزية وفهم سر اتقانه الانجليزية .

وبدأت خطة عبد الشكور تأخذ طريقها الى الوجود .

وليس أثمن من سمير أو أنيس مجرد أنيس فى وحشة الغربة بين قوم لا يفهمون عنك ولا تفهم عنهم . وقد رحب الغريبان كل الترحيب باقبال عبد الشكور عليهما .

وبدأ يعلمهما العربية وراح مارك يعلمه الانجليزية وراح هوفمان يعلمه الألمانية وهـكذا لم يضطر أن ينتظر حتى يتقن الانجليزية ليبدأ بعدها فى الألمانية . بل درسهما فى وقت معا .

وقد وجد فيما يدرس جميعه أمله الأكبر فى الحياة وبجهد المستميت راح يذاكر .

ولكن لابد له من كتب فى اللغتين ولم يجرؤ أن يفكر فى أن يطلب الى أبيه ثمنها وهو اليوم قد أتم دراسته ومكث بالقرية ينتظر فرج الله

وراح أبوه يتوسل الى كل ذى أكرومه أن يجد لابنه وظيفة ولكن هيهات ٠ وعبد الشكور يريد ثمن الكتب ٠

ـ آبـا ٠

ـ مالك ؟

ـ ماذا عليك اذا جعلتنى أساعدك فى البيع والشراء ؟

ـ وهل ترى العمل متسعا حتى أحتاج الى من يساعدنى ؟!

ـ اذا عملت معك اتسع العمل ٠

ـ وماذا تريد منى ؟

ـ ثمن الصفقة الأولى ٠

ـ أأدفع لك لتزاحمنى فى رزقى ٠

ـ وأين سأذهب بالمال انى سأدفع لك نصف ما أكسب ٠

ـ وتنافسنى فى السوق ٠

ـ ما رأيك أن تستمر أنت فى تجارة الحبوب وأتخصص أنا فى تجارة القطن ٠

ـ ومن أين لك بثمنه ؟

ـ أنا لا أريد منك الا عربون العملية الأولى وفى السمسرة متسع للجميـــع ٠

ـ لا بأس على أن أشاركك فى المكسب ٠

ـ طبعـــا ٠

وكان عبد الشكور أذكى من أبيه فكان يشترى القطن من المعوزين بثمن بخس ولا ينتظر حتى موعد المحصول وانما يبيع ما اشترى بأسرع ما يمكن الى أثرياء القـرية الذين كان يطمعهم فى رخص الثمن بزيادة الكمية التى سيبيعونها فى الموسم مدركين أنه كلما كبرت الكمية ارتفع السعر الذى سيعرض عليهم ٠

ولم يكن عبد الشكور أمينا فى محاسبة أبيه فاستطاع أن يشترى الكتب التى يحتاجها بجهد جهيد ولكن الخطة نجحت على كل حال على الأقل بالنسبة لعبد الشكور ٠ فهو لم يكن يطمح الى الغنى لا قدر الله فى هذه المرحلة من حياته وانما كان أمله كله أن يتقن اللغتين حديثا وكتابة ٠

وتم له ما أراد فى سنوات لم يكن فيها يضيع لحظة متاحة أو غير متاحة لدراسة اللغتين وأتقن أيضا معهما تجارة القطن والسمسرة فيه ٠

بل تعلم شيئا لم يخطر له ببال فقد علمه الألمانيان المتحضران آداب المائدة وكيف يستعمل أدواتها بمهارة لا تتأتى الا لمن كان فى بيتهم مائدة وخدم أيضا ٠

وحين أحس أنه قادر أن يواجه الحياة وفى لسانه ويده هاتان اللغتان مع خبرة التجارة قال لأبيه :

ـ انا يا آبا سأسافر الى مصر ٠
ـ ماذا تعمل بها ٠
ـ أبحث عن وظيفة ٠

ـ ومن أين لك وأنا لم أترك ثقب ابرة الا حاولت فيه أن أجد لك عملا ولكن الطرق جميعها سدت أمامى وأمامك ٠

ـ أنا أعرف طريقى ٠
ـ وطبعا تريد منى مالا ٠
ـ معى ٠
ـ من أين ؟
ـ مما كسبته فى هذه السنوات ٠
ـ اذن لن تكلفنى شيئا ٠
ـ على الاطلاق ٠
ـ مع السلامة ٠
ـ سلمك الله ٠
ـ ولكن اسمع ٠
ـ أمـــرك ٠

ـ حين تستقر ارسل الى بعنوانك حتى أعرف طريقك فانا ليس لى غيرك ويعلم الله يا بنى أنى ما بخلت عليك ولكن العين بصيرة واليد قصـيرة ٠

ـ أعلم يا أبى ولولا أنك ساعدتنى ما استطعت أن أجمع القرشين اللذين سأذهب بهما الى مصر ٠

ـ كان أبى بخيلا ولكنى لم أكن معك بخيلا وانما كنت عاجزا ٠
ـ يا آبا أنا أعرف ذلك ٠

ـ أنا لا أريد منك شيئا حتى يفتحها الله عليك كل ما أريد منك ألا تحمل معك فى سفرك وغربتك غضبا على فالله وحده يعلم كم أحبك ٠ فأنت كل أملى فى الحياة ولا أعيش الا لك ٠

ـ يا آبا أنت لا تحتاج الى هذا الحديث وسترى حين يكرمنى الله كيف سأرد لك المعروف ٠

ـ أنا لم أمنعك من الدراسة الجامعية بخلا وانما عجزا ٠

ـ أعلم يا أبى وأنت لا تحتاج الى هذا الكلام ٠

★★★

وحين أخبر عبد الشكور مارك وهوفمان بانتوائه السفر قال مارك :

ـ متى ؟

ـ فى أقرب وقت ٠

والتفت مارك الى هوفمان وقال له :

ـ هوفمان اننا الآن معنا ثمن تذاكر الطائرة ٠٠

ـ نعـــم ٠

ـ فما بقاؤنا ؟

ـ وماذا تريد أن تفعل ؟

ـ نسافر مع عبد الشكور ٠

ـ وماذا نفعل ؟

ـ نذهب الى السفارة الألمانية وهى كفيلة بأن تعيدنا الى ألمانيا ٠

ـ أى ألمانيا الشرقية أم الغربية ؟

ـ الغربية ٠

ـ ألا تخشى أن يقبض علينا الانجليز ؟

ـ وماذا يصنعون بنا الحرب انتهت وتم تقسيم ألمانيا واستقرت الأمـــور ٠

ـ فان جرت الأمور بما لا نريد ٠

ـ اذا كنا وجدنا رزقنـا فى شقلبان فمن المؤكد اننا لن يصعب علينا أن نجد رزقنا فى محلات النجارة والميكانيكا والكهرباء فى القاهرة ٠

وقال هوفمان لعبد الشكور :

ـ ما رأيك ؟

ـ الفكرة جيدة ٠

ـ أترى ذلك ؟

وقال عبد الشكور :

ـ نستأجر ثلاثتنا حجرة فى القاهرة ونعيش مما حتى تجدا وسيلة للسفر أو تجدا عملا ٠

ـ وأنت ماذا ستفعل ؟

ـ لا تخافا على أنا أعرف طريقى كل المعرفة ٠

ـ متى نسافر ؟

ـ أليست النقود جاهزة ٠

ـ طبعـــا ٠

ـ نسافر غدا فى الفجر ٠

ـ وهو كذلك ٠

ـ وهو كذلك ٠

الفصـــل الثـــالث

كان وجود أماكن للسكنى فى القاهرة أيسر شيء جهدا ·

فما أسرع ما استأجروا شقة ذات غرفتين وحمام ومطبخ بجنيهين فى الشهر · وفى اليـــوم التالى نزل ثلاثتهم الأجنبيان الى السفارة أما عبد الشكور فقد كان يعرف وجهته كل المعرفة ·

★★★

ذهب الى بنك الاقتصاد والتوفير وسأل أول ساع واجهه :

ـ أريد أن ألقى المدير ·

نظر الساعى بازدراء الى ملابسه وهيئته ولم يملك الا أن يقول له .

ـ المديرة مرة واحدة ·

ـ ان كان على مرتين لا مانع ·

وضحك الساعى معجبا بسرعة بديهته :

ـ فيـــم تريده ؟

ـ لو كنت طلبت مقابلتك لكان من الطبيعى أن تسألنى ·

ـ واضح انك فصيح ·

ـ وهل يمنع هذا من مقابلة المدير ؟

وأشار الساعى :

ـ آخر باب على اليمين تجد السكرتير وأنت وحظك ·

قال له السكرتير :

ـ وفيـــم تريده ؟

ـ انه مدير بنك ومفروض أنه يقابل أى طالب للمقابلة ·

ـ واضح من مظهرك أنك لست صاحب حساب أو صلة بالبنوك ·

ـ وهل يمنع هذا ان تعود مقابلتى للمدير بنفع على البنك ؟

ـ لا فائدة من مناظرتك · ما اسمك ؟

ـ عبد الشكور حيدر ٠

ـ وعبد الشكور أيضا ٠

ـ اسم فيه الشكر مقدما قبل أن يقدم سامعه ما يحتاج الشكر ٠

ـ حسنا ٠٠ حسنا ٠٠ انتظر ٠

ودخل السكرتير الى المدير :

ـ شخص غريب يريد مقابلتك ٠

ـ وما الغرابة فيه ؟

ـ ملبس متهالك وذكاء واضح ٠

ـ ما اسمه ؟

ـ عبد الشكور ٠

ـ فقط ؟

ـ حيدر ٠

ـ لحسن حظى أننى ليس عندى ما يشغلنى الآن ٠٠ هاته نتسلى عليه ٠

ودخل عبد الشكور ليلقى صبحى حسنان بك مدير البنك ٠

ـ أهلا يا بنى ٠

ـ أهلا بسعادتك ٠

ـ أقعـــد ٠

ـ شكرا أطال الله عمرك ٠

ـ ماذا أستطيع أن أقدم لك ؟

وفى سرعة حاسمة أجاب عبد الشكور .

ـ وظيفـــة ٠

ـ بحالها ٠

ـ بأى حال لها ٠

ـ ولماذا أوظفك ؟

ـ أؤكد لسعادتك انك ستوظفنى ٠

ـ واضح أنك تعرف ما تريده تماما ٠

ـ وأعرف أيضا أننى جدير بأن أحققه ٠

ـ عجيبـــة ٠

ـ وأين العجب ؟

ـ أنا لا أعرفك وهيئتك لا تشجع على التفاؤل وأنا لا أعرف مؤهلاتك التى يبدو عليك انك مطمئن اليها كل الاطمئنان رغم كل هذا الغرور منك أشعر بميل نحوك ٠

ـ هذا أول الطريق الى آمالى ٠

ـ بعض الناس ينعم الله عليهم بملكة الحضور ٠

ـ قرأت يا سعادة البك انهم أجروا احصاء واسعا فى أمريكا ثبت منه أن الناس جميعا متساوون فى السعادة والشقاء وأن كل انسان ينال قسطا من السعادة قدر ما ينال الآخر ومن الشقاء مثل ما يصاب به الآخر وأسباب الشقاء عندى واضحة فليس غريبا أن أملك قدرها من وسائل النعمة ٠٠

ـ اشرح أكثر ٠

ـ اذا نال انسان السعادة الوافرة فى جانب واجهه القدر نفسه من الشقاء فى جانب آخر من حياته بحيث تكون النتيجة النهائية أن يصبح الجميع متساوين فيما يحصلون عليه من الهناء والشقاء ٠٠

ـ فهمت ما تعنى ٠٠٠ هل تؤمن بالله ؟

ـ الموقف الذى أنا فيه الآن يحتم على أن أقول كل الايمان ٠٠

ـ لماذا ؟

ـ لأننى أسعى جاهدا أن أبلغ رضاءك على ٠٠

ـ وكيف عرفت أننى أرضى بايمانك ؟

ـ منصبك وما أنت فيه من أبهة ٠٠

ـ واذا كان يرضينى أن أعرف حقيقة ايمانك ٠٠

ـ لا أملك أمامك الا أن أقول نعم انى مؤمن ٠٠

ـ أتقول الحق ؟

ـ أقول ما يرضيك ٠٠

ـ لا فائدة أن أصل معك الى حقيقة ايمانك ٠

ـ ولماذا لا تكتفى سعادتك مؤقتا بظاهر الأمر منى ٠٠

ـ ماذا رماك على ؟

ـ ما يذكره الناس والصحف عنك ٠٠

ـ مثل ماذا ؟

ـ مثل أنك تسلمت هذا البنك وهو فى طريقه الى الانهيار الكامل فجعلت منه مؤسسة من أكبر المؤسسات الاقتصادية فى الشرق أجمع ..

ـ أهذا المديح من باب المحاولة المستميتة التى تبذلها لارضائى ..

ـ ربما كان هذا ولكننى فى الوقت نفسه أردد ما سمعت ..

ـ أتتصور اننى بهذا الحوار سأعينك ؟

ـ لا بأس أن أحاول ..

ـ أنت تعرف لا شك أن باب التوظيف مقفل تماما ..

ـ ومع هذا قصدت اليك ..

ـ هل كل ما فى جعبتك هذا الحديث الواضح الاصرار .

ـ لو كان هذا كل ما أملك ما تركت قريتى وقصدت اليك دون كل الأشخاص الآخرين ذوى النفوذ ..

ـ هل تملك شيئا فى قريتك هذه .. ؟

ـ كنت فيها أحصل على لقمتى دون ملبس ..

ـ فأنت اذن .....

ـ أفقر من الفقر ..

ـ واضـــــح ..

ـ ان ما أقوله لسعادتك غير خاف عليك بحكم مظهرى حتى اذا استطعت أن أتغلب على هذا المظهر فلن أذكر هذا الانسان حتى آخر يوم فى حياتى ..

ـ ماذا كنت تعمل فى القرية ؟

ـ سمسار قطن ..

ـ وأبوك هل هو على قيد الحياة ؟

ـ سمسار حبوب يحصل لى ولأمى ولنفسه على ما يسد الرمق بجهد جهيـــد ..

ـ أهذه مؤهلاتك .. ؟

ـ سعادتك حتى الآن لم تسألنى عن مؤهلاتى ..

ـ وهأنذا أسأل ..

ـ تجارة متوسطة ..

ـ التجارة العليا لا يحصل صاحبها على وظيفة عندنا أو عند غيرنا الا بواسطة لا تقاوم فما بالك بالمتوسطة ..

ـ لو كانت هذه الشهادة هي كل مؤهلاتي ما تجرأت أن أخطو عتبة هذا البنك ..

ـ ماذا عندك ..

ـ اجادة تامة للغة الانجليزية لا يصل اليها خريج جامعة في قسم اللغة الانجليزية بكلية الآداب ..

ـ فقط ..

ـ ونفس الاجادة للغـــة الألمانية مع خبرة ستلمسها اذا عينتني بشئون القطن وبالسوق عامة ..

ـ خبرة السوق وفهمناها ولكن من أين لك باللغتين .. ؟

ـ هذه من بين المقومات التي تكون حظي من السعادة ..

ـ ألغزت فأفصح ..

ـ مصادر تعلمي لا أظنها تهم سعادتك وانما الذي أعتقد أنه يعنيك هو النتيجة ..

ـ والمصدر أيضا ..

ـ مصيري أن أرويه لسعادتك في يوم من الأيام ..

ـ ومن أين علمت أنني سأراك بعد اليوم .. ؟

ـ طول حوارك معي على هوان مظهري الى جانب شيء آخر أخاف أن أذكره ..

ـ بل أذكره ..

ـ ثقتي بنفسي ..

ـ أهو نوع من الغرور مرة ثانية ..

ـ بل هو اطمئنان أن بنكا كالذي تديره يحتاج الى مؤهلاتي وخاصة اذا أضفنا الى ذلك ما عرف عنك من حرص على نجاح المؤسســة التي تعمل بها ..

وفجأة قلب صبحي بك حسان النقاش من اللغة العربية الى اللغة الانجليزية التي يتقنها وأجرى لعبد الشكور امتحانا عسيرا في اجادة اللغة الانجليزية انتهى منه بأن قال له بالعربية :

ـ ان كنت تجيد الألمانية اجادتك للانجليزية فانك عملة نادرة ..

ـ أستطيع مؤقتا أن أقول لسيادتك أنني تعلمتها عن ألمان أما كيف كان ذلك فأرجو أن تتركه سعادتك للأيام ..

ـ أظن أن من حقك الآن أن تتكلم عن الأيام الآتية ..

ـ اذن ..

ـ لقد عينتك وسأعرف خبرتك في القطن من الممارسة ..

ـ أتسمح لى بشيء على شرط ألا تتمنع ..

ـ ماذا تريد أن تقول .. ؟

ـ انه ليس قولا بل انه عمل ..

وقفز عبد الشكور فجأة من كرسيه واختطف يد صبحى وقبلها الأمر الذى تم فى لحظات وامضة لم تعط أى فرصة لصبحى أن يتأبى أو يمنع موظفه الجديد عما صنعه ..

الفصـــل الـــرابع

تمكن الهاربان الألمانيان من الحصول على أوراق تسمح لهما بالعودة الى ألمانيا وطلب اليهما عبد الشـكور أن يكتبا له عن عنوانيهما بمجرد وصولهما اليها ٠

ولم يكن أحد منهما يعرف أين سيستقر به المقام كما كانا يجهلان ما بقى من أسرتيهما على قيد الحياة فقال مارك لعبد الشكور :

ـ سأكتب اليك بمجرد وصولى الى الأرض الألمانية ٠

ثم التفت الى هوفمان قائلا :

ـ وأنت يا هوفمان ألا تنوى أن تفعل ذلك ٠

ـ بالطبع ولكن هل تنوى يا عبد الشكور البقاء فى هذا البيت بعد أن أصبحت صاحب وظيفة ٠

ـ المؤكد أننى سأنتظر أخباركما هنا حتى أعرف العناوين التى أراسلكما عليها ٠

وقال هوفمان :

ـ اننا سنطلعك الآن على سرنا الذى أخفيناه عليك طوال هـذه السـنوات ٠

ـ ألكما سر ؟

ـ كلانا مهندس متخرج فى أعظم كلية فى ألمانيا كلها فلا تعجب اذا جاءك منا أخبار تفيد أننا نعمل فى وظائف غاية فى الأهمية ٠

وأكمل مارك :

ـ بالطبع ألمانيا اليوم تحتاج أكثر ما تحتاج الى المهندسين بعد أن سحقت الحرب مدنها ٠

ـ هل تعلمان ان كانت أسرتيكما فى ألمانيا الشرقية أم الغربية ؟

وقال مارك :

ـ الأمر الذى لا شك فيه أن أسرتينا فى ألمانيا الغربية وسنزداد وثوقا من هذا حين نصل الى هناك ٠

ـ هل أنتما متزوجان ؟

ـ كان لكل منا فتاة لا شك أنها تزوجت الآن ٠

وأكمل مارك :

ـ أنت تعلم طبعا أن أخبار أهلنا فى ألمانيا الآن خافية عنا تماما وسنكتب لك بالتفصيل عند عودتنا ٠

ـ لم يخبرنى أحدكما عمن ترك من أقارب هناك ٠

قال هوفمان :

ـ أنا ومارك كلانا تركنا أبوينا وأمينا على قيد الحياة وأنا تركت مع أبوى أختين تصغرانى ومارك ترك أختا تصغره وأخا طفلا ٠

وقال مارك :

ـ انتظر أخبارنا كلها فى أول خطاب نكتبه اليك ٠

ـ انى منتظر ٠

وما هى الا أيام قلائل حتى تمكن مارك وهوفمان من مغادرة مصر ٠

★★★

كان عبد الشكور يعرف تماما ما هو صانعه بالبنك ٠

لقد حرص أول ما حرص على أن يوثق صلته بصبحى حتى يجعله يحس أنه لا يستطيع أن يستغنى عنه ٠

وكانت أولى خطواته فى هذا السبيل أن يجعل من نفسه شبه خادم لسكرتيره نبيل معوض ٠

وقد كان شابا فى ريق العمر حاصلا على ليسانس الحقوق وكان من قرية صبحى بك نفسها بل أن أباه كان يعمل ناظر زراعة لمائة الفدان التى يملكها صبحى عن أبيه وقد امتنعت مساحة الأرض على قانون الاصلاح الزراعى فلم تنتزع الحكومة شيئا من أرضه مما جعل الثورة لا تعتبره من أعدائها وقد أتاح له ذلك أن يرقى فى البنك الى منصبه هذا الذى يشغله وخاصة أنه لم يكن من عائلة ذات مكانة ولا خطر مما يسر له أن ينضم الى منظمات الثورة ويظهر غلواء فى تأييدها والهتاف لقائدها الأول ثم لقائدها الثانى مما جعله من أهل الولاء والكفاءة فى وقت معا ، الأمر الذى لم يتيسر الا لقلة نادرة فى هذه الأيام ٠ أما نبيل فلم يكن أبوه يملك الا خمسة أفدنة استطاع بها وبعون من صبحى وأبيه أن يكمل تعليم نبيل

فى كلية الحقوق عاجزا بضآلتها فى الوقت نفسه أن يعلم ابنيه الآخرين مرسى وعيسى اللذين لم يكن أمامهما الا أن يعملا فلاحين فى أرض صبحى بك وقد تمكن كلاهما من أن يحصل على خمسة الأفدنة مما وزعتها الثورة من الأرض التى استولت عليها وقد نالا ما نالا من أرض الغنى الكبير فى قريتهم متـولى باشـا خطاب الذى نال الباشاوية حين تبرع للمشاريع الخيرية بخمسة آلاف جنيه فى عهد الباشاوات ٠

عرف عبد الشكور كل شىء عن نبيل معوض من ساعى مكتب المدير حسنين عبد المولى ٠

وقد عرف منه أيضا فى دعوة الغداء التى دعاه اليها من أول مرتب يحصل عليه من البنك أن صبحى بك متزوج من ابنة عمه صافيناز هانم عبد الموجود ذات الأم التركية التى لا يعرف حسنين اسمها الذى لم يسع الى معرفته فالأم قد تركت الحياة قبل أن يتزوج صبحى ابن الفلاحين من ابنتهـــا ٠

وانتظر عبد الشكور أن يصل الى الخوافى من أخبار صبحى حين يوثق صلته بنبيل الأمر الذى أعد له كل الاعداد وخاصة حين أبلغه حسنين أن نبيل يحب الفتيات الجميلات أو غير الجميلات ان لم يتيسر له غيرهن ٠

وقد وجد عبد الشكور منفذه الى نبيل وترك للأيام أن تلج به الى هذا المنفذ ٠

★★★

كانت وظيفة عبد الشكور فى قسم الأقطان وقد أراد صبحى أن يرى مقدار كفاءته ٠

وانقضت بضعة أسابيع وبدأ موسم شراء الأقطان وتحرى عبد الشكور أن يبتعد فى مشتريات البنك عن شقلبان حتى لا يرى سبيلا الى أبيه بل تحرى أن يبتعد عن المركز جميعا الذى يعرف أغلب أهله ويعرفونه ٠ فقد كان حريصا أن يقطع ما بينه وبين هذه الأيام بكل ما وسعه من جهد ٠

بدأ عبد الشكور جهاده الوظيفى فى الصعيد وكان هذا أمرا طبيعيا فقد كان موسم القطن يبدأ فى الصعيد قبل الوجه البحرى بفترة طويلة وقد استطاع بسابق خبرته فى الصفقات ضئيلة الشأن أن يكون ماهرا غاية المهارة فى عقد الصفقات الكبيرة واضعا فى الحسبان أن أكبر مالك لا تزيد أرضه عن مائتى فدان بعد تطبيق قانون الاصلاح الزراعى ٠

وقد استطاع عبد الشكور أن يثبت لصبحى نجاحه الفائق فى عقد الصفقات فكان أكثر زملائه نشاطا ٠

وكان يراعى فى أول الأمر أن يكون صادقا مع البنك متلمسا سرقة المشترى فى السمسرة التى حرص ألا يعلم عنها البنك شيئا حتى اذا انتهى من الصعيد انتقل الى الدلتا فى نشاط منقطع النظير مما عاد على البنك بمكاسب لم يحققها البنك فى هذا المضمار من قبل ، الأمر الذى وفر لعبد الشكور قدرا من المال اعتبره هو فى البداية جديرا بكل احترام واجلال ٠ فان كمية النقود التى أتيحت له لم يسبق له أن رآها بله أن يملكها ٠

كانت أنباء صديقيه قد وصلت اليه وأصبح قادرا أن يستأجر شقة صغيرة كل الصغر فى حى الزمالك بايجار لو سمع به أبوه لأصابته سكتة قلبية ٠ فقد كان يدفع عشرة جنيهات ايجارا للشقة التى كانت تتكون من غرفة نوم واحدة وغرفة للطعام وصالة صغيرة وحمام لولا صاحب البيت ما عرف عبد الشكور كيف يتعامل معه ٠

وكانت الشقة خالية فنقل اليها سريره المتهالك وكرسيين أثارا مع السرير سخرية البواب فى العمارة الجديدة ٠

كان لابد أن يؤثث الشقة الجديدة بما يليق بأناقتها وفخامة العمارة التى تحتويها ٠ وفى هذا التأثيث عرف طريقه الى نبيل ٠

ـ أجرت شقة بالزمالك ٠

ـ الزمالك مرة واحدة ٠

ـ ان لم يكن السكن جميلا فما قيمة حياة الانسان ٠

ـ كم ايجارها ؟

ـ ولا يهمك ٠ المهم أريد أن أؤثثها وليس لى الا أنت لتشترى لها أثاثا يبدو لائقا بالحى ويكون فى الوقت نفسه ملائما لعبد الشكور ٠

ـ أى عبد الشكور تقصد الذى رأيته قبل أن يعين أم الذى أجر شقة فى الزمالك

ـ كل ما أرجوه منك أن تنسى عبد الشكور الذى كنت من القلة النادرة الذين رأوه بمصر قبل التعيين ٠

ـ طبعا أنت تقصد بمصر القاهرة ٠

ـ الذين عرفونى من بلدتنا وما حول بلدتنا لن يرونى أبدا على كل حال ٠

ـ وأبـوك وأمـك ٠

ـ يكفيهما أننى وفرت عليهما اللقمة التى كنت أقتطعها من قوتهما ٠

ـ كنت أظن نفسى عاقا لأننى لا أزور أهلى وأكتفى برؤية أبى حين يأتى لمحاسبة صبحى بك ٠

ـ كن وفيا لنفسك أولا أما الآخرون فعليهم أن يدبروا أمر أنفسهم٠

ـ ألم يعرف أبوك أنك عينت وأنك استأجرت شقة فى الزمالك ٠

ـ ولماذا يعرف ؟

ـ ألم يعرف على الأقل ان كنت على قيد الحياة أم لحقت بالرفيق الأعـلى ٠

ـ المؤكد أنه يعلم أننى لم أمت والا حملت اليه ليتولى دفنى ٠

ـ واضح أنك أرحت نفسك تماما ٠

ـ لا ٠ اطمئن ٠ المهم قل لى ماذا ستفعل معى فى مسألة الأثاث ٠

ـ الأثاث أمره هين ٠

ـ كيـف ؟

ـ عندنا فى البنك قسـم خاص بشراء احتياجات البنك فى هذا المضمار ورئيس هذا القسم حمدى خميس وهو الذى يشترى ما يحتاجه صبحى من أثاث ٠

ـ يا نهار أسود ٠٠٠ ومالى أنا لصبحى بك وما يشتريه من أثاث ٠ لو اشترى حمدى مثلما يشترى لصبحى بك لما أكمل ما معى ثمن كرسى واحد للشقة ٠

ـ على مهلك ٠٠٠٠ على مهلك ٠٠٠ ان كل العـاملين فى البنك يلجأون اليه وخبرته بالأثاث الرخيص أعظم من خبرته فى الأثاث الغالى ٠

ـ وصبحى بك ٠

ـ انه يشترى له ما يحتـاجه المطبخ والخدم أما أثاث صبحى بك فتشتريه صافيناز هانم التى تختار دائما أغلى الأثاث مما لا نعرفه ولا نعرف أسماء الماركات التى ينتسب اليها ٠

ـ هل صافيناز هانم مسرفة ؟

– مصيرك ترى حساب صبحى بك بالبنك لتعلم أن دخله لا يكفى طلبات زوجته وحدها ٠

– والأولاد ٠

– المهم عند صافيناز هانم نفسها أولا ولبسها وأثاث بينها والولائم التى تقيمها ٠

– والأولاد ٠

– كلاهما أيضا مسرف وانما فى حدود مطاقة بالنسبة لأبيهما ٠

– عرفت أن عنده ولدا وبنتا ٠

– الولد فى السادسة عشر والبنت فى الرابعة عشر ٠

– اسم الولد رأفت أظن ٠

– على اسم خال صافيناز هانم التركى ٠

– الاسم مشترك لا تعرف ان كان اسم أنثى أو اسم رجل ٠

– لا يهم المهم انه اسم تركى ٠

– اسم البنت سمعته ولكنى لم أستطع أن أحفظه ٠

– هان زاده على اسم ستها من أمها طبعا ٠

سرح عبد الشكور لحظات ٠ واضح أن صافيناز هانم هى العنصر الأساسى فى بيت صبحى بك وواضح أيضا أنها خارجة بيت زوجها ٠ وهذه ماذا أصنع لها ٠ لابد أننى واجد لها سكة وحين أجدها تكون أهم طريق لصبحى ٠ ولو أننى من الآن أكاد أكون قد عرفت أحسن وسيلة لصبحى وصافيناز معا ٠ لأطويه وأطويها تحت جناحى ما على الا أن ٠٠٠٠ وارتاع من صمته وسرحته المليئين بالضجيج على صوت نبيل يصيح به :

– هيه ٠٠ أين ذهبت ؟

– معـــك ٠

– بجسمك ٠

– وبعقلى ٠ هل سترسلنى الى حمدى خميس ؟

– بل يأتى هو اليك ٠ انك فى مكتب المدير وأنا أريد أن تكون شقتك عظيمة فأنا أعتبرها كشقتى تماما ٠

وفهم عبد الشكور الاشارة وفرح بها كل الفرح وأكمل نبيل :

– فرق بين أن تذهب الى حمدى كأى موظف فى البنك وبين أن يأتى هو اليك ويتسلمك من مكتب المدير العام ٠

ورفع نبيل سماعة التليفون وأدار رقمين وقال ٠

ـ حمـــدى تعـــال ٠

ولما أقفل التليفون ٠ قال عبد الشكور :

ـ ألا تقول صباح الخير ٠

ـ مكتب المدير لا يقول صباح الخير ٠

ـ ألم يقل هو لك صباح الخير ٠

ـ طبعا قالها بكل حماس ٠

ـ لم تردها عليه ٠

ـ مكتب المدير لا يرد التحية ٠

ـ لا تؤاخذنى على جهلى ٠

ـ ما زال أمامك الطريق طويلا ٠

ـ واضـــح ٠

★★★

اشتر الأثاث بمعونة حمدى الذى وفر علينا مبلغا ضخما من المال ٠ استطاع عبد الشكور أن يكسب احترام البواب الذى كان قبل مجىء الأثاث الجديد يحتقره احتقارا لا خفاء فيه ٠

الفصل الخامس

قال عبد الشكور لصبحى بك :

ـ أرجو أن تكون راضيا عنى ٠

ـ واضح انك خبير بسوق القطن خبرة عظيمة ٠

ـ ولكن الموسم انتهى هل سأظل بلا عمل حتى الموسم القادم ٠

ـ وماذا تريد أن تعمل ؟

ـ هناك قسم فى البنك درسته فى المدرسة ولا أعلم عنه أى خبرة عملية ٠

ـ أى قسم ؟

ـ الأسهم والسندات ٠

ـ والله فكرة لا بأس بها ولغاتك تؤهلك للعمل فى هذا القسم ٠ على أن تعود الى القطن فى موسمه ٠

ـ طبعا ٠

وأعطى صبحى بك أوامره أن يلتحق عبد الشكور بقسم الأسهم والسندات فى البنك ٠

وفى اليوم التالى تسلم عمله ٠

★★★

استقبله فتحى السبكى رئيس القسم بترحاب حذر آما الترحاب. فبناء على أوامر صبحى بك وأما الحذر فلن يلبث عبد الشكور أن يتبين. ما يتخفى وراءه ٠

عرف عبد الشكور اول ما عرف عن فتحى السبكى انه متصل. بدهاقين التنظيم السياسى الأوحد وهكذا انفتح أمامه باب جديد للنفاق ٠

وثق صلته بفتحى السبكى حتى انه منذ أول يوم حرص أن يرافقه فى الطريق الى بيته ليتعرف على مكان البيت وليؤنس فتحى السبكى فى مشواره ٠

كان فتحى السبكى يملك سيارة لا هى بالسيارة الفارهة ولا هى بالقميئة وحين وصلا الى عمارة السبكى قال لعبد الشكور :

ـ تفضل نتغدى سوا ٠

ـ عزومة مراكبية طبعا ٠

ـ كانت كذلك فعلا ولكن ما دمت قلت ما قلت فاقسم بالله لن تتغدى الا معى اليوم ٠

ـ أصبح أمرا ٠٠

ـ اعتبره كذلك ٠

وانتهز عبد الشكور الفرصـــة ليوثق صلته بفتحى ويتعرف على أسرته ٠ ولم يفته للوهلة الأولى أن العمارة فى جاردن سيتى وانها فخمة واضحة المهابة ٠

وصعد مع فتحى الى بيته ٠٠ واضح انه كريم فدعوته هذه لا تأتى من بخيل ٠ وواضح أيضا أنه يريد أن يبهرنى بمسكنه ومأكله ٠

كانت زوجة فتحى السبكى سيدة فى أواسط العمر بشوشا لم تفزع من الضيف المفاجىء واثقة أن الطعام الذى لديها لا يخشى هابطا على بيتها دون انتظار ٠

الشقة فاخرة والأثاث واضح الأناقة ٠

قال فتحى لزوجته وفية سعيد :

ـ الأستاذ عبد الشكور حيدر زميل الجديد فى القسم ٠

وسارع عبد الشكور صائحا :

ـ العفو ٠٠ بل مرؤوسه الصغير جدا ٠

وأحس فتحى بالزهو أمـام زوجتـــه وما لبث أن أسفر عما وراء اسراره أن يتغدى عبد الشكور معه حين قال لوفية مقدما مزيدا من التعريف بالضيف :

ـ انه مقرب جدا من البيه المدير ويعتبره من أحسن موظفى البنك رغم انه لم يعين الا منذ أشهر قلائل ٠

وانتهز عبد الشكور فرصة لا يمكن أن يفلتها لينافق رئيسه المباشر الذى يرجو منه الخير الكثير :

ـ المهم رضاء سعادتك ٠

وقال فتحى فجأة :

ـ هل جاء الأولاد ؟

وقالت وفيه :

ـ ليس بعد ٠

ودار الحديث بين عبد الشكور وفتحى وعرف منه أن لديه ابنين وابنة ٠ وان الابنة أكبرهم واسمها ناهد وهى فى الثانوية العامة فى هذا العام أما الولدان فكلاهما فى أواخر الدراسة الاعدادية يسبق أحدهما واسمه باسم أخاه الأصغر بعامين هما فارق السن بينهما ولم تفت الفرصة عبد الشكور :

ـ واضح أن ثلاثتهم مجتهد فى دراسته ٠

ـ كيف عرفت ؟

ـ فارق الدراسة بين ثلاثتهم متفق تماما مع فوارق السن ٠

ـ اسم الله عليك لا تفوتك الفائتة ٠ فعلا ثلاثتهم مجتهد وان كان ثلاثتهم لا يقبلون أن يلبسوا الا أفخر ملبس وناهد تصر على أن أشترى لها سيارة اذا نجحت فى عامها هذا وذهبت الى الجامعة ٠

ـ من حقها ولماذا لا تأتى لها بسيارة ٠

ـ ربنا يقدرنا ٠

ـ والى أى كلية تريد أن تنتسب ٠

ـ يا سيدى مصممة على الطب والحقيقة أن تفوقها فى دراستها السابقة سيمكنها أن تحقق أملها ان شاء الله ٠

ـ ستدخل الطب وبكره نشوف ٠

ـ قل ان شاء الله ٠

ـ ستدخل الطب ٠ أنا مكشوف عنى الحجاب ٠

ـ سترى ٠

ـ سترى ٠

وقدمت وفية هانم فى ترحاب تدعوهما الى الغداء ٠ وكانت المائدة عامرة وأدرك عبد الشكور طبعا أن الذى أمامه من الطعام هو لا شك نصيب الأبناء الذين لم يأتوا بعد الى البيت وأدرك أيضا السعة التى يحيا فيها رئيسه المباشر ٠ ولم تفته الخادمة التى تلبس ملبسا محترما وتقوم بشأن ثلاثتهم على المائدة ٠

قال عبد الشكور وهم يتناولون قهوة ما بعد الغداء :

ـ أشرب القهوة وأتركك لتستريح فترة القيلولة ٠

ـ أنت شرفت ٠

ـ بل أنا الذى تشرفت فعلا لا مجاملة ٠ هل ستخرج بعد الظهيرة ٠

ـ طبعا أنا كل يوم أذهب الى مقر التنظيم ٠

ـ صحيح ٠

ـ طبعا ٠

ـ هل عندك مانع أن أصحبك الى المقر وأتعرف على الأقيال الذين نعرفهم ٠

ـ بالعكس فقد كنت سأعرض عليك أن تأتى معى ٠

ـ متى تذهب ؟

ـ فى الساعة السادسة أكون هناك ٠

ـ أنا سأعود اليك هنا فى الخامسة والنصف وأذهب معك ٠

ـ وهو كذلك ٠

★★★

وهكذا قدر لعبد الشكور أن يضع أقدامه على سلم توقع هو أن يصل به الى السماء السابعة ٠

★★★

ذهب عبد الشكور الى المقر والتقى هناك بسكرتارية الكبار ومساعديهم ٠ واختار فى اليوم الأول أن يتعرف الى ما يرضى كلا منهم ٠ واستطاع فيما تلا ذلك من أيام أن يكون لصيقا للغالبية العظمى منهم واذا استعصى عليه أحدهم رفض أن يركن الى اليأس فى شأنه بل راح يلوب حوله ليعرف الباب الذي يدخل منه اليه ويطرقه فان لم يجد الطرق

مجديا احتال على فتح الباب بأى وسيلة أخرى ولو أدى الأمر الى اصطناع مفتاح مزور ٠

لقد استقر فى أعماق عبد الشكور استقرارا وطيدا أنه يملك ما لا يملكه أحد ، فهو بلا أصل ولا كرامة ولا مثل ولا تعنيه مشاعر السماء نحوه وهو أملس ليس لديه أى شىء يخشى عليه وهو يعلم أنه ثعلبى الخبث وأنه ابن سوق وأنه صاحب مقدرة على التصرف والحديث بما يجعل سامعه فى حالة من السعادة والهناء والرضى عن نفسه لا تتهيأ له مع أى انسان آخر غير عبد الشكور ، وهكذا لم يكن عجبا أن يطمئن غاية الاطمئنان الى انه يحوز فى يده كل مفاتيح الغنى وذلك مؤقتا عن طريق البنك أما مسالك الجاه فهو يرنو اليها عن طريق معارفه الجدد فى مقر التنظيم منتويا أن يقفز على رؤوسهم الى الصدور والقادة من رؤسائهم الذين يملكون فى يدهم مقادير الناس جميعا ٠ وكلمة جميعا هذه تنصرف الى المقادير والى الناس فى وقت معا فقد كان على بينة وثيقة أن حكام ذلك العهد على رأسهم الحاكم الفرد الذى لم يكن الآخرون بالنسبة اليه الا دمى يحركها كما شاءت أهواؤه ٠ كان على بينة انهم يملكون من الناس مقاديرهم ليس فى وظائفهم أو أعمالهم العامة وحدها بل كانت أيدى الحاكم والدمى تمتد الى خاصة حياتهم والمستسر الخافى من شئونهم وشئون ذويهم ٠

وكان واثقا أيضا أن طاغية العهد لا شأن له مطلقا بالايمان بالله ولا بأحكامه ولا بآخرته ٠

كان عبد الشكور على بينة من هذا جميعه فأدرك أن المستقبل لن يفتح له ذراعيه على مصراعيهما وان لم يجد الى بلاط الفئة الحاكمة منفذا واسع الأرجاء ٠ وكانت ثقته بمقدار سفالته ونفاقه تملأ نفسه يقينا انه بالغ من مطامعه ما يشتهى ويريد ٠ حتى ليكاد أن يتحدى الأيام انه لا شك الى نجاح وفلاح ٠

الفصـــل الســـادس

بدأ عبد الشكور يتعرف على طبيعة العمل فى قسم الأسهم والسندات وما لبث أن فرض نفســه على فتحى السبكى حتى أصبح أقرب المقربين اليه ٠

وبهذه الصلة الوثيقة تبين له ما أذهله ٠

لقد كان فتحى يتصرف فى أسهم الناس وفى سنداتهم كأنها ملك شخصى ينال منها على غير علم من أصحابها مكاسب فادحة ٠

وتظاهر عبد الشكور أنه لا يفهم ما يصنعه فتحى وصرف جهـده أول ما صرف الى التعرف على أصحاب هذه الأسهم فالغالبية العظمى منهم هم أصحاب الأموال الجسام الذين لم يكن العهد الحاكم قد مسهم بعد ٠

وعن هذا الطريق تعرف على أصحاب الثراء العريض والأصل الرفيع حتى اذا وثق صلته بهم عاد الى فتحى الذى كان قد أمن له كل الأمان وجعله يتعرف على خوافى الأمور وسراديبها ٠

وكان فتحى على قدر واسع من الذكاء مما جعله يتيح لعبد الشكور أن يقوم ببعض العمليات التى تعود عليه بالربح الوفير ٠ وان لم يكن الى وفرة عمليات فتحى طبعا ٠

فى يوم من الأيام بينما هو فى مكتبه طلبه نبيل فى التليفون :

ـ ماذا تعمل ؟

ـ مهما يكن ما أعمله أنا تحت أمرك ٠

ـ تعـــال ٠

وحين جلس عبد الشكور أمام نبيل قال نبيل :

ـ أتذهب الى السينما ؟

ـ فيما ندر ٠

ـ لمـــاذا ؟

ـ يا نبيل يا حبيبى ان العمل الذى لا أكسب منه لا يلزمنى ٠

ـ ربما تكسب تسلية ويقولون أن بعض الأفلام المأخوذة عن أعمال كبار الكتاب قد تكسب ثقافة ٠

ـ هل هذه الثقافة تنفعنى فى البنك ؟

ـ المؤكد أنها تنفعك فى الحياة ٠

ـ كيف ؟

ـ فى معاملة الناس ومحادثة أهل الحل والربط ٠

ـ والله لك حق فأنا لا أعرف أعظم من صبحى بك ومن يدرى لعل الأيام ترمى بى فى طريق بعض العظماء ٠

ـ هذا أمر وارد لا شك ٠

ـ بدأت أتعرف بأصحاب الأسهم والسندات من الأثرياء الكبار والباشاوات والبكوات السابقين وأقول لك الحق ما زلت أتهيب أمرهم وكأنهم ما زالوا باشاوات وبكوات ٠

ـ العظمة عند أغلب هؤلاء ليست فى الرتبة وانما فى الطبع والتصرف والخلق والثقافة ومعاملة الناس والحياة ٠

ـ لك حق ما زال لهم جلالهم وهيبتهم وكأن الثورة لم تقم ٠

ـ وطبعا أبوك لم يكن يعرف واحدا منهم ٠

ـ وما الداعى لهذه الملحوظة ٠

ـ أقصد أن ثقافتك قاصرة فى هذا الشأن ٠

ـ مؤكد ٠

ـ فلابد أن تثقف نفسك حتى تعرف كيف تحادثهم ٠

ـ بالسينما ؟

ـ بالسينما وبالكتب وبالروايات الكبرى لعظماء الكتاب ٠٠٠ والا ماذا ستفعل اذا حدثك واحد من هؤلاء فى الحياة العامة ووجدك لا تعرف أسماء الكتاب المصريين والعالميين ٠

ـ يا نهار أسود تكون مصيبة ٠

ـ ابدأ بالسينما ٠

ـ أبدأ بالسينما ٠

ـ أنا عازمك اليوم فى حفلة الساعة السادسة ٠

ـ أذهب معك ٠

ـ بل تذهب وحدك ٠

ـ لماذا ؟

ـ ما سمعت ٠

ـ أمـــرك ٠

ـ وهو كذلك ٠ أظنك فى هذه الفترة لن تكون محتاجا لشقتك ٠

ـ يا نبيل يا حبيبى لم تكن محتاجا لكل هذا لتستعمل الشقة ٠

ـ أنا أعلم ذلك ولكن الحديث جر بعضه وعليك أن تعلم أنه بصرف النظر عن مسألة الشقة فان كل ما قتله لك صحيح وعليك أن تهيىء نفسك لمعرفة هؤلاء الأجاويد ٠

ـ والله أنا وزنت ما تقوله ووجدته معقولا ٠

ـ ألم أقل لك ٠

ـ فعلا لك حق ٠٠ خذ المفتاح ٠

ـ شـــكرا ٠

ـ أنا لا مانع عندى أن أزيد نفسى ثقافة وأذهب الى حفلة الساعة التاسعة أيضا على حسابى الخاص ٠

ـ يا نهارك أسود أتريد أن تطردنى زوجتى من البيت ٠

ـ لمـــاذا ؟

ـ انت انهبلت أدخل عليها الساعة الثانية عشرة ولا تطردنى ٠

ـ واذا طردتك ، تنفذ الطرد ٠

ـ سأكون بين اثنتين لا ثالث لهما اما أن أخرج وأتصرف فى المبيت بأحد الفنادق واما أن تأخذ هى العيـال وتذهب الى بيت أبيها وتصبح فضيحة بجلاجل ٠

ـ وما الداعى يكفيك حفلة الساعة السادسة ٠

ـ وأين أترك لك المفتاح ؟

ـ اننى منذ عرفتك وأنا معـد نفسى لهذا الطلب الذى أعتقد أنه تأخر كثيرا ٠

ـ ماذا تعنى ؟

ـ معى مفتاح آخر وغدا آخذ منك المفتاح الذى أعطيته لك الآن ٠

ـ ولماذا لا تبقيه معى ؟

ـ لا ٠٠٠٠ لا يمكن ٠٠٠٠٠ لابد أن تطلبه منى كلما احتجت اليه ولا فوجئت بى على رأسك فى الشقة وربما فى السرير أيضا ٠

ـ فعلا ٠٠٠٠٠ فعلا لك حق ٠٠٠٠٠ غدا أعطيك مفتاحك ٠

ـ سأكون عندك بكرة قبل أن تشرب قهوتك ٠

ـ وهو كذلك ٠

الفصـــل الســـابع

طبعا لم يكتف عبد الشكور بالعمليات الصغيرة التى يتركها له فتحى ولم يكن منذ أول لحظة منتويا أن يكتفى بها ولكنه كان يدبر للأمر منذ الوهلة الأولى ورأى أن خير وسيلة أن يجعل فتحى يثق فيه ثقة عميقة ٠

وفى عماية هذه الثقة راح عبد الشكور يجمع من الأوراق والأسانيد ما لا يقبل المناقشة أو التفنيد ٠

وحين ارتأى أن بيده ما يكفى ويزيد دخل الى صبحى حسان ٠

★★★

قال صبحى لفتحى بعد أن استقدمه :

ـ ألق نظرة على هذه الأوراق يا فتحى ٠

ـ أمرك يا أفندم ٠

وما هى الا لحظات حتى أدرك فتحى الكارثة الكبرى التى حلت به ٠ ولم يكن محتاجا أن يقرأ كل الأوراق وانما اكتفى بنظرة سريعـة عابرة كانت كفيلة لأن يرى مصيره الأسود أمام عينيه وحين أرجع الأوراق الى صبحى الذى جمعها فى عناية بالغة وسواها وأعادها الى الدوروسيه الذى كان يحتويها ، فعل كل هذا فى بطء شديد حتى اذا أودع المستندات فى الدرج الذى أخرجها منه وأقفله بالمفتاح التفت الى فتحى :

ـ ما رأيك ؟

ـ الذى تأمر به سعادتك ٠

ـ انك موظف قديم بالبنك ومعرفتى بك منذ سنوات طوال ولهذا ومن أجل ناهد وباسم وخالد والست وفية سأكتفى بأن أطلب منك الاستقالة لتنال المكافأة التى تستحقها والتى تستطيع أن تعيش بها حتى تجد وظيفة فى بنك آخر ٠

ـ ومن سيقبلنى بعد هذه المصيبة ٠

ـ طول عهدك بى يجعلك تثق فى وعودى ٠

ـ هذا لا شك فيه ٠

ـ لن يعرف أحد فى العالم ما تم الآن بيننا ٠

ـ والذى أتى لك بهذه المستندات ٠

ـ أنا أضمن أنه لن ينطق بشىء ٠

ـ أتضمن هذا المخلوق ؟

ـ أتعـــرفه ؟

ـ ليس هناك الا واحد فقط يستطيع أن يصل الى هذه الأوراق ٠

ـ أنا أضمنه مهما كان رأيك فيه ٠

ـ أمرك ٠

ـ اذن ٠

ـ أعطنى سعادتك ورقة ٠

ـ تفضـــل ٠

وكتب فتحى الاستقالة وقبل أن يصل الى نهايتها سأل صبحى :

ـ هل أختلق لها سببا ؟

ـ اكتف بالقول بأنك لم تعد تستطيع الاستمرار بالعمل والبنك ٠

ـ وأطلب المكافأة ؟

ـ أطلب تسوية حالتك كما يقولون فى الحكومة ٠

وأعطى فتحى الاستقالة الى صبحى بك وفى تحامل مرير على رجلين لا تكادان تسعفانه قام عن كرسيه ومشى خطوات وقبل أن يضع يده على أكرة الباب قال وظهره لصبحى :

ـ شكرا يا سعادة البك ٠

ـ العفو مع السلامة ٠

★★★

استدعى صبحى عبد الشكور وأخبره بما حدث لفتحى ولم يدهش عبد الشكور حين قال له صبحى :

ـ تحل محله ٠

ـ أخشى أن يغضب هذا الزملاء الذين سبقونى فى العمل بالقسم ٠

ـ نحن فى بنك ومن حقى وحـدى اختيار الأصلح دون نظـر الى الأقدميـــة ٠

ـ اذن أمرك ٠
ـ ولى عندك رجاء ٠
ـ بل أمر ٠
ـ لا يعرف أحد ما كان من أمر فتحى ٠
ـ اذا سمعت أن أحدا عرف أكون أنا وحدى المسئول أمامك ٠
ـ وهو كذلك ٠

★★★

ليس بعجيب على عبد الشكور ما فعله فى اليوم نفسه ٠

لقد ذهب فى وقت الغداء الى بيت فتحى ٠ ولم يفاجأ بفتحى وهو يفتح الباب حتى اذا وقعت عينـاه على عبد الشكور ارتسمت الدهشـة الآخذة الذاهلة على كل سمات وجهه :

ـ أنت ٠٠ أهذا معقول ٠٠٠ لقد توقعت أى انسان الا أنت ٠
ـ ولهذا جئت ٠
ـ فعلا منك أنت لا شىء يستغرب ٠
ـ اسمح لى أشرح أولا ٠
ـ اشرح ٠
ـ هنا ٠
ـ نعم هنا فبيتى حرام عليك منذ اليوم ٠
ـ ليكن ما تريد مؤقتا ٠
ـ تكلم ٠
ـ من الذى يخلفك فى رئاسة القسم ٠
ـ المفروض اسماعيل وجدى ٠
ـ فمن له مصلحة فى الوشاية بك غيره ٠
ـ أنت ٠
ـ لماذا ؟
ـ أنت مقرب من رئيس البنك وربما يعينك فى مكانى ٠
ـ وأجعل نفسى فى الواجهة وأحرم نفسى مما كنت تتركنى أقوم به من أعمال تعود بالربح الوفير ٠

ـ ربما تريد الربح كله ٠

ـ ألا تعرف مقدار ذكائى ٠

ـ أعرف مقدار خبثك ٠

ـ ليكن ٠٠٠ كيف سيتاح لى أن أقوم بهذه الأعمال بعد أن انكشف أمرها ٠٠ أليست مصلحتى أن أتخذ منك ستارا واقيا وأكتفى أنا بالعمليات التى كنت تتركها لى ٠

فكر فتحى فيما سمع وأطال التفكير ثم قال لعبد الشكور :

ـ تعال ٠٠٠٠ أدخل ٠

وصاح عبد الشكور :

ـ هكذا يجب أن تكون الأمور ٠٠٠ كان من الأول يا أخى ٠

خالت عليه الحيلة وصدقنى ٠٠ أنا أحتاجه فى التنظيم السياسى ولا أريد أن يسىء الى عندهم أما الوسائل التى كان يحصل بها على الأرباح فى البنك فقد تبين لى بالخبرة أنها وسائل بدائية عاجزة ٠

ان الطريقة التى توصلت لها أنا هيهات لألف شخص مثل فتحى أن يفكر فيها ٠ أما صبحى فأمره ميسور فرجت يا عبد الشكور من أوسع الأبـــواب ٠

الفصـــل الثـــامن

مرت أيام قلائل على مباشرة عبد الشكور لعمله الجديد حين فتح الساعى الباب وقال :

ـ سعادة أبو العلا بك عفيفى ٠

وفتح الساعى الباب للقادم دون أن ينتظر أمر عبد الشكور ٠

وبهت عبد الشـــكور كما بهت البك القـــادم ٠ وفى لعثمة قال عبد الشكور :

ـ أهـــلا مرحبـــا ٠

لم يكن قد أعد نفسه لهذا الموقف مطلقا ولهذا لم يكن عجيبا أن تركبه الحـــيرة ولم يمهله القـــادم ، بل قال وهو يجلس دون دعوة من عبد الشكور :

ـ أين فتحى بك ؟

ـ ترك العمل فى البنك ٠

ـ لمـــاذا ؟

ـ وجد مرتبا أحسن فى بنك آخر ٠

ـ اذن أحب أن أتشرف بسعادتك فسيكون بيننا عمل كتير ٠

الحمد لله لم يعرف شكلى وبعد هدأة قال :

ـ عبد الشكور ٠

ـ عبد الشكور ماذا ؟

آه يكاد المحظور أن يقع ولكنه لم يستطع أن يفر منه واضطر أن يجمع حروف الكلمة فى صعوبة بالغة وهو على يقين أنه اذا أخفى اسمه الكامل فسوف يعرفه أبو العلا من غيره ٠٠ لم يجد بدا من أن يقوله وليكن بعد ذلك ما يكون ٠

ـ عبد الشكور حيدر ٠

وارتسمت معالم التعرف على ملامح (أبو العلا) ٠

ـ الآن عرفتك وأنا منـذ اللحظة الأولى أقول لنفسى الوجه ليس غريبا على ٠

ـ طالما زرت سعادتك فى العزبة ٠

ـ مع أبيك التاجر حيدر أبو عبيد الكيالى ٠

وجد عبد الشكور فى كلمة التاجر ما طمأنه بعض الاطمئنان فقد كان يستطيع أن يذكر الحقيقـة ويقول السمسار ولا يكون بعيـدا عن الحقيقة المؤكدة أما ان يقول التاجر فلا شك أنه يريد أن يجاملنى وأكمل أبو العـــلا :

ـ وكنت أنت تعمل فى القطن ٠

وهذه مجاملة أخرى ٠٠ انه لم يقل تسمسر وسارع قائلا :

ـ ذاكرة سعادتك عظيمة ٠

ـ وكيف حال أبيك ؟

ـ الحمد لله ٠

ـ على زمان لم أره ٠

ـ انه لا يستغنى عن سعادتك أبدا ٠

ـ لى هنا أسهم ٠

ـ أعرف يا سعادة البك ٠

وبدأ أبو العـلا يلقى على عبد الشكور التصرفات التى يريد أن يجريها فى أسهمه وأنهى عمله وقام وهو يقول :

ـ أنا أعتبرك هنا كابنى فأبوك حيدر من أحب الى ؟

ـ أطال الله عمرك يا سعادة البك وستجدنى دائما تحت أمرك ٠

ـ كثر خيرك ٠٠ السلام عليكم ٠

وخرج ٠ ولم يتنفس عبد الشكور الصعداء فقد توقع شرا هو فى غنى عنه كل الغنى ٠

★★★

يومان مرا وفتح الساعى الباب ولم ينطق وملأ فتحة الباب أبوه واقفا أمامه ورأى عبد الشكور فيه الحدث الآخذ ٠ طبعا قال للساعى انه أبى والا لما فتح الباب وانكتم لا ينطق ٠

بالغريزة قفز عن كرسيه ٠

ـ أهلا أبى يا مرحبا ٠

وانحنى على يده يقبلها ولكن أباه اختطفها منه :

ـ الآن عرفت سبب مقاطعتك لى أنا وأمك ٠

ـ العفو يا آبا ٠٠ كنت مشغولا فقط ٠

ـ النقاش لا يفيد ولا الأعذار ٠

ـ يا آبا وهل لى فى الدنيا الا أنت وأمى ٠

ـ لن تستطيع خداعى ٠ وانما جئت من البلد فقط لألقى عليك نظرة وأفهمك أننى عرفت مكانك ومكانتك فى البنك أيضا ثم السلام عليكم ورحمة الله ٠ لن ترانى بعدها ولن ترى أمك ٠ واستدار حيدر وأخذ طريقه الى خارج البنك ٠

وأحس عبد الشكور كأن حملا ثقيلا قد انزاح عن كاهله ٠ لم يعد فى حاجة أن يحذر أباه من المجىء ، مرة أخرى الى البنك كما انه ليس فى حاجة أن يخرج مع أبيه الى الباب الخارجى ويعرف موظفو البنك جميعا مقدار أبيه الواضح فى ملابسه ٠ ليس فى حاجة الى أى شىء من جميعه ٠٠ ووجد نفسه ينحط على كرسيه وهو يجتذب نفسا عميقا من أسفل مكان فى رئتيه ٠ ودق الجرس وأمر بسيونى الساعى أن يحضر له فنجان قهوة سكر زيادة ٠

الفصـل التاسـع

تحسبا منه انه ربما يحتاج الى صديقيه الألمانيين حرص عبد الشكور أن يوثق صلته بمارك وهوفمان اللذين داوما على مكاتبته منذ وصولهما الى ألمانيا وعرف منهما أن كليهما يقيم فى برلين الغربية فكان هذا أقوى سبب أن يجيب رسائلهما وقد عرف عنهما أنهما يعملان كلاهما فى عملين مرموقين مما يفتح المستقبل أمامهما كما أنهى اليهما هو ما بلغه فى البنك من قفزات ٠

★★★

وكان عبد الشكور أحرص ما يكون أن يمر فى كل يوم بصبحى خيبان ويلقى عليه تحية الصباح وكثيرا ما كان يستدعيه صبحى لينادمه فقد أنس اليه ووجد فى حديثه متعة لا يجدها مع غيره ٠

وكان عبد الشكور حريصا فى زياراته الصباحية على أن يمازح نبيل ويعرض خدماته فاذا كان لدى صبحى ما يشغله جلس اليه نبيل ، وفى واحدة من هذه الجلسات قال نبيل :

ـ الليلة ستذهب الى السينما ٠
ـ هاك المفتاح انما قل لى ٠
ـ أقول لك ٠
ـ أهى واحدة ٠
ـ يا نهارك أسود كيف تتصور هذا ؟
ـ اذن فهن كثيرات ٠
ـ بطبيعة الحال ٠
ـ وما الخطر فى أن تكون واحدة ٠
ـ وهل مثلى يستطيع أن يتحمل تكاليف الصديقة الواحدة ٠
ـ أتكلفك أكثر من الفتيات العديدات ؟

ـ لكل واحدة من الكثيرات أجرها المعلوم لا تتعداه أما الواحدة فانها تفرض نفسها عليك وتصبح فى الانفاق عليها ألعن من الزوجة ومصاريف العيال • هى مرة أو اثنتين ثم أبحث عن غيرها •

ـ ودائما تجد غيرها •

ـ أكثر من الهم على القلب •

ـ فلماذا يا أخى لا تكرمنى معك ببعض الهم ؟

ـ ماذا تقصد ؟

ـ أنت من الساعة التاسعة الى الثـانية عشرة لابد أن تذهب الى البيت • فما ضر لو ذهبت أنا الآخر الى بيتى ووجدت فيه ••

ولم يكمل عبد الشكور بل قاطعه نبيل :

ـ فهمت •• لا تكمل •

ـ يا أخى هل كان لابد لى أن أعرض أنا •

ـ والله غاب عن ذهنى •• أنا آسف •

ـ لا •• العفـــو •

ـ الليلة ستجد ما تريد •

ـ حفظت •• شـــكرا •

ـ لا شكر على واجب •

ـ الآن أدخل الى صبحى بك •

★★★

منذ ذلك اليوم تعرف عبد الشكور على الكثيرات من الفتيات وحرص أن يسجل أرقام التليفونات لكل منهن •

★★★

طرق عبد الشكور باب صبحى بك ولم ينتظر الاذن بالدخول فقد كان يعلم أنه وحده :

ـ صباح الخير •

ـ وهو كذلك •

ـ اجابة لم أسمعها قبل ذلك فى حياتى كلها •

ـ انها التى عندى ٠

ـ ولماذا لا يكون عندك صباح الخير ٠

ـ لأنه ليس خيرا ٠

ـ لمـــاذا ؟

ـ والسلام يا عبد الشكور خل الطابق مستورا ٠

ـ ولماذا يكون مستورا ٠ وان أردت أن تستره على الجميع فلماذا تســـتره على وأنا أحس أنك أصـــبحت تأنس الى وتطلعنى على دخائلك لا تستثنى من ذلك الأسرار المنزلية ٠

ـ هذا صحيح ٠

ـ فما الجديد ؟

ـ يا ســيدى جماعة من الذين كانوا على ثراء فاحش قبل الثورة يريدون أن يبيعوا بعض الأثاث فى بيوتهم ليستعينوا بثمنه على الحياة ٠

ـ عظيـــم ٠

ـ وما شأننا نحن ٠

ـ صافيناز عرفت الخبر ٠

ـ هنا المصيبة ٠

ـ ستجن وتجننى ان لم تشتر طاقم الاستقبال واحدى السجاجيد ٠

ـ فعلا لك حق ليس صباح الخير ٠٠ هل الثمن كبير ٠

ـ طاقم الاستقبال من الأبيسون الحرير ٠

ـ ماذا ؟ ماذا قلت ؟

ـ لك حق الأبيسون قماش فرنسى لم يعد أحد يصنعه الآن وهو من خيوط الحرير وان كانت بعضهن تصنعه من الصوف والفرق شاسع فى الثمن بين النوعين ٠٠

ـ فهمت ٠

ـ فكل أبيسون حرير الآن ثمنه خيالى لأنه تاريخى ٠

ـ بمعنى ٠

ـ بمعنى أن الطاقم الذى تريد صافيناز شراءه ثمنه ثمانية آلاف جنيـــه ٠

واتنتر عبد الشكور من كرسيه صائحا :

ـ بـكم ؟

ـ بما سمعته ·· اقعد ·

ـ ومتى أقف اذن ·· ان مبلغا كهذا لابد أن يسمعه مثلى واقفا ان كان قاعدا وقاعدا ان كان واقفا ·

وضحك صبحى وقال :

ـ احتـــراما ·

ـ احتراما وتوقيرا ودهشة وذهولا وكل ما يرد على ذهنك من هذه المعانى وأمثالها والقريبة منها ·

ـ لك حق ·· والسجادة ألف وخمسمائة جنيه ·

ـ وهذا أيضا يستحق الوقوف ·

ـ أرأيت انه ليس صباح خير ·

ـ فعلا سعادتك محق ·· انما قل لى سعادتك هل هناك مهلة لهذه الصفقة ·

ـ أســـبوع ·

ـ صـباح الخـــير ·

ـ هل جد جديد ؟

ـ قل صباح الخير وأمل فى تلميذك خيرا ·

ـ هل عندك وسيلة ؟

ـ أمهلنى ثلاثة أيام ·

ـ أهذا معقول ؟!

ـ الفأر أنقذ الأسد ·

ـ على كل حال ليس لى أمل الا فى الفأر ·

ـ قل صباح الخير ·

ـ ليكن صباح الخير ·

ـ ســلام عليكم ·

ـ وعليكم السلام ·

وخـرج عبد الشكور من الغرفة وأغلق الباب واثقـا أنه أمسك بصبحى من حيث يريد أن يمسك به ·

★★★

ذهب عبد الشكور الى التنظيم فيما بعد الظهيرة ووجد من تعود أن يجدهم دائما . وكان قد وطد علاقته بموسى أشرف أعظم الأتباع شأنا وألصقهم بأحد الأقيال الضخام الشأن والجاه .. اقترب منه وراح يجاريه فى الحديث وموسى يحرص على أن يضع فى كل بضعة جمل واحدة أو اثنتين عن الشخصية ذات الشأن الخطير التى يعمل فى خدمتها .. وفى مهارة ودربة يظهر عبد الشكور الدهشة أو الرهبة أو الاكبار أو الاجلال حريصا على أن يضفى على محدثه موسى كل ما يصبو اليه من عظمة ومن أشكال الجبروت والمكانة والجاه العريض .

وفاجأ عبد الشكور موسى وكانا يجلسان بمنجى عن أسماع الآخرين :

ـ لماذا يا موسى بك لا تشرفنى فى البيت ؟

ـ لا مانع طبعا .

ـ أتحب أن نتغدى معا أو نتعشى ؟

ـ الغداء لا يمكن . لأننى أكون دائما بالقرب منه وربما أرادنى .

ـ وفى المساء ؟

ـ فى المساء له هو سرحاته الخاصة .

ـ وأنت أليس لك سرحات ؟

ـ والله ان تيسرت يكون خيرا وبركة .

ـ ماذا تعنى بتيسرت ؟

ـ ألم تفهم ؟

ـ فهمت ولكنى أريد أن أتأكد .

ـ هو ما فهمت .

ـ هل تتناول معى العشاء غدا .

ـ ومن المدعوون .

ـ أنت وشخص واحد .

ـ من هو .

ـ ستعرفه حين تراه .

ـ لا أحب المفاجآت .

ـ لا تخف هذه مفاجأة ستحبها .

ـ أنا لا أذهب الى أى دعوة اذا لم أكن على علم أكيد بالمدعوين .

ـ اترك هذه الخصلة غدا ولن تندم .

ـ اسمع اذا انبسطت ستكون واحدا من المهمين فى مصر كلها واذا ..

ـ وقاطعه عبد الشكور قائلا :

ـ لا تكمل أعرف ماذا سيحل بى اذا حدث العكس .

★★★

ـ صباح الخير يا نبيل .

ـ عسى الله أن تكون مبسوطا .

ـ نهارك فل .

ـ علم .

ـ البك وحده .

ـ وما هذه الحقيبة فى يدك ليست العادة .

ـ قلت أوقع منه بعض أوراق على الماشى .

ـ أدخل .

ـ أراك وأنا خارج .

ـ أنا قاعد وأين يمكن أن أذهب .

دخل عبد الشكور الى مكتب صبحى ولم يجلس وانما وقف الى جانب المكتب وفتح الحقيبة وهو يقول :

ـ صباح الخير مبروك على صافيناز هانم الطاقم والسجادة يا سعادة البك .

وقفز صبحى واقفا

ـ يا نهارك أبيض من أين جئت بكل هذا المبلغ ؟

وفى برود وثقة قال عبد الشكور :

ـ اهدأ واطمئن واقعد واسترح .

ـ قعدت .

وراح عبد الشكور يشرح العمليات المالية التى يقوم بها فى الأسهم والسندات ووضح لصبحي أن البنك أو أصحاب الأسهم لا يخسرون مليما

واحدا • كما طمأنه انه ليس بين أوراق البنك ورقة واحدة لها شأن بهذه العمليـــات •

وأحب صبحى أن يقتنع ووضع المبلغ فى حقيبته الخاصة •

★★★

حين ذهب موسى أشرف الى بيت عبد الشكور استقبله فى ترحاب أقرب الى الذلة منه الى الاكرام • وحين دخل موسى الى البهو طالعته فتاة واضحة الجمال والجاذبية وقال عبد الشكور :

ـ كريمة ، الضيف الوحيد الى دعوته •

ـ ونعم الضيف •

ـ عندى الشراب والدخان أيهما أحب اليك •

ـ كله عظيم •

ـ ليلتنا بيضاء •

ـ ان شاء الله •

ولم ينس عبد الشكور أن يترك بيته فى الموعـد الذى رآه مناسبا تمـــاما •

★★★

وفى اليوم التالى قال موسى لعبد الشكور :

ـ شقتك جميلة ولكن صغيرة •

ـ أعرف ذلك ولكن ماذا أصنع ؟

ـ تذهب غدا الى عبد السميع حسنى سيسلمك شقة من شقق العمارات المصادرة •

ـ غـــدا •

ـ غدا طبعا •• أتحب أن تذهب الليلة •

ـ غـــدا عظيـــم •

الفصـــل العـــاشر

كان عبد الشكور قد وثق صلته بثمانية نفر من أصحاب الأسهم وكانت الأسهم التى يملكها كل منهم تدل على الثراء العريق وكان أهم هؤلاء رستم نامق الرجل التركى الأصل الذى يزهى دائما بأن جده الأكبر كان صدراً أعظم فى عهد السلطان عبد الحميد بتركيا وكان يروى لعبد الشكور انه حين حدثت ثورة الجيش على السلطان تمكن جده من تهريب ثروته جميعها الى مصر ولم يكن له الا ولد واحد الذى لم ينجب هو الآخر الا ابنا واحدا وهكذا وصلت الثروة كاملة الى رستم نامق متمثلة فى أبعديات زراعية وأموال سائلة وجواهر نادرة المثيل لا يحصيها عد ، ورستم مثل أبيه وأجداده لم ينجب الا بنتا واحدة هى فوزية ٠

وطبعا عبد الشكور كان يعلم أن الأبعديات قد انكمشت الى مائتى فدان ٠ ولكنه لم يعلم علم اليقين مقدار المال السائل أو الجواهر ولكن كمية الأسهم التى باسم رستم كانت شاهدا قويا على ضخامة ما يملكه رســـتم ٠

وقد استطاع رستم أن يتخفى عن عيون الحكم المغتصب فلم يكن ذا شأن فى الحياة وانما كانت حياته مقصورة على الافطار فى جروبى فى الصباح ثم يلزم بيته حريصا أن يراقب مذاكرة ابنته وكان لا يستقبل الا ندرة قليلة من الناس بعضهم أتراك وبعضهم من المثقفين الذين يريدون أن ينتفعوا بالكتب النـــادرة التى تكتنزها مكتبتـه العامرة بالمخطوطات النـــادرة ٠

★★★

مبلغ واحد آخر حصل عليه صبحى من عبد الشكور ثم أممت الثورة الأسهم جميعا بحيث لا يملك أى فرد من الأسهم أكثر مما قيمته عشرة آلاف جنيه ٠

وتفتق ذهن عبد الشكور عن فكرة عادت عليه بملايين الجنيهات فقد اتفق مع الثمـــانية اللصيقين به من مـلاك الأسهم ألا يبلغ المصـــادرة

الا بما ثيمته عشرة آلاف جنيه من أسهمهم ويجعل الأسهم الأخرى ملكا لأسماء وهمية واتفق معهم أن يكون اقرارهم بالصورة التى سيعدها لهم حتى اذا راجعت الدولة قيمة أسهمهم فى البنك لدى عبد الشكور وجدتها مطابقة لما جاء فى الاقرار ٠

أما الأسماء الوهمية التى كتب لها الأسهم فقد تفتق ذهنه أن يعد منهم توكيلات مزورة له وأعد أيضا كيف سيزور هذه التوكيلات ٠

★★★

بعد ليلة من ليالى شقته الجديدة كان المدعوان فيها موسى وسيدة وما يلزم لهما ، قال عبد الشكور لموسى :

ـ أى أمين للشهر العقارى من محاسيبك ٠

ـ فاضل الملوانى ٠

ـ مره أن يفعل لى ما أطلبه ٠

وتم لعبد الشكور ما أراد من توكيلات ٠

وتمت العملية كلها ولم يسمع بها أحد من داخل البنك أو خارجه ٠

واشترط أن ينال هو نصف ما سيهربه من أسهمهم وقبل جميعهم العملية وشرطها ٠

وأطلع عبد الشكور رئيسه صبحى بك واعدا اياه بمبلغ لا بأس به فقد كتم عنه طبعا النسبة التى سينالها من المساهمين والذى يقبل المال الحرام مرة من الطبيعى أن يقبله دائما ٠

ورحب صبحى بالعملية ٠

وخاصة أن ما كان يعطيه له عبد الشكور من عمليات الأسهم سينقطع كما سينقطع عنه ما كان يصيبه من سمسرة القطن من يد عبد الشكور ٠

فقد أممت الدولة تجارة القطن أيضا ، وعلق صبحى على تأميم التجارة فى القطن قائلا لعبد الشكور :

ـ انها قد فرضت على الفدان ضريبة أكثر من خمسمائة جنيه للفدان الواحد يدفعها الفلاح الذى تقول الحكومة أنها جاءت لتنقذه من الاقطاع ٠ هل كان يجرؤ أى اقطاعى أن يشترى قطن الفلاح الا برضى الفلاح نفسه ٠

وقال عبد الشكور :

ـ فرق السعر الذى تشترى به الدولة من الفلاح والسعر الذى تبيع به يزيد عن الخمسمائة جنيه ٠

ـ فعلا ٠

ـ على كل حال أنا وأنت الوحيدان اللذان كسبا من تأميم الأسهم ٠

ـ البركة فيك فكرتك عظيمة ٠

ـ لولاك ما استطعت أن أنفذها ٠

ـ المبلغ الذى حصلت عليه يجعلنى أفكر فى ترك السنك ٠

لم يتظاهر عبد الشكور بالدهشة وأدرك صبحى ما يجول بنفس صاحبه فاذا هو يقول فجأة :

ـ نعم لماذا لا ؟

ـ ما هو ؟

ـ لماذا لا تصبح أنت مكانى ؟

ـ هل يمكن ذلك ؟

ـ البركة فى موسى أشرف ٠

ـ وفيك أيضا ٠

ـ توكل على الله ٠

الفصل الحادى عشر

شقة فاخرة ومدير بنك ومال وافر وجاه عريض·متى ينفذ تخطيطه للزواج ان لم يكن اليوم وأين سيجد رستم نامق لابنته فوزية زوجا أحسن من عبد الشكور حيدر ·

قال لرســـتم :

ـ أنقذت لك ثروة ·

ـ لا أستطيع الانكار ولو أنك أيضا حصلت على مبلغ عظيم ·

ـ فما رأيك فى هدية أخرى أقدمها اليك ·

ـ أى هدية ؟

ـ أنـــا ·

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أتزوج فوزية هانم ·

وأصاب رستم الذهول وصمت وأكمل عبد الشكور :

ـ أنا مدير بنك أنت تعرف مكانته بدليل انك تضع فيه أسهمك وأنا أملك الآن ثروة لا بأس بها فأنا لا أطمع فى ثروتك ·

ـ أنت تطمع فى الزواج من أسرة عريقة ·

ـ وهل فى هذا بأس ·

ـ لا بأس على شرط أن تكون كفئا لها ·

ـ ما الكفاءة ان لم تكن منصبا ومالا ·

ـ أن تكون من أسرة فى نفس العراقة ·

ـ هل تعرف أصلى ؟

ـ لو كان لك أصل لكنت عرفته ·

ـ انى من أسرة ريفية وأبى من أعيان البلدة وأنا أشترك فى هذا مع الأغلبية الساحقة من أصحاب المناصب فى أيامنا هذه ·

ـ أيامنا هذه قلبت الهرم من أساسه ٠

ـ لا تملك أن تقاوم التيار ٠

ـ انها ابنتي ٠

ـ ان لم تشترط الا الحصول على ابن أسرة فتأكد انه في الغالب الراجح سيكون طامعا في مالك ٠

وصمت رستم قليلا ٠

ـ ولكن أصوله ستجعله عفيفا ٠

ـ وشحاذا أو قريبا من شحاذ ٠

وصمت قليلا :

ـ لا تستطيع أن تنكر أن هناك أصحاب مناصب وثراء من أسر عريقة ٠

ـ نادرون ٠

ـ ولماذا لا تتزوج فوزية واحدا من هؤلاء النادرين ؟

ـ لأن أحدا منهم لا يعرفها ولا تعرفه وأغلب الأمر أن يتزوج أبناء هؤلاء من قريباتهم ومن العائلات التي تصادقهم ويعرفون كل شيء عنها ٠

ـ ربما رشحت له فوزية من زميلة لها أو من احدى الأسرات التي تتصل بها ٠

ـ انك لا تكاد تتصل بأحد فالفرصة أمام فوزية في الزواج تكاد تكون معدومة ، ومن تلك التي سترشحها من زميلاتها ؟ أولى بها أن ترشح نفسها ٠

ـ فوزية أكملت دراستها في الأدب وتجيد الفرنسية والعربية ٠

ـ وأنا أجيد الانجليزية والألمانية وأنت تعرف ٠

ـ على فكرة ما شهادتك ؟ ٠

ـ مـــدير بنـــك ٠

وصمت رستم طويلا ٠٠ لقد كبرت البنت ولم يتقدم أحد لخطبتها ولم تستطع أن تكون أصدقاء أو صديقات في الكلية فقد كانت تربيتها المتزمتة حائلا بينها وبين الانسجام مع زملائها وزميلاتها واذا لم أقبل هذا النصاب اللص المزور فالله يعلم ماذا يمكن أن يحدث ٠

ولم يتركه عبد الشكور لصمته بل قال في حسم :

ـ أنا أعرف عنك أسرارا ليس من مصلحتك أن تذاع ٠

وفزع رستم وهو يقول ذاهلا :

ـ وتهديد أيضا ٠

ـ بل تذكير ٠

ـ تقصيـــد ٠٠٠

ـ أنت تعرف صلاتى أستطيع أن أضعك أنت وفوزية تحت الحراسة بتليفون من بيتك هذا ٠

وأطرق رستم فى رعب ماذا يبقى له ٠٠ انه بلا صديق ولا معين الا ماله ٠ وهذا الآدمى المحسوب خطأ على الانسانية يستطيع أن يدمر حياتى وحياة فوزية فى لحظة ويصبح علينا الصباح أو يمسى علينا المساء فاذا نحن متسـولون نستجدى البقـــاء على الحياة من أيد لا نعرفهـا ولا تعرفنا ٠٠ لم يترك لى خيارا ٠٠

نظر طويلا الى عبد الشكور وجمع على لسانه فى جهد شديد حروف كلمة واحدة ٠

ـ أســـألها ٠

وأدرك عبد الشكور أنه بلغ مراده فقال فى توقح :

ـ هذا شأنك على شرط ٠

ـ وشرط أيضا ٠

ـ أن تذكر لها ما كنت تفكر فيه الآن ٠

ـ أتعرفه ؟

ـ بالتفصيل ٠

ـ فلنسألها رأيها ٠

ـ ليس لديها خيار ٠

وأطرق رستم ثانية وهو يقول فى أسى وانكسار :

ـ أعلـــم ذلـــك ٠

الفصل الثانى عشر

اشتد المرض بحيدر وضاقت به وسائل الرزق وأغلقت السبل أمام زوجته زنوبة ولم تجد شيئا تقوله لزوجها الا :

ـ ألا نخبر عبد الشكور ؟

ـ اياك أن تذكرى اسمه ٠

ـ اننا فى حالة ضنك والغرباء يشفقون علينا أليس ابننا أولى بنا ٠

ـ انه ليس ابننا ٠

ـ على كل حال أن نمد يدنا له خير من أن نقبل صدقة الغرباء ٠

ـ بل الصدقة من الغرباء أفضل ٠

ـ لا حول ولا قوة الا بالله ٠

وصمتت زنوبة وهى تضمر فى نفسها أمرا ٠

حين نام حيدر فى القيلولة ذهبت زنوبة الى بيومى أقرب صديق لعبد الشكور قبل أن يهاجر من القرية ورحب بيومى بها فاذا هى تجبهه ٠

ـ أيرضيك ما نحن فيه يا بيومى ؟

ـ البلدة كلها تتكلم ٠

ـ وأنت ٠ ألا تفعل شيئا ؟

ـ أنا تحت أمرك ٠

ـ نحن نعلم أنك لا تملك أكثر مما تعطيه لنا من حين لآخر ٠

ـ كريم ستار ٠

ـ ولكنك تملك ما تفعله ٠

ـ والله فكرت فيه ٠

ـ وماذا منعك عنه ؟

ـ ما عرفته من مقابلته لأبيه ٠

ـ ربما كان فى ذلك اليوم معذورا ٠

ـ هذا كلام من تحكم على ابنها بقلبها لا بعقلها ٠

ـ ربمـــا ٠

ـ واذا سلمنا معك انه كان معذورا يـوم لقـائه بأبيه فهل ظل معذورا بعد ذلك حتى الآن ٠

ـ حجته معـــه ٠

ـ ماذا يمكن أن تكون حجة ابن يقاطع أباه وأمه ويصبح شهيرا لا يمر يوم لا تذكر فيه الجرائد اسمه ويصبح المال عنده بالكيل ولا يذكر أباه وأمه ببعض هذا المال أو على الأقل بالسؤال عنهما ٠

ـ هل يمنعك هذا أن تفعل ما أرجوه منك ؟

ـأنا أعرف ما تريدين دون أن تقوليه بل وأعرف من زمن طويل أنك تتوقعين منى أن أفعله دون أن تطلبيه منى ٠

ـ وماذا يمنعك أن تفعله ٠

ـ اليأس وشىء آخر ٠

ـ أى شىء آخر ٠

ـ الذى يهون عليه أمه وأبوه وهما أصل وجوده لا يمكن أن يرعى صداقة أو ودا لأى انسان ٠

ـ انك كنت كأخيه ٠

ـ بل أكثر ولكن أتظنين أنه لو كان له أخ كان سيفعل معه أحسن مما يفعله معك ومع أبيه ٠

ـ هل هذا ما يسيئك ٠

ـ نعم ٠ اننى لا أحب أن أراه يتنكر لى أو يتعالى على أو يتجاهلنى والذى أراه من جحوده معكما يجعلنى أتوقع منه أسوأ التوقعات ٠

ـ وهل يمنعك هذا أن تحاول من أجل عمك حيدر ٠

ـ صعب ٠

ـ الرجل يموت ولا نملك ثمن الدواء بل لا أخجل أن أقول لك اننا كثيرا ما لا نجد ثمن الطعام لولا كرم الناس الطيبين ٠٠ انك أنت نفسك لا تنسانا وتجود علينا بما تستطيع ٠

ـ جهد الفقير ٠

ـ فاذا كنت أنت وأنت محدود الدخل تمد لنا يدك بالعون أليس ابننا أولى بنا ٠

ـ ابنك يعمل فى بنك أيجهل أن صناعة أبيه فى السمسرة لم يصبح لها وجود ان كان عنده أى نية للمعاونة فما الذى يؤخره ٠

ـ ربما ظن أن أباه وفر من أيام عمله بعض المال يستعين به الآن ٠

ـ ألا يعرف أن أباه كان يحصل على قوت يومه بطلوع الروح ٠ وأنه لم يستطع أن يجعله يكمل تعليمه فى الجامعة رغم علمه بحب أبيه له حبا فائقا ٠

ـ وهل عندنا غيره انه هو الذى يمثل لنا الحياة كلها ٠

ـ طبيعى ابن وحيد ٠ جاء بعد تشوق وانتظار ٠

ـ أتصدق بالله ٠

ـ لا اله الا الله ٠

ـ اننى وحيدر لا نصلى صلاة الا وندعو له فيها بالتوفيق والسداد٠ ولا نرجو الله أن يجعله بارا بنا فكلانا فقد الأمل فى هذا تماما ٠

ـ ليس فيما أسمعه غرابة ٠

ـ والله ما دفعنى للمجىء اليك الا مرض الرجل وآلامه ٠٠ أراه يتمزق أمامى ولا أجد ثمن الدواء ٠

ـ لا حول ولا قوة الا بالله ٠

ـ انه لا ينسى فى كل صلاة بعد أن يدعو لعبد الشكور أن يطلب من الله أن يرفعه اليه ٠

ـ اسمعى يا أمه زنوبة اننى سأذهب الى عبد الشكور ٠

ـ انه يا بنى لا يعلم أن أباه مريض مرضا شديدا فربما لو عرف يرق قلبه ٠

ـ اننى ذاهب وليكن ما يكون ٠

سألته نعيمة سكرتيرة عبد الشكور ٠

ـ نقول له مين ؟

ـ قولى له بيومى ٠

ـ بيومى من ؟

ـ قولى له بيومى صديق الطفولة ٠

ـ فقط ٠

ـ هذا يكفى ٠

ـ أمـرك ٠

وقال لها عبد الشكور :

ـ قولى له فى لجنة ٠٠ مشغول ٠٠ لا يقابل أحدا ٠

وسمع بيومى الاجابة فاقتحم غرفة عبد الشكور دون أن ينتظر اذنا وصاح به :

ـ لقد كنت أتوقع انك ستمتنع عن لقائى ٠

ونظر عبد الشكور الى نعيمة وأومأ لها أن تخرج ولم يتح له بيومى أن يتكلم ٠

ـ ان من يفعل الذى تفعله بأبيك وأمك لا يمكن أن يحن لأيام الصبا ولا لأقرب صديق منه لما يزيد عن عشرين سنة من حياته ٠

ـ لا تطل ٠٠ أنا أريد أن أنسى هذه الأيام وأريد أن أنسى بلدتكم وكل ما فيها ومن فيها ٠٠ أنا أقنع نفسى أننى ولدت هنا فى هذا البنك وحياتى هنا وليس لى قبلها حياة ٠

ـ لست سيدنا آدم ، ان لك أبا وأما ٠

ـ بل اننى أنا آدم الجديد ٠

ـ حتى اذا علمت أن أباك مريض مرضا شديدا ٠

ـ هل لآدم أب ٠

ـ انه يكاد يموت ٠

ـ كلنا سنموت ٠

ـ لا سلام عليك ٠

ـ ولا سلام عليك ٠

وخرج بيومى غاضبا يبحث عن أقرب طريق للهواء النقي ٠

★★★

لم تمض أسابيع حتى مات حيدر وتولى بيومى بما جمعه من كرام القرية نشر نعى حيدر بالأهرام بادئا الخبـر بقوله شيعت أمس جنازة فلان والد فلان قاصدا أن يعرف الناس أن لعبد الشكور أبا وأنه ليس بآدم ولا حتى آدمى ٠

وغضب عبد الشكور من نشر الخبر فبادر يعلن أنه سيستقبل العزاء فى جامع عمر مكرم دون مأتم ووقف عبد الشكور فى الموعد الذى حدده يتلقى العزاء على باب المسجد فيسلم المعزون عليه وينصرفون ٠

وأقام أهل القرية مأتما لحيدر لم يحضره عبد الشكور طبعا ولو كان فكر أن يحضره لافترش الحصير على الأرض مع المعزين فما كان أحد ليفكر أن يستأجر الكراسى ليستقبل عليها العزاء فى رجل ابنه يملك أن يقيم له عشرين مأتما دون أن يمس هذا غناه الفاحش أى مساس ٠

ولم يعبأ عبد الشكور أن الأعيان الكبار من القرى المجاورة سيذهبون الى المأتم الذى حدد نعى الأهرام مكانه ٠ فقد كان هؤلاء الأعيان يدركون ما بلغه عبد الشكور من سلطان وكانوا حريصين أن يتقربوا اليه ان لم يكن رجاء المنفعة فدفعا لمكروه من جانبه فقد كانوا على تمام الدراية أنه يملك أن يفيد وأن يضر وأنه كان دائما لحب الضرر أقرب ٠ وكان الضرر الذى يوقعه قاتلا ولما كانوا حريصين على الحيـاة فقد ذهبوا الى المأتم متوقعين أن يجدوا عبد الشكور هناك ليأخذ العزاء فى أبيه فان لم يأخذ الابن الوحيد العزاء فى أبيه ٠ فمن ٠

لم يجدوه ووجدوا بعض أهل القرية يتقبلون العزاء ووجدوا المعزين يفترشون الحصير على الأرض حتى لم يجدوا كرسيا يجلس عليه قارىء القرآن الذى تبرع باحياء المأتم بلا أجر ٠

والعجيب أن أحدا من هؤلاء الأعيان لم يجرؤ أن يخبر عبد الشكور أنه ذهب الى المأتم مخافة أن يغضـبه وان كان عرف كل ما جـرى من أبو العلا عفيفى ولم يهزه الذى سمعه شعرة منه ٠

★★★

وبعد انتهاء المأتم لم تجد زنوبة وسيلة لتواصل بها الحياة المفروضة عليها الا بأن تعمل خادمة فى منزل عمدة القرية الذى اعتبر استخدامه لها صدقة مستورة وقالت له زوجته :

ـ ان ابنها يستطيع أن يشترى البلدة كلها ٠

ـ وهذا أدعى الى الصدقة فهى لم تفقد زوجها وحده وانما فقدت من قبله بر ابنها الوحيد فكأنه مات وهو على قيد الحياة بل ربما كان موته خيرا لها من حياته لأنها ـ على الأقل ـ سترث نصيبها من ثروته ٠

ـ صدقت ان مصيبتها فى حياة ابنها أعظم من مصيبتها فى موت زوجهـــا ٠

★★★

الفصل الثالث عشر

جلس رستم مهزوما ضائعا فى غرفة المعيشة وطلب من الخادم أن يستدعى له فوزيه · وجاءت ونظر اليها أبوها نظرة حانية آسفة حزينة طويلة وظهرت الدهشة على وجه الفتاة البارعة الجمال صاغها الخالق البارىء المصور فأدقها أجلها · وجه ملائكى السمات وعينان خضراوان صافيتا الخضرة كأن الرموش عليها أحراس مقوسة الى أعلى فى عزة وكبرياء وكأن الحاجبين أبوان يحنوان على ابنتيهما وهذا الابهار جميعه مشفوع بجلال ربانى وثقة متواضعة · يحيط بوجهها شعر عربيد تولت هى استئناسه وتهذيب عربدته كل هذا الاعجاز الالهى يعلو قواما أهيف ممشوقا من صنعة الله أين منها رفائيل ومنقاشه وسحر بنائه ·

عاد رستم الى نفسه حسيرا أسيفا كسيفا وكأنه يرى جمال ابنته للمرة الأولى فهو لم يحاول قبل اليوم أن يتبين معالم جمالها وانما كان يرى فيها ابنته الوحيدة وأمله فى الدنيا والمبرر لحياته ويدرى أنها جميلة فى غير حيثيات ولا تفاصيل ·

وقطعت عليه فوزية صمته المبيد الذى جعل أباها فى عينيها فى حال لم تره عليها حياتها كلها ·

ـ خير يا بابا ·

ـ بل شر يا بنتى ·

ـ مـــاذا ؟

وقص عليهـــا أبوها المصيبة التى تحيط بحياتهما ثم ختم حديثه قائلا :

ـ كل ما كنت آمله من الحياة أن أتركك بين يدى زوج اطمئن الى شرفه ورجولته وحفظه للأمانة وهذا الكارثة الذى يفرض نفسه علينـا بلا شرف ولا رجولة ولا أمانة مستعد أن يلقى بك أول ورقة على مائدة القمار أن كنت الورقة التى ســتعود عليـه بأى كسب مهما كان حقيرا تافهـــا ·

واسودت الدنيا فى ناظرى فوزية وغابت نظراتها حتى لقد تلاشى أبوها فى عينيها وجمعت على شفتيها الباذختى الجمال كلمات غمغمتها ٠

ـ المصيبة أعظم مما تظن يا أبى ٠

ـ هل يمكن ذلك ؟

ـ اذا عرفت أننى أحب حبا عميقا معيدا بالجامعة يبادلنى مشاعرى ربما بصورة أقوى وأعنف ٠

وكان محيطا هائلا من الآلام غمر بأمواج كالجبال رستم المسكين :

ـ ولماذا لم يتقدم اليك ؟

ـ انه عائد بعد سنة واحدة من لندن حيث يدرس ليحصل على الدكتوراه ٠

ـ ولماذا لم تقولى لى لقد كنت أظن أنك تركت الجامعة دون أن يكون لك صلة بأى طالب فيها أو أستاذ ٠

ـ ولماذا أقول لك وأنا واثقة أنك كنت ستقبله فهو فتى يعتبر من أمثلة الرجولة الكاملة ومن أسرة عريقة ليست وافرة الغنى وان كان لديها ما يستطيع أن يحفظ عليها كرامتها فى عزة واباء ٠٠٠٠٠ أنا كنت واثقة أنك ستوافق لأنك لن تجد فيه الا ما يرضيك ٠

ـ والآن ماذا نحن فاعلان ؟

ـ واضح أن زواجى فى كفة وفرض الحراسة علينا فى الكفة الأخرى ٠

ـ أنا لا أريد مالى لنفسى وانما أحفظه لك درعا من حياة ليس لك فيها الا هذا المال ٠٠٠ ما مصيرك بدون هذا المال ٠

ـ أتوظف ٠

ـ هيهات أنه يملك أن يفرض عليك الحراسة يملك أن يمنع عنك أى وظيفة ٠

ـ ليس من الضرورى أن أتوظف فى الحكومة أو القطاع العام ٠

ـ وهل هناك قطاع خاص أو انسان يستطيع أن يقاوم هذا السرطان ٠

ـ الا من سبيل ؟

ـ واضح أننا اذا رفضناه سيجعل الانتقام منا شغله الشاغل ومن المؤكد أن الوسائل كلها بيديه ٠

ـ نسافر ٠٠٠٠ نترك مصر ٠

ـ لك الله يا بنتى الحبيبة ٠٠٠٠ أتظنين أننى لم أفكر فى هـذا ولكن كيف ؟ ان مصر اليوم مغلقة على من فيها لا تفلت من جدرانها نملة الا باذن من السلطان والسلطان فى يد هذا السرطان ٠

وأطرقت طويلا وقالت وكأنها شخص مذهوب العقل :

ـ انك تحتفظ بمالك فى المنزل وبالمجـــوهرات آلا تستطيع أن تستأمن عليها أحداً من أصدقائك وترفض الزواج حتى اذا استطاع أن يفرض عليك الحراسة لم يجد عندك ما يصادره ٠

ـ لم يغب عنى هذا انه قادر اذا لم تجد الحراسة عندى المال الذى يعرفه على الأقل فانه سيستطيع أن يســعى بى الى من يعتقلنى وليس يعنينى أن أعتقل ولكن ما مصيرك أنت اذا أنا اعتقلت ٠

ـ الى هذا الحد ٠

ـ لست أخترع مصائب ٠ انما أروى لك ما رأيناه وقع فعـــلا للآخرين ٠

وأطرقت فوزية وفرت من عينيها دمعتان حاولت بجهدها كله منعهما أن تسيلا فغلبتاها على أمرها قالت :

ـ اننى أعلم أنك لو اعتقلت أستطيع أن أواجهه ولكن فكرة أن تعتقل وأنت فى سنك هذه ، مجرد الفكرة مهما تكن غير مؤكدة أردها عنك لا بالزواج من هذا الشيطان فقط ولكنى أقدم حياتى وأنا سعيدة لأرد عنك هذا الاعتقال ٠

ـ والله يا بنتى الذى لا اله الا هو لو وثقت أن اعتقالى سيرد عنك هذا البلاء لرحبت به ٠

ـ لتكن مشيئة الله نافذة ٠

ـ ان الله أرحم بعباده من أن يقبل هذا الذى يحيط الناس من قهر وعذاب وتنكيل ٠

والعجيب أن فوزية قالت :

ـ انه سبحانه يقول « ولنبلونكم » ويقول : « وبشر الصابرين » دعنا يا أبى نشترى الآخرة بالدنيا والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ٠

ـ اذن ؟

ـ من أجل سلامتك وحدها أتزوجه ٠

ـ كان الله فى عوننا يا بنتى فاننى أيضا من أجل سلامتك وحدها سأقبل زواجك به ولعنة الله على الظالمين ٠

الفصل الرابع عشر

وتم الزواج فى حفل قصد عبد الشكور أن يكون غاية فى الفخامة والأبهة ليعلن بمن حضره الأقيال وأصحاب السلطان مدى ما يتمتع به من صلات وقوة وعنفوان وهو أمر لم يكن محتاجا الى تأكيده فهو معروف للقاصى والدانى ولكن عبد الشكور يتمتع بأن يؤكد هذا كلما أتيحت له فرصـــة ٠

وأين يجد فرصة خيرا من زواجه ليستمرىء هذا الشعور ٠

ولم يكن يعنيه فى قليل أو كثير ما يقترن بسيرة قوته ومنعته ونفوذه ما يعرفه الناس عن الوسائل التى سعى بها الى هذه المكانة ٠

فالناس أغلب الناس اذا واجهوه أظهروا التبجيل والأكبار والاجلال وان كانوا لا يضمرون له فى دخائل أنفسهم الا الاحتقار والاشمئزاز والهوان ٠

ومهما كان الفرح باذخ الفخامة فانه لم يستطع أن يرسم ظل ابتسامة على وجه العروس أو علامة مهما تكن واهنة من حبور على وجه أبيها ٠

ويستطيع عبد الشكور أن يهدد ويتزوج بمن اختارها بكل وسائل الغدر والختل والجبروت ولكنه لا يستطيع كما لا يستطيع انسان أن يأمر ابتسامة أن تعلو شفتين ولا علامة من حبور على ملامح انسان ٠

★★★

فى ليلة الزفاف كانت فوزية واثقة أنها أتعس انسانة على ظهر الأرض ٠ وكانت كلما لامسها عبد الشكور أحست التقرف والتقزز ٠

وكان عبد الشكور واثقا أن زوجته لا تحبه وان كان يجهل انها كانت مرتبطة بعلاقة حب عنيف مع أمجد الزعفراني المعيد بالكلية التى تخرجت فيها ٠

كان يجهل هـذه العـلاقة ولم يكن محتاجا لمعرفتها ليدرك مدى الكراهية التى تحسها فوزية نحوه ولكن مثى حفل عبد الشكور بمشاعر

الانسان حتى وان كان هذا الانسان زوجته التى أمست منذ الليلة نصفه الآخر المفروض فيها أن تكون سكنا له ومودة ورحمة وأنيسا لخيانة وتوأما لروحه ٠

ولكن متى كنت فى حاجة الى من يحبنى يكفينى حبى لنفسى كل ما أريد من هذه الفتاة أن تصبح زوجتى وقد أصبحت ولتذهب مشاعرها الى أى جحيم تريد ٠

لم يمنع التقزز من فوزية وجمود الحس من عبد الشكور أن ينال الزوج حقه الشرعى ٠ منحته له فوزية وكأنها مقدمة على الانتحار ٠

كانت الحياة بين الزوجين بعد ذلك نسخة مكررة مما كانت فى الليلة الأولى ٠ احتقارا وامتهانا وتباعدا من الزوجة وعدم مبالاة وصلابة أحاسيس وتجاهل كراهية من عبد الشكور ٠

فهو لم يعرف الحب فى حياته كلها وهو لا يريد أن يعرفه ٠ ولا يعنيه أن تحبه زوجته بل لا يعنيه أن تكرهه فكما كان لا يعبأ بالحب من أى انسان مهما يكن قربه منه كان لا يحفل بالكراهية مهما تكن مؤصدة اليه من زوجته الف حياته وأم ولده ٠

نعم لقد حملت فوزية منذ الشهر الأول من الزوج ووضعت لزوجها طفلهما بعد عشرة أشهر من زواجهما ٠

وتدخل الجد فى اختيار اسم الوليد فكان راشد اسم واحد من أجداده العظام ولم يمانع عبد الشكور فكل الذى كان يطمح اليه أن يكون له ابن يحمل اسمه ٠

أما فوزية فانها منذ سكتت عنها آلام الوضع أزمعت أمرين لم تتوان فى تنفيذ أولهما ٠

ففى اليوم الأول لاستطاعتها الخروج من البيت قصدت الى الدكتورة مفيدة عبد الغنى التى كانت مشرفة على الولادة وكانت زميلتها فى المرحلة الثانوية ثم اختارت كلية الطب وتخرجت فيها متخصصة فى أمراض النساء وقد أصرت فوزية ألا يشرف عليها فى فترة الحمل والولادة الا زميلتها القديمة ولم يجد عبد الشكور بدا من الاستجابة لرغبتها ٠

رحبت مفيدة بزميلتها وصديقتها وسألتها فى دهشة :

ـ لماذا خرجت من البيت قبل الموعد الذى حددته لك ·

ـ أريد منك أمرا هاما ·

ـ ولماذا لم تستدعينى ؟

ـ كان لابد أن آتى اليك ·

ـ عجيبـــة ·

ـ لا أريد أطفالا بعد راشد ·

ـ ليس لديك ما يمنع الحمل مرة أخرى وثالثة وعشرة ·

ـ لو كان لدى ما يمنع ما جئت اليك ·

ـ أكاد أفهم ولكننى لا أتصور ·

ـ بل هو ما فهمت ·

ـ أتريدين أن أجعلك عقيما ؟

ـ هو ذاك ·

ـ ولكن ·····

وقاطعتها فوزية :

ـ لا تنطقى حرفا قبل أن أقص عليك كيف تزوجت ·

وكانت قصـة كافية لأن تجرى مفيدة لفوزية عملية التعقيم وقد أقدمت على اجراء العملية بضمير هادىء مستريح مطمئن أنها تقوم بعمل انسانى تثاب عليه ·

★★★

أما الأمر الثانى الذى أزمعته فوزية فقد كان المستحيل أن تبدأ به من فورها بل كان لابد لها أن تنتظر بعض الوقت ·

لقد كانت مصممة أن يكون ابنها أى شىء الا أن يكون شبيها لأبيه فى الهوة السحيقة من الأخلاق التى يتمتع بها هذا الشيطان الذى سماه أبوه عبد الشكور ·

★★★

الفصل الخامس عشر

مرت السنوات حافلة بالأحداث الجسام ·

واستطاعت فوزية أن تباعد بين ابنها وبين أبيه باذلة فى سبيل ذلك كل جهد لا تدخر وسعا لجعل الطفل يتعلق بها وينفر فى الوقت ذاته من أبيه ·

ولم يترك عبد الشكور وسيلة تجعله يتقرب من ولده الا سلكها دون أن يجدى سعيه الملح أن يجعل راشد يميل اليه ·

ومع مرور الأيام بدأت مشاعر راشد تتحول شيئا فشيئا من تباعد عن والده الى نوع من الكراهية ·

وان كان هـذا لم يمنع عبد الشكور أن يدخل ابنه الى المدرسة الألمانية ليجيد اللغة التى يجيدها مع لغات أخرى · ·

ولم تجد فوزية فى اختيار هذه المدرسة ما يحول بينها وبين ما تريده لابنها من مستقبل باهر تصاحبه كراهيته لأبيه ·

ولم يبلغ راشد سن الوعى الا وقد زال عهد أبيه الزاهر وأصبح بلا حول ولا قوة فقد تغير الحكم فى مصر وكان رفت عبد الشكور من رئاسة البنك من أوائل ما قام به العهد الجديد ·

ويشاء العزيز الحكيم أن يظل رستم على قيد الحياة حين عادت الطمأنينة على الأنفس والأموال والحريات الى خلق الله فى مصر ·

وحينئذ أودع رستم كل أمواله مطمئنا فى أحد البنوك باسم ابنته فوزية لتدر عليها دخلا يجعلها فى غنى كل الغنى عن زوجها كما أودع مجوهراتها الشامخة القيمة نفس البنك فى خزانة باسم فوزية ·

وقد صحبته فوزية الى البنك على غير علم من زوجها ولم يكن رستم فى حاجة أن يطلب الى فوزية أن تكتم عن زوجها اسم البنك ·

وكأنما كان رستم يضع موعد موته فى حوزته فما أن اطمأن على مستقبل ابنته حتى وافته المنية بعد أشهر قلائل من تأمين مستقبل ابنتـه ·

وفى يوم المأتم استقبل عبد الشكور العزاء فى موت حميه الذى لم يسع فيه ليه الا قلة نادرة تصدقوا بعزائهم فى غير همة ولا حماس ٠

فى ليلة المأتم وقبل أن يطلع الصباح سأل عبد الشكور زوجته :

ـ ما أنباء الميراث ؟

ـ ليس هناك ميراث ٠

ـ كيف ؟

ـ هكذا ٠

ـ ينبغى أن تخبرينى فانك وحيدة أبيك وقد يشاركك الميراث أى صاحب حق فيه ٠

ـ لن يجدوا باسم أبى مليما واحدا الا أثاث الشقة والمكتبة ٠

ـ اذن ٠

ـ اذن لو فاتحتنى فى هذا الموضوع مرة أخرى فلن أبقى فى البيت لحظة واحدة لا أنا ولا راشد ٠

ـ ولكنى زوجك ٠

ـ عندك ما يكفيك والله جعل ذمة المرأة مستقلة ٠

ـ الله ٠

ـ أنت طبعا لا تعرفه فلم أسمعك تذكره مطلقا ٠

ـ أستطيع أن أعاملك بالمثل ٠

ـ أرجو أن تفعل ٠

ـ سترين ٠

ـ سأكون سعيدة حين أرى ٠

بعد أيام حول عبد الشكور ثروته الباذخة جميعها باسم ابنه حتى ينتقم من زوجته فلا ترث منه مليما واحدا ٠

ولما كان هو الولى الطبيعى لراشد فقد كان يدرك أنه يستطيع أن يتصرف فى هذا المال ما شاء له التصرف ٠

★★★

قبع عبد الشكور فى بيته بلا عمل فلم يجد شيئا يفعله الا أن يسعى الى هؤلاء الذين زال عنهم من المجد والجبروت كما زال عنه يجتمعون فى بيوت بعضهم البعض لا حديث لهم الا المديح فيما مضى والقدح فيما هم فيه من هوان شأن وانعدام قيمة ٠

وفى يوم نبتت فى ذهن عبد الشكور فكرة سارع الى تنفيذها ٠

ولماذا لا ؟ ألم نصبح فى عصر الانفتاح فلماذا لا أصيب منه من المال ما أطيق أن أصيب وليست قوة المال بأقل شأنا من سطوة النفوذ ٠

الفصل السادس عشر

سافر عبد الشكور الى ألمانيا · فان صلته بمارك وهوفمان ظلت ممتدة وكان يعلم تمام العلم أين سيجد كلا منهما ·

ولم يخب مسعاه فسرعان ما التقى بمارك ووجده فى أحسن حال فى عائلته وماله معا ·

تزوج مارك وأصبح لديه ولدان قريبـــان من عمر راشـد وهما أندرسن وستيفان وفى نفس الوقت أنشـــأ مارك مصنعا ضخما لصنع الأثاث الخشبى عاد عليه بالغنى الوفير ·

أما هوفمان فقد تزوج هو أيضا وأنجب ابنا قارب سن الشباب وابنة تصغره بعامين · والولد اسمه رالف والبنت كريستين وقد حقق هوفمان نجاحا باهرا وأنشأ بيتا تجاريا عملاقا للأدوات الكهربية مثـل التليفزيون والثلاجة والغسالة وسائر الأدوات المنزلية الكهربية وكلهـا تحمل ماركة هوفمان وقد صارت ماركة شهيرة فى ألمانيا جميعها ·

وأدرك عبد الشكور فى دربة الخبير أن عمله سيكون مع هوفمان ولكنه مع ذلك دعا كلا من مارك وهوفمان الى غذاء يرد به على دعوتيهما له حين وصل ألمانيا ·

وعرف الصديقان كل أنباء صديقهما المصرى منذ تركهما حتى مقدم راشد ثم ما كان بعد ذلك من اقصائه عن البنك ·

وفى اليوم التالى ذهب الى هوفمان فى مكتبه وساله :

ـ من المؤكد أنه ليس لك وكيل فى مصر ·

ـ فعلا ليس لى وكيل فى مصر ·

ـ فما رأيك أن أكون أنا وكيلك ؟

ـ لا بأس وان كنت قد فهمت أنك لست مقربا للسلطة في مصر ·

ـ الأمر اليوم مختلف تماما فى مصر · وما دمت لا أعمل بالسياسة فهم لا شأن لهم بى على الاطلاق ·

– ليست السياسة بعيدة عن الاقتصاد .

– انهم يريدون أن يقلبوا النظام الاقتصادى فى مصر الى نظام حر ولولا وثوقى من أننى سأنجح بهذا التوكيل الذى سأحصل عليه منك ما غامرت .

– من ناحيتى لا أرى بأسا .

– فلتجهز العقود .

– ليكن توكيلك أول الأمر مقصورا على عنصر واحد من عناصر الأجهـــزة .

– وأنا أيضا أفكر فى ذلك وليكن التوكيل فى بيع التليفزيونات .

– لا بأس .

– لا تنس أن اسم هوفمان ليس معروفا فى مصر وسوف أنفق أموالا طائلة لأروج للاسم .

– أقدر ذلك .

– أرجو أن يمتد تقديرك الى النسبة التى سأحصل عليها .

– عبد الشكور أنا فى غير حاجة الى السوق المصرى فما أبيعه الآن فى ألمانيا وأوروبا يكفينى وزيادة بل اننى سأضطر الى توسعة فى مصانعى لأواجه المطلوب من منتجاتى .

– لماذا تقول هذا ؟

– أنت تفهم تماما لماذا أقوله .

– ان الفائدة التى تعود على من التوكيل أكثر بكثير من الفائدة التى تعود عليك .

– أرى أنك سريع الفهم كعادتك دائما .

– وكيف تريدنى أن أشكرك .

– انها ليست معرفة يوم انها السنوات الطوال .

– وهذا ما أطمعنى فيك .

ورفع هوفمان سماعة التليفون واستدعى موظفا عنده فحين جـــاء قال له :

– اكتب معه عقد توكيل بالشروط التى يريدها .

وقال عبد الشكور :

ـ هذا ما أنتظره منك ٠

ـ أعلم أن هذا ما تنتظره منى ٠

ـ هل أجعل التوكيل فى مصر وحدها أم فى البلاد العربية كلها ٠

ونظر اليه هوفمان نظرة طويلة وصاح :

ـ انك لم تتغير ٠

ـ كيـف ؟

ـ تريد أن تحصل على كل شىء دفعة واحدة ٠

ـ ما دام ذلك ممكنا ٠

ـ اجعل العقد فى مصر مبدئيـا وأعدك ألا أعطى توكيلا لبلد عربى قبل أن أعرضه عليك ٠

ـ هذا يكفى ٠

وصمت قليلا ثم قال :

ـ مؤقتا ٠

وقال هوفمان مبتسما :

ـ لم أسارع بالرد على قولك منتظرا بقية الجملة ٠

ـ أنت فى غاية الذكاء ٠

ـ ليس هذا من ذكاء وانما عن معرفة بك ٠

ـ وشىء آخر ٠

ـ أريد العقد باسم ابنى راشد عبد الشكور ٠

ـ أنت تقول انه صغير ٠

ـ ولكنه سيكبر وأريد أن أغرسه بين رجال الأعمال منذ بداية حيـاته ٠

ـ ومن سيكون المسئول ٠

ـ أتتصور أن يكون شخصا آخر غيرى ٠

ـ المفروض ألا أقبل هذا الطلب ولكن لأنه منك أنت ولأننى لا أريد أن أرفض لك أى مطلب مهما يكن شاقا فانى أقبل ٠

ونظر الى الموظف الذى جلس معهما ينتظر ما ينتهيان اليه وقال له :

ـ اكتب العقد بالاسم الذى يريده وبالنسبة التى يقدرها وبطريقة الدفع التى يقررها ..... اعتبر أنه مكانى تماما ونفذ له كل ما يريد .

★★★

وتم عقد التوكيل كما شاء عبد الشكور تماما .

أما مارك فلم يجد عنده ما يستطيع أن يستورده الى مصر وقال مارك:

ـ انكم فى مصر تجيدون صناعة الأثاث .

ـ هـذا صحيح .

ـ والأثرياء يحبون الأثاث الفرنسى القديم وان دفعوا فيه أسعارا خيالية .

ـ وهذا أيضا صحيح .

ـ ولكنى أنوى صناعة أدوات منزلية .

ـ كهربيـــة .

ـ أتتصور أن أنافس هوفمان .

ـ اذن .

ـ أدوات منزلية غير كهربية وحين أصنعها سأطلبك لتأتى .

ـ أنا تحت أمرك .

ـ وتأكد أنك ستكسب منها مثلما تكسب من تليفزيونات هوفمان.

ـ أنا واثق .

★★★

وعاد عبد الشكور الى مصر ظافرا منتصرا وازداد استغناء عن حب زوجته وان كان الأمل ظل يداعبه فى استمالة راشد اليه .

ربما حين يكبر ويرى ما أعددته له من مال ومشروعات تجارية يتعلق بى تعلقه بأمه أو أى تعلق والسلام ربما من يدرى .

الفصل السابع عشر

ما أسرع ما تمر الأيام ..

نجح عبـــد الشكور فى توكيله وأصبح اسـم التليفزيون هوفمان شهيرا فى مصر مما جعله بعد بضعة سنوات يجدد التوكيل مع هوفمان على أن يشمل البلاد العربية الى جانب مصر .

أما راشد فقد راحت الأيام تمر به وراح يزداد تعلقا بأمه وبعدا عن أبيه رغم أنه علم أن التوكيلات التى حصـل عليهـا أبوه كانت جميعها باســـمه .

وحصل راشد على الثانوية العامة واختار له أبوه بترحاب من أمه أن ينتسب الى الجامعة الأمريكية ورغبته أمه فى هذا قائلة له :

ـ انك تجيد الألمانية والفرنسية من المدرسة .

ـ الحقيقة أن تفوقى فى الفرنسية يرجع الفضل فيه اليك . أنا لا أنسى كيف جعلتنى أحب الأدب الفرنسى ولا أنسى الليالى الطوال التى كنت أقضيها معك فى قراءة الأدب الفرنسى .

ـ فاذا دخلت الجامعة الأمريكية فانك ستجيد الانجليزية أيضـا وهى لغة العصر .

ـ انك لا تحتاجين معى الى اقناع يكفى أن أتلمس رغبتك من بعيد حتى أنفذها بكل حماس وبلا مناقشة أو تفكير منى .

ـ يا حبيبى اذن على بركة الله .

ـ سبحانه وتعالى ..... على بركة الله .

وفجأة وجدت فوزية نفسها تقول لابنها :

ـ راشـــد .

ـ أفنـــدم .

ـ جاء الوقت لأقول لك شيئا .

ـ هل هناك شيء لم تقوليه لى حتى الآن ٠

ـ كنت أنتظر اليوم الذى أراك فيه على ما أنت عليه اليوم لأقوله ٠

ـ وعلى أى شيء أنا اليوم ٠

ـ على درجة كاملة من الوعى لتستوعب تماما ما أريد أن أحدثك فيه ٠

ـ الحمد لله ٠

ـ ربما رأيت منى تباعدا عن أبيك ٠

ـ بل نفورا ٠

ـ سمه ما شئت ٠ طبعا لا تدرك السبب ٠

ـ أتصوره وان كنت غير واثق منه ٠

ـ ماذا تتصور ؟

ـ أبى بطبيعته له طابع خاص به ٠

ـ ما هو ٠

ـ لا يعرف كيف يعطى وانما يعرف تماما كيف يأخذ ٠

ـ بمعنى ٠

ـ بمعنى أنه لم يقدم لى فى حياته هدية الا انتظر أن أقدم له فى مقابلها شيئا ٠

ـ ثم ماذا ؟

ـ لا أستطيع أن أحدد وانما كنت أحس دائما أنه يريدنى أن أدفع له ثمن الهدية ٠

ـ قبلة مثلا ٠

ـ انه لا يهتم بهذه المشاعر مطلقا ٠

ـ اذن فاسمع ما لم أقله لك عن أبيك ٠

وراحت فوزية تقص على ابنها تاريخ أبيه كله لم تغفل منه شيئا ٠٠٠ روت له كيف وصل الى مكانه فى البنك وقد عرفته مما رواه لها عبد الشكور محاولا أن يريها كم هو ماهر حاد الذكاء دون أن يعنيه فى شيء أن فوزية تقدر المعانى السامية من الشرف أو الوفاء للأصدقاء أو الكبرياء عن الدنس وامتهان الذات وكل هذه المعانى التى ضرب بها عبد الشكور عرض الأفق

فى معاملته لفتحى او فى تقربه من صبحى أو فى امتهـان كرامته غاية الامتهان فيما بذله لموسى أشرف أو فى الغائه لضميره فى كل الصفقات التى كان يعقدها فى البنك ٠

وروت فوزية لراشد كيف تزوج بها بل انها لم تكتم عنه ما كان بينها وبين أمجد الزعفرانى الذى أصبح دكتورا وأستاذا من حب عفيف نقى طاهر ومن تواعدهما على الزواج ٠٠٠ روت لابنها كل شىء لم تخف من حياة أبيه وحياتها خافية حتى صلته بأمه وبأبيه روتها له كاملة منذ ترك القرية حتى مات أبوه وقد كانت قصته هذه يتناقلها الجميع ولكنها بطبيعتها تحاذر أن تصـل الى مسامع الابن ولهذا لم يكن غريبا الا يعرفها راشد الا من أمه وهكذا لم تحجب فوزية عن ابنها شيئا من تاريخ أبيه العملى أو الأسرى بل والبنوى أيضا واستمع راشد صامت الفم مزلزل النفس زلزالا عاصفا لكل حرف تساقط فى حزن وألم وأسى من فم أمه فى ظاهر أمره ومن بعيد أعماقها فى حقيقته ٠

وحين سكتت فوزية ساد الصمت حينا طويلا وقال راشد لاهثا :

ـ انك فى محافظتك على شرفك الذى هو شرف أبى بعد كل الذى سمعت تعتبرين أعظم امرأة فى الوجود ٠

ـ ان شرفى عندى أغلى من أى شىء حتى ولو كان هذا الشىء هو الانتقام من أبيك ٠ انه كرامتى الشخصية وما كنت لأسمح لأبيك مهما فعل أن يجعلنى أتنازل عن كرامتى ٠

ـ وبحفاظك أنقذتنى أن أكون ابن أم ٠٠٠٠٠٠ ابن أم ٠٠٠٠٠٠ لا أريد أن أقول الكلمة ٠

ـ الحمد لله ٠٠٠٠٠٠ نعم تستطيع أن ترفع رأسك دائما اذا واجهت العالم بأمك ٠

ـ ولكن لابد لى أن أنكسها اذا واجهت هذا العالم بأبى ٠٠٠٠ الآن عرفت لماذا يتصور دائما أن حبه لا يتمثل الا فى المال ٠

ـ هذا منتهى علمه بالحياة جميعها ٠

ـ ولهذا جعل توكيلاته باسمى ٠

ـ لا ليس لهذا وحده ٠

ـ اذن فلماذا ؟

ـ انه حريص ألا أرث منه مليما واحدا اذا مات قبلى ٠

ـ هذا أقرب لخلقه ٠

ـ لا تعذب نفسك فان الانسان لا يستطيع أن يختار أباه ٠

ـ ولا أمه ٠

ـ يحسبك أن تكون راضيا عن أمك ٠٠٠٠٠ انك لا تملك أن تصنع شيئا ٠

ـ فعلا أنا لا أملك أن أصنع شيئا الآن ٠

ـ ولا فى المستقبل ٠

ـ المستقبل لا يفعله الا الله ٠

ـ صـــدقت ٠

الفصل الثامن عشر

تخرج راشد فى الجامعة الأمريكية حاصلا على شهادة فى الاقتصاد. وفى اليوم التالى لتخرجه اصطحبه أبوه الى مقر شركاته وأدخله الى غرفة فاخرة الأثاث ٠

ـ حجرتك ٠

وفى انبهار بفخامة الأثاث قال راشد :

ـ توقعت هذا ٠

ـ ألا تشكرنى ٠

ـ كشأنك دائما يا أبى ٠

ـ وما هو شأنى ٠

ـ تنتظر مقابلا لكل عمل تقوم به ٠

ـ أليس هذا أمرا طبيعيا ٠

ـ عندك أنت نعم ٠

ـ وعند غيرى ٠

ـ هناك أشياء يصنعها الانسان ولا ينتظر عنها مقابلا فوريا أو يحتسبها عند الله ٠

ـ ان لم تأخذ لأى جهد تبذله مقابلا فلن تستطيع مواجهة الحياة ٠

ـ ألا أستطيع أن أقدم خيرا لمجرد الصداقة أو الود أو الصلات الانسانية مثل الأبوة والبنوة ٠

ـ هذه لغة أمك ٠

ـ أحسب أنها لغة الحياة الانسانية ٠

ـ اذا أردت أن تواجه الحياة فاياك ٠٠ اياك أن تتكلم هذه اللغة الانسانية التى تذكرها ٠

ـ أشكرك يا أبى على المكتب وسترى أننى جدير به وسأرد فضلك اليك أضعافا مضاعفة من الأموال ٠

ـ شكرك الحقيقى يكون بتذكرك لهذا الذى أقول ٠

ـ أبى ان هذه هى شريعتك فى الحياة وهى ليست شريعة الانسانية كلهـــا ٠

ـ وماذا يضيرك أن تكون لى شريعتى الخاصة وتكون شريعتك أنت أيضا ٠٠ ألست ابنى ؟

ـ اننا نعيش مع الناس ٠

ـ سترى لك الأيام أننى على حق ٠

ـ وربما وجدت أنت أن الناس على حق ٠

ـ بعد سنى هذه ٠

ـ ليس للحقيقة موعد معين تظهر فيه للانسان ٠

ـ المهم أن تكون فى شركاتى هذه متبعا لشريعتى ٠

وضحك راشد ضحكة هينة وقال لأبيه :

ـ أظنها شركاتى أنا ٠

ـ نسيت ٠٠٠٠٠ نعم نسيت ٠

وضحك ملء فمه وقال :

ـ متى تبدأ العمل ؟

ـ الآن اذا أردت ٠

ـ أحب هذا الحماس ٠

ـ أعرف هذا ٠

وقال عبد الشكور :

ـ وهو كذلك ٠

وقال راشد :

ـ على بركة الله ٠

ما هى الا فترة وجيزة حتى كان راشد قد استوعب الشركة كلها وكان هو الذى يقوم بالاتصالات التليفونية أو غيرها من فاكس أو تلكس أو برقيات مع هوفمان ٠

وحين مات هوفمان بدأ راشد يوثق صلاته اللاسلكية مع ابنه رالف الذى تولى الشركات من بعده ٠

واستطاع راشد بنشاطه وذكائه أن يقضى أباه تماما حتى لم يعد ابوه يجد شيئا يعمله فعاد الى رفاق سلطانه يجتر واياهم ايام سطوتهم وجبروتهم . وان كان يجد فى نفسه بعض الالم ان اصبح بلا عمل .

وماذا يضيرنى من هذا أليست هذه آمالى كلها تتحقق وأصبح راشد واحدا من أهم رجال الأعمال . وماذا على أن أستريح . طعم الراحة مر فى فمى .... لا بأس لقد عملت حياتك كلها منذ أنت طفل صغير حتى بلغت هذه السن . وحياتك ممتدة فى ابنك . أى أب يكون عنده ابن كراشد ولا يكون سعيدا هانئا . عجيب سعادتى ليست خالصة وهنائى يشوبه شىء لا أدرى كيف أصفه وان كنت أحس به .

لقد عشت عمرى أصنع أيامى فلا بأس على اليوم أن أترك ولدى يصنعها لى . فهو مهما يكن الأمر ابنى وابنى الوحيد الذى لا ملجأ لى فى الحياة الا هو ، جاءنى من أم كرهتنى منذ خطبتها وبدلا من أن تهون العشرة من كراهيتها زادتها عنفا ونفورا وعمقا . . .

ليكن ابنى محبا لأمه أكثر من حبه لى . الا أنه أولا وأخيرا ابن دمى فمهما تكن كراهية أمه لى الا انها لم تخنى يوما . وحين كنت فى موقف أستطيع مراقبتها منه بثثت حولها العيون فما رأيت منها الا الوفاء والاخلاص والشرف . فهو ابنى لا شك فى ذلك .

لأتركه يصنع لى أيامى المقبلة فأنا الذى صنعت له أيامه الماضية والحاضرة التى يحياها الآن .

الفصل التاسع عشر

قالت له فوزية في جلسة هادئة :

ـ ألم يأت الوقت ؟

وفى سرعة خاطر قال :

ـ قد أتى ·

ـ فماذا تنتظر ؟

ـ أن تفاتحينى ·

ـ لماذا لم تفاتحنى أنت ؟

ـ أردت أن أكون منفذا لأوامرك ·

ـ حتى فى زواجك ·

ـ وخاصة فى زواجى ·

ـ أفى ذهنك عروس ؟

ـ هى التى فى ذهنك ·

وأشرق وجه فوزية وأمحت عنه تجاعيد السنين ·

ـ هل كنت تعرف ؟

ـ ألا تعرفين أننى كنت أعرف ؟

ـ كنت أرجو ·

ـ ومتى نكصت عن رجاء نفسك ·

ـ الحق أنت دائما تحقق أملى فيك ·

ـ لقد صنعتنى بعد الله على عينيك ·

ـ ونعم ما صنع الله وهيأنى لأصنعه ·

ـ أنا تحت أمرك تستطيعين أن تخطبى دعاء حين تشائين ·

وتهلل وجه فوزية مرة أخرى وأرادت أن تمتع من اللحظة كل ما فيها من سعادة وترتشف عصيرها جميعه حتى لا تبقى منه شيئا ·

ـ كيف عرفت ؟

ـ حرصك أن أصحبك الى تنت عايدة كلما زرتها واصرارك على دعوتها هي ودعاء كلما عرفت أننى لن أخرج من البيت ٠

ـ ودعاء هل تعلم ؟

ـ لقد كنت أنت وأمها تحرصان على أن تتركانا منفردين بأعذار واهية ٠

ـ وفيم كنتما تتحدثان ؟

ـ فى محاولتكما التقريب بيننا ٠٠٠٠ واتفقنا أن نتغافل أنا وهى ولا نشعركما أننا لا نحتاج الى هذا الجهد منكما ٠

ـ فأنتما متحابان ٠

ـ اذا شئت أن تقولى هذا ٠

ـ كما أنتما خبيثان ٠

ـ بل قولى كم أنتما طيبتان أنت وأمها ٠

ـ اذن ٠

ـ افعلى ما شئت بالطريقة التى تعجبك وفى الوقت الذى تحددينه ٠

ووضح على وجه فوزية أن فكرة وثبت الى ذهنها ٠

ـ فى أى يوم نحن من الأيام ٠

ـ الخميس ٠

ـ ولماذا لم تذهب الى الشركة ٠

ـ أردت أن أقعد معك اليوم ٠

ـ أكنت تنوى أن تفاتحنى فى هذا الموضوع ٠

ـ بل كنت أنتظر أن تفاتحينى ٠

ـ قم فالبس ملابسك ٠

ـ ماذا أتريدين أن تصحبينى معك فى الخطبة ٠

ـ لا انما أريدك فى شىء آخر تماما ٠٠٠٠ قم فالبس ملابسك ٠

★★★

صحبت فوزية رستم نامق ، راشد الى البنك الذى فيه أموالها ومجوهراتها ٠ وحولت المال وصندوق المجوهرات جميعها باسم راشد ٠

وحين فتحت صندوق المجوهرات انتقت منه عقدا نادر الوجود فى العالم أجمع وقالت لراشد :

ـ بهذا العقد شبك أبى أمى وبهذا العقد سيشبك راشد دعاء .

وفى انبهار راشد بروعة العقد لم يستطع أن ينطق حرفا ولم يتردد أن يقبل أمه فى وجهها ويديها على مشهد من موظف البنك الموكل بتنفيذ أوامر السيدة الفاحشة الثراء فوزية رستم نامق .

★★★

تم الزواج فى حفل خيالى العظمة وخلا العريس بعروسه .

ـ وأخـــيرا

وضحكت دعاء .

ـ آن لأمك وأمى أن تستريحا .

ـ وآن لنا أيضا .

وفى الصباح قال راشد لدعاء .

ـ ما رأيك أنا عندى عمل فى ألمانيا ليس عاجلا وانما قصدت أن أؤجله الى ما بعد الزواج حتى يكون شهر عسل لنا فى ألمانيا وفى أوربا كلهـــا .

وفرحت دعاء غاية الفرح .

ـ أتسألنى رأيى ؟

ـ كنت أستطيع أن أكذب عليك وأقول انه شهر عسل فقط ولكننى منذ تفاهمنا أخذت على نفسى عهدا أن تكون نفسى كتابا مفتوحا أمامك لا يخفى منه عنك ما فيه .

وقبلته وهى تقول :

ـ ولك منى أن أكون كذلك معك .

★★★

سافر العروســان وبدأ راشــد يذهب الى رالف وتعارفا مواجهة واستطاع راشد أن يحصل من رالف على توكيل عـــام لجميــع منتجات هوفمان بلا استثناء فأصبح له حق استيراد الثلاجات والغسالات وكل الأدوات الكهربية الأخرى .

وأقام رالف وليمة للعروسين ودعا اليها صديق العمر لأبيه مارك وابنه ستيفان وابنته كريستين ٠

وقال مارك لراشد :

ـ عندى لك هدية زواج ٠

ـ يكفى أن أراك فقد عرفت من أبى كيف علمته الانجليزية والألمانية ٠

ـ شاركنى هوفمان فى تعليمه الألمانية ٠

ـ أعرف هذا ٠

ـ لم تسألنى عن الهدية ؟

ـ أنا متأكد أنها هدية عظيمة من رجل عظيم ٠

ـ اليك هى ٠

وقدم اليه عقدا من صورتين يفيد توكيله فى استيراد جميع الأدوات المنزلية التى كان وعد أباه أن يوكله فيها حين بدأ انتاجها وشكر راشد الرجل العجوز وصافحه ورفع صورة العقد بين تصفيق الحاضرين ٠

★★★

وحين عاد راشد ودعاء الى مصر بعد رحلة ممتعة فى أوروبا جميعها لم يكن راشد وحده الذى يحمل التوكيلات التى حصل عليها ٠ بل ان دعاء كانت تحمل ما هو أهم من ذلك بكثير ٠٠

٠٠٠ كانت تحمل طفلهما الأول ٠

★★★

وضعت دعاء ولدا ولم يتردد راشد أن يسمى الطفل رستم تقربا لأمه ٠ وحين أنجبا أخته بعد ثلاث سنوات أسمى ابنته فوزية ٠

وكان الجدان والجدتان جميعا أعظم ما يكونون احتفاء بالحفيدين لا يستثنى من ذلك عبد الشكور ٠

ومرت السنوات ٠ وكبر الطفلان ودخلا المدرسة ٠

★★★

وفى يوم بينما كان راشد فى مكتبه دق جرس التليفون الداخلى وجاء صوت أبيه ٠

ـ ماذا تصنع ؟

ـ لا شىء ٠

ـ تعال أقعد معى ٠

وحين ذهب قال راشد لأبيه :

ـ أصبحت لا تزور المكتب الا فيما ندر ٠

ـ ماذا أعمل فيه أنت مشغول واتسعت أعمالك حتى أصبحت أنا غريبا عنها والبركة فيك ٠

ـ تتسلى ٠

ـ أنا هنا لا أتسلى الا اذا كنت أنت غير مشغول وهذا قليلا ما يحدث ٠

وبينما الحديث يجرى بين الوالد وابنه صاح عبد الشكور صيحة ألم عنيفة وأصبح يغتصب أنفاسه من الهواء فى جهد بالغ ٠

وسرعان ما جاء الطبيب ونقلت سيارة الاسعاف عبد الشكور الى المستشفى وأجريت الفحوص الدقيقة وفى مواجهة الأب ووجود الابن قال كبير الأطباء :

ـ حالة قلبية حادة ٠

وقال عبد الشكور :

ـ ألها علاج ؟

ـ فى أمريكا وانما لا أخفى عنكم الأمل ضعيف ٠

★★★

قال الأب لابنه بعد أن انتقل الى منزله بأيام ٠

ـ هل جهزت للسفر ؟

ـ الى أين ؟

ـ الى أمريكا ٠

ـ لماذا ؟

ووقعت الكلمة على الأب كأنها خنجر سفاك قاتل ٠

ـ ألا تدرى لماذا ؟

ـ لا ..... لا أدرى ٠

ـ لاجراء عملية ٠

ـ أى عملية ؟

ـ التى قال عنها الأطباء ٠

ـ انهم قالوا أن الأمل ضعيف ٠

ـ ليكن واحدا فى المليون ٠

ـ أتنفق عشرات الألوف من أجل أمل واحد فى المليون ٠

ـ انها أموالى ٠

ـ انها ليست أموالك ولا أموالى انها أموال رستم وفوزية وأنا أمين عليها أيرضيك أن أخون الأمانة ٠

ـ اذن أموت ٠

ـ كلنا سنموت ٠

كلنا سنموت ٠٠٠ كلنا سنموت ٠٠٠ كلنا سنموت ٠٠٠٠ طنت الكلمة فى رأسه وفى كيانه ٠٠٠ كلنا سنموت ٠٠٠ لقد سمعتها قبل اليوم ٠٠٠ لا ٠٠٠ بل قلتها ٠٠٠ قلتهـا ٠٠٠ نعم قلتهـا ٠٠٠ وأذكر اللحظة والوقت والمناسبة ٠٠٠٠ كلنا سنموت ٠

★★★

ترك راشد والده وعاد الى بيته ٠

ومرت الأيام ولكن عبد الشكور منذ سمع كلمة ابنه دخل الى غرفته لا يريد أن يرى أحداً أو أن يراه أحد ٠ يدخل اليه الطعام فى موعده ويتلهى بالراديو حينا أو التليفزيون وقليلا ما يتلهى ثم يأمـــر فتغلق النوافذ ان كان فى نهار أو يطفىء المصابيح ان كان فى ليل ويخترق بعينيه الظلام فلا يرى الا رسما واحدا يلح عليه الحاحا لا يغلبه ويغمغم :

نعم انها حياتى حياتى أنا دائرة حيثما بدأت من نقطة منها فمن الحتم المؤكد أن تعود الى نفس النقطة التى بدأت منها ٠

فمتى .. متى تطمس الأيام هذه الدائرة ..... كلمة لم أقولها فى حياتى .... لا مهرب لى من أن أقولها اليوم ولا أقول غيرها الله يعلم ... الله وحده يعلم ... أعرفت الله اليوم ... ليس أمامى الا أن أعرفه ... لم يبق فى حياتى ... الا آخرتى فان لم أعرف الله اليوم فماذا يبقى لى والعجيب العجيب انه فى عزلته هذه كان يحافظ على مواقيت الصلاة ولأول مرة فى حياته يحس مع الألم العاصف والأسى المبيد فى جوانحه انه بالصلاة مطمئن النفس فهو بذكر الله فى سكينة وأمان لم يذق نعيمهما فى كل ما تركه وراءه من أيام ومن أسرة ومن ثروة .

انتهت بحمد الله

فندق برزدنت . جنيف

الساعة ١٢ر٣٠ ظهرا يوم الاثنين ٢٥ سبتمبر عام ١٩٩٥ .

سنة ١٩٨٥

عـلى قلـوب أقفالها

لم أكن أتوقع أن اتلقى هذه الكمية من الخطابات والمكالمات على مقالى الذى نشر بعنوان « حيرة » بتاريخ ٧ من أبريل فقد اتضح لى أننى لست وحدى الحائر انما الحائرون مثلى كثيرون يخطئهم العدد · وقد هالهم ان صوت الشيوعيين جهير ذائع مرتفع مزعج بينما هم قلة ضئيلة هزيلة لم تستطع أن تجعل واحدا فردا يمثلها فى مجلس الشعب أو مجلس الشورى ·

وهم مع فشلهم هذا لاحياء لهم · ولا يخجلون ويملأون الدنيا صياحا حتى يصبح الاعـلام المصرى مذعورا من صراخهم يخيل اليـه أن وراء ضجيجهم العدد الضخم والحشد الحاشد والجمع الغفير والنفر العديد · ولو أن الاعـلام المصرى أنعم النظر وأمعن التفكير لعرف الحقيقة · ان لهؤلاء الشيوعيين نفيرا يصيح بهم من كهنوت الشيوعية العالمية ويأمرهم فاذا صـوتهم واحد وكلامهم كلمة وصراخهم جميع لا شـتى حتى يخيل لسامعهم أنهم أقوياء وهم أضعف خلق الله انسانا · انهم أفواه قليلة العدد ولكنها تتكلم جميعا بكلام موضوع لهم لا يتغير من فرد الى فرد واكليشهات ثابتة لا تختلف من شيوعى الى شيوعى · وكلهم ·· كلهم ·· ينطقون دفعة واحدة من مكبر صوت واحد · فاذا سامعهم يحسب أنهم جمع وهم أفراد قلة لا قيمة لعددهم ولا وزن ·

ولكن هذا التجمع أعطاهم الفرصة أن يزيفوا حقيقة الشعب المصرى أجمع فاذا الاعلام المصرى والفن المصرى أيضـا يصطبغ بلونهم الأحمر البغيض وهم بهذا يزلزلون أركان الديموقراطية عدوهم الأصيل التى يتظاهرون بحبها والهيام بها ماداموا بعيدين عن مقـاعد الحـكم والتى يقتلونها ويسفكون دماءها ودماء الشعب الذى يحكمون اذا هم تولوا مناصب الحكم فى بلد من البلدان ·

وقد استطاعوا بأصواتهم التى مرنوا على أن يجعلوها عالية نكيرة ان يهاجموا الانفتاح لأن الانفتاح ملازم للديمقراطية ·

ولما كانوا لا يجرؤون أن يهاجموا الديمقراطية علانية وصراحة فقد هاجموا الانفتاح • وحجتهم أن فى عهد الانفتاح ظهرت سرقات ضخمة روع لها الشعب المصرى •

ولكن هم يعلمون علم اليقين أن الشعب المصرى فوجىء بهذه السرقات لأنه لم يكن يسمع عنها فى عهد الانغلاق الذى هو عهد الطغيان والشعب لم يسمع بالسرقات لسبب واحد ليس هناك غيره أن السرقات لم يكن أمرها يذاع على الناس وليس لأن السرقات لم تكن موجودة •

ان السرقات فى عهد الانغلاق الذى هو عهد الطغيان كانت أبشع ألف مرة من سرقات الانفتاح • فقد كان اللصوص هم الحكام • ولهذا تسامع الناس ، ويتحدثون الآن عن السرقات التى وقعت على مجوهرات الأسرة المالكة • وتسمع الناس ويتحدثون الآن عن الحقيبة المليئة بالكتل الذهبية • وتسامع الناس ويتحدثون الآن عن الفرو والسجاجيد التى كانت تستجلب من الخارج فى طائرات خاصة وتنقلها القوافل من سيارات النقل • وتسامع الناس ويتحدثون الآن عن القصور التى بنيت من أموال الشعب والقصور التى صودرت واستولى عليها حكام الانغلاق • وتسامع الناس ويتحدثون الآن عن الأموال التى انسكبت سيولا على بنوك سويسرا وقيل انها لمواجهة الثورة المضادة ولم تقم الثورة المضادة ولكن الأموال مازالت باقية هناك بأسماء أصحابها •

وكل هذا وقع ولكن أحدا من هؤلاء لم يحاكم ولم يقدم الى أى جهة قضائية • لأن الحكام حين أمموا الشركات والمصانع أمموا أيضا السرقات من الحكومة فلا يجرؤ انسان آخر أن يسرق الا اذا كان واحدا من هؤلاء الحكام •

وهذا هو أحد الفروق بين الانفتاح والانغلاق والعجيب العجيب أن المنتجين السينمائيين الجهلاء استجابوا للهجوم على الانفتاح وانشأوا الأفلام فى محاربة فكرة الانفتاح بروايات تشوه وجه مصر وتخيف المال الحر من المصريين فى الخارج أو من المستثمرين الأجانب • بل وتخيف الدول التى تريد أن تقرض مصر وتساهم فى مساندتها على مواجهة أزماتها •

والشيوعيون يستخدمون الاعلام المصرى فى الهجوم على الطبقة التى استفادت من الانفتاح • مع أن الغالبية فى هذه الطبقة من الكادحين الذين يدعى الشيوعيون أنهم يدافعون عنهم • ولكن الحقيقة أنهم يريدون لهذه

الطبقة أن تظل فقيرة حتى يظلوا هم يدافعون عنها فاذا أصاب هذه الطبقة الثراء هاجموها ومزقوها كل ممزق · وتابعهم الجهـــلاء فى الهجـــوم والتمزيق · ولم يرحموا ولم يذكروا أن هذه الطبقة كانت محرومة من المال فلا بأس عليهم وقد جرى المال بين أيديهم أن ينفقوا أموالهم انفاقا جاهلا فهم يظنون أن الكرامة سيارة فخمة ومأكل فاخر حتى وان لم يلتذوا طعمه وملابس مرتفعة الثمن حتى وان كانت خالية من الذوق · ومع الأيام وبعد أن يزهدوا فى هذا جميعه سيعرفون كيف تنفق الأموال فى مصـــارفها الكريمة لتكون انتاجا لا استهلاكا ولتكون مصانع أو حقولا أو تجارة تعود عليهم وعلى دولتهم بالربح والكرامة ·

والشيوعيون يصرخون أنهم حماة القطاع العام فى حملتهم المسعورة على الانفتاح وهم يعلمون أن القطاع العام مقدس فى الاقتصاد المصرى وأن كل الاقتصاديين الأحرار يرون أن القطاع العام هو الركيزة الأولى فى الاقتصاد المصرى · ولكنهم ينبهون الى أن القوانين التى تحكم القطاع العام خطيرة كل الخطورة على القطاع العام · فلا أحد يسىء الى القطاع العام الا القطاع العام نفسه · وليس فى مصر من لا يعلم أنه اذا لم توجد القوانين التى تعاقب المخطىء والقوانين التى تكافىء المحسن فلن ينجح القطاع العام · فانها كارثة كبرى أن يتساوى الكسول بالنشيط والمهمل بالمتقن والمتهرب من العمل بالمواظب · ان القوانين التى تحكم القطاع العام فى مصر لا يماثلها قوانين فى العالم · فالدول الشيوعية تفصل وتسجن وتنفى وتقتل العمال الذين يتهاونون فى أداء واجبهم · والدول الرأسمالية تفصل العامل المسىء ·

الا مصر ·· فالقانون عندنا فريد فى نوعه ·

نحن الدولة الوحيدة فى العالم التى لا تعرف النظرية الاقتصادية التى يسير عليها اقتصادها · وزمن صنع النظريات الجديدة مضى منذ أجيال · والدول اليوم تطبق نظريات واضحة المعالم · حتى الدول التى تمزج بين الاشتراكية والحرية الاقتصادية لها نظرياتها الواضحة المعالم · تسير عليها انجلترا والسويد وفرنسا والنمسا ودول كثيرة أخرى ·

ولكننا دولة فريدة فى نظامها وأخشى ما أخشاه أن يكون الشيوعيون قد تمكنوا من اخافتنا ، ومنعتنا أصواتهم التى يطلقونها بأمر من الشيوعية العالمية أن نختار نظرية اقتصادية ذات قواعد ثابتة متينة وتسير عليها ·

وأننى لأعجب كيف يخاف الاقتصاديون عندنا ورئيس جمهوريتنا أعلن عشرات المرات أن مصر لن تتراجع عن الديمقراطية وأن مصر لن تتراجع عن الانفتاح • ولا عن الاشتراكية • وهذا رئيس جربناه • لم يعد وعدا ويخلفه ولم يقل كلمة ويرجع عنها فهو يعرف كرامة الكلمة اذا قالها رئيس جمهورية مصر • وما ينبغى لهذه الكلمة من قيمة واحترام وتبجيل •

واجتماع الحرية الاقتصادية والاشتراكية ليس بدعة بين الأمم وانما لا تكون الاشتراكية الا فى ظل الديمقراطية •

والفارق بعيد بين الاشتراكية والشيوعية • ولهذا فالشيوعيون يكرهون الاشتراكية أكثر من كراهيتهم للديمقراطية فهى تحطم نظريتهم وتجعلها واضحة البطلان متهرئة لا معنى لها •

ويح للشيوعيين • أنهم اليوم يحاولون أن يحطموا الديمقراطية والاشتراكية وهم الذين نالوا من الطغيان الخسف والهوان • لقد اعتدى الطغيان على أعراضهم وربطهم كالبهائم فى سلاسل من حديد وراح يطيح بهم الى السجون أو يقذف بهم الى صحراوات مصر وجردائها • ولكنهم مع ذلك جميعا يتمسحون بأيام الطغيان ويحنون اليها ويتحالفون مع البقية الباقية من ذيولها •

أيكون هؤلاء الشيوعيون مغرمين بألوان التعذيب التى مارسها عليهم الطغيان • من يدرى لعلهم مرضى بمرض تعذيب النفس • أم تراهم فقدوا الشعور والعقول فى حماة بغضهم لمجد الوطن ورفعة شأنه وانتعاش اقتصاده •

نحن فى زمان أصبح فيه كل شىء جائزا •• حتى هذا •• فانه اذا وضعت على قلوب اقفالها استحال عليك أن تسمع الصم النداء أو تهدى العمى الى الطريق • ولله وحده الأمر من قبل ومن بعد •

الأهرام ١٩٨٥/٤/٢١

خطـــاب ٠٠ وجـــواب

جاءنى هذا الخطاب وقد رأيت أنه يجدر بى أن انشره وأعقب عليه :

الأستاذ / ثروت أباظة

تحيـــة طيبـــة وبعـــد

فقد كنت أظن لوقت غريب أنه لا يوجد شـخص آخر على وجـه المعمورة مصرى أكثر مما أنا مصرى ، حتى طالعت مقالك الرائع بجريدة الأهرام الصادرة يوم ١٩٨٥/٣/٣١ فعلمت أن هناك من ينافسنى فى عشق محبوبتى الغالية مصر ٠ ومع تقديرى واعتزازى لمصريتك الا اننى أقرر ـ كما سبق وقررت أنت ـ اننى مصرى أكثر منك ـ ولسبب بسيط هو أننى ـ والحمد لله ـ لم أشعر قط وطوال سنوات عمرى بأننى غريب عن مصر ٠

لم أشعر أننى غريب عن مصر حتى وأنا اتلقى ـ فى مقتبل شبابى ـ أعنف وأقسى صدمة فى حياتى بل وحياة كل المصريين ابان هزيمة سنة ٦٧ ٠ فقد كنت واثقا أننى وزملائى الضباط والجنود بل وكل المصريين على موعد قريب مع العبور العظيم ٠ لم أشعر بأنى غريب عن مصر ٠

أستاذى الكاتب الكبير : اتفق معكم تماما أن هناك ضعفا عاما فى اللغة العربية ـ ستلاحظ من خطابى هذا أننى أعانيه شخصيا ـ بل وهناك انحدار فى مستوى الخريجين ومستوى التعليم بصفة عامة ٠ واتفق معكم أن هناك أفلاما للجنس والمخدرات والراقصات ٠ واتفق معكم تماما على أن هناك فئة انعدمت فيها المروءة والشهامة ، واتفق معكم أن هناك فئة تسرق وتنهب وتتاجر فى قوت الشعب ٠ واتفق معكم كذلك فى أن مسلسلات التليفزيون لا تعبر عن الواقع ٠ كما اتفق معكم على أن هناك عزوفا عن المسرح ٠٠

ولكن ألا تتفق معى ـ أستاذى الفاضـــل ـ أنه قد مر على مصر الشامخة ما هو أقسى وأصعب وأعنف من هذه الظواهر والعوارض ٠٠

ألم يأت على مصر الاسلامية وقت كانت فيه الدعارة مهنة تمارس تحت ظل القانون ٠٠ ألم يأت وقت على مصر سيطر فيه الشيوعيون على

مقاليد الحكم فى البلاد وليس على الاعلام فحسب .. ألم تأت فترة على مصر عانى فيها الشعب الكبت والقهر .. ألم يأت وقت على مصر كان على أرضها الطاهرة سبعة عشر ألف خبير شيوعى ..

وألا تتفق معى أيضا ـ أستاذى الفاضل ـ على أن مصر بعراقتها وحضارتها وأصالة شعبها استطاعت أن تتخطى تلك الصعاب والنكبات . أيصعب عليها اذن أن تتغلب على مثل هذه العوارض . ثم تلك المؤشرات الطيبة والمطمئنة التى نلمسها جميعا على أرض الوطن ألا نطمئن القلب والفؤاد على المستقبل .. أن المحاكمات التى تمت فى السنوات الأخيرة لفئة كانت تتخيل أنها فوق القانون تعد مؤشرا طيبا ومطمئنا فى نفس الوقت . ثم قبول استقالة أحد الوزراء فى أعقاب الحكم فى قضية مشهورة، واتجاه بناتنا وهن فى عمر الورود للتحجب . وسريان الاتجاه الدينى المعتدل بين غالبية شبابنا . والاقبال الهائل على معرض الكتاب وشراء الكتب رغم ارتفاع الأسعار وتضحية شاب لانقاذ قرية من حريق بسبب اشتعال سيارة محملة بالغاز ، ووجود الأحزاب والمعارضة . ووضع حجر الأساس لأوبرا مصر . ومترو الأنفاق . والقرارات الأخيرة بترشيد الانفتاح . وعودة الصناعة المصرية الى الأسواق ، والمشروعات الانتاجية الجديدة الصناعية منها والزراعية . وكتابات ومقالات نقاد وأدباء وكتاب مصر الشرفاء ، ثم تنافسى أنا وأنت وملايين المصريين فى حب مصر وأخيرا نقاء وطهارة وصدق واخلاص قاوئد المسيرة ..

أستاذى الكاتب الكبير : اطمئن فانت لست بغريب عن مصر . ورغم اعتزازى وتقديرى لمصريتك الا أننى مصرى أكثر منك ولسبب بسيط هو أننى لم أشعر قط ـ والحمد لله ـ طوال سنوات عمرى بأننى غريب عن مصر .

محمد فريد أحمد

أخصائى اجتماعى بدولة قطر

أخى العزيز :

كم اسعدنى خطابك . حتى لقد أحسست فيه عبق الأخوة يجمعنا فى أكرم رابطة . وأشرف عرق . وأنبل وشيجة : مصر . وأنت ياصاحبى حين ذكرت ما مر بمصر من أهوال تمثلت عندك فى الدعارة المباحة . وسيطرة الشيوعيين على الحكم فى البلاد وليس على الاعلام فحسب . ورزوح مصر تحت حكم الكبت والقهر .. وانشغال أرضها الطاهرة بسبعة عشر ألف خبير شيوعى .. وأنت حين ذكرت هذا جميعا . لم تذكر ناسيا . فهى فترة ـ لا أعادها الله ـ تعتبر أبشع عهد شهدته مصر .

وقد صرخنا فى هذه الفترة بملء أصواتنا ورفضت مصر الطغيان والرعب المسلط عليها ٠

وما حزننا اليوم ــ يا أخى فى الله وفى مصر ــ الا خشية وفزعا أن يطل الأمس على اليوم ، وأن يروع الماضى الحاضر ، وأن يرتفع فى سماوات مصر الحرة اليوم نعيق الغربان التى كانت تهتف للشيوعيين بالأمس ٠ وأصوات البوم التى كانت تشيد بحياة السفاكين السفاحين ٠

كنا فى عهد الطغاة جميعا مقصيين عن مصر٠غرباء عنها لأن الطغيان لا يشاركه فى الحكم الا عبيده وزبانيته ٠ والراكعون عند أعتابه ٠ والساجدون فى معبده غير المقدس ٠ والشاربون من الدماء التى اعتصرها من الشعب ٠ فهم بحمده وحده يسبحون ٠ وهم هم بالله كافرون وهم هم بحكم الشعب أشد كفرا ، بل أنهم يحكمون بما يقذفون فى نفوس هذا الشعب من رعب وذعر ورهبوت وما يسلطونه على أبدانه وأعراضه من عدوان وقهر وغضب وجبروت ولولا هذا الذى شهدناه يا أخى فى هذه الفترة ما عنيت أى عناية بهذه الأصوات التى أصبحت تبدو جهيرة مرتفعة تبشر بالكفر بعد الايمان وبالانغلاق بعد الانفتاح وبالدكتاتورية بعد الديمقراطية ٠

وأنى يا أخى سعيد غاية السعادة بأن مصر اليوم تحاكم من ظنوا أنفسهم فوق القانون ٠ وسعيد أن مصر تبعد عن جهازها التنفيذى من تحوم حوله شبهة ٠ وسعيد أن تتجه بناتنا الى الايمان وكم أكون أكثر سعادة لو أن ايمانهن كان راسخا فى قلوبهن دون كثير اهتمام بخمار يسدلنه أو يرفعنه ٠

وسعيد باتجاه الشباب الى الدين الحق لأن هؤلاء لا يركبون الدين وسيلة الى نفع دنيوى أو كسب مادى ٠ وسعيد أن الكتب تشترى وأن الشباب فيه من يضحى بنفسه لينقذ قرينه ٠ فليس هناك دليل على الانتماء أعظم من هذا المثال ٠ وسعيد بوجود الأحزاب المعارضة ٠ ففيها الديمقراطية ٠ وكم أرجو أن يبدأ حزب الأغلبية فى التفكير الجاد لانشاء فكر سياسى واقتصادى واضح يلتف حوله فاننى يا أخى أرى أعضاء حزب الأغلبية تحسبهم جميعا وهم شتى ٠ كل منهم يفكر فى خاصة مصلحته وخالص منفعته فان توسع كثيرا فهو يفكر فى خاصة مصلحته وخالص منفعته فان توسع كثيرا فهو يفكر فى قريته أو فيما يحسبه دائرته الانتخابية ناسيا أن نظام الانتخاب بالقائمة انما اختارته مصر حتى ينحرر العضو من عبوديته للدائرة وحتى تتحقق القاعدة القانونية : أن وظيفة الناخب تنتهى عند صندوق الانتخاب ٠ فاذا سعى اليوم عضو

مجلس الشعب لابن من أبناء الدائرة أو لبلدة من بلدانها فانما ينبغى أن يكون هذا أمرا جانبيا هامشيا ولا ينبغى بحال من الأحوال أن يعتبر العضو هذا السعى هو عمله الأساسى · كم أتمنى يا أخى أن يذكر عضو حزب الأغلبية أنه ينوب عن مصر كلها من أسوانها حتى ثغرها ·

وأنا سعيد يا أخى بالمشروعات الانتاجية الجديدة ولكننى أخشى أن يضيق عليها الخناق بما ينادى به الشيوعيون أعداء مصر والناصريون فلا تؤدى هذه المشروعات رسالتها عن الانتاج ·

ان غربتى يا أخى التى انفجرت بها خشية أن تكون مصر قد نسيت لطول ما لاقت من طغيان سماحتها وتراحمها وتواد أهلها ·

أخشى أن تكون قد نسيت الابتسامة من طول ما واجهتها الجهامة ·· أخشى أن يقضى الشيوعيون ومواقع الاعلام التى استولوا عليها استيلاء يوشك أن يكون كاملا على منـــاقد الأمل التى تراوحنا منها أنســـام الحرية ·

أخشى يابن مصر أن يعـدو الشـــيوعيون بأقـلامهم فى الجرائد وأصواتهم فى الاذاعة وصـورهم فى التليفزيون على أقـلام مصر الحرة المسلمة المؤمنة ، وعلى وجوه مصر الوضيئة الطيبة لا يشوب صفاءها حتى لا يشوه أسماءها كراهية وبغض وحسد أركان الشيوعية وأسسها · وأخشى أن يضيع صوت الآذان يحمل الله أكبر الى كل ربوع مصر ·

لهذا يابن مصر شعرت بالغربة · وأحمدك وأحمد الله اليك أنك ما شعرت بها · وربما خطرت من قلبك الى قلبى نسمات طمأنينة أنا بها ضنين وعليها حريص · وكم أرجو أن يستقر بها مقام فى نفسى ويهدأ منها العاصف وتطمئن لأعاصير الاغتراب ورياح الخشية ·

وعلى أية حال يابن مصر وابن مآذنها فانى أبث الى نفســك من السكينة ما بثثت الى نفسى من التفاؤل وأذكرك بقوله تعالى فى سورة البقرة « فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ولن تزال مصر وأبناؤها من هؤلاء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فهى بحمد الله دائمـا من هؤلاء الذين اتبعوا هدى الله وأحسنوا اتباعه جل شـــأنه وتقادست أسماؤه ·

الأهرام ١٩٨٥/٤/٢٨

أفصحو أو فاصمتوا !

كان حظا مقدورا أن أجلس أمام التليفزيون ويطالعنى من شاشته شاعران لهما فى قلبى كل حب وكل تقدير ومعهما سيدة فاضلة مهذبة قديرة فى عملها كمقدمة برامج ومعهم فتاة فى بواكير العمر ٠

أما الشـــاعران فهما الأســتاذان محمد برهام شـيخ شـعراء الاسكندرية وابراهيم صبرى منشىء نادى القصيد ورئيسه وأما مقدمة البرنامج فهى السيدة الفاضلة عائشة البحراوى وأما الفتاة فما وعيت اسمها ولا شاهدتها من قبل ٠

ودار الحديث عن الشعر ، وسمعت من برهام شعرا وسمعت من صبرى شعرا وجاء دور الفتاة وقبل ان تقول ما تســميه شعرا قالت كــلاما ٠

أرجو الله ألا تكون هذه الفتاة نموذجا لجيلها كله ، وألح فى الدعاء أن تكون هذه الفتاة حالة خاصة واستثناء لا يقاس عليه ولا يتوســع فيــه ٠

ما هذا الكبر الذى طالعت به الناس يا بنتى لو ان المتنبى الشهير بالتفاخر والتعاظم جلس مجلســك هذا لتملكه بعض الحياء أن يواجــه الناس بكل هذا الكبر الذى واجهتهم به ٠ ولا دخل فى حسبانه أنه أمام شاعرين يكبرانه فى السن بما يجعلهما فى مكان الوالد على الأقل ٠

ولو أنها قالت كلاما ذا قوام أو منطق لما غفرنا لهذا هذا الكبر أيضا فكيف بها وهى تهرب بحديث أقل ما ينبىء عنه التفاهة والجهل كل الجهل بما ينبغى أن يكون عليه الشعر أو أى فن من فنون الكلام ٠ .

تقول الفتاة ان الأجيال التى تكبرها لا تســتطيع أن تفهم اللى جواها ، لأن اللى جواها مشكلة جيلها هى ؟؟ !

ماهذا الحديث يا فتاة ؟ وما هذا الخرف ؟!

لقد حدثنا عنترة بن شداد من وراء خمسة عشر قرنا وفهمنا اللى جواه ·· وحدثنا شعراء الجاهلية قبله وفهمنا أيضا · وحدثنا بعده آلاف الشعراء حتى العصر الحديث وفهمنا اللى جواهم فما لنا اذن نعجز عن فهم اللى جواك وأنت تعيشين معنا فى نفس الجيل ، أنا أخبرك لماذا نعجز عن فهمك لأن الشعراء الذين قرأنا لهم من الجاهلية حتى اليوم قالوا فأفصحوا ، وكان كلامهم مبينا جميلا حلوا فهمناه وحفظناه وأنشدناه وأصبح اللى جواهم عناوين ضخمة مضيئة فى تاريخ البشرية ·

أما أنت يا فتاة ومن يقول مثل شعرك فانكم لا تفصحون ولا يبين فى كلامكم معنى مكتمل أو نغمة تصل الى القلب ، فاللى جواكم سيظل جواكم ولن يخرج الى أحد ولا حتى الى جيلكم ، بل هو مبهم غامض على اخوتك أولاد أمك وأبيك مهما تقاربت بينكم السن ·

قد يكون شعركم نعيق غراب أو ثغاء ماشية أو مأمأة خراف ولكنه لن يكون شعرا أبدا ولن نفهم اللى جواكم لأنكم أنتم عجزتم أن تفصحوا عن هذا الذى جواكم ·

فهمنا عن المتنبى وعرفنا الذى جواه حين قال :

أصبحت أروح مثر خازنا ويدا أنا الغنى وأموالى المواعيد

لأنه قال فأفصح وأبان وأطرب وبلغ مكامن الاعجاب فى نفوسنا · أما أنتم فلم تقولوا شيئا حتى نفهمه ·

وفهمنا عن البحترى حين قال

شواجر أرماح تقطع دونها
شواجر أرحام ملوم قطوعها
اذا اضطربت يوما ففاضت دماؤها
تذكرت القربى ففاضت دموعها

وفهمنا قبلهما عن امرىء القيس منذ ما يزيد على ألف وخمسمائة عام قوله :

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة
كفانى ـ ولم أطلب ـ قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل
وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

وفهمنا بعده بما يقرب من ألف وخمسمائة عام من أمير الشعراء شوقى قوله :

ومن صـــاحب الدهر صـــحبى له
شـــكا فى الثلاثين شـــكوى لبيد

ظمئت ومثـــلى بـــرى أحـــق
كأنى حســـين ودهـــرى يزيد

وانى نواسى هـــذا الزمـــان
فمـــن للزمـــان بأذن الرشـــيد

وفهمنا عن عزيز أباظة مأساته التى كتبها فى ديوان كامل هو أنات حائرة وبكينا معه وهو يقول مستئذنا شهداء الاسلام فى البقيع أن يعود الى بنيه :

وداعا فقـــد أن يـوم الرحيل
الى افرخ قـــد براهـــا الكمـــد

أصـــابهمو الدهـــر فى كهفهم
وما وهب الـــدهر الا استرد

لئن عدت لم يعدموا آســـيا
وحســـبهم الله ان لـــم أعـد

ونفهم اليوم عن مئات الشـــعراء المجيدين من شيوخ مثل طاهر أبو فاشا وعبد العليم عيسى ومحمد برهام وجيلهم ومن كهول مثل مصطفى عبد الرحمن وابراهيم عيسى وعبد المنعم الأنصـارى ومن شـباب مثل عبد الحميد محمود وسامح درويش وأحمد غراب ٠

وقد اخترت ثلاثة من كل جيل اختيارا عفويا دون تفكر أو تدبر فلو شئت أن أذكر الشـــعراء القوالين جميعهم لجاوزت بهم المائتين ولم أبلغ ٠

فبربك خبرينى يا بنية أى عجيبة فى جواك أو فى داخلك لن يفهمها عنك أحد السنت يا بنتاه بشرا من البشر أم أنتم جنس آخر ما عهده الناس ولا عرفوه ٠

ان الذى بداخلك ليس مقصورا عليك وعلى جيلك · وليس صحيحا أن أحدا لا يستطيع أن يفهمه الا أتراب عمرك · فاننى أقسم غير حانث أنهم أيضا لن يفهموا عنك بهذا الذى تقولين شيئا وليس هذا لأن الذى بداخلك تجربة جديدة لم تعرفها البشرية وانما لأنك عجماء لا تستطيعين أن تستعملى الكلمة لتشرحى بها ما يدور بنفسك · والكلمة من شأنها اذا قيلت أن يفهمها جيلك والأجيال التى قبلك والأجيال التى بعدك أيضا ولهذا اختارها الله من فوق سبع سماوات لتكون معجزته الخالدة على الأرض ، وعلى أركان كلمة الله يقوم ديننا كله يا بنية · فالكلمة افصاح والكلمة بيان والكلمة وضوح والكلمة بلاغ وبلوغ · والكلمة هى الوشيجة التى تربط الناس كل الناس بالناس كل الناس ·

ولكنك أنت يابنتى وجيلك لم تقوليها وما قالها جيلك فانى أسمع لكم الكثير وأقسم برب العزة انى لا أفهم عنكم شيئا الا النادر · وهذا النادر تقولونه جميعا كما لو كانت أفواهكم ركبت على مصدر صوتى واحد ولا أقول مصدر عقلى أو عاطفى ·

ليست المشكلة التى أتناولها اليوم الشعر الحديث والشعر الأصيل ولكن المشكلة أننى لست أفهم ما يقوله أصحاب الشعر الحديث فقد أصابهم ذلك البرص الذى أصيبت به الرواية والمسرحية والقصة فى الستينيات من العبث أو غير المعقول وعفا الله عن الرواية والمسرحية والقصة وكتب لها الشفاء على أيدى الجماهير المستقبلة التى رفضت الفكرة جميعا ·

ولكن المرض أصاب الشعر الحديث وجمهوره لن يشفيه لأن جمهوره هم القائلون فيه والسائرون فى طريقه الدامس الظلام ·

وكل منهم يتظاهر بفهم الآخر ليتظاهر الآخر بفهمه ويطمئنوا أنهم قالوا لجيلهم وفهم عنهم جيلهم وعلم الله ما قالوا وما فهم عنهم جيلهم شيئا وما فهم عنهم أحد قط ·

وبعد فانى عاتب على الصديقين الكريمين الشاعرين المجيدين محمد برهام وابراهيم صبرى أنهما أبديا رضاءهما عن هذا الذى ألقته الفتاة بين أيديهما وأنا أعرف ما هما عليه من شاعرية ورقة حس · وانى واثق أنهما أرادا أن يجاملا الفتاة ولكنها مجاملة خطيرة النتائج فقد يحسب الأبرياء ممن لم يرتكبوا هذا الشعر بعد أن هذا هو الشعر والشاعران يعلمان أن الذى سمعاه لا هو بشعر ولا هو بنثر ولا هو بكلام ولا هو ينتسب الى أى لغة من لغات أبناء آدم وانما حسبنا الله ونعم الوكيل ·

١٩٨٥/٥/٥ الأهرام

أنا هنـا ٠٠ حب

كانت دعوة من المملكة السعودية لنشـــهد توزيع جوائز الدولة التقديرية لثلاثة من كبار شعراء المملكة هم الأمير عبد الله الفيصل والشاعر أحمد عبد الغفور العطار والشاعر طاهر والزمخشرى ٠ وقد شهد جلالة الملك فهد حفل تقديم الجوائز وكان الحفل جليلا مهيبا يشعر معه كل مشتغل بالأدب ان المملكة السعودية تقدر الفكر وتعلى من شأنه وتحله مكان الصدارة فى حياتها العامة ٠

وانتهزت الفرصة المتاحة لأعتمر وأزور أحب مكان الى قلبى وأحب انسان الى البشرية ٠

ونزلت المدينة المنورة ٠ أى شعور نورانى يضىء جوانحى كلها وأنا على التراب الذى شرف بخطوات سيد البشر استاف الهواء الذى يملؤه عبق أنفاســه الطاهرة وأريج أردانه الزكية وعطر حديثه الســماوى الشريف ٠

أنا فى المدينة أحس أننى فى لقاء مع كل من أهفو الى لقائهم أحس يد أبى تربت كتفى ، وأحس حنان أمى يدفىء حوالى ٠ بل أحس فى أنحاء المدينة مودة الزوجة ورحمتها وزينة الحياة الدنيا فى ابنتى وابنى أحس هؤلاء جميعا من أختارهم الله اليه ومن أرجو الله أن يمد حياتهم الى ما بعد حياتى يحيطون كلهم بى ، أنعم فى دفء هنىء رخى رضى من مشاعرهم ٠

أحس أننى هناك فى أكرم مكان من وطنى مصر فما فكرت يوما وأنا فى رحاب الرسول أننى أحمل جواز سفر وانما هناك أحمل بطاقة المواطن لا المغترب المقيم لا المرتحل ٠

أحس هناك أننى فى مرفأ أمين من عناء الحياة كلها فاذا هى كلها لا تساوى عندى لفتة عين ٠

حتى اذا خطوت الى الرحاب أحسست أن قدمى أصبحتا جناحين وأن جسمى أصبح روحا بللورية وأن الانسان منى أصبح فكرة سامية

أسمى ما تكون الفكرة هى الشوق الى القابل والحنين الى الماضى وتجرى الدموع سيلا من عينى ومن فؤادى ومن كل جارحة فى جوانحى ولكنها دموع لا تجرى الا فى البقعة الطهر · كل قطرة منها لمعة من نور وقبس من ضياء وومضة من ايمان ·

انا هنا حب · أنا هنا روح مجنحة تحوم حول قمة البشرية التى تصل ذروتها الى سدرة المنتهى والتى تصل بين كرسى العرش تطوف حواليه الملائكة مسبحين وبين جنبات الأرض التى ترزح فيها وعلى أكتافنا أوزارنا لا نطيق حملها الا بما نفحه لنا أعظم الأنبياء وخاتمهم من روح الله من وسيع الرحمة الرؤوف بعباده الشـــفوق عليهم الملك القدوس الســـلام ·

أنا أمام الرسول بلا أحمال ، أنا روح مهمومة فى تاريخه الذى كان به العلم الفرد فى دنيا البشر · انسانا اختاره خالق الأكوان ليحمل رسالته · وألقى عليه القول ثقيلا ترزح به الجبال الشم الرواسى ·

وحمل هو الرسالة · رسولا بشرا · لا يتخلى عن بشريته ولا عن تطامنه وحياته يقف القـادم اليه مبهورا متخشعا يخشى أن يهم اليـه بالسلام · ويرى الرسول البشر أثار الروع فى عينى الرجل فيبتسم اليه ويدعوه « ادخل فما أنا الا ابن أمرأة كانت تأكل القديد بمكة » يا من صلى الله عليك وسلم · النبى المختار سيد البشر أجمعين الذى استلم عرش مالك الأكوان والذى أسرى به ربه من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى والذى أرسله الحق سبحانه الى الناس كافة والذى ختم به رب السماوات والأرض رسالات السماء الى الأرض · هذا جميعه فى رأى نفسه ليس الا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة ·· يا من صلى الله عليك وسلم ·

وانخلعت من رحاب الرسول كما تنخلع الشجرة من مغرسها ·

وذهبت اعتمر عند بيت الله الحرام ·· الرهبة والخشوع والرجاء والأمل والتوبة والايمان هناك عند أول بيت رفع للناس · ورحت أطوف وأطوف وكنت أتحرى أن أطوف حول أستار الكعبة دون أن أدور حول حجر اسماعيل فما لبث أن نبت لى فى طوافى حارس من حراس الكعبة وسادن من سدنتها وسألنى السادن :

ـ ماذا تفعل ؟

قلت :

ـ أطوف كما ترى ٠

قـــال :

ـ كم مرة طفت ؟

قلت :

ـ ست مرات

قـــال :

ـ لابد أن تعيدها وكأنك ما طفت

قلت :

ـ لماذا ؟

قـــال :

ـ ان حجر اسماعيل مكمل للكعبة المشرفة ولابد أن تطوف حوله وأنا فى العبادات لا أناقش ٠ وبدأت أطوف مرة أخرى حريصا على أن ألف حول حجر اسماعيل وفى الطواف الخامس رأيت السادن الذى صحح طوافى فخطر لى أن أسأله :

ـ قل لى يا أخى بربك

ـ نعـــم

ـ هل كان حجر اسماعيل بهيئته هذه موجـودا عند أول طواف للنبى صلى الله عليه وسلم حول الكعبة بالمسلمين ٠

وصمت السادن حينا ثم قال :

ـ والله لا أدرى ٠٠ لابد أن أسأل الفقهاء ٠

وهأنذا أسأل عنه الفقهاء ٠ وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يكتب لى عنده طوافى بالكعبة ثلاث عشرة مرة وهو سـبحانه يدرى ولا يدرى غيره ماذا يصنع بى المشى حافيا من اجهاد ٠٠ وهو أيضا يدرى ولا يدرى غيره الى أى مدى كان جهدى حبيبا الى نفسى ٠ ٠

وبعد فاننى أعتقد أن لا ينبغى لى أن ألقى القلم قبل أن أحيى الأمير فيصل بن فهد ٠ لا لدعوته لى فقد شكرته على ذلك وانما من حقه علينا

نحن الكتاب ونحن الذين كثيرا ما أخذنا على أثرياء السعودية المأخذ أن نشيد بهذا الشاب الذى رفض ان يكون فتى لاهيا يأخذ الحياة من طريق المتعة واللهو · وانما جعل متعته العمل الجاد الدؤوب وهو ابن الملك · وهو شـــاب جميل الطلعـــة فى مقتبل العمر وزهـــوة الفتـــوة وعنفوان الشـــباب ·

ولكنك ترى فيه الرجل العظيم المهيب فى حياء الكرام وتواضعهم يصرف همه كله لمجد المملكة ولمجد العروبة والمثل العليا ·

فهو المشرف على الرياضة فى المملكة وهو المشرف على لجان جوائز الدولة التقديرية اشراف ادارة تاركا التقدير الأدبى للمختصين · وهو الذى أنشأ فى المملكة لأول مرة فى تاريخها النوادى الأدبية يجتمع فيها الشباب حول العلماء والأدباء والشعراء ·

ان الأرض العربية التى شرفها الله ببيته وبأن تكون مثوى نبيه الأمجد لا يمكن أن تجدب من الرجال بل انها ما زالت الأرض الطيبة المعطاء التى تنبت أمثال الأمير فيصل بن فهد والأمير حمود بن عبد العزيز الذى يعنى بالأدب والكتاب كل العناية ويقرأ لهم فى امعان وتعمق والأمير سلمان الرجل القوال الفعال · واذا كان هؤلاء هم الذين لقيتهم فى بضعة أيام فلابد أن هناك ممن لم يكن لى حظ لقائهم كثيرين ممن يستطيعون أن يبعثوا الى نفوس المسلمين بالطمأنينة والأمن أن القائمين على مشاعرهم وسدنة الحرمين أئمة هداة ·· مثل رفيعة فى الجدية والخلق الأسنى والأدب الجم وان قال قائل فماذا ترى فى غير هؤلاء ممن يجلبون ما يجلبون من اساءة الى أنفسهم وبلادهم ذكرت البيت الذى قاله الشاعر توفيق عوضى أباظة ·

حتى قريش لهـــا أنف وأذنـــاب
فى كل طائفة فى الناس أوشـــاب

وأمثال هؤلاء الأمراء العظام خير اعتذار عن المسيئين · فان هؤلاء المصلحين هم الحســـنات يذهبن السيئات والحمد لله من قبل ومن بعـــد ؟

١٩٨٥/٥/١٢ الأهرام

الله خـير المـاكرين

توالت الخطابات الى تبـــارك ما كتبته عن الشيوعية والشيوعيين تحمد لى ما أذعته عن استيلائهم على وجه الاعلام المصرى · وانه لشعور طيب أن يشعر الكاتب أن ما يكتبه انما هو تعبير عن مشاعر قومه · وان كتابة خطابه تدل فى ذاتها على التحمس والاصرار أن يبلغ القـــارىء رأيه الى كاتبه ·

ولكن أهم ما جاء فى هذه الخطابات التى نشرت منهـا خطابا واحدا أن مصر أطلقت بما كتبت آهة كانت مكبوتة فى جنبات شعبها · فقد رأوا سنوات الستينيات تعود بوجهها الكئيب البشـع الملىء بالبشور وبالرعب وبالجبروت وبالطغيان واستعباد الانســـان وتحطيم كل المعانى الرفيعـة فى الحياة ·

وأنا حين أكتب ما أكتب لا أرهب الشيوعيين ولا أحفل بهم ولا يعنينى أمرهم أقل عناية وانما كل خشيتى أن يصبح وجه مصر أمام الداخل رعبا وينصب على الشعب الذى عانى ما عانى من ألوان الخسف رهب أن يعود الخسف اليه ويصيح الانسان المصرى مرة أخرى يتلفت حواليه قبل أن يلتقط شهيقا أو يخرج زفيرا ·

وأخشى وتلك خشية وقعت وأصبحت حقيقة أن يمتنع أبناء مصر الذين كانوا قد أمنوا لبلادهم واطمانوا الى مصائر أموالهم فيها عن ارسال أموالهم الى مصارف مصر كما كانوا يرسلون · وكيف يأمنون أن يرسلوا هذه الأموال مع الاضطراب الاقتصادى الذى وقع بمصر والذى باركه الشيوعيون وأحاطوه بألوان التهليل التى يجيدونها كل الاجادة · حتى اذا انحسر الاضطراب اليوم وبدأ الاقتصـــاد المصرى يعود الى شىء من الطمأنينة ظلت أبواق الشيوعيين التى تملأ الصحف القومية والتى تسد أقطار التليفزيون وميكروفونات الاذاعة تثير الذعـر والخوف فى نفوس المصريين فى الخارج وتزجرهم أن يرسلوا أموالهـم · فهـم فى بعدهم لن يعرفوا أن هذه الأصوات ما هى الا عويل الشيوعيين وصراخهم متجمعا فيبدو كأنه صادر عن الكثرة وهو فى الحقيقة يمثل هذا الحزب الذى

تقدم الى الانتخابات فلم ينل مقعدا وحدا فى مجلس شعب أو مجلس شورى • والذين يعيشون خارج مصر • يقرأون الصحف وبعضهم يسمع الاذاعة وبعض منهم يشاهد التليفزيون • وهم يعرفون أحوال بلادهم من هذه الوسائل • فهم حين يقرأون الصحف فيجدون الصوت الشيوعى هو أعلاها نغمة ويجدون الشيوعيين يطلون عليهم بوحشية من كل الصحف • وحين يسمعون الاذاعة فيجدون التمثيليات كثيرا ما تنبعث عن الفكر الشيوعى المادى الديكتاتورى واذا رأوا التليفزيون وشاهدوا التمثيليات التى أصبحت ولا عمل لها الا مهاجمة الحرية الاقتصادية والدعوة الصريحة حينا والمتنكرة أحيانا الى عهد الانغلاق والكبت والحبس والستار الحديدى • وهم حين يشاهدون تمثيلية تمجد باقتصاد مصر • ولن يكون ذلك والشيوعيون هم أئمة الاعلام المصرى فان هؤلاء لا أمل لهم الا خراب مصر ساء ما يأملون • وكره الله ما يبيتون وانه سبحانه لماكر بهم فمحبط ما عليه يتآمرون والله خير الماكرين •

هزيمة ٥٦ التى نال بها اليهود شرم الشيخ ولا تذكر شيئا عن نصر ٧٣ الذى رد الى العرب كل العرب كرامتهم والتى قدم فيها الجيش المصرى بعون من الله القدير المتعال معجزة بعد ان انتهت عصور المعجزات والتى دبر لها وقدر وأمر بها الزعيم الخالد على مدى الزمان أنور السادات حين يشاهدون هذا يحبسون أموالهم عن ان تشارك فى الاقتصاد المصرى • بعد ان كانوا سعداء غاية السعادة ان أموالهم أصبحت من العمد الأساسية فى خير مصر وفى سعيها أن تزيح ما تركه عهد القحط والخراب والمخابرات والاعتداء على الأموال العامة والخاصة وعلى الأعراض العامة والخاصة أيضا •

فالذى يصنعه الشيوعيون فى الاعلام المصرى ليس مجرد أصوات • انما هو وجه مصر يخشاه من بداخلها ويتصرف من بخارجها على أساسه •

فليس الأمر مجرد مقالة أو تمثيلية ، فلو كان هذا كل ما ينتج عن صراخهم لهان الأمر ولما استحق منا أى تعليق •

فمصر لن تكون شيوعية أبدا • مصر ذات الآلاف من السنوات هى مهد الايمان • عرفت التوحيد أول من عرف وكل معابد الفراعنة صروح لايمان مصر بالسماء وكل كنائس مصر صروح لايمان الأقباط بالله والمسيح • وعشرات الألوف من المآذن فى أرجاء مصر من أقصاها الى أقصاها حصون شامخة شماء تدمر الشيوعية وتمزق أعلامها وتمحق أفكارها وتقضى على تدبيرها الخبيث •

فما أنا بخائف من هؤلاء المهازيل على مستقبل مصر فى عقيدتها ودينها وديموقراطيتها وانما أنا أخشى أن تكون أصـــواتهم هذه تخريبا لاقتصاد مصر فى وقت لا تحتمل فيه مصر أى مساس باقتصادها ٠

أخشى ان يداخل المشروعات التى أصبحت أساسا فى الاقتصاد المصرى نوع من القلق فتقبض يدها وتكف عن التوسـع والسـعى الى التقدم الفنى والعلمى ٠ ولا أمل لاقتصـــاد مصر الا فى التقـدم العلمى والأخذ بآخر ما وصلت اليه المباحث الجديدة المتطورة فى جميع فروع الحياة ٠

أخشى أن تهرب أموال تفكر فى الدخول٠وأخشى أن يشيع عن مصر انها عادت دارا لا يأمن فيها المال ولا يطمئن فى ربوعها المستثمرون ٠

وليعلم الجميع أن المستثمر اذا لم يربح فهو لن يقدم ماله فقد يتبرع شخص بملايين الجنيهات ٠ ولكن الشخص نفسه لا يضع مائة جنيه فى مشروع صناعى أو تجارى لا يدر عليه ربحا ٠

ولست أدرى لماذا تعمل كل التمثيليات فى التليفزيون على ذم الربح وكأنه جريمة قتل ٠ والمسلمون منهم وغير المسلمين يعلمون أن الربح فى التجارة عمل مشروع تباركه جميع الأديان بلا استثناء ٠

من حق التمثيليات بل من واجبها أن تهاجم الجشع ٠٠ أن ترفض الغش ٠٠ أن تمحق التحايل ٠٠ أن تشجب النصب ٠

ولكن من واجبها أيضا أن تبارك الرزق الحلال ٠ من واجب الاعلام بل واجبه الأول وقبل أى شىء آخر أن يبث فى نفوس العالم وفى نفوس المصريين الثقة بمصر ٠

١٩٨٥/٥/١٩ الأهرام

القـــــارعة

في شارع من أكبر شوارع الزمالك رجـل فى الحلقة الخامسة من عمره يقف فى جدية واضحة يشير للسيارات لتسير أو يشير لها أن تقف وعلى مبعدة خطوات منه يقف شرطي المرور ولكنه لا يحفل به ولا يكترث به وكأنه غير موجود ٠

والرجل مقتنع كل الاقتنـاع أنه لولاه لتوقفت حـركة المرور فى الشارع وهو واثق أنها اذا توقفت فى الشارع توقفت فى القاهرة كلها وأحسب أنه على يقين أن هذه الحركة اذا توقفت توقف العالم عن الدوران وكفت الحياة عن الحياة ٠

وتنظر اليه فتدرك أنه مقتنع غاية الاقتناع أنه لولا يده التى يشير بها للسيارات أن تسير ما سارت وأن هذه السيارات بسيرها تسير الأيام جميعـا ٠

واحســـده ٠٠

فقد اطمأن الى أهمية وظيفته فى الحياة وارتاح الى طمأنينته غـير حافل شأن الناس جميعا اقتنعوا بالحقيقة الثابتة فى يقينه أم لم يقتنعوا ٠

وما قيمة رأى الناس ما دام هو واثقا من حقيقة العمل الخطير الذى يقوم به ، وأحسب أنه لو كان على المامه بالشعر العربى لوضع لافتة فوق رأسه تحمل بيت المتنبى الخالد يرد بها على نظرات السخرية والاستخفاف التى تطالعه من عيون المارة الراجلين والراكبين على السواء ، ويتحدى بها علامات الاستغراب التى ترتسم على وجوه البشرية فى الشارع الذى يحرك منه الكون جميعا ٠

وهكذا كنت فى أهلى وفى وطنى
ان النفيس غريب حيثما كانا

أما هذا الرجل فواضح المعالم والحقيقة من أمره لا شـــك فيهـا ولا اختلاف حولها لأنه يعرض امر نفسه على الناس أجمعين ، وكلهم واثق من حقيقته ، وبعضهم يشفق عليه وتأخذه به تلك اللمسة السماوية التى أودع الله منها قبسا فى ضمائر بعض الناس • فاذا قدر لك ان تقف بعض الحين تراقبه لرأيت ثم يدا تمتد اليه من حين الى آخر تمنحه همسة من رحمة متمثلة فى مبلغ من المال الله وحده يعلم مقداره •

ويأخذ هو ما تمنحه له السماء فى كبرياء صاحب الحق يتسلم حقه ويرفع يده بتحية فيها اباء ويستأنف عمله من أدارة حركة الكون •

هذا رجل ـ فيما أقدر ـ مرت به ألوان من تقلبات الحياة وخاض غمرات الأمواج حتى وجد شاطئه فى مكانه هذا والتمس عنده مأمنه من الحياة فأمن واستقر ، والتقط اللاهث من أنفاسه المفزعة ، وتصالح مع الحياة ووثق أنها تصالحت معه ، فهو لا يسىء الى أحد ، ولا يعبأ بمن يحاول ان يسىء اليه وانما ينصرف عنه انصراف الكبار عن لهو الصغار •

ترى كم فى حياة الناس من أمثال هذا الرجل ولا يعرف الناس عنهم شيئا تستترهم الحجرات ويتخفون وراء غلالات رقيقة من علم ســـاذج استطاعوا بها أن يستخفوا عقول الكبار ويجعلوهم يتوهمون أنهم أصحاب ثقافة أو أصحاب علم أو أصحاب دراية وهم من هذا جميعا أبرياء ، وحين يتزاوج الغرور من الضائعين بالجهل ممن يملكون تقسيم الوظائف يثب الى الكراسى أمثال هذا الرجل الواقف فى شارع من شوارع القاهرة •

أما هو فمجرد من السلطان مقصى عن اصدار الأوامر • وأما هم فبيدهم أدوات يملكون بها أن يصدروا الأوامر أو يصدروا الأحكام فى شئون الحياة •

وفى الميدان الذى أعمل فيه أرى رأى العين من يحسب نفســـه أديبا لم تجد بمثله الأزمان فى قديمها وحديثها ، وأراه رأى العين شـأنه شأن المسكين الذى يظن أنه يدبر الكون من شارع فى القاهرة يظن أنه لولاه ما وجد الأدب العربى كله •

والأدب ميدان قاس عنيف لا يقبل الهزل ولا يعترف بالتجل ولابد للأديب من انتاج ، ولابد ان يكون هذا الانتاج متفردا حتى يبدأ الأدب فى تقويم هذا الأديب والقاء النظر اليه والحكم عليه ان كان يستحق أن يكون أديبا أو لا يستحق •

أما هؤلاء الذين اطمأنوا الى مكانتهم الأدبية فأنا أعرف بينهم من ليس له انتاج على الاطلاق وأعرف منهم من له قصة قصيرة أو بعض أقاصيص لاتزيد على أربع أو خمس ٠

ولكن لهؤلاء أصدقاء يملكون أن يرموا بهم الى كراسى مناصب فاذا هم فى وقاحة أو ان شئت الكلمة الدقيقة فقل فى نجور يطلقون أحكامهم الجامعة المانعة على الجبال الرواسى والقمم الشامخات ولا يحاول واحد منهم أن يسأل نفسه ماذا قدمت أنا حتى أحكم على الآخرين ، ولكن النفس مولعة بخداع نفسها ، وهذا سؤال لايرد على تفكيره ٠٠ وهل هو صاحب تفكير حتى يرد عليه سؤال ٠

لقد حكم وحكمه نهائى بلا حيثيات وبلا معارضة ولا استئناف لأنه مثل الرجل الذى يحرك الكون لا يحفل بشأن الناس وليس يعنيه أن يقولوا عنه فاجر يدعى لنفسه ما ليس له ، ويضع ذاته فى المكان الوحيد الذى ينبغى له أن يختفى منه ٠

أما الرجل الذى يحرك المرور والكون فقد استمد وظيفته من طغيان الأيام عليه ومن قسوة الزمان على مجـــرى حيـــاته ومن عنف المقادير بانسانيته ٠

أما هؤلاء الآخرون فقد خادعوا أنفسهم ووجدوا من المهازيل من يقبل أن يكون مخدوعا فتصدوا للحكم على الناس ووجدوا كلامهم يجمع ويطبع وينشر على الناس ٠

أى زمان قدر الرحمن أن نعيش فيه حتى نرى ما نراه ، فنشهد الخطيب الأخرس والعالم الجاهل والأديب بلا أدب له والشاعر ولم يقل شعرا والناقد دون قراءة ما ينقده واذا تركنا الأدب وألقينا نظرة الى شتى مناحى الحياة وجدنا كثيرا من مناطق النفوذ يسودها الظلام القاتم حين كان ينبغى لها ان تكون حافلة بالنور ، واذا أنت حملت مصباحا وألقيت النظر على شاغليها لوجدتهم جميعا من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم فى مناصب قد تصلح لأى انسان الا لهم والجريمة ليست جريمتهم وحدهم وانما هى جريمة فيها شركاء عديدون ٠ والشريك فى القانون يعاقب بعقوبة الفاعل الأصلى أما الشريك فى هذه الجرائم فهو فى الحقيقة هو الفاعل الأصلى

والعقاب وأقع عليه أولا ثم هو وأقع على من ولاهم ما لايستحقون من رأى الناس ثم هو واقع عليهم وعلى غيرهم من الاضطراب والمهازل والفوضى التى تسود مواقعهم وتسخر منهم كل سخرية وتحقر شأنهم كل احتقار ٠ ويومئذ تكون القارعة وما أدراك ما القارعة ٠٠ ان أمه لا شك يومئذ هاوية وما أدراك ما هى ؟! ٠٠

اللهم ياذا الرحمة والعدل ويا مالك الميزان حين ينعدم الميزان اليك وحدك نضرع وبك وحدك نستجير ٠٠ سبحانك ٠

الأهرام ١٩٨٥/٥/٢٦

السـمعة الجـديدة

أما هو فأستاذ في علمه له في مصر شهرة واســـعة وله في المجامع العلمية العالمية اسم لامع معروف تخرج على يديه أساتذة معروفون في علمهم اكتسبوا الشهرة والاسم النقى في ميدانهم · أحيل الى المعاش منذ سنوات ثلاث فأبى أن يكتفى بممارسة عمله وأحب أن يفيد بلاده بخبرته ويستفيد من توظيف ماله في وقت معا ·

والرجل شديد الايمان · شديد الحرص على أداء شعائر دينه بكل اخلاص حتى انه يغالى بعض الشيء ولا يرضى أن يفعل شيئا مهما يكن هينا · فيه ميل أى ميل عن أمر الله أو سنة نبيه عليه الصلاة والسلام · فاذا لعب أصدقاؤه النرد أو الورق شاركهم فاذا أحبوا ان يكون اللعب بملاليم على سبيل الدعابة واضفاء الحماسة على تنافسهم أبى فى صلابة لا تعرف المهادنة ويقولون له انها ملاليم · فيرفض فالدين لم يحدد مبلغا أدنى للقمار ·

هكذا هو فى كل صغيرة أو كبيرة من حياته · وهو يقدم الزكاة فى كل عام مضاعفة أضعافا · وهو يكرم المحتاج فى سعادة منه ان أتاح له الله ان يكرم محتاجا · ومادام كذلك هو مع سائر الناس · فهو مع أبنائه وأهل بيته من أكرم الناس يدا · وهو ذو دار لا تتوقف عن استقبال الضيوف زرافات ووحدانا · ولكن الخمر لم تدخل بيته قط حتى ولو كان المدعوون من الأجانب الذين لا يعرفون كيف يكون المطعم اذا لم يرافقه من الخمر مشرب ، هكذا هو ·

وهو فى الشئون الهندسية على علم موفور · فحين أقام المصنع أقامه على آخر ما وصل اليه العلم الحديث من اتقان ولم يدخر وسعا ولا جهدا ولا مالا ليكون مصنعه لائقا بالاسم الكبير الذى يحمله ·

وجاء المختص من الحكومة ليرخص للمصنع بالعمل فاذا به يرفض مرتئيا أن المصنع تنقصه الشروط الواجبة · وفهم الأستاذ صاحب المصنع مماحكة المندوب · ولكنه ادعى الغفلة ونفذ له ما يريد على الرغم من معرفته

أن الشروط لا تحتم وجود هذه الطلبات · وتكرر قدوم المندوب وتكرر الرفض · وأخيرا طلب المندوب الرشوة صريحة من مساعدي الأستاذ فقال الأستاذ :

لو كنت أنوى أن أقدم رشوة لقدمتها من أول يوم · ولكن هيهات ·

ويقول المساعدون :

الدنيا كلها على هذه الحال ·

ويقول الأستاذ :

فهى دنيا كافرة

ويقولون :

ولكن تكاليف المصنع قاربت المليونين من الجنيهات ·

ويقول :

ولكن المليونين من الجنيهات وملايين العالم أجمع لا تساوى قوله تعالى « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » صدق الله العظيم (البقرة ١٨٨) ويبلغ المساعدون قرار الأستاذ الى المرتشى فيصيح :

اذا هو لم يدفع ما أطلبه فان سمعتى ستسوء فى المصانع الأخرى جميعها · كل المصانع تدفع لى عند الانشاء المبلغ الذى أطلبه · وكل المصانع تدفع لى مبلغا شهريا فاذا أنا استثنيت مصنع الأستاذ ساءت سمعتى بين كل المصانع التى أتعامل معها ·

ويصر الأستاذ على موقفه ويصر المرتشى · والوزير المسئول رجل شريف وهو صديق للأستاذ ولكنه يقف من الموظف المرتشى مكتوف اليدين مكبل الارادة لا يستطيع حتى ان ينقله من وظيفته فهو يعلم أنه اذا فعل ، فسيرده القانون الى وظيفته · وأعجب كيف يستطيع الوزراء ان يعملوا وهذه القوانين تقف لهم بالمرصاد وكيف تستطيع السلطة التشريعية أن تسائلهم · ان المساءلة لا تكون الا عند المسئولية فأين المسئولية عند الوزير اذا كان عاجزا عن أن ينظم وزارته التنظيم الذى يراه كفيلا بتوفير الشرف والنزاهة فى ربوع هذه الوزارة ·

لا ·· لاتقل أن المرتشى ينال جزاءه · فقضـــايا الرشوة التى يتم ضبطها لا تبلغ فى نسبتها واحدا الى ألف من عمليات الرشوة التى تتم ·

والشرف سمعة · والموظف الشريف معروف والمرتشى مشهور ولكنه فى أمان تام مادام يتقاضى رشوته سرا ·· وما أعلم بعد أن الرشوة يمكن أن تكون علنية جهيرة ·

ويستخرج الاستاذ صاحب المصنع عينه من نتاج مصنعه ونتـاج مصنعه داخل فى صميم اختصاصه الذى ظل يعلمه للاجيال عشرات من السنين · ويكلم المسئول عن اعطاء الرأى فى العينة انه مرسلها اليه فاذا هو أيضا من المرتشين وهل أدل على قبوله للرشوة من رده على الأستاذ :

أظن أنها ستكون مخالفة للمواصفات ·· وأظن أنه خير لك أن تصرف النظر عن الموضوع كله ولكن على كل حال لا بأس أرسل العينة ·

انه قاض حكم فى القضية قبل أن تعرض عليه · ان عمله مثل عمل القاضى ولكنه لم يخجل أن يصدر الحكم فى مواجهة صاحب الشأن دون أن تكون العينة فى يده على الأقل حتى يستر لصـــوصيته ولكن لماذا يسترها · ومن أى جهة يمكن أن يخاف مادام على ثقة أن الوزير وهو الوزير لا يستطيع أن يسائله أو ينقله أو يتخذ أى اجراء يرد به أظافره القاتلة عن مصالح الناس ·

واقرأ ما كتبه منذ أسابيع أخونا الأستاذ موسى صبرى عن حـــالة مشابهة وتقطع النفس حسرات · كيف يمكن أن نفكر فى أى تقدم وأمثال هؤلاء هم الحكام الحقيقيون · فالوزراء يعملون بمساعدين · ومهما يكن الوزير شريفا فان وزارته لن ينالها نصيب من هذا الشرف مادامت الرشوة قد أصبحت عملا مشروعا لا يستطيع الوزير أن يحاسب عليه ·

١٩٨٥/٦/٢ الأهرام

حـيرة ... ؟!

الى الرحاب القدسى من ساحة الرحمن يتوجه المكروب والملهوف وذو الحاجة فيجد نفسه المظلمة الخراب قد أشرقت بالنور الالهى .. وأينع نبتها واخضل زرعها وأطل الندى جديبها واستقبل الحيـاة بعد ادبار وتسمت الأمل بعد اليأس .

فيالهؤلاء المساكين الذين لا اله لهم . الى من يتوجهـــون والى أى مشرق أمل ينظرون .

ويل لهم لقد اختاروا لأنفسهم اليأس الذى لا أمل له والكرب الذى لا فرجة فيه والسواد الذى لا يستطيع شعاع أن يكشفه .

فلا عجب ان كانت نفوسهم كلها حقدا خالصا ولا غرو ان كانت قلوبهم كلها كراهية داكنة معتمة .

هم لا يســـتطيعون أن يقدموا حبـا لأنهم لا يعرفون فى قلوبهم الا البغضاء والتحاقد والسخيمة والمار .

وهم لايريدون فى الحياة سلاما لأن نفوســهم مـوات ودماء وقهر وطغيـان .

وكيف لهم ان يعرفوا غير هذا وهم لا يؤمنون بالله السلام الرحمن الرحيم الغفور .

الذين لايعرفون الله يريدونها حـربا بين أبنـــاء الوطن الواحد وحربا بين أبناء الجنس البشرى أجمع فمع الحروب يسود الخراب وفى الأرض الخراب تنبت أزهارهم ويخضل نبتهم وعلى الخـراب يقيمون عروشهم أركانها قهر الانسان وقتل الايمان وكراهية الحب ونزع الأمان واشاعة البهتان وافشاء الذعر ونشر الفوضى ومحاربة القانون ومنع الخير ومباركة العدوان .

فلم يكن عجبا اذن ان يتحد الناصريون والشيوعيون وان كان كثير من الناس قد عجبوا وأنا منهم فى الوهلة الأولى التى شهدنا فيها تحالفهم ٠

كان عجبنا أننا شهدنا الشيوعيين يلقون ألوانا من العذاب وصنوفا من تدمير عناصر الرجولة والانسانية فيهم على يد العهد الناصرى ٠

وكنا نحسب أن التنافر بينهم سيظل الى أبد الأبدين ولكننا فجأة وجدناهم هم السادة الحكام يتسنمون مناصب الصحافة والاعلام والفنون ويملأونها من أشياعهم ومناصريهم ويملأونها أيضا ممن لا يؤمن بمذهبهم ولكنه يريد أن ينشر ان كان كاتبا ويريد أن يمثل أو يخرج ان كان ناشئا ويريد أن يعيش ان لم يكن لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ٠

ومازالت آثار أغراسهم باقية حتى اليوم فى شتى الأنحاء تحارب غير الشيوعى أو غير الناصرى وتبارك كل ما هو كفر والحاد وتمجيد للطغيان وتعظيم للظلم والقهر والعدوان ٠

وهكذا لا نسمع شيئا عن حرب رمضان الا أن يكون هجوما ورفضا مما اضطر رئيس تحرير الأهرام أن يصيح بهم فى مقاله الأخير أفيقوا وأعدلوا فان الأمر ليس لهوا ولا هو لعبا ٠

وأنا أكتب هذا الكلام اليوم بعد أن فكرت حتى ضاقت بى مسالك التفكير ٠

أما الشيوعية فنظرية واضحة المعالم معروفة الأسس طبقت فى بلاد كثيرة لا لأن لها كيانا يستطيع من يريد التعرف عليها أن يجده ٠

وصحيح أنها فشلت عند كل تطبيق الا أن هذا لا يمنع أنها نظرية لها معالمها المميزة ٠

وصحيح أن أى دولة لا يمكن أن تطبقها الا اذا ألغت تماما فكرة الأديان الا أنها تظل مع ذلك فكرة ذات سمات ظاهرة وصحيح أن الصين أضخم دولة فى التاريخ وجدت فى تطبيقها الخراب والدمار مع أن الصين كان يمكن أن تقول حسب الفرد منا رغيف العيش وليذهب كل ما عداه الى الجحيم وليس توفير ألف مليون رغيف ثلاث مرات أو مرتين فى اليوم بالشىء اليسير ولكن الصين وجدت ان النظرية ألغت الانسانية فى الشعب الصينى ولم تستطع مع ذلك ان توفر رغيف العيش ذلك لأن الصين تعتمد

على مواردها وحدها وليست مثل الاتحاد السوفيتى الذى يعتمد على موارد كل الدول التى أرغمها أن تكون تابعة له ٠

صحيح هذا ولكن تظل النظرية الشيوعية مع ذلك نظرية يستطيع من يدرسها أن يجد لها مقدمات ونتائج ومعالم وملامح ٠

ولكن الذى أريد أن أعرفه والذى اســـتغلق على ما هى النظرية الناصرية ؟

ما هى المبادىء التى يمكن أن يقوم عليها الحزب الناصرى ؟

المبادىء التى يمكن أن أتصور أن تقال غير قابلة للاعلان والا فتصور معى ما طاف بخاطرى ٠

المبدأ الأول : قتل حرية الانســـان المصرى فى العمـــل أو القول أو التفكير بحيث يتم اعتقال كل من يظن العاملون فى المخابرات من رجال ونساء انه أتى شيئا من هذه الممنوعات بأى صـــورة من الصور والعقوبة تكون الاعتداء على المال أو العرض أو الأرواح أو كل هذه العقوبات ٠

المبدأ الثانى : أموال الدولة كلها ينبغى أن تكون فى خدمة الحزب يتصرف فيها كيف يشاء وينفقها الحزب فى الأغراض التى يرى الحزب أنها تحقق الشهرة والهتاف للحزب ولما كان الحزب هو مصر جميعا فكل انجاز يحققه الحزب لنفسه انما يحققه لمصر جميعا ٠

ولو مضيت فى هذا السبيل ماتوقف القـــلم قبل أن يكتب كتبا كاملة لا عدد لها ٠

واذا كان الحزب الناصرى سيتبنى النظرية الشيوعية فما الحاجة اليه مادام منضما بكل أعضائه الى الشيوعية وأحزابها الظاهرة والخفية ٠

واذا كان سيتبنى المبـــادىء التى نادت بهـــا الثورة فى يوليـــة عام ٥٢ أفلا يعتقد أن هذه المبادىء قد طبقت فعلا بكل أمانة فى غير العهد

الناصرى وعلى كل حال فما دامت طبقت والدستور يضمن الحفاظ عليها ففيم اذن يقوم حزب ليضع مبادىء موضوعة فعلا ويضمن بقاءها دستور وحزب وحكومة ومجلسان تشريعيان ؟

حيرة ٠٠ ولكن الله سبحانه الذى يهدى السبيل وينير الظلام ويزيل الحجب قادر أن يزيلها وانه على كل شىء قدير ٠

١٩٨٥/٦/٩ الاهرام

الكاتب ضمير لا صدى

الكاتب قطرة من دماء المجتمع ينبض بنبض القلب من هذا المجتمع ، وهو يسير فى هذه الدماء عيونا لا تنام ، وخواطر لا تهدأ ، وتفكيرا لا يتوقف .

وفجأة . وعلى غير توقع منه يثور بنفسه ما يريد أن يقوله لمجتمعه .

وحين يقول فهو صوت ضميره وليس صدى لمن يكتب لهم .

هو الكلمة الحق . وليس ترديدا ولا رجعا لكلمة الآخرين . فهو يكتب رأيه هو بوحى من خالص ضميره . لا ينظر فيما يكتب الى غير الله الرحمن القهار . الرءوف الجبار . الصادق الماكر . الواهب المانع .

الكاتب ضمير والضمير صيحة نفس . والكاتب حامل القلم وبهذا القلم يفجر خطرات ضميره لتصبح صيحات صارخة تهز المجتمع هزا ليفيق الى الحق ان كان الحق غائبا . ويرتد الى الصواب ان كان على الصواب أستار وحجب .

والكاتب يجمع بين ضلوعه الماضى جميعا يتمثله فلابد أن يكون على وعى كامل بتاريخ وطنه وتاريخ البشرية . وينبغى أيضا أن يتعمق حاضره فيصل الى أبعد أغواره . من الماضى والحاضر يلقى نظرة الى المستقبل ويتنبأ بالقادم من الحوادث ويحذر بوحى شفيف من قلبه فالكاتب الذى يقيم صلته بالله يكشف الله غطاءه فبصره اذن حديد . يخترق آتى الأيام وقابل الغيب . لا بادعاء النبوة وانما بصفاء الروح وقياس المستقبل بالماضى ودراسة المقدمات التى أدت بالأمس الى نتائج بذاتها وتوقع منه اذا وضحت له هذه المقدمات أن تؤدى الى النتائج نفسها فى المستقبل كما أدت الى مثيلاتها فى الماضى .

وهكذا لا يمكن للكاتب الحق أن يكون تابعا يراد له ويساق سوق الأنعام ويستجيب لهتاف هو يعلم انه أجوف أو لدعاية هو يدرى أنها مغرضة مفتونة فارغة وليس لأحد مهما يكن شأنه ولا لجماعة مهما يكن

حجمها أن تسأل كاتبا لماذا يكتب كذا ولا يكتب فى كتب لأنه لا يستنبع فيما يكتب الا ضميره ولا يهتدى فى رأيه الا بهدى الله ٠

لا سيد للكاتب الا الله ٠ وان تسيد على الكاتب شخص أو جماعة أو غرض شخصى ضل طريقه ٠ ونميع حديثه ٠ واتسم أسلوبه بالبهتان والمخادعة والختل ٠ والقارىء يستطيع فى لحظة وامضة أن يكشف أمره ويتبين مينه ويتعرف على المداجاة فيما يقول ٠

وللكاتب وحده حق اختيار الوسيلة التى يقدم بها حديثه الى قارئه فقد يختار الرواية أو القصة أو المسرحية أو المقالة أو القصيدة ان كان شـــاعرا ٠

وليس للقارىء حق عليه الا أن كاتبه صادق مع نفسه لايدفعه الى كتابة ما يكتب الا الصالح العام ٠ فان مال عن الصالح العام الى الصالح الخاص فمن حق القارىء أن يرفضه ٠ وان أحس أنه يعبر فيما يقول عن رأى غيره ٠ رأيه له فللقارىء ان ينصرف عنه ٠

وللقارىء دائما وفى كل الأوقات أن يناقش الكاتب الرأى وله دائما وفى كل الأوقات أن يكون دقيقا كل الدقة فى هذا النقاش ٠ أما السباب والتوقح والغمز واللمز والتنابز بالألقاب فذلك شأن الأطفال الجهلة الذين أخطأهم العلم وتخلف عنهم الخلق ونكصوا عن التحضر ٠

ولقد أعلم ان قوما يقولون لماذا يكتب الأدباء فى السياسة فأعجب غاية العجب ٠ فالسياسة ــ فيما أعلم ــ شأن الناس جميعا فى كل مكان من الأرض ٠ يمارسها الأحياء كما يمارســون الحيــاة ٠ فاذا لم يناقش السياسة صاحب القلم فمن ؟

وانى أسأل هؤلاء الســائلين ٠ هل الأدب موســيقى ٠ فالموسيقى أيضا تحدثت فى السياسة ٠ أم الأدب ألفاظ وترنيمات وتهويمات ففى أى شأن تستخدم هذه الألفاظ وتلك الترنيمات وهاته التهويمات ان لم يكن فى شئون المجتمع والأمة وآماله ٠

اننا اذا كتبنا فى أى شأن من شئون الحياة فنا كان هذا الشــأن أم تاريخا أم علما فان السياسة تحتوى كل ما نكتب ٠ لأن الفن انما خلق لامتاع الناس ٠ والتــاريخ هو من صــنع الناس يرويه الماضى للحاضر

لينتفع به الناس فى مستقبلهم • والعلم لايكون علما اذا لم ينتفع به الناس •

ان الحياة كلها تعمل من أجل الحياة • وحياة الناس لا تسير بغير السياسة • ففيم اذن يكتب الكاتب اذا هو لم يكتب فى السياسة •

وانى لأسأل ثانية هل علم هؤلاء السائلون قوما بذاتهم لهم وحدهم أن يتحدثوا فى السياسة بحيث يقتصر الحديث فيها عليهم وحدهم • فمن هؤلاء ؟ أيكونون الوزراء ؟

انهم لا يستطيعون أن يتقدموا خطوة واحدة اذا هم لم يعرفوا نبض الناس ومشاعرهم • والكاتب هو لسان هذا النبض وتلك المشاعر •

أيكونون أعضاء مجلس الشعب والشورى فى مصر • والمجالس التشريعية بمختلف صورها فى الدول الديموقراطية الأخرى •

اذن فمن هؤلاء الأعضاء ؟ أليسوا ممثلى الشعب الناظرين فى شئونه فمن ينقل اليهم رأى الناس قاطبة اذا لم يكن الكاتب من هؤلاء الذين من حقهم وحدهم أن يتكلموا فى السياسة • وليس لغيرهم أن يتكلم معهم فيها •

ان الذين يثيرون هذه الأحاديث يتركون صلب الأمور وأسسها ليتكلموا فى هزيل من الشئون لايفيد ولايغنى •

أنا أنتظر نقاشا فيما أقدمه من آراء ثم يمضى يوم أو بعض اليوم وأعرف الصدى • أما الأغلبية الكاثرة فراضية والحمد لله سبحانه وتعالى • وأما الأقلية فتسب وتلعن وتصطنع من الألفاظ أحقرها فازداد أنا رضى وحمدا لله فقد أصبت المغرضين المنتفعين حيث أردت أن أصيب • ولكنى كنت أتمنى أن يشفعوا السب بالنقاش والشتيمة بالجدل فحين لايتحقق لى ما أتمنى تملأنى الثقة أنهم لايجدون لحجتى ردا ولا يطيقون لمنطقى دفعا فينشال منهم من ينشال وينهبد منهم من ينهبد ولا يزيدون عن السباب البذاء والعويل والبكاء وهذا ميدان يتقنه الأطفال ويعف عنه

الكبار . وما داموا قد ارتضوه لأنفسهم فهم أدرى بمكانتهم وهم بأقدارهم أعلم .

وأما الذين دفعونى الى كتابة هذا المقال فهم أولئك السذج أو الخبثاء الذين يثيرون ذلك السؤال المضحك الأرعن والأحمق ما شأن الأديب بالسياسة .

والى هؤلاء أسوق مقالى وأرجو أن أكون قد أجبت ولكنى مع ذلك لا أتوقع أن أجدهم قد اقتنعوا جميعا فالأمر لم يكن محتاجا منى لهذا الجهد لو أنهم كانوا فى سؤالهم صادقين مع أنفسهم أما ان كان نفر منهم قليل يسأل أو يتساءل عن براءة وحسن طوية ونقاء ضمير فانى واثق أنهم الآن قد تبينوا الأمر وهم وحدهم يستحقون ما قدمت لهم من حديث والله وحده هو ولى التوفيق .

١٩٨٥/٦/١٦ الأهرام

ولا حتى جاهليـة !

كانت الجاهلية ضربا موبقا من الحيـاة · كانت مجتمع الانسـان المنسحق حتى هو بضاعة تباع وتشترى · ثم هو بعد أن يصبح عبدا يصير شيئا لصاحبه أن يصنع به ما يشاء بما فى ذلك القتل · وكانت الجاهلية مجتمع الانحلال الخلقى حتى سادة العرب يتاجرون فى الأعراض تحت الرايات الحمر تخفق بانهيار الشرف وضياع الحياء وغيبة النخوة وسقوط الكرامة ·

وكانت الجاهلية مجتمع الرجل فله أن يتزوج ما شاء من النسـاء بغير حدود الى جانب الجوارى يتسراهن · فاذا كنت سمعت عن امرأة ذات قيمة فى الجاهلية فقد استمدت قيمتها من شخصيتها هى لا من حقوقها الاجتماعية · وحين جاء زواج الأربعة كان تحديدا لا اباحة فقد كان العدد مطلقا بلا حدود ·

وكانت الجاهلية مجتمع السيف والقتل وقوة الحيوان · فلا يعيش فى أنحائها الا صاحب القوة والسلطان المستمد من السلاح فردا كان هذا القوى أم قبيلة أم جماعة من القبائل ·

وجاء الاسلام فاندكت هذه الأركان جميعا ·

فلا عبيد ولا سـادة · « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » صدق الله العظيم سورة الحجرات الآية ١٣ وهذه الآية وحدها من شأنها أن تكون بركانا يقضى قضاء ماحقا على مجتمع السادة والعبيد · أيكون أكرمهم أتقاهم · ولا أغناهم ولا أقواهم ولا أكثرهم جاها وعـددا وجبروتا وطغيانا فتلك اذن هى الطامة الكبرى وتلك هى نهاية زمان وبداية زمان · فلا عجب اذن أن يفعل طغـاة العرب ما فعلوا وجاء الاسـلام « ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وسـاء سبيلا » صـدق الله العظيم الاسراء الآية ٣٢ ·

اذن فقد ضاع أيضا ذلك المصدر الضخم من مصادر المال ونكست الرايات الحمر وأصبحت هباءة عدما تحرم باعة الأعراض والشرف من

تجارتهم الدنسة وتنضب ينابيع المال التى كانت تنسكب عليهم من هاته الخيام المنكرة الذميمة ٠

وجاء الاسلام فاذا هو يرفع نور السلام على العالمين « لهم دار السلام» النساء ـ ٩٤ ، ويقول تعالى فى سورة يونس « دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام » ٠ ويقول في سورة الحجر « ادخلوها بسلام أمنين » ويقول فى سورة طه « والسلام على من اتبع الهدى » ويقول فى سورة ق « ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود » ويقول فى سورة الحشر « هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام » ويقول فى الفرقان « ويلقون فيها تحية وسلاما » وفى سورة الواقعة « الا قيلا سلاما سلاما » فهو دين السلام اذن فلا عدوان ولا اعتزاز بالسيف على غير حق ولا اغارة عن الآمنين ٠

وحين رفع الاسلام السيف رفعه من أجل السلام واستتب به السلام فلم يفتح دولة الا ما كان يتوقع منها أن تهدد الآمنين من شعوبه ولم يرغم فردا على الاسلام وانما هو سلام سلام ومن يرغب فى اعتناقه عن اقتناع واقبال فأهلا ومن يبتغى البقاء على دينه فأمن هو مطمئن وسلام عليه سلام ٠

واندثرت الجاهلية وزالت معالمها ولم يبق من آثارها الا ما يرضاه الاسلام ٠ وعلى المدى التاريخى لم يكن هناك عهد كله شرور فلا بد أن تكون هناك اشعاعات من نور فى دامس الظلام ٠ فما بعجيب أن يبقى من الجاهلية النجدة والشجاعة واغاثة الملهوف واعانة المحتاج ورعاية الجار واكرام من علت بهم السن ٠

ومرت الأجيال فأين نحن اليوم من الاسلام ومما بقى من أخلاق فيها سجاحة وان كانت الى الجاهلية تنتسب ٠

الظلام يلف العالم الاسلامى أجمع فلا ضياء من الاسلام ينير سماءه ولا بصيص من شرف يومض بين جنباته ٠ القتل والدمار والسرقة والانتهاب والبغى والعدوان ٠ والهول المبيد ٠ والفرقة والتنابذ والشقاق والتناحر والمسلم يقتل مسلما ٠ والجميع يقتلون الحق والاشراق والسلام والايمان ٠

الدول تنخذ من الدول عبيدا ٠ وبعد أن كانت العبودية لأفراد أصبحت العبودية لجماعات بأسرها ولأوطان بأكملها ٠ وانظر الى أفغانستان

والى دول المسلمين صامتة راضية وانظر الى سوريا وما تصنعه بلبنان والى لبنان وما تصنعه جماعات منها مسلمة بجماعات منها مسلمة · وانظر الى تلك الداهية الدهياء فى العراق وايران · وهذا النكبة النكباء المسماة القذافى ·

اين هذا من الاسلام ؟ بل وأين هذا من الجاهلية ؟ ويل للعالم · أهو يتقدم أم يرجع القهقرى الى أحط عهود الانسانية وأشدها وبالا وأتعسها حالا ؟

أيشب الانسان الى القمر بعلمه وينحدر الى القرود بخلقه ؟

كيف يتحطم لمنطق ويتهشم بهذه الصورة البشعة ؟

ما كان أغنانا عن القمر اذا كنا لا نستطيع أن نحافظ على الأرض ·

واذا نظرنا الى مجتمعنا هذا المصرى الذى نعيش فيه طالعتنا الدواهى الآخذات ·

لقد تحطم فى مصر الكثير الكثير مما كانت تعتز به مصر · المسلم ينسى اسلامه ويسرق ويرتشى وينير الفتنة ولا يرعى الله ويعبد المال وكأنه سيصحبه معه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ، أو المسلم يغالى فى دينه ويبالغ مبالغة مفتعلة مصطنعة ناسيا قوله تعالى « لاتغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق » النساء ١٧١ وقوله مرة أخرى فى الآية ٧٧ من سورة المائدة « قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق » يريدون ان يتخذوا الدين وسيلة الى سلطان الدنيا · بئس ما يبيتون · والله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وهو سبحانه يدرى أن بعضهم بل بعض زعمائهم منغمسون فى الغى الى الأذقان لا يتورعون عن الموبقات ما ثقل منها وما هو أقرب ما يكون الى الكفر · يتظاهرون بالورع وهم فيما يظنونه خفاء يرتكبون الكبائر لا يعفون عن أغلظها شأنا وأحطها قدرا ·

وأين الجاهلية بما أجاز الاسلام من بعض أخلاقها ؟ أين النجدة والشجاعة واغاثة الملهوف واعانة المحتاج ورعاية الجار واكرام الكبار ؟

وأين لغة القرآن ؟ وأين لغة العرب ؟

أما النجدة فأغلب الظن أن كثيرا من القراء لن يعرف معناها وهو يقرأها الآن ٠

وأين الشجاعة وقد أصبح النفاق هو سمة العصر فلا تسمع كلمة حـق الا من النادرين القلة الذين لا يزالون يعتبرون أن الكلمة عرض وشرف ٠

وأين اغاثة الملهوف وأنت تجـد الموظف يأبى أن يؤدى وظيفتـه الطبيعية الا اذا أصاب ما لا يجوز له من مال ويسميه اكرامية وهو عند الحق رشوة ٠ وهل لمرتش أن يغيث ملهوفا ٠ كيف ؟ شرف وخسـة لا يجتمعان ، كما لا تجتمع الأمانة مع السرقة أبدا ٠

وأصبحت رعاية الجار عدوانا على أمن بيته بالأصوات الصارخة من أدوات الاعلام أو من أبواق السيارات هذا اذا لم يتمثل العدوان فى تشابك بالأيدى أو الألسنة ٠

وما دمنا لا نرعى شـأن الجـار اللصيق فما بعجيب أن نسكت عما يحدث لأخواننا فى الاسلام فى بلغاريا والاسـلام قربى ونسب ٠ فما بالنا لم نر دولة من دول الاسلام حركت ساكنا لنصرة أخوتها فى الاسلام ولو بقطع العلاقات مع بلغاريا ٠

لقد كان العرب سباقين الى قطع العلاقات مع زعيمتهم مصر لأنهـا استردت أرضها ولأنها وقعت معاهدة كامب ديفيد التى يلهثون اليوم جميعا الى معـاهدة قريبة منهـا فتنقطع أنفاسهم وتنغلق دونهم الطرائق وتسد أمامهم المسالك ٠

وحين يقعد بهم العجـز لا يجـدون متنفسا لغيظهم الا سب مصر وكامب ديفيد فعل الثعلب الذى لم يصل الى العنب فراح يصب على العناقيد جام غضبه ٠

أيقطعون العلاقات مع مصر لأنهـا انتصرت لهم ورفعت ذكرهم فى العالمين وأسعار بترولهم فى دنيا المال وجعلت أنوار الاسلام تتلألأ فى أنحاء العالم أجمع ، ويبقون على صلاتهم وعلائقهم مع روسيا وهى تدك المسلمين فى أفغانستان ، ومع بلغاريا وهى تنكل بالمسلمين المسالمين فى ربوعها ٠

أمثل هؤلاء ننشد عندهم رعاية الجار . أليست مصر جارا لهم ، وأما لثقافاتهم ومصدرا لعلمهم وفنهم ومجدهم فى أنحاء العالم المتمدين كله . مصر الأزهر ، مصر المآذن يقطع المسلمون علاقتهم بها ويبقون على علاقاتهم مع الذين يبيدون المسلمين فى أفغانستان وينكلون بالمسلمين فى بلغاريا .

لا ورب الكعبة .. لا والحرمين .. لا اسلام فى هذا ولا حتى جاهلية الأخاء والنجدة .

واليوم نحن فى أعقاب عيد اسلامى نصطنع الفرحة على وجوهنا . ونتبادل المعايدة أمما وأفرادا وأصيح مع المتنبى :

عيد بأية حال عدت ياعيد
بما مضى أم لأمر فيك تجديد

فان تكن عدت بقدميك فلا فرحة لنا فيك وان كنت عدت لأمر فيك تجديد فلنقل البيت القديم :

منى ان تكن حقا تكن أعذب المنى
والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

الأهرام ١٩٨٥/٤/٢٣

أدب مشـــاهد ..

مشـــاهد .. لا ناقد !

الآن وقد هدأ الصخب وانفض المولد نستطيع أن نلقى نظرة متأنية على برامج رمضان .

ويقتضينا الحق أن نقدم الشكر للسيدة الفاضلة سامية صادق على الجهد العظيم الذى بذلته والذى كان من نتيجته تقديم كل هذه البرامج الحاشدة الممتازة فى شهر رمضان المبارك . وانى واثق أن الله سيجزيها خير الجزاء لقاء ما أمتعت الناس فى هذا الشهر الكريم حتى لقد جعلت كل يوم من أيامهم أمام التليفزيون عيدا وبهجة ومتعة شريفة سامية .

ولنبدأ بالفوازير .. يظن كثير من السطحيين ان الفن الرفيع لابد أن يكون مكشرا عن أنيابه غاضبا مقطبا ، وينسون ان الفن امتاع كريم يتسلل الى نفس المتلقى عن طريق مزدهر الجانبين فواح العبير ويرسى فى حناياه ـ دون أن يشعر ـ المعانى الرفيعة فى الحياة ولذلك يرفض الفن الخطب الرنانة والموعظة المباشرة والنصيحة المجردة .

وهكذا يمكن أن نقول ان الفوازير قد حققت هذا الامتـاع الفنى والجمالى معا . وانى أهنىء مخرجها أولا فهو يتمتع بموهبة فريدة تستطيع أن تجمع كل هذه المجالات التى شاهدناها فى باقة واحدة متناسقة طيبة الأريج وضاءة الألوان . ولا شك أن المخرج كان موفقا غاية التوفيق أن قدم لفوازيره بكلمات شيخ شعرائنا المعاصرين طاهر أبو فاشا وبصوت عملاقة الفن الاذاعى والتمثيلى زوزو نبيل أطال الله حياتها وعملاق فن الالقاء عبد الرحيم الزرقانى رحمه الله وأكرم مثواه .

وانى لا أستطيع أن أفصل ولكننى لابد أن أهنىء الموهبة الجديدة شريهان وأدعو الله إن يكرمها ويثبت أقدامها على الطريق القويم .

ثم انتقل الى ذلك المخرج العظيم يحيى العلمى وأقدم له أصـــدق التهنئـــة على توفيقه فى تقديم أعمـــال الكاتبة العظيمة صاحبة الأسلوب

الرفيع سناء البيسى . ثم أقف لاهنىء ذلك العملاق الشرقاوى الذى صعد الى سماء النجوم بقدرة فنيه معجزة أحمد زكى ما هذا يابن ديارنا . كيف استطعت أن تسيطر على فنك بهذه القوة وبعظمة الفن وحده اننى كشرقاوى مثلك أتيح لنفسى أن أفخر بك . بل اننى كمصرى بل كعربى اعتز بك .

أما سعاد حسنى فقد كانت فى قمتها وما هذا عليها بغريب . فان الفنان أو الفنانة لاتصل الى القمة على هواء وقد بلغت سعاد حسنى قمتها على الشاشة الكبيرة فما بعجيب أن تظل على القمة فى الشاشة الصغيرة أيضا .

ثم انتقل الى هذا العمل الفنى البـاذخ الذى قدمه الكاتب الكبير سعد وهبه والذى أسماه بذكاء « تحقيق صحفى » فكان تحقيقا صحفيا فى غاية الصدق والجمال الفنى فى حوار أخاذ رفيع . ولم ينس الكاتب المسرحى غريزته المسرحية فسلك التحقيق بقصة بوليسية جمعت نثاره ولملمت شمله .

ثم أنا أهنىء كل الممثلين فى هذا المسلسل الذين استطاعوا أن يصمدوا بين جبلين سامقين من الفن هما سميحة أيوب ومحمود مرسى . فقد استطاع الممثلون الآخرون أن يصمدوا لأعاصير الفن الرفيع التى أحاطت بهما من القمتين الشاهقتين . أما محمد فاضل فقد تفوق على نفسه وأشهد أنه قدم فى هذا المسلسل فنا رفيعا هو الذى نتوقعه منه بما له من موهبة سامقة وخبرة عريضة .

وحين نذكر الشهد والدموع لابد لى ان أشكر الأستاذ الدكتور عبد القادر القط الذى كتب عنها فى الأهرام منذ قرابة أسبوعين مقالا فى غاية الروعة أغنانى عما كنت أريد قوله للمؤلف أو عن كثير منه على الأقل . ان المؤلف الأستاذ أسامة أنور عكاشة صاحب موهبة لاشك فيها وقد استطاع بهذه الموهبة ان يكتب عملا جذابا . ولكن لماذا يا أخى جنحت الى هذه المبالغة العنيفة التى ترفضها الحياة بل ويوشك الخيال ان يرفضها أيضا . أعلمت فى حياتك أخدا يحوى كل هذا الشر وكل هذا الحقد وكل هذه الدناءة . وهناك شخصية حيرتنى بصورة مذهلة . تلك الشخصية التى قدمتها فى صديق يوسف شعبان . أنا ما عرفت فى حياتى ولاعرف الانسان أحد يصنع الشر لوجه الشر دون غاية أو مطمع الا عمل الشر .

وقل لى بربك لماذا قدمت لنا خالد زكى ذلك الوجه الحبيب الى الناس القريب الى قلوبهم فى هذه الصور المقيتة الكريهة • لقد كانت نفوس الناس تمتلىء بالكآبة كلما لاح لهم وجهه على الشاشة •

وبعد فالذى لا شك فيه أن اقبال الناس على هذا المسلسل قيمة فى ذاته ونجاح • والمؤلف لا شـك يملك الأداة فمن حقنا عليه أن نطالبه بما لا نطالب به غيره ممن يستحق التعليق أو التنويه •

وما وجهته للمؤلف أوجهه للمخرج اسماعيل عبد الحافظ فالعمل مسئوليته أولا وأخيرا ومن حقه علينا أن نهنئه بكل ماعدا ذلك من مناظر ونقلات واتقان فى التمثيل من جميع المشتركين معه فى المسلسل لا أستثنى منهم أحـدا •

أما مسلسل لا اله الا الله فهو عمل رائع ولا عجب فالمؤلفة من أرسخ الناس قدما فى الأعمال الدرامية ونستطيع أن نقول فى ثقة ان أمينة الصاوى هى التى أدخلت فن المسرحة الى الدراما المصرية منذ الخمسينيات وقد أدخلتها بمقدرة فائقة وبقلم متمكن واثق •

المادة التاريخية والمادة الدينية أشرف عليهما المتخصصون وليس من حق أحد أن يناقشهما الا أن يكون متخصصا وعلى نفس المستوى الرفيع الذى تحقق فى المراجعين •

أما نحن فمن حقنا وربما كان من واجبنا أن نناقش العمل الفنى الدرامى وقد كانت أمينة الصاوى غاية فى البراعة واستطاعت أن تجعل من المادة التاريخية عملا جذابا تتشابك فيه الصراعات ويتصادم فيه الحرص على الدنيا والحرص على الآخرة كما استطاعت أن تقدم الحب والكراهية والمؤامرات والصداقات والخيانة والوفاء كل هذا فى لغة عربية جزلة سهلة رفيعة •

أما الممثلون فكثير منهم من القمم الرفيعة فى حياتنا الفنية وقد كانوا جميعا غاية فى التوفيق ولكننى أعجبت بأحمـد ماهر وأعتقد أنه بـدأ صعوده الى القمة •

وأعتقد أن السيدة العظيمة كريمة مختار فى غنى عن أى اشادة فهى شخصية أراد الله سبحانه أن يحالفها التوفيق فى كل أعمالها الفنية

أما المفاجأة التى طالعتنى من هذا المسلسل فهى صفاء أبو السعود فقد عهدناها تقوم بالأدوار الخفيفة الظل كدور الفتاة الرعناء أو الضاحكة فاذا بها تتكشف فى هذا المسلسل عن ممثلة من الطبقة الرفيعة قادرة معبرة تعطى كل كلمة حقها من الحركة والاشارة والايماءة فى شموخ ملكة وفى صفاء الزوجة المحبة وفى نقاء الأم ذات الامارة وفى ذكاء السياسية البارعة. ثم هى تنطق اللغة العربية فى سلامة مذهلة وكأنها لا تتكلم الا العربية فى مألوف حياتهـــا .

والمسلسل الدينى الآخر للكاتب الكبير العظيم الأستاذ محمود شعبان كان جديرا أن يعرض فى وقت غير الذى كان يذاع فيه فهو من الأعمال الرائعة التى يحق للتليفزيون العربى أن يفخر بها وكم أرجو أن يعاد عرضه فى موعد يتـاح فيه للجماهير أن تشـاهده وتعجب به كما شـــاهدناه وأعجبنا به .

وبعد فأنا أكتب هذا الحديث ومازالت حلقات بردبس تعرض والذى شاهدته من حلقاتها يستحق أن أهنىء عليه أخى الكاتب الكبير ابراهيم الوردانى وصديقى مصطفى محرم كاتب السيناريو وصديقى المخرج المتألق فايز حجاب . وليس بغريب ان تكون قصـــــة الوردانى جذابة قوية ولا بغريب أن يحسن فايز حجاب اخراجها . ولا بعجيب أيضا أن يوفق الكبار نبيلى وأحمد مظهر العظيم والذى بلغ السماء فى مسلسل الا اله الا الله وحسن يوسف والموفقة الدائمة التوفيق كريمة مختار . ومصطفى فهمى وعايدة عبد العزيز القديرة الثابتة الأقدام دائما .

وبعد فما أنا بناقد فنى وانما أنا مشاهد قدر لى ان أقبع طوال شهر رمضان منذ الظهيرة فى بيتى واستطاع التليفزيون أن يجذبنى اليه طوال الشهر . وأعتقد اننى أكون جاحدا منكرا للجميل اذا لم أقل لكل هؤلاء الذين عشت معهم شهرا ســـعيدا ممتعا شـكرا . وهم بهذا الشـــكر جديرون .

الأهرام ١٩٨٥/٦/٣٠

معـذرة .. شكسبير

فالأمر الذى لا شك فيه انك علمت ما صنعناه بك فانت الآن روح بلا جسد وأغلب الأمر أن روحك تتابع مسرحياتك حينما تمثل هـذه المسرحيات يعينك على ذلك أنك تخلصت من قواعد الجسوم وابتعدت عن دنيا الناس .

وأنت رأيت ما صنعه بك التليفزيون المصرى منذ بضعة أيام . ولكن دعنى أروى للناس ما صنعه عباقرة المسرح بنا نحن المشاهدين العزل الذين لا نملك لسيطرتهم التليفزيونية دفعا أو دفاعا . وانما ينفردون بنـا ويصبون علينا جام عبقريتهم فى ظلم لا يعرف الرحمة وفى قسوة لا هوادة فيها ولا شفقة .

أعلنوا يا شكسبير أنهم سيمثلون رواية من خوالدك فى التليفزيون فانتعشت بنا الآمال وأعددنا أنفسنا لمشاهدة شكسبير .

وجاء الموعد وبدأ عرض المسرحية . ويل للخالدين . ما هذا الذى يصنعونه بشكسبير . ولأى فئة من الناس يقدمون أعماله ومن هؤلاء الذين سيشاهدون شكسبير باللغة العامية ويحمدون ما يشاهدون .

أى استخفاف هذا الذى يأخذون به الأعمال الجادة الرفيعة . اذا كنا لا نريد أن نحترم شـكسبير أفلا نحترم لغتنا العربية على الأقل . ولكن لا . ما الى اهانة شكسبير قصدوا . وانما المقصود بالاهانة هى اللغة العربية ذاتها . فهكذا استقر بهم الرأى . ان التقدمية والحضارة والسمو ومواكبة الزمن لا تكون الا بتحطيم اللغة العربية . واصطناع العامية وقد استطاعوا بصوتهم الجهير النكير أن يجذبوا الى ميدانهم العامى كاتبا أكن له كل احترام وتقدير وهو الدكتور سمير سرحان الذى اختار العاميـة ليترجم بها شكسبير وهو شكسبير . والدكتور سـمير سرحان من القلة النادرين الذين يعرفون قدر شكسبير كل المعـرفة والذين يجيدون لغتهم العربية كل الاجادة ولست أدرى ما الذى حدا به أن يختار العامية ليترجم بها شكسبير . ولست أدرى أيضا لماذا قبل التليفزيون اذاعتها . أغلب

الظن أن الدكتور سمير أراد أن يجدد شكسبير وأن التليفزيون المصرى اراد أن يكرم العامية ويبالغ فى تكريمها لأنه يرى العربية غير جديرة بالتكريم لأنها أصبحت شيئا قديما باليا لا يصلح لغة للحديث ٠

وربما خشى التليفزيون المصرى أن يرميه الجمهور بالثقافة فينصرف عنه ويبتعد عن مشاهدته كأن التليفزيون قد أصبح فجأة شركة انتاج سينمائية تخشى ألا يشترى المشاهدون التذاكر وتصبح الخسارة خسارة مادية وكأنى بالتليفزيون قد ضحى بالمكسب الثقافى ليضمن الربح المالى ٠ وتلك اذن عجيبة ٠ فالذى أعرفه أن هذه المسرحيات تباع الى الدول العربية والذى لا شك فيه ان اللغة العربية أيسر عن هذه الدول من اللغة المحلية المصرى ٠ والذى لا شك فيه أيضا أن الشعب المصرى يفهم العربية ويقرأ بها صحفه ويسمع بها نشرات أخباره فى التليفزيون والاذاعة على السواء ٠

ولكن اللغة العربية مع ذلك أصبحت غريبة فى مصر منذ هجر الأزهر الشريف بناء الأزهر الشريف ومنذ أصبحت دار العلوم وقد انهار الأساس الأعظم الذى كانت تقوم عليه من شرط حفظ القرآن الكريم للانتساب اليها ٠

منذ هذا اليوم الأغبر الكئيب فى حياة مصر أصبحت اللغة العربية بلا دار تحتمى بها وبغير موئل تأوى اليه وجاء التليفزيون بمذيعاته اللكناوات فازدادت اللغة العربية تشردا ثم أسعن التليفزيون فعرض الروايات المترجمة من اللغات الأجنبية باللغة العامية ثم ازداد اليوم امعانا فعرض شكسبير وهو شكسبير باللغة العامية ٠

أنعجب بعد ذلك أن نجد شبابا لا يقوم لسانه ولا يعرف لغته ٠ ولغته هذه هى قوام دينه وأساس ايمانه وعلى صرحها الشامخ وفى قمته يقف القرآن الكريم محفوظا مقدسا بأمر من العلى القدير ٠ مجهول الأصول تختلط معانيه وأوامره ونواهيه عند الشباب ٠ ويريد الشباب أن يكون مؤمنا ولكنه يجهل الطريق الى الايمان لأن صلته باللغة التى يفهم بها قرآنه مقطعة الأسباب ، ممزقة الروابط ، منفصلة الأوشاج ٠ وتبلى مصر بالطامعين فى الدنيا البائعين لآخرتهم بثمن بخس من رغبة فى سلطان فيحرفون كلام الله عن مواضعه ويتخذون منه وسيلة الى عقول الشباب البرىء الساذج ويشعلون الحريق ويؤججون النار ويعينهم جهل الشباب بلغتهم وقرآنهم ودينهم فاذا مصر المسلمة المؤمنة حصن الأزهر وسماء الآلاف من المآذن تصطلى من اجتماع الأغراض الدنيوية الرخيصة بجهل الشباب الفادح ٠

واذا كنا نبكى دما لتفشى الأمية فى مصر · فاننا نبكى دما وروحا وقلبا لتفشى الأمية الدينية عند الشباب · وتفشى الضمير الميت وبيع الآخرة بالدنيا عن المغرضين من مثيرى الفتن ومشعلى الحرائق ·

والايمان أعز ما يملك الانسان فى حياته · على شاطىء منه كريم يرسو المضطرب من حياتنا · وعند مرفأ منه مضيء يشرف ما اعتراه اليأس من آمالنا · وعند حصن منه منيع تلوذ نفوسنا من نزغات الشيطان · ومن اغراءات الحياة · ومن اللذة الهدامة · ومن المال الحرام · ومن الكذب والنفاق والسحت والرشوة وبيع الضمير ·

ولكن المغرضين ممن يدعون بالدين علما وما هم بذاك جعلوا من دينهم ساحة يصحبون فيها الشيطان ويقبلون فيها على اغراءات الحياة من لذة ومن كذب ومن نفاق ومن سحت ومن رشى ومن ضمير مباع ·

ولكن الله أكبر · والعزة له وحده ولا غالب الا هو سبحانه ·

ان فى مصر مشايخ أجلاء قادرون دائما أن يجعلوا الصحيح صحيحا وأن ينفخوا فى الباطل فاذا هو زبد جفاء · ويظل الباطل كما كان وكما سيبقى زهوقا هشيما محطما ·

وقد قال المصابيح الهواة كلمتهم وهم العلماء الأئمة ارتضيناهم للفتيا فى شئون ديننا وأخذنا عنهم علمنا بكريم كتابنا وبالصحيح الثابت من سنة رسولنا ·

وما دعا كتابنا يوما الى الفتنة بل جعلها أشد من القتل وعلى هدى هذه السنن سار سيد البشرية وخاتم الأنبياء ·

أم جعل المغرضون من أنفسهم أنبياء جددا ·· اذن فقد باءوا بسخط من الله وبغضب من رسوله وممن اتبعه باحسان الى يوم الدين ·

ان الأمر جد لا هزل فيه · فمالى اذن أرى وفى التليفزيون أيضا شيخا يختلق قوانين ما أنزل الله بها من سلطان ويجعل من اللمم كفرا ·· أى ردة ··· أى أنه يريد أن يقيم المرتد على مخطىء أو مخطئة فى رأيه دون أن يثبت خطأها فى عرف جمهور الفقهاء ولا كبار أئمتهم ·

ان انشاء الجريمة لا يكون الا بنص صريح من القرآن ذاته ·

ولا يجوز فيها قياس ولا استصحاب ولا استحسان ولا اجتهاد فانه لا جريمة ولا عقوبة الا بنص ٠

اذن فهم لم يكتفوا أن يجعلوا من أنفسهم أنبياء جددا ويريدون أن يصبحوا آلهة أيضا ٠ أم نراهم لم يقرأوا ما جاء في معنى الحديث النبوى الشريف : « من حلل حراما أو حرم حلالا فليتبوأ مكانه في النار » أو كما قال : فان لم يكونوا قرأوه أو عرفوه فقيم تصديهم للفتيا وقيم جرأتهم على حدود الله وكيف تبلغ بهم القحة أن ينشئوا جرائم تترتب عليها حدود منها اعدام النفس التي حرم الله ايذاءها الا بالحق ٠

اللهم ياذا الجلال ٠ نشهد أنه لا اله الا أنت ونشهد أنك قلت تعاليت وتعالى قولك : « اليـــوم يئس الذين كفـــروا من دينـــكم فلا تخشوهم واخشونى ٠ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » من الآية ٣ سورة المائدة ٠

اللهم ياذا العزة أنت وحـــدك القهار فوق عبادك وأنت القادر على الفاسقين من عبادك وأنت وحدك تعلم ما لا نعلم ومالا أحد يعلم سبحانك انك أنت العزيز القدير ٠ بشيرا ونذيرا ومبلغا وليس ليكون فتنة بين الناس وهولا أخذا ٠ ألم يقل الله لنبيه ٠٠ عليك البلاغ وعلينا الحساب ٠ أو لم يقل في قرآنه على لسان نبيه هل كنت الا بشرا رسولا ٠ أو لم تتواتر الآيات بهذا المعنى عشرات وعشرات ٠

فما لهؤلاء يريدون أن يصبحوا زعماء ســـياسيين شعارهم السلاح وليس الرأى ٠ والعدوان وليس الكلمة ٠ ألم يكن الله بقادر على أن يفنى الظالمين أجمعين ٠ ويقمعهم أن يعذبوا المؤمنين ما عذبوهم ويعتـــدوا على سيد البشر عدوانهم الهمجى الحقير فلم اختار الله الكلمة لخطاب هؤلاء ولم أمر نبيه أن يبلغ ويكتفى بالبلاغ ٠

لأن الدين عقيدة والعقيدة صلة انسان بربه ٠ وهى صلة حرة من كل قهر ، نزيهة عن كل ارغام يمد الانســـان أسبابه الى ربه بشـــهادة لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وبالصلاة فروضا موقوتة وبالصيام اذا انتفت رخص الافطـــار وبالزكاة كما شرعها العزيز الحكيم وبالحج لمن استطاع اليه سبيلا ثم يتقرب الانسان الى سماوات ربه الرحمن الرحيم

بهمسة الدعاء وبعبرة الايمان وبرعشة الخشوع وبنور الطمأنينة وبالخوف من عذاب السعير وبالطمع فى عز الجنة ٠

هكذا هو الاسلام صـــلة فرد واحد تزدهر وتنمو وتتمكن وتثبت وتطمئن وتنغرس فى داخل النفس لا يعلمها الا الواحد الأحد الذى يعرف خائنة الأعين وما تخفى الصدور ٠

أين أنتم أيها المتطرفون من هذه النفس ومن تسبيحها ودعائها ومن الخيوط الحريرية المتينة متانة الايمان وقوته تربط بين عبد وربه لا يراها الا بارىء النفوس وقيومها سبحانه وتعالى عما تصفون ٠

أين أنتم مما بين مسلم واسلامه ، وبين عابد ومعبوده ، وبين مخلوق وخالقه ، وبين من فرض الفرائض وبين من أداها ٠ اذا أخلف واحدة منها فحسابه هناك عند صاحب الأمر على الكرام الكاتبين فلا حسنة ولا سيئة الا هم محصوها والحكم بعد ذلك للواحد القهار هو أحكم الحاكمين الغفور ذو الرحمة المتين ٠

أتريدون أنتم فى بشريتكم الهزيلة هذه أن تتهموا وتقيموا الادعاء وتنزلوا العقاب على من لاتعرفون أى حبال صلبة متينة تربطه برب العرش أين أنتم من ذاك ٠ ومن ارتضاكم لتكونوا حـكاما وكيف ســـولت لكم أنفسكم أن تقتعدوا منازل الأنبياء أو حتى الصديقين ٠ بل اننى أراكم تريدون من أنفسكم آلهـة ٠ شـــاه ما تظنون وما تبيتون أن يكن المال المنسكب عليكم يزين لكم السوء الذى تفعلون فاعلموا ان كنتم لا تعلمون أن هذا المال من بشر ٠ والبشر لا يستقر على حال ٠ فكم من أصحاب أنهار وعيون وجنات كانوا فيها فاكهين أبدلهم ربك قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ٠

هو سبحانه على سادتكم قادر ٠٠ وهل قادر الا هو ٠٠ يمحقهم قبل أن تكمل عين طرفتها ٠ فما أنتم منه الا هباء وما شأنكم عنـــده أو عند المؤمنين الا بوارا ولا يبقى من آثاركم الا عبرة الأولين للآخرين وسبحان رب العزة عما تصفون ٠

١٩٨٥/٧/٧ الأهرام

الحلف الخائن

كم من عجائب نقرأها في هذه الأيام العجيبة حتى لقد أصبحت على يقين أن أيامنا هذه غريبة على الازمان . التوى فيها كل طريق وتكاثرت فيه الثنايا حتى لقد أصبح الطريق القويم شريدا لا يجد له بيننا وطنا أو مستقرا .

قرأت فيما قرأت كاتبا مسئولا عن الجريدة التي يعمل بها يعلن في وضوح باسم حزبه أن حزبه يعاون الأحزاب الشيوعية السرية ومع أن الدهشة أصبحت بعيدة عن نفسي كل البعد في زماننا هذا زمن العجائب الا أنني مع ذلك دهشت أن يعلن رئيس تحرير أنه يرتكب جريمة يعاقب عليها القانون . ولذلك فانني أعاهدكم أنني لن أدهش اذا قرأت لهذا الكاتب أو لغيره من تجمعه أنه يتاجر في المخدرات أو يوزع حبوب المغيبات .

وفي الجملة التالية لاعلانه عن ارتكابه لهذه الجريمة يقول الكاتب أنه وحزبه يعاونون الجماعات الدينية المتطرفة . وهكذا استطاع بجملته هذه أن يمحو الدهشة التي انتابتني في جملته الأولى لأواجه الذهول من اعلانه في جملته الثانية .

كيف يجتمع طريقان كل منهما يتجه الاتجاه المضاد للآخر . كيف يلتقي المغالي في دينه المتطرف في عقيدة الايمان ، مع الملحد الرافض لفكرة الايمان جميعا يدعي أنها ساذجة سطحية نعتقد عن جهل بالغيبيات التي لم يثبتها العلم .

ان النظرية الشيوعية لايمكن أن يقوم لها أساس الا اذا هدمت فكرة الدين جميعا أيا كان هذا الدين .

والمتطرف الديني يرى بنظرة متطرفة رعناء أن كل قانون غير قائم على الشريعة الاسلامية كفر والحاد . حتى ولو كان قانون أرشميدس أو قانون العرض والطلب .

فكيف يتحالف النقيضان ويتوحد الطرفان المتباعدان المتباغضان ·

كيف يؤيد الشيوعي الملحد هذا المؤمن الذى يغالى فى ايمانه ويبالغ فيه ويبالغ حتى يخرج به عن الايمان السوى المطمئن الشريف الى الفتنة والتخريب والدمار ·

وكيف يقبل ذلك المؤمن المغالى أن يحالف ملحدا رافضا لفكرة الله فى جملتها وتفصيلها · أيرفضون أن يروا خلق الله فى ملابس عصرهم ويقبلون الملحدين وهم المرتدون الذين لو طبقوا عليهم الحد الاسلامى الذى يبغون تطبيقه لأوقعوا بهم الجزاء الذى ينهى حيـاة الانسـان جميعا أى حلف ذاك ؟

ما هدفه ؟

على أى أساس يقوم ؟

أما أنه حلف قائم ومجود فهذا ما لا شك · وبعد اعمال النظر وامعان الفكر وتدبر الخوافى نجده حلفا طبيعيا لاداعى معـه الى الذهول الذى تـولانا ·

انه حلف الشيطان مع الكفار · وحلف الدمار مع الخراب · وحلف البوار مع الفساد · وحلف المفتون مع المفتون · ومشعل الفتنة مع الذى يتعهدها ويزيد حريقها لهيبا ونارها وقودا ·

هدف الحلف خراب مصر جميعا · وهذا اجراء لابد عندهم أن يتم بادىء ذى بدء وحين ينتهى ـ ساء مايدبرون ـ ينتهى الحلف بين النقيضين لنبدأ الحروب على الأرض اليباب وفى الديار المنسحقة ويحكم يومذاك ـ لا كان يومذاك ـ أكثرهم شرا وأقواهم مددا وأشدهم ضراوة · والفريقان على أية حال يعتمدان على دول أخرى تغدق عليهم المال والسلام اغداقا والغلبة بعد الخراب والدمار سـتكون لأقوى الدول الداعمة شـوكة وأغزرها سـلاحا ·

وهكذا يصبح الأمر الذى ينتج من حلفهم أن كلا منهما يعين الآخر ليدمر كل منهما الآخر بعد ذلك بعد أن تكون الجماعتان كلتاهما قد خربا مصر ودمراها · لا أنجح الله لهم سعيا ولا فكرا ·

وقد ذكر الشيطان لربه أن سيقعد لعباده طريقهم المستقيم وها هو ذا الشيطان ينفذ وعده ويتلبس في جسوم الشيوعيين وحزبهم وها هم أولئك يقعدون للمؤمنين طريقهم المستقيم ليجعلوهم ينحرفون عنه شر منحرف وليجرفوهم من الاسلام السلام النور والهداية والرحمة والحب الى التطرف الأحمر المخضب بالدماء المتشح بالفتنة الهادف الى التخريب المعتمد على القتل غيلة وبغير الحق · أقدموا عليه فى مقتل الشيخ الذهبى وفى مقتل الزعيم الخالد أنور السادات وهم يقدمون عليه اليوم ليقتلوا مصر جميعها ويوقدوا بين أبنائها فتنة لا يهدأ لها أوار ·

فالشيوعيون اذن يقومون بدورهم المرسوم لهم ولا يخافتون بل يعالنون ولا يتسترون بل يكتبون وينشرون · ولا شك أن الكاتب يوم كتب ما كتب كان يأمل أن تتخذ منه السلطات موقفا فتصادر الجريدة أو تقدمها الى العدالة ولكن السلطات أدركت في ذكاء الضجة التي يريدون أن يثيروها · كما أدركت أنهم يريدون أن يتباكوا على الديموقراطية أنها مست مهما يكن مذهبهم يهدف الى قتل الديموقراطية قتلا لا تقوم من بعده · أليسوا هم من قال كتابهم نأخذ حريتك ونعطيك رغيف العيش · وأخذوا الحرية من شعوبهم قسرا وحرموهم أيضا رغيف العيش والحياة جميعا ·

هم اذن يطبقون نظريتهم وهم اذن قد لبسوا ملابس الشيطان وقعدوا للمؤمنين طريقهم المستقيم · ونالوا بذلك البركة من الحادهم والمال من الدول التى تعينهم وقروا عينا ·· ولكن الى حين فوالله ليرون من الله العذاب المستطير ولينزلن بهم من الأهوال ما أنزله على قوم لوط ونوح والصابئين منذ بداية الزمان ·

وانظر الى شأن المؤمنين · أتراهم يدعون الاسلام وهم لم يقرأوا القرآن · أم تراهم قرأوه فما فهموه أم تراهم ادعوا الايمان وأرادوا أن يجعلوا منه مركبا يصل بهم الى سلطان الدنيا غير ناظرين الى نعيم العليا وجنات هنالك أعدت للمتقين · الذين يهدون قومهم ولا يضلون والذين يخاطبون الناس حسنى أيريدون أن يكونوا من الهداة وهم يعلمون أن القرآن نزل على محمد ليكون ·

١٩٨٥/٧/١٤ الأهرام

نظـــرة فى القوميـــة

الدعوة الى القومية التى يدعو اليها أخونا الكاتب الكبير عبد الرحمن الشرقاوى ليست جديدة عليه وهو مؤمن بها كل الايمان • وهى فكرة فى جوهرها لها وجاهتها ولكننى احتاج فى أمرها الى كثير من التأمل •

فأنا أخشى أن تكون فكرة مثالية نظرية وليست عملية • وحتى تأتى بالثمار المرجوة منها لابد أن تتوافر فى القوى المتضافرة التى تكون الواجهة القومية عناصر مثالية • أو أصبحت مثالية فى زماننـــا هذا • لأن هذه العناصر كان ينبغى أن تكون أصلا والخروج عليه استثناء كريه •

فالأصل أن تخلص المعارضة رأيها للحكومة سواء كانت فى جبهة معها أو كانت فى صفوف المعارضة • والأصل أن تكون المصلحة العامة هى الغاية العليا التى تنشدها الحكومة والمعارضة معا • والأصل أيضا ان تأخذ الحكومة برأى المعارضة اذا اطمأنت الى سلامته ورأت فيه الصالح العام البرىء عن الغرض والبعيد عن الهوى •

هذا هو الأصل • ولكن هذا لايحدث الا فى الأحلام • ومن هنا كان التفكير فى التكتل القومى جديرا بالتأمل •

المعارضة الآن تستغل الشعارات • وتتزايد لتكسب الرأى العـــام وتضحى فى سبيل هذه المزايدة بالرأى القويم الذى تعـــرفه كل المعرفة والذى لا يمكن أن يختلف فى شأنه اثنان على مستوى طبيعى من ســـلامة التفكير والثقافة الاقتصادية والسياسية •

فهل ترى تنوى المعارضة اذا هى اشتركت فى جبهة أن تتخلى عن المزايدة وتخلص وجهها لنفع الوطن ومصلحته العليا •

لكم نرجو هذا •

ولكن حتى يكون هذا ممكنا • أو قابلا للامكان فلابد بادىء ذى بدء أن تكون الجبهة القومية من الأحزاب الممثلة فى البرلمان • فالأحزاب غير الممثلة فى البرلمان رفضها الشعب أصـــلا • فهـو اذن قد رفض فكرها ولم يرض به رأيا يمثله •

فاذا تمت هذه الفكرة القومية من أحزاب البرلمان فهل لنا أن نرجو ان تصدر الآراء من ممثلى الأحزاب ناظرة الى خير الوطن حتى وان أغضبت الجهلاء ومثيرى الشغب ورافعى اللافتات •

هل لنا أن نأمل أن تكون هذه الجبهة بعيدة عن جعل متاعب الشعب ومعاناته تجارة تكسب هى منها هتافات ويخسر بهـــا الوطن مستقبله الاقتصادى • الذى هو مستقبل الشعب •

هل لنا أن نأمل الا تفكر هذه الجبهة فى الوســـائل التى ترضى الجماهير ارضاء أشبه ما يكون بملاعب الأطفال وهدهدتهم بعيدا كل البعد عن المصالح الحقيقية لهذه الجماهير نفسها •

فالجماهير ترفض الدواء المر • والشـــفاء لايـكون الا بالدواء • وتصبح الجماهير واعية بمصلحتها الحقيقية اذا هى وجدت قادة الرأى فيها مجمعين على دواء مهما يكن مرا • ومن هنا تصبح الفكرة القومية جديرة بالتنفيذ •

ولكن كيف نضمن هذا الاخلاص وهذا الصدق ضمانا يجعلنا نقبل على هذه الاجراءات ولابد من هذا الضمان لأن عواقب التجربة اذا فشلت وخيمة تزيد الأمور سوءا ووبالا ، وربما جعلتنا نواجه طريقا مقفلا بدلا من الانفراج والسير فى الطريق الأقوم •

وقد تفضـــل رئيس حزب الوفد فعلق على هذه الفكرة فى جريدة الحزب بما يشبه الموافقة وهذا فى ذاته شىء طيب ولكن رأى حزب الوفد وحده لايكفى • فهو حزب فيه من الكفاءات ما تحتاج مصر الى الرأى منهم والمشورة • ولكن خشيتنا من أحزاب أخرى تحاول أن تقيم لنفسها كيانا جماهيريا وفى سبيل هذه المحاولة تضحى بمصلحة الوطن وهو الوطن •

الا يكون من الأجدى فى هذه الفترة التى نواجهها أن تتهيأ الأحزاب جميعا لهذه الفكرة القومية بأن تخلص الرأى وتقدم آراء بناءة ليس فيها تهريج ولا مزايدة منذ اليوم • أم ترانا نطلب المستحيل • ربما •

اذن مالنا لانعرض لرأى آخر . ما البأس أن تتكون جبهة قومية خارج الوزارة من الشخصيات المرموقة فى الأحزاب ويكون الرأى الذى تجتمع عليه الجبهة ملزما للحكومة بعد أن يعرض على البرلمان . وقد يقال وما الجديد فى هذا ورأى البرلمان ملزم للحكومة بنص الدستور ؟! الجديد أن الرأى حين يتقدم للبرلمان من الجبهة سينظره الأعضاء دون تفكير حزبى ودون تكتلات .

وفى عام ١٩٣٦ تكونت الجبهة المصرية للمفاوضات مع المحتل . واستطاعت أن تصل الى رأى سواء رضى عنه الجانب الأكبر من البرلمان والغالبية العظمى من الشعب .

ونحن اليوم ـ الحمد لله ـ لانواجه محتلا . ولكن علينا أن نواجه أنفسنا وربما كانت مواجهة النفس أصعب مراسا من مواجهة المحتل .

فأنت فى مفاوضة المحتل تعرف أنه عدوك . ولكنك فى مواجهة نفسك وشعبك ستتعرض لمخادعة النفس للنفس وتتعرض للرأى الذى قد يبدو براقا لأن فيه استجلابا لهتاف فاذا أمعنت فيه الفكر وجدته كارثة مظلمة المصير . وأنت أيضا تتعرض للمزايدين المتاجرين بالدين حينا وبالشعارات حينا آخر .

وأنت قد تتعرض أيضا للعملاء الذين يتنكرون فى ثياب الوطنيين حتى اذا كشفت عنهم تنكرهم وجدت نكرا ورشاوى وأموالا أجنبية حقيرة من بلاد يحكمها مخابيل ، أو من أخرى يحكمها طواغيت ، أو أخرى يحكمها أصحاب المذاهب الملحدة الكافرة بالله والوطن جميعا .

هذه الجبهة ستواجه هذا جميعا فان لم تكن صلبة راسية الأصول قادرة على مواجهة شراسة المال الحرام وعنف الخيانة ومراوغة المخادعين الذين يرمون وطنهم على منضدة البيع أول ما يرمون . أصبحت عبثا بلا طائل .

فالجبهة التى تجمع أصحاب الرأى لمواجهة الأزمات التى نتعرض لها لابد أن تكون أكثر صلابة من جبهة ٣٦ . ففى جبهة ٣٦ كان الشعب واثقا أنه لن يكون فيها الا من ينظر الى مصلحة الوطن . أما الجبهة التى ستواجه أزمات مصر فكم نخشى أن يستهوى بريق الرأى الساذج الذى يرضى الغوغاء بعض الأعضاء وحينئذ تتشتت الجهود وتذهب بددا .

وهكذا نجد أن التفكير فى التكتل الحزبى فى شكل جبهة أمرا ليس يسيرا والطريق ليس مفروشا كله بالورود والرياحين ٠

أما الاشتراك فى وزارة قومية فأمر أكثر صعوبة وأشد خطرا ٠ فنحن اذا اطمأن روعنا الى الكبار أصحاب الماضى الشريف والرأى الرفيع والعلم الوافر الغزير ٠ لانأمن أصحاب الهوى ومتعجلى الشهرة والناظرين الى البطولات الزائفة ٠

ونذكر البيت العربى القديم :

بغاث الطير أكثرها فراخـــا

وأم الصـقر مقـــلات تـــزور

ان الأمر جدير بالتفكير ٠ والتفكير الكثير يحتاج الى تقليب الرأى على كل وجه له فانه اذا نجح فذو خير وفير اما اذا فشل فالشر مستطير ٠ وقى الله بلادنا كل سوء وهيأ لها النجاح أينما تتجه انه قريب مجيب ٠

١٩٨٥/٧/٢٨ الأهرام

لمحة عن ابن الرومى

كتب العرب فى جميع أغراض الشعر ·· وكان شعر الهجاء من أهم الأغراض التى نظم فيها الشعراء المتقدمون · وهذا أمر طبيعى لا غرابة فيه فما داموا قد كتبوا فى المديح وبالغوا فما بعجيب أن يكتبوا فى الهجاء ويبالغوا أيضا ·

وقد كان العرب يخشون الهجاء حرصهم على المديح · وبين الهجاء والمديح كان الشعراء يجدون قوتهم أو يجدون ثرائهم فى بعض الأحيان ·

وقد جرى علماء التربية أن يهاجموا شعر الهجاء ويبغضوه للناشئة أرى أن علماء التربية فى هذا مخطئون · فبقدر ما يمجد المديح الكرم والخلق الرفيع ·· يبغض الهجاء الخلق الدنى ويجعل منه متجها مقبتا وشينا لا يجوز للشريف أن ينحو اليه ·

وكما يمثل الوصف والغزل فنا رفيعا يمثل الهجاء أيضا فنا رفيعا تجد الصور فيه تدعو الى الابهار والاعجاب ·

واعتقد أن تمجيد الفضل لابد أن يسير معه فى الطريق نفسه مهاجمة الشر والنيل منه · وكما يبلور المديح الشيم الرفيعة ويعلى من شأنها يقدم الهجاء صورا فنية رائعة للخلق الذميم والتصرف المقبوح ·

والانسان لا يستطيع أن يحترم الفضل الا اذا احتقر الخلق الزرى والفعل الذميم ·

والقرآن الكريم فتح للناس أبواب الأمل فى الجنة اذا هم اتقوا وآمنوا وعملوا عملا صالحا · وهدد بالويلات وبالنار تكوى الجنوب والجباه فهم فيها لا أحياء ولا أموات اذا كانوا من المفسدين الضالين الآثمين المعتدين ·

وكما حبب القرآن الكريم الينا الخير وحض عليه بغض الينا العصيان والفسوق والنكول عن الطريق الأقوم وهددنا بالعذاب الذى لم يعرف

البشر له مثيلا اذا نحن أطعنا أهواءنا ونكصـــنا عن الهدى والتوب والانـابة ٠

ولو شئت أن آتى بأمثلة من القرآن لأوشكت أن أذكر القرآن كله ٠ لا تكاد تجد ســـورة واحدة تخلو من آيات كريمة عديدة تهاجم الكفار والمعتدين والظالمين فهم قوم بور ٠ وهم مسرفون ٠ وهم قوم عمى عن الحق ٠ وهم لا يفقهون ٠ وهم لا يذكرون وهم صـــم عن النصح بكم لا ينطقون بما يعلمون انه الحق ٠ وهم غير ذلك ٠٠ وغير ذلك كثير ٠

فالله سبحانه من فوق سبع سماوات لعن الماثلين عن الجادة السافلين عملا ٠ الضالين صراطا ٠ فمن حق الشعراء بل من واجبهم أن يرسموا للناس الجمال والقبح والخير والشر ، والـــكرم والبخل ، والجليل والذميم ، الحسن والمرذول ٠ ومن حقنا نحن البشر أن نعجب بشعر الهجاء اعجابنا بأى لون آخر من ألوان الشعر ٠

وربما كان ابن الرومى أروع من قال شعرا في الهجاء فى العربية وقد أبدع فيه ابداعا لا أحسب أن أحدا ضارعه فيه ٠

أذكر قـــوله :

وجهـــك يا عمـرو فيه طـــول وفى وجـــوه الـــكلاب طـــول
والـكلب واف وفيـــك غـــدر ففيـــك عن قـــدره ســـفول
وقـــد يحـــامى عن المـــواشى ومـــا تحـــامى ولا تصـــول
وأنت من أهـــل بيت ســـوء قصـــتهم قصـــة تطـــول
وجـــوههم للـــورى عظـــات لـــكن أقفـــاءهم طبـــول

مستفعلن فاعلن فعولن مستفعلن فاعلن فعول

بيت كمعنـــاك ليس فيـــه معنى ســـوى انـــه فضـــول

وأذكر بيته الرائع ولا أذكر معه بقية أبيات القصيدة ٠ فهذا البيت فى نظرى كفء لديوان بأكمله يقول :

الاكريم جـــزاه اللـــه صـــالحه يهجوه عنى فبى عن عرضـــه كسل

وأذكر تلك الصورة السينمائية العجيبة التي يقول فيها :

رأيـــت الفضـــل مبتهجـــا ينـــاغى العيش والســـمكا
فاسـنبل عينـــه لمـــا رآنى قادمـــا وبـــكى
فلمـــا أن حلفـــت لـــه بأنـــى صـــائم ضـــحكا

كم يخسر الشعر العربى اذا نفينا عنه الهجاء • ان هذا النفى يحرمنا من لمحات فنية لو ترجمت الى الغرب لسارت كل مسار اسمع ابن الرومى أيضا يقول :

يقتر عيسى عـــلى نفســـه وليس ببـــاق ولا خـــالد
فلـــو يســـتطيع لتقتيره تنفس من منخـــر واحـــد

كيف استطاعت هذه الخاطرة ان تثب الى ذهن ذلك الشاعر العملاق الا أن تكون العبقرية المتفردة •

ثم أسمع معى ما يقول لبانى الدرج :

يابانـــى الـــدرج الـــذى أولى بـــه هـــدم الـــدرج
بئس البنـــاء هـــى فى المنـــازل والديـــار فـــلا تلـج
لاســـيما لابـــى البنـــات الناظـــرات مـــن الفـــرج
وكـــذاك انتـــم معشر فى عـــود منبتـــكم عـــوج
فلـــو أن قمـــل رؤوســـكم ذات القـــرون اذا درج
شـــاء العـــروج الى الســـماء عـــلى قرونكمـــو عـــرج

هذا الاكتمال الرائع فى الصورة لا يتأتى الا لابن الرومى • كيف استطاع أأن يصف أسرة بانى الدرج بالقذارة وبأنهم أصحاب قرون ثم يجمع بين الصفتين فى حركة درامية واحدة •• عجيبة •

ولم يكن عجيبا أن يموت ابن الرومى حتف هجائه • فقد هجا أحدهم وربما يكون واحدا من هؤلاء الذين ذكرت شعره فيهم • وأرسل المهجو اليه يسترضيه ويدعوه الى وليمة • وفى سذاجة الشعراء وجهلهم بالحياة يذهب ابن الرومى الى الوليمة ويأكل وبعد أن يأكل يحس السم يسرى فى جسمه ويدرك أن الداعى دس له السم فى فطيرة دسمة •

ويقوم ابن الرومى يبغى الانصراف دون أن يقول شيئا ولكن القدر يأبى له الا أن يجعله هاجيا حيا وميتا • فيسأله صاحب الدار :

ـ الى أين ؟

ويجيب ابن الرومى فى استسلام :

ـ الى حيث أرسلتنى ٠

ويقول الداعى فى شماته :

ـ سلم لى على أبى ٠

ويقول ابن رومى آخر جملة عرفت عنه فى حياته :

ـ آسف ٠ ليس طريقى الى جهنم ٠

وبعد فانى أهدى هذه المقالة الى الأدباء ليستمتعوا بما فيها من فن ابن الرومى ٠ وأهديها أيضا الى من يلزم من غير الأدباء ؟

الأهرام ١٩٨٥/٨/٤

الطـريق واضـح

أمر هذه الأيام بشعور عميق يملؤنى ثقة بالقائمين على الأمر فى الدولة · فأنا أرى أن الوزارة تواجه مسئوليتها فى يقين وفى ثبات ناظرة الى الصـــالح العام للشعب المصرى لا تخشى الا الله والضمير والحق وما تعلم أنه العدل · وعلاج مشكلاتنا أمر غاية فى الصعوبة وأمر غاية فى اليسر فى وقت معا هو غاية فى الصـعوبة اذا اتجهت الأنظـــار من المسئولين الى اللافتات والهتافات والغوغائية والاعتماد على أن تمر الأمور دون ضجيج فيسلم يوم الى يوم ويسلم شهر الى شهر ·

وهو غاية فى اليسر اذا الوزارة طبقت ما أجمع عليه الاقتصاديون فى مصر وفى العالم فقد أصبح علاج الشئون الاقتصادية أمرا متفقا عليه فى العالم أجمع خاصة اذا كانت الأزمة من الأزمات التى مرت بالدول جميعا · والدول فى العالم تواجه أزماتها برأى كبار الاقتصاديين فيها وهى فى ذلك حاسمة قاطعة لا تقبل ميلا عن الطريق مهما يكن الميل هينا ضئيلا · وكل القوانين الاقتصادية من شأنها أن تنزل بعض الأضرار ببعض الأفراد وليست هناك دولة جادة تفكر لحظة أن تضـع فى الميزان مستقبلها ومصير شعبها من أجل حفنة من الأفراد ·

وهؤلاء الأفراد لهم صوت مرتفع يستمدون ارتفاعه من جشعهم ومن حرصهم على خاصة أموالهم حتى ولو أدى هذا الى تخريب اقتصاد بأكمله لدولة وشعبها ومستقبلها وحاضرها ·

وهناك أفراد آخرون يرفعون أصواتهم حبا فى التخريب ذاته لأن مذهبهم لا ينتعش الا فى ظل التخريب فاذا هم رأوا أن الأمور فى الدولة تأخذ طريقها الى الاستقرار والسلامة والحزم والثبات جن منهم الجنون وثارت فى نفوسهم نيران الهوس · لأن استقرار الحـكم تدمير لحزبهم ولما يريدون لأنفسهم من استيلاء على المقادير فى البلاد · وكيف يمكنهم أن يقفزوا على حكم قوى ثابت ركين يقوم على الرأى الســديد والعمل الرشـــيد ·

انهم يكتبون فيما يكتبون أن الغد لهم ويهددون أعداءهم بأن الغد لناظره قريب فهم اذن يتوقعون من كل غد أن تقوم فيه العاصفة فتبعد الحكام الشرعيين عن مقاعدهم وتأتى بهم هم الى مقاعد الحكم والسلطان · يؤيدهم مال غير مقطوع وصراخ غير ممنوع وتهليل وتهريج ومتاجرة بآمال الشعب وبآلامه ·

وهم من أجل ذلك رافضون لكل استقرار مؤيدون لكل اضطراب حتى ولو كان ناشئا عن قوم يدينون بالله الواحد القهار فى حين يدينون هم بماركس ولينين وبتحطيم الانسان وتدمير الحياة ·

ويلهم ان هذا الاضطراب الذى شهدنا منه جانبا فى سنوات ماضية والذى يحاول أن يطل برأســـه فى هذه الأيام ما هو الا نتيجة حتمية لما صنعوه وهم بمصر فى ستينيات هذا القرن · ولقد أرى بعضا منهم يكتب آراء يحاول بها أن يفصل الفعل عن رد الفعل ، والمسبب عن السبب ، والمقدمات عن النتائج · وكم هم واهمون هؤلاء الكتاب وكم يبعدون عن الحصافة والرأى الرشيد بعدهم عن الفهم والذكاء جميعا ·

فان أول درجات الذكاء أن تقدر ذكاء الآخرين · والكاتب الذى لا يدرك أن القارىء هو أذكى الناس واهم لأن القارىء ليس فردا وانما هو شعب بأكمله يتداول الرأى ويعلق عليه ويتعمق أصوله ويصعد الى أعلى فروعه حتى يصل من الحديث الملقى اليه الى الحق الذى لا يشوبه ضباب أو سحاب أو غبار · وانما هو الجلى الواضح المضىء البين ·

والكاتب لابد أن يكون على المام بالتاريخ · وأن نظرة الى التاريخ الذى مضى تفتح مغاليق الحاضر ومصاريع المستقبل ·

ويقول التاريخ أن فرنسا بعد ثورتها حكمها فرد وحين زال حكمها أفراد ·· حكمها نابليون وكان طاغية · ثم تداول حكمها أفراد ارتسموا فى شكل ملوك · وثارت فرنسا وأطاحت بحكم الملوك ووضعت دستورها بعيدا كل البعدا عن الفردية · جعلت حكومتها جمهورية برلمانية · الشعب فى برلمانه هو الذى يعين رئيس الوزراء وهو الذى يعزله ورئيس الجمهورية لا عمل له مطلقا · وبالغت فرنسا فى هذا لدرجة أن رئيس الوزراء الجديد كان لا يعين الا اذا وقع على مرسوم تعيينه رئيس الوزراء المستقيل حتى لقد تساءل علماء القانون الدستورى تساؤلا نظريا ·· وماذا لو رفض المستقيل التوقيع للمعين · وكان الجواب عليهم أن استقالته فى ذاتها تعنى قبوله

التوقيع على المرسوم الجديد لتعيين خليفته . وكل تطرف يؤدى الى اضطراب . وقد أدى هذا التطرف الى أن الوزارات فى فرنسا لم تكن تستمر فى الحكم الا أوقاتا ضئيلة جدا لا تتمكن معها من القيام بأى عمل ذى شأن . وراح الشعب يسخر مما صنع هو بيديه وتردد فى الشعب الفرنسى أن فرنسا لم يصبح فيها فرد واحد لم يتول الوزارة مرة واحدة على الأقل .

وظل الأمر كذلك حتى حكم ديجول وأعاد الأمر الى الطريق السوى واستقر الحكم فى فرنسا . فكرة الشعب الفرنسى للفرد التطرف الى أقصى حد لأنه قاسى الدواهى السود من حكم الفرد .

والتطرف الدينى هنا هو رد فعل كان لابد منه للتطرف الالحادى الذى شهدته مصر من الشيوعيين الطغاه فى الستينيات .

ومن منا ينسى يوم فجروا وكشفوا عن وجوههم كل أستار الحياء فأقاموا الموالد لسيدهم لينين وسيدهم ماركس وأبوا على المسلمين أن يقيموا المولد النبوى لسيد البشر أجمعين .

كان طبيعيا أن تثور نفوس المسلمين . وكان طبيعيا أيضا أن تثور نفوس المسيحيين فالمؤمنون وحدة ضد الالحاد . ومن يقول الله يرفض الالحاد . والدين حرية والدين محبة والالحاد قهر والالحاد كراهية .

وان ما نشهده اليوم رد فعل لعواصف الالحاد التى اجتاحت ستينيات هذا القرن . ولو فكر هؤلاء المتطرفون الدينيون لأدركوا أنهم بهذا الذى يصنعون يدمرون أنفسهم ووطنهم قبل أن يدمروا الشيوعيين . والدليل على ذلك أن الجماعة الوحيدة التى تؤيدهم هى الجماعة الشيوعية التى يثورون هم على الحادها .

وهذا الوطن لا يقوم الا على السلام والتآلف بين عناصره المؤمنة بالله . وأى شقاق بينها دمار . والأقباط شركاء فى الحكم شركاء فى الحرب شركاء فى المصير . منهم أعضاء فى الوزارة ومنهم أعضاء فى المجالس النيابية وعلى ساحة الحرب اختلطت دماؤهم بدماء المسلمين وصعدوا جميعا الى بارىء النفوس العدل المطلق الملك القيوم يوفى كل ذى حق حقه سبحانه وتعالى عما يشركون .

وهؤلاء المتطرفون يعلمون كل العلم أن الاسلام فوق كل نقاش وأعلى من أى جدل · ولكن ألم ينظروا فى العصور الماضية ماذا فعل أبو جعفر المنصور السفاح بالناس من تقتيل وتعذيب وتنكيل وهو يدعى أنه عن دين الله يدافع · تعالى الدين أن يرضى بهذا وكره الله ما فعل والمؤمنـــون ·

وأمثـال الســـفاح فى الخفـاء كثيرون لا يحصيهم العدد ويخطئهم الحصر ·

حتى اذا وصلنا الى العصر الحديث فها نحن أولاء نرى الخومينى وما يصنعه تحت ستار الاسلام وتحت اللواء الخادع الذى يرفعه باسم الدين · وتعالى الدين أن يرضى بهذا وكره الله ما يصنع الخومينى وكره المؤمنون ·

ليس الأمر شعارات ترفع ولن يكون الأمر كذلك · ان الدين أسمى وأعظم جلالا من أن يكون تجارة فى سوق الدنيا · وطريقا الى بهرج الحياة ومتاعهـــا ·

وبعد فان الدين ديننا جميعا ونحن نموت فى سبيله فرحين سعداء أن نفدى نوره الأعلى وسنته الشريفة · ولكننا نحن المسلمين نرفض أن يرفع رايتنـا قوم لم يعرفوا للدين حقـــه كل حقـــه · انما الدين هو نبض القلوب هنا وهو قوام حياتنا فى الدنيا وهو أملنا فى العليا عند رفيع الدرجات ذى العرش · فأستحلفكم بالله العلى القدير ألا تجعلوا منه وسيلة لكم · فما انتم الا بشر من البشر ولن تمكثوا فوق ظهرها الا ريثما يأتيكم أمر الله · وعندئذ فمصيركم الى عالم الغيب والشهادة ينبئكم بما كنتم تصنعون أما الدين فهو الخلود باق على الزمان والى ما بعد الزمان ·

ولا اله الا الله وحده اليوم وغدا والى ما بعد الحياة وحتى لا نهاية والله هو وحده الأكبر وهو على دينه وقرآنه خير الحافظين سبحانه وتعالى جل جلاله الملك القدوس السلام ·

١٩٨٥/٨/١١ الأهرام

هـذا الصوت نعرفه

تصبح الشهرة عند بعض الناس نشيدة حياة وأملا يتخطفهم الموت فى سبيلها ويبذلون من أجل رنينها كل ما يشرف الانسان أن يتخلى به حتى اذا أعيتهم الوسائل ووقفت دون مقاصدهم العراقيل بذلوا دينهم وايمانهم وأعلنوا الحادهم مجاهرين به غير مخافتين • صارخين به غير هامسين يحدوهم الأمل الحقير أن يعود عليهم الكفر بما لم يدركوه فى ستار الايمان •

ولقد نعرف بعض هؤلاء اليوم ولقد عرفنا أشباهها لهم من قبل • منهم من عاصرناه ومنهم من أكرمنا الله بعدم رؤيته أو العيش معه فى زمن واحد •

وربما لا يكون هؤلاء الملحدون شيوعيين • فالقاعدة المنطقية تقول ان كل شيوعى ملحد وليس كل ملحد شيوعيا • فقد يكون الملحد اذن غير شيوعى بل قد يكون رأسماليا متطرفا • ولكنه يظل مع ذلك ملحدا كافرا زنديقا •

وقد يصيب الملحد بالحاده نصيبا من الشهرة ولكنه ينسى أن الشهرة ليست فى ذاتها نوعا من الشرف • بل قد تكون لونا من حقارة الشأن وتفاهة الفكر وهوان الشأن • ان نوع الشهرة هو الذى يدعو الجمهور الى احترام الشهير وليست الشهرة فى ذاتها •• فالناس لا تحترم القاتل الشهير ولا اللص الحقير مهما يكن بعيد الصيت •• ولا المرتشى الوضيع مهما يكن ذا منصب خطير • ونصيب الملحد ذى الشهرة أن يدوسه الناس بالأقدام ويرجموه بالحجارة •

وقد رأينا قوما ممن تكالبوا على الشهرة الأدبية أو العلمية وحاولوا أن يفتحوا طريق الشهرة بالهجوم على عمالقة الأدب أو العلم ومنهم من قال عن عظماء الأدباء أنهم جهلاء وأنهم يسرقون أدبهم من الآخرين وأنهم لا يعرفون لغتهم وأنهم يتعرضـــون لما لا يحســـنون وأنهم يكتبون غير ما يبطنون •• وكان شوقى الأمير هدفا وكان حافظ هدفا وكان طه حسين

عميد الأدب العربى هدفا وكان العقاد الشامخ هدفا وكان توفيق الحكيم هدفا أطال الله عمره ومتعه بالصحة والعافية وكان نجيب محفوظ هدفا وفى غير الأدب كان الأفغانى هدفا وكان محمد عبده هدفا ٠

وأصاب المهاجمون الشهرة حين هاجموا ثم تحطمت أقلامهم وتحشرجت أصواتهم وأصابتهم غرغرة الموت ٠٠ ثم ماتوا ٠٠

وبقى شـــوقى وحافظ وطه حسين والعقاد والحـــكيم ومحفوظ والأفغانى ومحمد عبده ولم يبق من مهاجميهم شىء الا قرف الناس من ذكرهم اذا ذكروا وما هم بمذكورين ٠

ومن هؤلاء من أدرك أن الهجوم على العباد مهما يكونوا أعلاما خفاقة فلن يصـــل بهم الى الشـــهرة التى بها يحلمون وبمجدهم يهيمون فقالوا ومالنا لا نهاجم الدين نفسه ونعلن عدم ايماننا بكلام الله وهو الله ٠ فمادامت مهاجمة الكتاب لم تأت لنا الا بالشهرة المؤقتة فلابد أن مهاجمة كلام الله ستأتى لنا بالشهرة الثابتة ٠

وظهرت كتب ملحدة صريحة فى الحادها وثار بها الناس وأصاب أصحابها الشهرة ولكنها كانت شهرة نجسة بخيسة مرغب أسماءهم فى الدنس أياما ثم زالت عنهم الشهرة وبقى لهم الدنس ٠

وتعلم الملحدون الا يعلنوا الحادهم واستفادوا من الدرس الذى رأوه رأى العين فيمن سبقهم ٠ ولهذا تجد الشـــيوعيين وهم ملحدون بطبيعة مذهبهم وبنص دستورهم ينكرون أنهم ملحدون ويبالغون هم فى اخفاء الحادهم حتى لنرى بعضهم يحج الى بيت الله الحرام ويحمل اللقب الاسلامى مع الفكر الالحادى على قلب واحد ٠٠ ويتبجح علينا قائلا انه لا يعلم السرائر الا الله ونقول له ولكنك يا تابع ماركس ويارفيق لينين تعلن أنك شيوعى فالأمر فى شأنك ليس سريرة من السرائر وانما هو اعلان من العلن وجهير بما تجهر به أنت من اعتناقك للمذهب الشيوعى الذى لا يقوم ولا يستقيم الا بانكار وجود الله والدين والقرآن والشريعة ، فأنت أمام واحدة من اثنتين ، اما أن تعلن كفرك بالله أو تعلن رفضك للمذهب الشيوعى ولكن للشيوعيين لجاجة لا تتأتى لغيرهم ٠ ولهم – والعياذ بالله – وقاحة لا يتمتع بها الا هم ٠

وهكذا نجد أنهم لا يعلنون الحادهم وان أعلنوا شيوعيتهم ومهما يكن فى هذا من تناقض وتنـــافر مع المنطق الا أنه – على كل حال – واقـــع ٠٠

ولكن رأينا فى الزمن الأخير بعض من لا نذكره ومن يعف القلم عن أن يخط حروف اسمه يعلن الحاده فى وقاحة نعرفها لسابقيه فى الالحاد ٠ ولقد نعرف بعضا ممن ينتمى اليهم بأرومة أو أخوة ٠٠ ولقد ندرى عنهم الخير ٠ ولقد نعجب كيف يجتمع فى بوتقة العرق الواحد الشرف مع العفن والايمان مع الفسوق والطهر مع العهر ٠

ولكننا نذكر التاريخ فيتضح لنا ما عجبنا له فكم أنبتت الأرض الطيبة الخبث ٠٠ وكم ولد العظماء الأسافل ٠٠ وكم جاء عالم فى الدنيا بفاسد ٠٠ والنار مهما تكن مضيئة فهى فى أغلب الأمر تخلف رمادا ويقول الشاعر القديم :

فان يك بحر الحنظليين واحدا فما تستوى حيتانه والضفادع

والقضية التى ساقها هذا الملحد ليعلن بها عن الحاده قضية متهاوية لا تحتمل أى نقاش ٠ فالأمر فيها واضح غاية الوضوح وقد شرحها الله تعالى بمحكم آياته ٠٠ ولكنه الملحد الجاهل يهاجم النص القرآنى فى جهالة وعناء ساذجة سذاجة ينفر منها الأطفال ٠ ولو أننا قبلنا أن نناقش القضية لعقدنا مقارنة لا تنعقد بين كلام الله وهو الله وبين رأى فطير حقير لا يجوز له أن يذكر أو يناقش ٠

وقد نسى هذا الجاهل فى حمأة جنونه بالشهرة أن هذا القرآن مر بألف وأربعمائة عام وتزيد وحفظه مئات الملايين وناقشه الأئمة الهداة ٠٠ وناقشه أيضا الملحدون الباحثون عن الشهرة وتهجموا على قدسيته فاذا بالقرآن الكريم يقف شامخا سامقا ميسورا على الهداة متأبيا اباء الجبال الشم على الملحدين الزنادقة لم يستطيعوا أن يهزوا حرفا من حروفه بتشكيك أو يهزوا كلمة من محكم كلامه بأى أثر من حيرة ٠

ومن هؤلاء الذين قرأوا القرآن علماء فى شتى ألوان العلوم منهم علماء من اللغة ومنهم علماء فى الفقه ٠٠ ومنهم علماء فى المنطق ومنهم علماء فى علم الكلام ومنهم من ولى القضاء ومنهم رجال الشرع ٠٠ وهيهات أن يحيط بالباحثين فى كتاب الله تحديد ٠٠ انه معروض على الأزمان وعلماء هذه الأزمان على مدى ألف وأربعمائة عام ٠

أو لم يقدر هذا الملحد الجديد أن الذى عرض له تعرض لملايين البحوث ولم يقل واحد منهم بما قال لهوان ما قال وضآلته أن يثبت لتفكير على قدر ضئيل من الاستقامة ٠

ومهما يكن مقدار جهلك فأنت تعلم هذا علم يقين ٠٠ ومهما يكن مقدار جهلك فأنت تعلم مقدار سخافة الراى الذى سقته ٠٠ وأنت لا شك تقدر مدى الغضب الذى أثرته فى نفوس المسلمين كافة بما تقول ٠٠ وأنت أيضا لا شك أردت أن تثير هذا الغضب بأمل منك سقيم أن تنال به ما تهفو اليه نفسك المريضة الساقطة من شهرة ٠٠ وقسما لن أنيلك ما تصبو اليه من الشهرة المريضة وأنا أكتب هذا الحديث متوجها الى علمائنا الأفاضل ألا يحاول أحد منهم أن يجعل منك صاحب رأى فيناقشه فما تبقى أنت الا أن يناقشك كرام الفقهاء وينزلوا بك سخطهم لتنال به شهرتك ٠

وقد تفضل عالم جليل وتنازل وتناول رأيك بالتفنيد دون أن يذكر اسمك أو اسم مجلتك الحمراء الرعناء ٠ وانى أرى أنك أهون من هذا الذى فعل الشيخ الجليل ٠ وعلى كل حال فحسبك هذا النقاش بل هو فوق الحسب ٠٠ وانى أكاد أثق أن الفقهاء لن يذكروك بعد ذلك أبدا فانهم لا شك ـ أدركوا مقصدك وأنهم من الذكاء واللماحية بحيث يجعلونك تعود من جولتك الملحدة بالخيبة وسوء المآب ٠

ولا شك أنك تعلم أن مثلك لا غفران له عند الله فقد اشركت وما لمشرك غفران ٠ ولو لم تنل الا بعدك عن رحمة لكان هذا فى ذاته أو شى عقاب لو كنت تملك من العقل صبابة ٠٠ ولكن من أين لك بها ؟! وهل لمن يقدم على ما أقدمت عليه أى نصيب من عقل أو احساس أو منطق أو فكر أو خلق ؟

لقد صدمت الشعور العام لكل المسلمين ولو أنك فعلت هذا وقلت شيئا يستحق النقاش لقلنا ملحد ولكنه يحاول أن يفكر ٠ أما أن تصنع هذا من أجل الشهرة وحدها بعد أن أخطأتها فى كل ميدان سعيت اليها فيه فتلك أذن كبرى الكبائر ٠٠ وليكونن عقابك فى الدنيا خزيا وفى الآخرة نارا لا تموت فيها ولا تحيا ٠

ربنا سبحانك وتعاليت وتقدست أسماؤك ٠٠ وما هم الا عبادك وأنت وحدك تعلم الكافر منهم وتعلم من اهتدى ٠٠ وأنت العدل المطلق القاهر على العباد الواحد القيوم الحق ٠٠ سبحانك لا تحاسبنا بما أتى السفهاء منا فانهم يا الله لا يعلمون ٠٠ وأنت وحدك سبحانك من يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور تعاليت ٠٠

١٩٨٥/٨/١٨ الأهرام

قصة لم أصنعها

التقى به فى عرض البحر الأبيض المتوسط مرات قليلة كل عام، فمواعيد نزوله الى البحر لا تتفق مع مواعيدى الا فى أيام قلائل · ونتجاذب أطراف الحديث ونحن طافيان على سطح الماء بحركة هينة من الذراعين والساقين ونترك لأمواج البحـــر أن توجه مكاننا حينما يطيب لها أن تتجـــه ·

ويجرى الحديث بيننا هادئا لينا هنيا كأمواج بحيرة أو كأمواج الخليج الهادىء الذى نلتقى فيه · لا نقاش بيننا وانما قصص صنعتها بنا الحياة على مدار العام أو صنعناها نحن فى الحياة والعام أيام طوال ولقاؤنا ساعات قصار تتزاحم الأنباء فيه بغير تحاشد ولا مواثبة وانما القصة تفضى الى القصة والنبأ يسلم الى النبأ وقد نفتتح الحديث بكلمة قرأناها لصحفى فى الصباح · أو لكاتب نشرها منذ قريب وقد تذكرنا الكلمة بقصة حدثت فى نهر العام ونرويها · ومنذ أيام قلائل طلعت علينا صحيفة بكلمة لصحفى دأب على أن يدافع عن فترة بعينها وعن أسرة بذاتها والتزم بهذا الدفاع يسارع اليه سواء دعا الى ذلك داع أو لم يدع وانما هى مهمة وضعها هو على كتفيـــه · ولا أظن أنه اختار هـــذه المهمة طواعية واختيارا فقد ارتبط اسمه هو وما نال من وظائف فى دنيا الصحافة المصرية وغير المصرية بتلك الفتـــرة وبناســـها · وبمن ينتسب اليها · فالدفاع دفاع عن نفسه وعن المديح الذى كان يكيله بغير حســـاب لهذا الزمن ولأعـــلامه وأقزامه على الســـواء · وأخـــونا الصحفى يحسب انه بما يدافع اليوم انما يدفع عن نفسه تهمة النفاق · ويعلم الله أنه أوقع نفسه فى منطقة من الرمال المتحركة الخائنة التى تبتلع الانسان كلما حاول أن يتخلص منها ويزداد الابتلاع كلما ازدادت محاولة التخلص عنفا واصرارا ·

وقال صديق البحر وهو يربت الأمواج بيديه :

هل قرأت ؟

قلت :

ـ نعم قرأت

قـال :

ـ اذن أستطيع أن أروى لك ما حدث لى فى هذا المضمار

قلت :

ـ وهل لنا عمل الا الرواية منك والاستماع منى أو الرواية منى والاستماع منك ؟

قـال :

ـ هذا طبيعى فأسرتك كلها عملها البناء أبا عن جد

قـال :

ـ وهكذا أصبحت مهندسا · وأنا مساهم فى شركة مقاولات

قلت :

ـ وهذا أيضا طبيعى

قـال :

ـ عرفنـا فى الشركة التى أسـاهم فيهـا أن هنـاك عملية انشائية طرحتها شركة أمريكية تكلفتها تتراوح بين أربعة ملايين وخمسة ملايين من الجنيهات وتقدمنا لنقوم بالعملية وتقدمت معنا شركات أخرى منها شركات أفراد ومنها شركات من جملة أفراد · وبعد الفحص جاءت شركتى الأولى بين الشركات الأخرى · ولكننى لم أسارع بقبول العملية · فقد كان من بين الشروط واحد يقضى بان أقدم للشركة خطاب ضمان بعشرة فى المائة من قيمة العملية · وخطابا آخر بخمسة فى المائة من قيمة العملية أيضا · ورأيت أن هذا سيكلفنا مبلغا ضخما من المال لا أحتمله · فذهبت الى الشركة الأمريكية ورجوتها أن تعفينا من بعض هذه المبالغ الضخمة ولكن الشركة رفضت قائلة أن هذا من قانون الشركة ولا يمكن أن يغيروا قانون الشركة ·

وبناء عليه رفضوا العطاء الذى تقدمت به وقبلوا العطاء التالى : أتعرف من صاحب العطاء التالى ؟

قلت :

ـ ومن أين لى أن أعرف وأنا لم أعرف كلمة المقاولة الا مما درسته بكلية الحقوق ·

قال :

وذكر اسما · لا أستطيع أن أذكره فالحديث بيننا فى البحر ولا دليل معه يقدمه لى ولا دليل عندى أقدمه للقارىء · وهذا كلام اذا لم نشفع فيه الأسماء بالمستندات نكن ظالمين لأنفسنا ولذلك اخترك كلمة « قصة » عنوانا لهذا الكلام لأن القصة قد تصدق وقد تكون تأليفا وخيالا ·

مع أننى واثق كل الثقة من محدثى الذى أعرفه منذ قرابة عشر سنوات لم أجرب عليه الا الصدق والأمانة والتسرف · ثم انا رجل خالطت الحياة وعركتنى وعرفت من أخلاق الناس ما ينبغى أن يعرف من عاش حياتى · ومن صناعته فى الحياة كتابة الرواية والمقالات والقصص وهذه صناعة ان لم تكن فيها واسع الخبرة بالناس وبالحياة فلا أمل لك على الاطلاق ان تقدم الى الناس شيئا يستحق الذكر · فالكاتب يقدم الناس الى الناس واذا هم أحسوا أنك لا تعرفهم حق المعرفة انصرفوا عنك كل منصرف ·

فصاحبى صادق لا شك فى صدقه · ولكن الذى أخشاه ألا تصدقه أنت · فمن الخير له الا أذكر اسمه ومن الخير لى الا أذكر أنا الاسم الذى ذكره · فهو اسم لا يجهله أحد فى العالم لا فى مصر وحدها بما ينتسب اليهم من أقوام وبما ذاع عنهم من أحاديث ملأت الدنيا جميعا فى يوم من الأيام ·

أن الاسم الذى ذكره اسم فتى صغير ليس من المفروض ان يكون على أى قدر من الثراء · فطبيعة ما سمعناه عنه تقتضى أن يكون مستورا لا مليونيرا ولو سألناه أو سألنا المدافعين عنه من أين لانهالوا علينا بالأجوبة ولكن المؤكد الذى لا شك فيه أن أحدا لن يصدق حرفا من أجوبتهم ·

واذا شاء محقق صحفى أن يتصل بى ويسألنى عن صاحب الرواية التى سمعتها فى مياه البحر وعن صاحب الاسم الذى ذكره فانا على استعداد أن أذكره بشرط واحد · أن يتعهد المحقق الصحفى بتحرى النبأ وتتبعه وليس فى الأمر سر يخفى ولا سرقة فتستر انما هو عطاء شريف فى عملية مقاولة تقدم من فتى فى أول حياته العملية ففاز بها وكل الذى نبحث عنه هو « من أين » فلا داعى هناك للاخفاء أو التستر · سيجد المحقق الصحفى الطريق أمامه مفتوحا على مصاريعه ميسورا

لســـالكيه مرحبا بمن يسير فيه · وأكمل محدثى فى الماء الحديث فقـــال :

ـ تقدم هذا الشخص الأسطورة الى الشركة وقال لها اذا كان الأول لم يستطع أن يقدم خطابات ضمان بخمس عشرة فى المائة من قيمة المقاولة فهانذا أقدم اليكم خطابات ضمان بثلاثين فى المائة من العملية · ورسا العطاء عليه بطبيعة الحال ·

وللقصة بقية لا تخلو من طرافة فقد جمعت مناسبة من مناسبات الأفراح بين أخت محدثى ووالدة الشاب الأسطورة فاذا الأم تقول للأخت ـ فلان بك (محدثى) يدخل فى عطاء مع ابنى فلان (الأسطورة) وهل ابنى قده · ان ابنى عصـــفورة صـــغيرة لا تحتمل ثروة فلان بك (محدثى) ·

وتنتهى القصة وأتساءل · اذا كان وهو عصفورة قدم ثلاثين فى المائة فى حين أن المطلوب خمس عشرة فماذا هو صـــانع حين يصبح نسرا ·

قصة أقدمها اليك تقرؤها فى هذا الحر اللافح وهذا اليقظ الشديد وكل رجائى ألا تزيد وطأة الحر عليك · وألا تجعل القيظ غيظا · وقانا الله من الحر والغيظ جميعا أنه سميع مجيب ·

١٩٨٥/٨/٢٥ الأهرام

بين القراءة والمشاهدة والاستماع

جاءنى فى البريد هذا الخطاب وقد وجدت فيه فرصة طيبة لأتحدث عن المصير الذى تتعرض له الأعمال الروائية التى تظهر فى كتب ، والكاتب كما سيتضح لك أديب ذواقة من الطبقة الأولى مما زاد حماستى أن أبادله الرأى حول موضوع يكثر فيه الحديث . يقول الخطاب المرسل من د. أحمد ممدوح عباس مدير المركز الطبى بمنشأة ناصر ما يلى :

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزى أستاذنا الجليل والأديب المبدع ثروت أباظة

تحية طيبة مباركة وبعد :

تلك رسالة أقرب ما تكون الى استغاثة ، حافزى الى كتابتها هى صلتك الحميمة بمن أطلب له الغوث ، انه أديبنا الفذ نجيب محفوظ وروايته الخالدة « ملحمة الحرافيش » .

وقد كنت فى حل من الكتابة اليك لولا أنى أتابع اهتمامك بأعمال أستاذنا نجيب محفوظ على صفحات الجرائد مما جعلنى أستشعر تلك الصلة الوطيدة والنادرة التى تربطك به .

ولقد سبق لى أن تشرفت بالكتابة اليه وكنت وقتها فى بلد أفريقى بعيد جدا منذ أكثر من ست سنين ، وقد بسطت اليه انطباعى عن « الملحمة » وايحاءاتها والمغزى الكامن فى طيات حكاياتها ، ولدهشتى البالغة أنه تكرم بالرد على بأسرع مما كنت أحلم ،ووافقنى على ما توصلت اليه من فهم لبعض حكاياتها العشر .

وقد انتابنى شعور من الاشفاق والألم وأنا أتابع ضياع الاثارة وهم ينبشون أحشاء الملحمة ليخرجوا بها فى أعمال سينمائية فظة وساقطة ، مع أن الملحمة عمل متكامل لو قيض له أحد مخرجينا الملتزمين مثل

صلاح أبو سيف ، لخرج الينا بعمل لا يقل عما نراه من أعمال الأجانب مثل سبارتاكوس والوصايا العشر والرداء وغيرها ٠

ولست أدعى مهنة النقد الأدبى لأنى لا أملك أدواته وكل ما فى الأمر أنى قارىء قد لا يكون من هذا الطراز الذى يقرأ ليتسلى أو ليقتل الوقت، بل ليغوص فى عقل الكاتب وقلبه ليوفيه حقه فى الجهد الذى تكبده لكى ترى أعماله النور وتستقر بين يدى قارئها ٠

فاذا أذنت لى أن أعرض عليك انطباعاتى عن حكايات الملحمة ، فسأحاول أن أوجز بقدر طاقتى حتى لا يضيق صدرك أو يتسلل الملل اليك من أسلوب شخص مثلى لم يكن الأدب حرفته وان كان أعز هواياته ٠

فالملحمة هى سرد لتاريخ حارتنا فى مصر منذ باعث نهضتها محمد على باشا وحتى مقيل عثرتها وكبوتها وماسح عارها محمد أنور السادات ٠

والى هنا ينتهى ما اجتزأته من الخطاب لأن الجزء التالى يكشف رموزا كثيرة من رواية الحرافيش الخالدة ٠ وانى أوافق الدكتور على تفسيراته جميعا وأحبذها الا أننى أفضل ألا أنقل هذه التفسيرات الى القراء حتى تظل الرواية حرة توحى ما تشاء أن توحيه الى كل قارىء على حدة ٠ وحتى يظل كل قارىء أيضا حرا أن يستشف من الرواية المعنى الذى يتفق مع تفكيره هو ومشاعره هو ٠ وهكذا سأنتقل قفزا الى نهاية الخطاب لأتيح لنفسى بعد ذلك أن أعلق على المشكلة الأساسية التى أثارها الدكتور فى رسالته حول عبث السينما بالعمل الروائى لكبار الروائيين ٠٠ يختم الدكتور رسالته بقوله :

وعلى كل حال فليس أمامى شىء أختم به خطابى الا أن أرفع يدى بالرجاء الى الله سبحانه وتعالى أن أكون قد أصبت فأظفر بحسنتين ، أو أخطأت فأظفر بحسنة وتصويب ، وفى أى الحالتين ، فان وزنك فى ميدان الأدب كفيل بأن يؤهلك للغوث ، لتنقذ بغيرتك على الأدب هذا العمل الرائع من براثين محترفى سير الساقطات ٠

والله من وراء القصد

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠

القاهرة فى ١٩٨٥/٧/٧ ٠

وهذا الذى أثار الدكتور وجعله يجزع على عمل أدبى ضخم يحترمه الدكتور وهو جدير فعلا بكل اجلال واحترام يشكل سؤالا يواجهنا نحن كتاب الرواية فى كثير من الأحاديث · وأغلب الأمر يأخذ السؤال سمت الاتهام أننا نترك أعمالنا نهبا للتمزيق والتشويه وهى تتحول الى أفلام سينمائية أو تليفزيونية أو أذاعية ·

والحقيقة أن اتهام الكتاب جائر كل الجور يحملهم من المسئولية ما هم منه براء ·

ولنضرب مثلا لذلك · نفرض أن أستاذنا نجيب تنازل عن رواية لتصبح مسلسلا فى تليفزيون الأردن أو قطر · هل من المفروض أن يسافر وراء روايته ليرى ماذا صنع بها كاتب السيناريو والمنتج والمخرج والممثلون ·

واخترت مكان تنفيذ الرواية فى غير مصر على سبيل المثال فلنفترض الآن انها مصر · هل يعقل أحد أن يجلس نجيب محفوظ أو أى كاتب آخر بجانب أعماله وهى تتحول الى سينما أو تليفزيون أو مسرح أو اذاعة · اذن فهو سيتفرغ تفرغا تاما ولن يستطيع مع ذلك أن يلاحق هذه الأعمال ·

فاذا نحن تركنا الاستمالة المادية جانبا · واذا نحن أرغمنا الكاتب أن يتفرغ هذا التفرغ فهو اذن محكوم عليه ضمنا الا يكتب شيئا جديدا · ومحكوم عليه حكما لا جدال فيه ألا يقرأ شيئا مطلقا وكاتب لا يقرأ كاتب قضى عليه بالافلاس الذهنى والنفسى فى وقت معا ·

هذه واحدة

وأخرى

الرواية فى أغلب أمرها تتكون من محاور عديدة ولكل محور شخوصه وأسسه وأن كانت كل هذه المحاور جميعا تتوجه الى الفكرة الأساسية التى حملت الروائى على كتابة عمله الأدبى ·

ولكن القاعدة فى العمل الدرامى أن يدور حول محور واحد · اختيار هذا المحور من حق كاتب السيناريو أو اذا شئت الحق هو من اختيار المنتج الذى اشترى الرواية · فهو اذن يشتريها لمحور بذاته يرى أنه عائد عليه بالربح الأوفر ·

وهكذا ينقلب الفن الى تجارة صريحة واذا لم يقبل الكاتب هذا فقد حكم على كتبه الا تظهر فى أى مجال من مجالات الأعمال الدرامية ٠

والأعمال الدرامية هامة للكاتب لأنها تخاطب الجمهور غير القارىء وهو الأغلبية الكاثرة من الشعب العربى ٠ وهذا الجمهور غير القارىء يطمح الكاتب أن يجعل من بعضه قارئا فاذا انعدمت الوسيلة فان الكاتب يحاول على الأقل أن يصـــل شىء من فكره الى هذه الكتلة الضخمة من غير القارئين حتى لا تظل كتلة صماء ترفض أن تكتسب فكرا فاذا هى على مجتمعها عبء يضر ولا يفيد ٠

وأخـــرى

الكاتب وحده هو المســئول عن كتابه لا يشــاركه فى مســئوليته انسان فى العالم أجمع ٠ ومن هذه المسئولية عليه أن يتحمل كل نقد يوجه الى ما كتب كما له أن يتقبل فى اطمئنان كل مديح يتجه الى هذا الكتـــاب ٠

أما الأعمال الدرامية فيشترك فيها أولا المنتج باصراره أن يربح ولهذا لا عجب أن يختار من الروايات الفكرية المعارك الدموية والمواقف المثيرة لكل المشاعر رخيصة كانت هذه المشاعر أو كريمة ٠ ثم يشترك معه كاتب السيناريو الذى يكتب وعينه على المنتج والمخرج معـا فهما يستطيعان بكلمة أن يرفضا ما يكتب ثم يشترك المخرج الذى يعتبر رئيسا فنيا على العمل وهو غالبا أيضا لا ينسى ما ينبغى أن يحققه من كسب للمنتج ٠ ثم يشترك الممثلون كل ممثل بقدر ما يحققه اسمه من بيع فى الشباك وكل ممثل يحب أن يظل شاخصا الى الجمهور وأن يظل الجمهور شاخصا اليه طوال عرض الفيلم ٠

أين يذهب الكاتب بين هؤلاء جميعـــا ؟ ان الأمر فى الأفلام وفى التليفزيون يصبح غابة تتناولها الرياح من كل جانب ٠٠ رياح يجتذبها الربح وأخرى تجتذبها الرغبات الشخصية ٠ وكثيرا ما يكون مصـــدر الرياح جميعا الجهل ومداعبة أحط الغرائز وأبعدها عن كرامة الانسان وقداسة الفكر ٠

وهكذا لا يجوز أن يتعرف أحد على أدب الكتاب الروائيين من أعمالهم السينمائية والتليفزيونية والمسرحية والاذاعية ٠ والذين يعدون يصرون على ذلك بعيدون كل البعد عن معنى الأدب ٠

ولكن هل يجوز أن يعلن الكتاب رفضهم أن تقدم أعمالهم فى المجالات الدرامية · اذا قسوت وقلت بهذا الرأى وضربت عرض الأفق بالربح المادى الضئيل اذا قورن بأجر الممثل او المخرج أو بكسب المنتج · فهل ترى أن يترك الروائيون أصحاب الفكر الرفيع الميدان خلوا من أعمال فنية سامقة مثل الحرافيش التى اختارها الدكتور موضوعا لرسالته ·· ما أظن أن أحدا يقبل هذا ·

ولا يسعنا الا أن نردد الأثر المشهور مالا يدرك كله لا يترك كله · وحسبنا الله ونعم الوكيل ·

١٩٨٥/٩/١ الأهرام

سـياحة من ؟

أكتب هذا من لنـدن قدمت اليها منذ أيام قلائل · مليئة لنـدن باخواننا العرب من كل قطر شقيق أو غير شقيق ·· لا أدرى لماذا أو ربما كنت أدرى كلما سمعت شقيق فى مكان وصفا للعرب يثب الى ذهنى الشقاق لا الأخوة اللصيقة التى اصطنعت لها كلمة شقيق والتى كانت تعنى فى معناها الأصيل الأخ من ادب والأم جميعا لا الأخ من الأب فقط أو الأم وحدها ·

اخواننا العرب على كل حال يملأون لندن فأنت فيها تسمع لغتك أكثر مما تسمع لغتها · وقد استطاعت لندن ان تجعلهم يسيرون على نهجها هى · فاذا صدر من أحدهم فعل لا يرتضيه الخلق الأمثل اتجهت عيون شعب بأكمله اليه فما يلبث أن يعرف الجادة ويعود الى الطريق ·

وأنا هنا فى خارج مصر أحس أننى نزلت عن المسرح لأصبح من المشاهدين لبلدنا الحبيب · فانا فى مصر أقف على خشـبة المسرح ولا أستطيع أن أحسن مشاهدة العرض فانا واحد من العاملين فيه ينصرف همى الى الدور الذى ينبغى أن أقوم به وتصبح ملاحظتى للعرض مشوبة بانشغالى بدورى أنا · أما هنا وأنا هنا بلا دور فعيناى وقلبى ومشاعرى كلها الى مصر تقارن فتصرعنى المقارنة وتوشك ان تقتلنى حتى ليعلم الله وحده كم أبذل من الجهد لأضم أصابعى على هذا القلم لاستأنف دورى على مسرح مصر ·

لماذا يتكلم كل انسان فى مصر عن الشعب المصرى وكأنه غير · وكأنه وحدة منفصلة عنه كل الانفصال · كل انسان فى مصر يظن انه فى واد والشعب فى واد · فمتاعب الشعب ليست متاعبه وأفراح الشعب ليست أفراحه · اننى أحس الانجليزية هنا اذا قال الشعب فانما يعنى نفسه · هنا فى أقدم دولة عرفت الديمقراطية وطبقتها · فأنت تجد الشعب هنا هو الذى أراد حكم الشعب للشعب لمصلحة الشعب · وهو يعتبر الحاكمين جزءا منه هو الذى اختارهم وهو الذى أعطاهم سلطتهم وهو الذى يعينهم على ممارسة هذه السلطات فاذا حاولت جماعة ان تقتطع سلطة من هذه السلطات أو تخرج عليها وقف الشعب جميعه فى

مواجهة هذه الجماعة يحاربها بكل ما أوتى من قوة · وما أعظم قوة الشعب اذا عرف الشعب واجباته قبل أن يعرف حقوقه · ولهذا حين حاول العمال فى نقاباتهم أن يعتدوا على سلطة الشعب صاحت تاتشر بشعب انجلترا·· ادركوا انجلترا ان النقابات تريد ان تستولى عليها فانتخبت تاتشر وأعيد انتخابهـا ·

فما لنا فى مصر نخاف اللافتات والشـــعارات ولا نراعى العلاج ولا نلتزم الحزم · ومالنا تلتفت آذاننـا الى أصـوات الأقلية الغوغائية ولا نلتفت الى أصوات ضمائرنا والقوانين التى وضعت لحمايتنا من كل العـــاديات ·

أرى الانهيار التام فى الموظفين المصريين ولا أسمع عزيف العقاب ينزل ضاريا عادلا على المقصرين منهم ·

بما عوقب أولئك الذين لوثوا ماء النيل وجعلوا مشربه أمراضـا · أصاب بنزلة معوية وأسأل الطبيب العالمى الأستاذ الدكتور عبد العزيز الشريف فيقول انه من ماء النيل الذى تشربه فأنا من الذين يشربون ماء النيل الذى كنت أحسب أنه قراح وأنا لا أعقمه ولا أشترى ماء الشرب من مخازن الأدوية وكنت أحسب أن هذا هو الطبيعى وغير هذا تزيد لا داعى له ومبالغة فى الوقاية لا معنى لها ·

ماذا صنعنا بهؤلاء الذين لوثوا ماء النيل الذى سارت الركبان بذكره وبالجملة الخالدة التى ماتت اليوم « من شرب من ماء النيل فلابد ان يعود اليه » وكيف يعود وهو يحتاج الى طبيب يعوده هو ليشفيه مما أصابه من ماء النيل ·

وأقول للمسئولين ونحن نضعها فى دائرة الاهتمام من هذا الذى يسبح وماء نيلنا العظيم ملوث بالجراثيم ·

قبل أن ندعو الناس لزيارتنا لابد أن نهيىء البيت فاذا كان بيتك يشيع المرض فى أصحابه فهو على غير أصحابه أقسى وأشد هولا ·

ويزداد الانهيار ويمعن الموظفون فى غيهم فيلوثون البحر ولا يكفيهم ان يلوثوا النهر · ويقول قائلهم ان تيارات مائية أتت بالقـــذر الى الشاطىء ·· ماذا ؟ تيارات ماذا ؟ أى خرف هذا الذى يقال لنا ؟! وهل التيارات المائية أمر شاذ فى البحار ·· هل هى عارض يأتى فجأة على

غير توقع ولا انتظار ؟! .. هل هى وباء لا يعتقد أحد أنه سيجىء فاذا هو حال كالقضاء ينزل لا يعرف انسان موقته ولا يدرك انسان موعده .

أليست التيارات البحرية علما له علماؤه درسوه فأتقنوا دراسته ثم درسوه لتلاهيذهم .

ان هذا الذى حدث فى مياه البحر جريمة ارتكبت عن عمد وليست خطأ وان حاول مرتكبوها أن يقولوا انها خطأ وليست عمدا فلا فارق هناك فالقانون يساوى تماما بين الخطأ الجسيم والجريمة التى ارتكبها صاحبها عن عمد . ولئن تكون عمدا خير لصاحبها على الأقل حتى ينفى عن نفسه الجهل الفادح والغفلة .

ان حياة انسان فى الدولة المتحضرة أمر جليل تهتز له أركان الدولة جميعا فكيف نسكت على اناس يتلاعبون بحياة أمة بأسرها حين لوثوا ماء الشرب فى النيل .

وحياة مدينة بأكملها حين لوثوا ماء البحر فى الاسكندرية .

لماذا لم نسمع ان أحدا من هؤلاء رفت وتقدم الى النيابة العامة ولا أقول النيابة الادارية انهم يحاولون ان يقتلوا مصر كلها قتلا وحشيا ويقضوا على سمعتها ويقطعوا عنها السياحة ويشوهوا وجهنا الحضارى الذى صنعته آلاف السنين .

ان هيرودوت حين جاء الى مصر قال عنها وهو مندهش « ومن عجب » ان أفراد الشعب المصرى يختلفون عن العيون اذا أرادوا أن يقضوا الحاجة .

فهيرودوت المؤرخ لم ير هذا الشىء لا فى وطنه ولا فى أى وطن مر به وهو مؤرخ عصره .

هكذا كنا انقياء وهكذا كان حياؤنا قبل أن يعرف العالم النقاء أو الحياء .

ماذا يصنع هؤلاء الموظفون بنقائنا وحياتنا وتاريخنا وأجسادنا وكرامتنا .

ان دولة لا تعاقب ، دولة لا تستطيع ان تعيش وقد خرجنا من حكم الطغيان الى حكم الشعب والشعب أقوى فى الحق ان كان الطغيان أقوى فى الباطل ٠

فبالحق ينبغى للشعب أن يعاقب المجرمين فيه ومرة أخرى تجمع القوانين على أنه لا فارق هنـاك فى العقـوبة بين الفعل العمد والخطأ الجسيم ٠٠ أدركوا مصر فانها مصر ٠٠ كنانة الله فى أرضه ٠٠ وهى حياتنا لا حياة لنا بغيرها وهى مثوى آبائنا وأجدادنا ومثوانا من بعد فاجعلوا التراب الذى سنصعد فيه الى السماء طاهرا كما كان دائما أو كما ينبغى أن يظل ٠٠ وفقكم الله ٠

١٩٨٥/٩/٨ الأهرام

لأنهم مصريون

في يوم ٣٠ اغسطس كتب الأخ الصديق الأستاذ أحمد بهاء الدين مقاله اليومي في الأهرام قائلا : ألم يستوقف نظر العقيد القذافي أن مئات من حملة شتى الجنسيات العربية مستعدون لبذل أي شيء في سبيل الحصول على جنسية أي دولة بترولية في العالم العربي ؟ أغناهم وأثقفهم وأفقرهم على السواء ولكنه لا ينالها منهم الا من يعدون على الأصابع ٠ ألم يستوقف نظر الرئيس القذافي أن عربا آخرين متعلمين ومتخصصين يسعون سعيا مريرا لينالوا جنسيات أخرى من بلاد من نوع آخر أمريكا وكندا واستراليا ٠

وبعد ذلك يتحدث الأستاذ أحمد بهاء الدين عن الأهداف التي تستحث الانسان الى الهجرة كما ألم الأستاذ بهاء المامة سريعة مبتسرة عن فرص النجاح أمام المهاجرين ثم يقول الأستاذ بهاء ٠

(ألم يسأل نفسه على ضوء الحقائق لماذا لا يجد تونسيا معدما فقيرا أو مصريا فلاحا بسيطا يقبل التجنس بالجنسية الليبية وهي بلاد بترول ومساحات شاسعة وسكان قليلون وامكانات هائلة وشاطيء طويل جميل معتدل على البحر الأبيض) ثم يقول :

(٠٠٠ وان الداخل الى الجنسية المعروضة عليه ليس كالطائر المهاجر الى أرض ميعاد ولكن كالداخل في قفص يتحكم فيه مزاج رجل واحد متقلب المزاج ثم يقول في آخر المقال (ان تاريخ العالم كله تاريخ هجرات وقتا من الصحراء الى الوديان الى البترول ووقتا من الجليد الى المناطق الدافئة ولكن هذا لم يحدث أبدا بالكرباج) ٠

والى هنا ينتهي ما أردت التعليق عليه من مقال الأخ الأستاذ أحمد بهاء الدين ٠ وأبدأ باللغة فأسأله أين وجد كلمة أثقف ليستعملها أفعل تفضيل للمثقف فيما أحسب أما أنا فلا أعرفها ولكنني لا أستطيع أن أقطع بأنها خاطئة فقد يكون الأستاذ قد قرأها أو بحث عنها ٠

وأقف مرة أخرى عند كلمة أرض ميعاد فهو تعبير لم أسمعه من قبل قط · أيكون مقصد الأستاذ أرض المعاد ربما ومرة أخرى ربما كنت أنا المخطىء · ولنترك هذا ولننتقل الى المقال ·

وأبدأ فأشكر للأستاذ بهاء الدين اعترافه بأن الكرباج الذى يعنى القهر وأن حكم الرجل الواحد أمران ترفضهما كرامة الانسان وكنت أرجو أن يقف عند كلمة رجل واحد دون أن يشفعها بصفة المنقاب أذن لكان أدنى الى الصواب وأقرب الى الحق · فحكم الرجل الواحد مرفوض على أى لون له والله سبحانه وتعالى يقول « أنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان » وليست الأمانة الا الاختيار فكيف يسوغ فى الأذهان أن يقبل الانسان الظلم لنفسه فى مقابل حرية الاختيار فكيف ثم ينزع عنى هذه الحرية فرد واحد يختار هو له فان أبى كان السـوط والتشريد والتعذيب والقتل والاعتداء على كل مقدسات الانسان هو الجزاء ·

هذه واحـدة ·

وأخرى ؟ لماذا يا أخى بهاء تظلم نفسك والشعب الذى ننتمى اليه هذا الظلم البين ·

ولماذا قطعت أن المصريين رفضوا الجنسية الليبية لسبب واحد هو ظلم الحاكم الليبى · ومن قال ان المصريين يسعون الى الحصول على جنسيات أخرى عربية كانت تلك الجنسيات أم كانت أمريكية أو أوربية · حنانيك يا أخى حنانيك ·

ليست هجرة المصريين الى الخارج تعنى بأى حـال من الأحـوال محاولتهم الحصول على جنسية البلد الذى يهاجرون اليه · فما أحسب العالم عرف أو رأى التاريخ انسانا حريصا على الانتماء الى بلده حرص المصرى على مصريته ·· يهاجر المصرى ولكنه يظل مصريا بكل قطرة دم فى عروقه · وما أندر ما سمعنا عن مصرى حاول الحصول على جنسيات أخرى · انما هى حالات فردية لا تقيم قاعدة بقدر ما هى الاستثناء الذى لا يقاس عليه ولا يتوسع فيه · وهى أيضا الاستثناء الذى يؤكد القاعدة فكلما قل الاستثناء كانت القاعدة أثبت وأرسخ ·

وقد رأى المصرى فى وطنه أهوالا شدادا وسنوات عجافا وقهرا وجبروتا ولكنه قط ما ترك مصريته ·

رأى الهكسوس ورأى الأتراك واصطلى بحكمهم الغليظ · وعمت بلادنا المجاعات حتى لقد أكل الناس بعضهم البعض · ولكن المصريين ظلوا مصريين · وشهدنا حكم الفرنسيس وظلمهم وقاسينا احتلال الانجليز وغطرستهم وغباءهم · وظل المصريون مصريين ·

وحين قست مصر على بنيها فى الزمن الأخير · وحين اعتدى الحكام على الأعراض والأنفس والأموال والثمرات · هاجر المصريون ولكن ظلت عيونهم على مصر · وظلت قلوبهم مغروسة أشجارا لفاء سامقة فى أرض النيل · واكتسبوا المال واشتروا به الأراضى فى مصر وابتنوا لأنفسهم بيوتا فى مصر ولو ساومهم من هاجروا اليهم على مصريتهم لتركوا لهم ما كسبوه بكدهم وكدحهم من مال ومالوا الى مصر المرفأ والمنتج والأمل الأخير · فهى هى عندهم أرضى المعاد الذى اليه العودة ومن ترابه يكون صعودهم الى السماء ·

لقد قرأت لا شك يا أخى بهاء ان الوفا مؤلفة من جنسيات أخرى قبلت التجنيس بالجنسية الليبية · ولكن مائة ألف مصرى أبوا جميعا أن ينزلوا عن مصريتهم · وان حرمهم القـذافى مالهم الذى بذلـوا فيه دماءهم ·· نعم وان ·· وان طردهم ·· نعم وان ·· وان هددهم بما يعرفون من قسوة الحاكم الغاشم الظالم الطاغية ·· نعم وان ·· لان مصريتهم أعز عليهم من عروض الدنيا جميعا ولأن نفوسهم المصرية أقوى يشربون ويسقون أهلهم وذويهم ·

مرحبا بالعائدين من ليبيا ·· مصريين ذهبوا ومصريين يعودون ·· كانوا فى حضن مصر وهم فى ليبيا وهم فى أحضانها وفى حبات العيون وملء القلوب وهم على نيلهم يمرحون وفى وديانه ينتشرون ومن معينه يشربون ويسقون أهلهم وذويهم ·

ان كانوا للمال قد خرجوا فهم بما لديهم من سواعد وخبرة واجدون المال بين أهلهم وذويهم ·· مباركون هم فى حلهم وترحالهم · مصريون هم أقاموا أم هاجروا · فمصر تعلم أن المهاجرين عنها كل المهاجرين انما هم مصريون بجذورهم ، مصريون ، بدمائهم ، مصريون ، بفروعهم وهل

أدل على ذلك من أنهم يجتمعون هنا في كل عام يبحثون شئونهم مع أهل مصر لأنهم مصريون ويدبرون أمورهم مع ولاة الأمور في مصر · لأنهم مصريون ·

لهذا يا أخي بهاء أبى المصريون أن يتركوا مصريتهم · هكذا صنعوا في ليبيا وهكذا يصنعون في كل البلاد العربية وهكذا يصنعون أيضا في الأمريكتين وفي أوربا وفي كندا وفي استراليا وفيما شئت من بلاد العالم أجمع · وهكذا سيظلون الى الأبد الأبيد ·

١٩٨٥/٩/١٥ الأهرام

الغوث يا رحيم السماوات ...

هذا الغلام المفتون المقيم فى ليبيا كارثة تضاف الى كوارث الغرب الكبرى . وكم من الكوارث تحيط بالعرب .

يحيط بهم الشقاق والخلاف والاصرار على الخلاف فى جنون أرعن مأفون . ومنهم من يصر على الخلاف رغبة فى الزعامة . وتلك فى ذاتها عجيبة فقد عرفنا الزعامة اجماعا أو اتفاق أغلبية على اختيار شخص للقيادة فهل ترى نجد جديد جعل الزعامة اليوم ايقـاع الخلاف بين المزعومين بعضهم وبعض .

ومن كوارث العرب تلك الحرب الظحون الدائرة فى لبنان أنها كما قال شوقى الخالد قطة تأكل بنيها فى ضراوة قاسية اليمة ولكن يبدو أن حمياً الحرب أشد ضراوة من وحشية الجنون . ألا يدرى أولئك المتقاتلون فى لبنان أنهم ما يقتلون الا أنفسهم وما رأينا من قبل قاتلا بغير دافع الى القتل الا الموت فى سبيل الموت المأفون من أجل الفناء . عرب يقتلون عربا واخوة يقتلون اخوة وسوريا تخفى خزيها فى الجولان باشعال نيران القتل والدمار فى لبنان والأحمق المأفون فى ليبيا لا يكتفى بهذا الدمار بل يزيد لنا لهيبا بتصرفاته التى تزيدنا حسرة على العرب وحزنا على حالنا وتزيد الخروق اتساعا وتقطيع أواصر وتمزيق وشائج . ويجد من مصر من يتيح له أن يخطب فينـا ونقرأ ما ينقلون عنه فنجـد المصريين ـ وما أحســـبهم كذلك ـ يتعاطفون معه ويتناغمون مع ألحانه المجنونة الحمقاء ويطعنون مصرية المصريين وقومية العرب فى وقت معا ومرة أخرى نذكر قول شوقى :

خطبت فكنت خطبـــا لا خطيبـا أضيف الى مصـــائبنا العظـــام

فاذا تركنا لبنان وما أكثر ما نحزن من أجل لبنان ولفتنا رؤوسنا الى العراق وايران وجدنا هذه الحرب الضروس تسفك دماء المسلمين وهم فى ايران يشعلونها باسم الاسلام . براء ديننا مما يفترون بل وبراء كل الأديان مما يسفكون من دماء .

واذا نسينا الدماء ـ وما أدرى كيف لنا أن ننسى الدماء ـ وجدنا أموال العرب ترمى فى أنهار الدم ـ ويجتمع على هذا المال جنوب الحرب فى العراق وايران وجهل المخـــابيل ممن يريدون أن يحققوا ذواتهم بالسيارات المجنونة الأثمان أو بالطيارات أو بالقصور التى تثير القرف لا الاعجاب أو الملابس التى ما كانت لتصنع لو لم تكن المصانع تعلم أن هناك مهازيل فارغين سيشترونها لجعلوا منها لجسومهم الجوفاء زينة ، وعلم الله ما هى زينة وانما هى قبح واستهتار وجمود مشـــاعر وعدم احساس بمآسى الانسانية حولهم • ولو أن الدول لم تصب بحرق العراق التى أحرقت فيها حتى اليوم آلاف المليارات من الأموال ولو أن الأفراد الأثرياء كانوا على شىء من الانســـانية والرحمة لتغيير وجه العالم أجمـــــع •

وكم تسيل الدموع وهى ترى المال حين جاء الى العرب أصبح حربا ودمارا للعرب أنفسهم وللمسلمين أو أصبح مظهرا تافها حقيرا يثير من النفوس المرارة والأسى والحزن •

وأرقب هذا جميعه وأنا استشفى هنا فى لوزان أحاول أن استجمع فى أسابيع ما شتته العام منى عنتا وعملا ورهقا • فتطلع على جريدة مصرية بحديث عن ناقد مصرى تصـــدر التلفزيون المصرى وراح يوجه أسهمه المسمومة التى تعود أن يرمى بها مصريتنا وعروبتنا ولغتنا ومن تجلهم من أشخاص وما نقدسه من أدب عربى رفيع •

وأقرأ أن الناقد قال أنه يخشى أن يعود المسرح الشعرى الى شوقى وعزيز أباظة •

رحماك يابن مصر • وهل ظهر مثل شوقى وعزيز أباظة ؟

رحماك يابن مصر فهل سمعت عمرك أن انسانا يخشى أن يصبح شعره العربى قمة مرة أخرى • أما نحن المصريين الذين لا لغة لهم الا العربية فنتمنى هذا الذى تخشاه • من أعماق نفوسنا نرجوه ويرجوه معنا كل من يحب لغته وأدبه وقومه ومقدساته • ان المسرح الشعرى الحديث الذى مثله الشرقاوى بقوة وعظمة وشموخ والذى تبعه فيه صلاح عبد الصبور بروايات قليلة والذى لم نر منه بعد ذلك الا بدايات تنبىء فى غير وضوح وتبشر فى غير يقين • هذا المسرح الشعرى يقوم على شعر التفعيلة واننا نرحب بهذا الشعر كل الترحيب فى المسرح ولكننا نظل نتمنى أن يعود الشعر الأصيل الى المسرح • والا فهل يحزن الانجليز ان عاد شكسبير أو يحزن الفرنسيون ان عاد لهم راسين •

ولكن لا ملامة على النـــاقد ولا تثريب عليه · وأى معنى عربى لم يحاول أن يمزقه وأى انسان شريف من عظمائنا لم يحاول أن يحطمه أنها سهام يعدها لكل ما هو عربى فى حياتنا ولهذا تعودت هذه السهام أن ترتد اليه لأن لغتنا العربية مصونة بكتاب الله الخالد · وبلسان العرب أجمعين · فان عرتهم اليوم لكنة وأصابتهم عجمة فما هى الا تعبير عن تمزقهم فى داخلهم وحربهم لأنفسهم وقتلهم لبعضهم البعض · ولكنها الغمرات ثم تنجلى والله سبحانه أرحم بعباده أن يتركهم هكذا فى غيهم يعمهون ·

وما بقى لنا الا أن نترقب الغوث من رفيع السماوات سبحانه وأنه لمدركنا برحمته التى وسعت كل شىء تقدست أسماؤه ·

١٩٨٥/٩/٢٢ الأهرام

العـــود أحمـــد

أنا أعيد نفسي للعودة من بلاد الانسان فيها هو أعلى قيمة فى الوجود ٠ وأنا أكتب هذا وأنا فى سويسرا بلاد الجبال والبحيرات ٠ كيف استطاعوا ان يخضعوا الجبال وهى الشاهقة البالغة أعنة السماء للانسان فهى متعته وهى رياضته ونزهته ٠ والبحيرة يركبها ذلولا تشرق للانسان بأجمل ما فيها من وجوه ٠ أنت عليها بطل كثيف أصبحت الجبال الصخرية الصلبة أرضا خصيبة معطاء ٠ وكيف غدا الصحراء الصلب الشديد بيوتا هى زينة ومتعة فى عين الرائين ٠ وهناء ورغدا لعيش الساكنين ٠

وتمشى فى الطرقات فتجد المصاعد الكهربية توفر عليك عناء الصعود أو الهبوط وترى الطريق أمامك يضحك لك يستقبلك ٠ امش باذن الله سليما معافى فلا خوف عليك من عثرة ولا ضير على قدميك من مفاجأة أنت آمن فى خطاك ٠ هادىء سربك فى جنبات المسالك ٠

وكنت قد انتويت ان أعود الى مصر فى آخر هذا الشهر ٠ ولكن فجأة عافت نفسى الحياة فى أكناف لوزان الفيحاء وفى اشراقة الدنيا بها ملت نفسى السعادة فى صباح ومساء ٠ الصباح اشراق لاتلقى فيه الا الوجوه الوضيئة بالأمن الراضية عن العيش ٠ والمساء هدوء وسلام ٠

وتاقت نفسى الى مصر ٠ بكل ما فيهـا من وعثاء الطريق وغابات الأشجان ومتاعب الناس ٠ ونواقص الخدمات ٠

سئمت البلاد التى تعتبر الانسان أغلى عناصر الوجود وسيد هذه الحياة ٠ والح بى الشوق الى مصر بكل مصر ٠ بطرقاتها المخلعة الأرصفة المحفورة المسـار ٠ بمائها وما فيه مما ندريه ولا يدريه الا عالم الغيب والشهادة ٠ بشكاوى الناس من قلة الايواء وصعوبة النقلة ووعورة اليوم ، وانكماش الغد وضآلة الرزق ، وغلاء المطالب ٠

وجدت الحنين الى مصر هذه يقتلعنى اقتـلاعا من مقامى بسويسرا ويدفعنى دفعات جائحة الى بلادى فالهناء فى سويسرا ليس هنائى والديار

ليست ديارى ، والربوع ليست ربوعى • والنسمة تهفو الى من غزالة بلدتى بجوار الزفازيق أحب الى من كل الجمال فى سويسرا ومن كل الهناء فى انحائها ومن كل الطمأنينة فى جنباتها فكل هذا مبذول لأصحابه وليس لى وان شملنى منه نصيب وأنا بينهم فكما يشمل المضيف ضيفه ببعض الرعاية • والضيف مهما ينل من العناية يظل ضيفا • وشعور الانسان بأنه ليس فى بيته يجعله دائما حذرا يترقب يوم عودته الى كسرة بيته وان كان عشا بلا فخامة ، أو كن سقيفة بلا جدران •

وجئت وحمدت العودة وأحسست وأنا هنا أننى فى مكانى الذى خلقنى الله له وخلقه لى هنا استاف عبير آبائى وأجدادى من تراب مصر وأشم أجمل هواء عرفته فى حياتى • هواء مصر • فان حبنا هنا وما مضى من أيامى هنا وما هو فى مطوى الغيب قابل هنا مثوى الذين مضوا من أعز الناس علينا ومستقبل نفوسنا ومن هم أغلى من نفوسنا من أبنائنا •

نحن هنا غرس فى أرضه ونبات فى مكانه • أصل نحن هنا وفروع • وماض نحن هنا وحاضر ومستقبل • نحن هنا نحب هنا بقلوبنا ومشاعرنا ونبضات عروقنا وليس مع هؤلاء منطق الا الحب •

ودخلت الى مكتبى فى الأهرام • أعز مكان على نفسى بعد قريتى وبيتى وقرأت بريدى • ورحت أقلب الصحف التى لم تكن تصل الى غربتى • ووجدت مجلة الأهالى فى أسبوعها الماضى •

كلما قرأتها تملكنى الحيرة

ماذا يقول هؤلاء الناس ؟ وما لهم ينصبون هكذا بعدوانهم الوقح على الحقيقة يريدون ان يدمغوها بالبهتان وما لهم يعترضون الطريق القويم بأسلحة الزور والكذب والتمويه •

فى صراعهم مع عبد الرحمن الشرقاوى وليس الشرقاوى بحاجة الى أحد ان يقف الى جانبه فهو وحده قادر وأكثر من قادر ان يمحق حجتهم بقلمه الشامخ الجرىء •

والحق فى جانبه واضح • وهو ابن مصر لم يتلكأ على أبواب المخابيل من حكام ليبيا ولم يصانع أثرياء البترول بقلمه أو كلمة •

ولم يقل عن أحد انه نبى جاء فى غير موعده لأنه مسلم ويعلم علم يقين أن محمدا عليه صلاة الله وسلامه هو خاتم الأنبياء • وهو قد قرأ تاريخ الأنبياء وعلم أنهم قمم الانسانية وأى قمة أعلى من اختيار رب الناس ملك الناس اله الناس لحمل الرسالة • وهو يعلم كما يعلم كل مؤمن انه لم يحدث ان ظهر نبى مجنون يخرب الأرض حواليه ويحرق الدنيا جميعا فى جنون الزعامة وبمال الشعب الذى فرض عليه حاكما •

ولكن الأهالى تقول انه نبى جاء فى غير موعده • أهم مؤمنون بالأنبياء الذين جاءوا فى موعدهم حتى يؤمنوا بالنبى الذى جاء فى غير موعده وجعل معجزته محاولته السافلة الحقيرة ان يغير فى القرآن الكريم •

ولم يقل الشرقاوى ان القذافى آخـــر الصقور • ولست أدرى من هؤلاء الصقور السابقون حتى أدرى آخر الصقور الا ان يكونوا يقصدون بقولهم هذا انه آخر الطواغيت الذين يختطفون ما ليس لهم بحق والذين ينهشون لحوم الموتى والذين يأكلون الجيف ان كان هؤلاء هم الصقور الذين يقصدون قاللهم نعم انه صقر • واللهم يا ذا المن سبحانك اجعله آخر الصقور فما أبغض الناس شيئا قدر بغضهم للطواغيت العتاة الظالمين السافكين دم شعوبهم وأهليهم •

أنا اذن لن أقف فى جانب الشرقاوى فهو ليس فى حاجة الى أحد أن يقف الى جانبه بل ربما عارضته أيضا فيما أطلقه من اسم اليسار الوطنى على جماعة بعينها فأنا لا أعرف فى مصر عددا من الناس يمكن ان يكون جماعة اسمها اليسار الوطنى وانما هم أفراد قله مثل الشرقاوى ومحمود توفيق وفتحى غانم وربما تكون هناك بعض أسماء أخرى لا تسعفنى بهـا الذاكرة ولكنهم على آية حال لايكونون جماعة يمكن ان تحمل اسما •

وانما أنا أريد أن أسأل الأهالى وأصحابها ما هجومهم هذا اللئيم الجائح على أنور السادات عملاق الحرب وعملاق السلام • أليس هو من انشأ حزبهم وانشأ مجلتهم واختار من بينهم اثنين جعل منهما وزيرين عاملين • أهذا ذنبه عندهم أم هذا جزاؤه • أم على قلوب أقفالها ؟!

وما قولهم ان الأهرام جريدة حـــكومية • ألا يعرفون أن الأهرام مؤسسة لها من المال ما يستطيع ان يخرج عشر جرائد فى حجم الأهرام بما كسبته من ثقة عند الناس فى مشارق الأرض ومغاربها • فالحكومة اذن لا تدعم الأهرام ولكن فليقولوا لى هم ــ ما داموا ينكرون أنهم يتقاضون

الأموال من الدول الشيوعية ودول اليمين ودول البترول ـ كيف تصدرون أنتم ومن أى الموارد تنفقون على مجلاتكم ان اشتراكات أعضائكم كلها فى عام بأكمله اذا كانوا يسددونها لاتكفى لاصدار عدد واحد من مجلة واحدة من مجلاتكم ٠

اذن فأنتم تصدرون بدعم من الحكومة ٠٠ منه الدعم الظاهر الذى قرره لكم السادات ومنه الدعم الباطن المتمثل فى اعلانات الوزارات والقطاع العام ٠ فان القطاع الخاص لا يمكن أن يعلن عندكم ٠ وكيف يعلن ويقدم مالا لاعلان فى جريدة لا يقرأها الا المئات مشتتين فى أنحاء مصر ٠

أنتم اذن الجريدة الحكومية أما الأهرام فانه الأهرام وأنتم تعرفون وان رغمت أنوفكم ما معنى كلمة جريدة الأهرام فى الآذان وفى النفوس وفى أنحاء العالم أجمع ٠

قرأت الأهالى عند عودتى لمصر وحزنت ان بين ربوع مصر أمثـــال هؤلاء ولكن مالى لا أقول مع المتنبى ٠

فان يكن الفعل الذى ساء واحدا
فافعالك اللائى سررن ألوف

١٩٨٥/٩/٢٩ الأهرام

اليـوم عيـد العـرب

مثل هذا اليوم منذ اثنى عشر عاما قاد الجيش المصرى باسم العروبة بطل فرد فى تاريخ العالم العربى الحديث هو أنور الســـادات · وحطم بما فعل وبما فعل جيشه كل الأساطير من حقائق وأباطيل · وكان الطنين يملأ أرجاء الدنيا ان الحرب مع اسرائيل حرب مع الأقدار محتومة الهزيمة· وكان الكهنوت الأعظم لهزيمة سبعة وستين يملأ الدنيا بمقالاته التى يدعى أنه يعتمد فيها على العلم بالحقائق ما ظهر منهـا وما خفى وما لا يعلمه الا الله والنادرون المختارون من عباده وقد وكان يعتبر نفسه دائما على رأس هؤلاء النادرين المختارين بما عرفه من رؤساء وملوك وقادة وغطارفة أموال وأرباب سياسة وآلهة حروب ·

وكان يكل هذا يقول ان الماء والنـــار والجبـال والصواريخ التى لم تشهدها البشرية والطائرات التى لا تعرفها سماوات الشرق الأوسط والدبابات التى لم يعهد لها أحد مثيلا والمشاعل التى تحرق الماء والسيول التى تجرف الجبال كل هذا فى انتظار الجيش المصرى اذا هو فكر فى الحرب ·

ونحن المصريين ظللنا السنوات الطوال نترقب مصائرنا ونتحسس ما يبيته لنا حكم الفرد من قرارات وأحكام وقوانين مما يكتبه الكاهن الأعظم فلم يكن عجيبا أن يرى الكتاب وأنا منهم أن الوعد بالحرب وعد مخلوف وكلمة للتسكين لا للتنفيذ · وقدمنا نحن الكتاب بيانا نقول فيه ما معناه أما الحرب فلا سبيل اليها · فاعطونا حريتنا عسى أن تحل الكلمة الحرة محل القنبلة التى لانتوقع لها أن تنطلق ·

وغضب الســادات يومذاك ــ رحمه الله فى الصديقين والشهداء ــ ولو علم أننا حين كتبنا ما كتبنا كنا فى حال من اليأس شديد ومتى يمكن ان يكون اليأس قاطعا اذا لم يتملك نفوسنا ونحن نقرأ ما نقرأ · ولو علم السادات أن الدافع الأول الذى حملنا على كتابة ماكتبنا هو ذلك اليأس القاطع ما غضب ·

رحم الله أنور السادات في الخالدين · لم يحبس الذين غضب عليهم لم يأمر بهم ليقتلوا وانما كل ما فعله أن شطب أسماءنا من الاتحاد الاشتراكي وأنا لم أكن في حياتي عضوا في الاتحاد الاشتراكي فالعقوبة بالنسبة لي كانت مستحيلة التنفيذ شأنها شأن الجريمة المستحيلة التي نتكلم عنها القوانين الجنائية · ولكن هذا الشطب كان الأثر الحقيقي له أن منعت أسماؤنا توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وأنا من النشر بالجرائد أو الذكر في الاذاعة أو التليفزيون · عقوبة بالنسبة لأمثالنا هينة الأثر ضئيلة الشأن وأنا اليوم التمس له فيها العذر فقد كان الرجل يعد لحرب فعلا فماله ألا يمنع أسماءنا والمقصود من أسمائنا منعنا من الكتابة حتى لا نصب بأسنا في قلوب قرائنا من القوات المسلحة الذين هم أمله في الغد الذي يعد له · وأنا اليوم التمس له العذر كل العذر فيما فعل · كما أعرف اننا كنا على حق فيما كتبنا من بيان · كنا جميعا على حق · نحن كتبنا البيان حين طالعنا اليأس من الكاهن الأعظم لكتـــاب الدولة · وغضب السادات لأنه كان يعد للحرب فعلا وفي خفاء وتستر عظيم حتى ان الكاهن الأعظم نفسه فوجيء بالحرب كما فوجيء ببائر البشر ·

وقبل الحرب بأيام أعلن السادات في التليفزيون انه يرفع العزل عن جميع الكتاب · وكان هذا الاعلان حريا ان يفهمه العدو لو كان على هذا القدر من الذكاء الذي يتغنى به المتحمسون له · ما كان أجدرهم ان يعرفوا ان رفع العزل هذا كان اشارة من السادات العبقري انه تخطى مرحلة القول واصبح في مرحلة التنفيذ · وما هي الا أيام قلائل حتى وقعت الواقعـة وحلت باسرائيل الكارثة التي لم تشهد لها مثيلا في كل سنوات اغتصابها للأرض العربية ·

ولم يكتف السادات بذلك بل انه شق التاريخ وأمواج الصخب الهازلة وميدان الأقوال الضخمة بلا عمل والهتافات الصارخة بلا فعل والبطولات العنترية بلا سيف من عنتر أو حصانه · وذهب الى القدس وفتح الباب للعرب أجمعين ان يفاوضوا كما فاوض ويستردوا حقوقهم كما استرد ولكنهم بدلا من هذا ثاروا عليه ورموه بالخيانة ولعمر أبيهم كيف يخون من يضع رأسه على كفه ويقول لا إله الا الله ، وكيف يخون ويفقد أخاه · وكيف يخون وينتصر · وكيف يخون ويسـترد لوطنـه الجزء الضـــائع من وطنه · وكيف يخون من يعمل في رائعة النهار لا متخفيا ولا متسترا بليل ولا قائلا في المساء غير ما يفعله في الصباح ·

اللهم سبحانك ها هم أولئك يحاولون أن يخونوا كما خان ويفاوضوا كما فاوض وينالوا بعضا مما ناله فتلتوى بهـم الطرق وتتقطع دونهـــم

المسالك · ولكن الهتافات والصراخ والعنتريات الكاذبة والبطولات اللفظية كل هذا على حاله لم يتغير ·

وبيننا وفى ربوع مصر التى اســـتعادت كرامتها التى ديست فى ٦٧ بحرب ٧٣ فى ربوعنا نحن من يجعل مدح السادات جريمة لا تغتفر واثما لا يمحى · وعلى رأس هؤلاء الشيوعيون الذى انشأ السادات حزبهم وجريدتهم · وكم أتمنى ان يقولوا ولو لمرة واحدة كلمة حق فيذكروا لنا الى أى حال كانت ستصبح مصر لولا السادات الخالد ·

فكروا قليلا ثم أجيبوا · اما كان من الطبيعى أن تهاجمنـــا اسرائيل بعد حرب ٧٣ لتنال ثأرها · وكيف يسوغ فى الأذهان ان اسرائيل كانت ستسكت بعد حرب هى منهزمة فيها وهى لا تعيش فى المنطقة الا بقوة السلاح · وأقرب دليل على سلامة هذا التوقع أنها تحارب الآن فى تونس ولبنان فهى تريد بكل الوسائل ان تجعل العـــرب يعرفون ان الهزيمة لم تردعها · ولولا السلام الذى فرضه عليهم السادات لكانت الحرب مع مصر وفى شوارع القاهرة · ولكنها اليوم عاجزة يتخطفها الغيظ فهو سلام ضمنته ووقعت عليه أكبر دولة فى العالم أو فى التاريخ اذا شئت · وهذه الدولة هى فى نفس الوقت مصدر رزق اسرائيل وملاذها وملجؤها ·

فليقل لنا الشيوعيون ماذا كانوا يريدون من السادات · وماذا كان يمكن ان يقدم لمصر أكثر مما قدم · رحمه الله فى الخالدين ·

ومجلاتهم هذه أليست لفتة من السادات وعلم الله أنهم فيها لا يقولون الا الكذب والبهتان · وعلم الله أنهم فيها يتاجرون بالألفاظ ولا يلتزمون بما يقولون وأقرب دليل على ذلك أن المحررين عندهم جميعا وبغير استثناء محررون فى جرائد قومية يقبضون حتى اليـــوم مرتباتهـــم وعلاواتهـــم وحوافزهم من الجرائد القومية دون ان يقدموا لها أى عمل ·· الا يدركون انهم بذلك يأكلون من عرق الكادحين العاملين فى هذه الصحف القومية ولا يقدمون أى مقابل فى نظير المرتبات التى يقبضونها كل الشهر · أهذه هى النظرية الماركسية كسب بلا عمل وقبض بلا جهد · ألا يدركون أنهم بذلك يقدمون صورة لأسوأ صور الرأسمالية · ولكن لتذهب كل النظريات الى الجحيم ماداموا هم يقبضون ·

وليهاجموا السادات ماداموا هم يقبضون ·

وليهادنوا أعداء مصر والمتحرشين بها ماداموا هم يقبضون ٠

وليتمدحوا ويتغنوا بالقذافى الذى طرد عمال مصر الكادحين والذى استلب ما جمعوه من كدحهم وكدهم وليجعلوا منه النبى الضائع فى الزمن والصقر الأخير ماداموا هم يقبضون ٠

واذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون ٠ انا لله وانا اليه راجعون ٠

١٩٨٥/١٠/٦ الأهرام

يفتقد البدر

اننا فى هذه الأيام نحتفل بذكرى الشاعر الاول فى الأدب العربى أحمد شوقى · وقد لقى شوقى من الهجوم فى حياته وبعد وفاته ما يضيق به أولو الصبر والأناة · وكان ـ رحمه الله فيما سمعت ـ يضيق بالنقد ولكن شيئا لم يستطع ان يرده عن الابداع الشعرى الذى جلس به متفردا على امارة الشعر فى عصره وفيما سبقه من عصور وأحسب انه سيظل متسنما هذه القمة الى أجيال كثيرة قادمة · ولا شك أنه سيتعرض فى قابل الأيام لما تعرض له فى ماضيها من تطاول ·

ولعل أصدق دليل على توقعى ماحدث فى التليفزيون المصرى منذ قريب حين تصدر التليفزيون المصرى ناقد مصرى الجنسية والمولد ولا أقول الاسم ، أجنبى الثقافة والانتماء ولا أقول الهوى ، وحذر أن نعود الى عصر شوقى وعزيز أباظة فى المسرحية الشعرية · وكأنى به وجد من يستطيع البلوغ الى هذه القمة ولم يبق الا ان يحذره من بلوغها ·

ولكن ما شأن الأجانب الغربيين بالشعر العربى · ان هذا الناقد يحرص على هدم الأدب العربى الخالص منذ هو فى أول حياته يتسلق ما يجد ليبلغ الشهرة ولكنه أخطأ السلم فتسلق سلما انجليزيا تارة وفرنسيا تارة وشيوعيا دائما فلا هو أصبح أديبا عربيا فى المكانة الجديرة بنسبه ولا أصبح أديبا فرنسيا ولا هو أصبح أديبا انجليزيا وان ظل على الدوام شيوعيا وحربا على اللغة العربية وهو بحربه لها يحارب معنى أكبر أكبر ان أصرح به مادام هو مصرا ان يتكتمه تكتما فاشلا فما من أحد يعرفه أو يقرأ له الا وهو يعرف ما يضمر وما يحاول ان يستره · والله من فوق عباده غالب على أمره ·

وقالوا عن شوقى شاعر الأمير وقال هو عن نفسه :

شاعر الأمير وما بالقليل ذا اللقب

ولكن شاعر الأمير هذا لم يسكت يوما على باطل ولا بارك يوما رأيا لا يدين به بل هو يصرخ فى قصيدته الرائعة « الهلال » :

سنون تمر ودهر يعيد ... لعمرك ما فى الليالى جديد
أضاء لآدم هذا الهلال ... فكيف تقول الهلال الوليد
على صفحتيه حديث القرى ... وأيام عاد ودنيا ثمود
وطيبة حافلة بالملوك ... وطيبة مقفرة بالصعيد
نعد عليه الزمان القريب ... ويحصى عليه الزمان البعيد
يقولون يا عام قد عدت لى ... فيا ليت شعرى بماذا تعود
لقد كنت لى أمس ما لم أرد ... فهل أنت لى اليوم ما لا أريد
ظمئت ومثلى بنى أخق ... كأنى حسين وذهرى يزيد
ومن صاحب الدهر صحبى له ... شكا فى الثلاثين شكوى لبيد
وانى نواسى هذا الزمان ... فمن للزمان يأذن الرشيد

فهو اذن يهاجم الأمير ويرميه بأنه لا يقدر شاعره حق قدره ، وهذا الشاعر الذى اطلقوا عليه شاعر الأمير ثم نصبه شعراء العروبة جميعا أمير الشعراء نال هذين اللقبين تمجيداً وفخرا . وكلا اللقبين كان يتمنى شعراء جيله ان يفوزوا بواحد منهما ولكن سعيهم أكدى وصدق عليهم قول شوقى :

قسما لو قدروا ما احتشموا ... لا يعف الناس الا عاجزين

ذكرت شوقى اليوم واسرائيل تعربد فى العالم العربى كعاهرة ساقطة النقاب معدومة الحياء . وذكرت شوقى وأنا أرى أمريكا أكبر دولة فى العالم تبارك فجور اسرائيل وتحطيمها لكل سلام مرتقب مع العرب . وتولت القلب حسرة لاعجة بل حسرات اسرائيل تهزأ بكل الأعراف الدولية والخلقية وتصنع ما لا تصنعه دولة بل ومالايجوز أن تصنعه الجماعات الفلسطينية . ولكن اذا غفرنا للمظلوم المشرد أن يضرب ضربات رعناء غير واعية فكيف نسيغ ان تصنع دولة لها وزارة وكنيست ورأى عام أن تفعل فعل الجماعات التى شردتها هى .

ونرى أمريكا التى ينبغى ان تكون فى مكان الدولة الكبرى التى تردع مخلوقتها اسرائيل اذا هى سكرت وتخدرت وعربدت تبأرك ذلك الهوس الدموى الآثم المجرم الذى تقوم به اسرائيل وأرى هذا وأنظر الى العرب . فأرى سوريا تصنع فى شقيقتها لبنان ما تصنعه اسرائيل فى أعدائها من الفدائيين وأرى سوريا أيضا تنقض انقضاض الوحوش

المسعورة على الفدائيين أيضا وكأنهم ما كفاهم ان استلبت منهم اسرائيل أرضهم وآمنهم ومأواهم . وكأنهم ما كفاهم تلك الاعمال الاجراميه التى تصبها عليهم اسرائيل فى غير حجل أو تفكير فى الرأى العام العالمى . كأن سوريا ما كفاها هذا جميعا فهى تطحن الفدائيين طحنا أخرق مأفونا حتى لا يسعنا الا ان نقطع بانها على اتفاق تام مع اسرائيل وما لنا ان نظن هذا والعالم كله يتكلم عن بيع سوريا أرضها فى الجولان لدوله اسرائيل التى ضمتها الى أقاليمها .

علاقتها بمصر وكأن مصر هى التى تعربد فى تونس ولبنان ولا تقطع الدول صاحبة الثراء والقدرة المالية الباذخة صامتة ساكنة مكتفية أنها قطعت علاقتها بمصر وكأن مصر هى التى تعربد فى تونس ولبنان ولا تقطع الدول العربية علاقاتها بسوريا التى حاربت الفدائيين بأشد مما تحاربهم اسرائيل ولكنها دول تخشى التخريب السورى وتعلم أن مصر محكومة اليوم حكما ديمقراطيا وانها سلام حيث حلت . أمن حيث ذهبت وأنها من قبل ومن بعد تنظر الى كل الدول العربية الأخرى نظرتها الى الأخوة الصغار وشأن الكبير أن يعفو ويتسامح ويعف ويتعالى فى كبرياء ويصدق علينا قول الشاعر العربى القديم :

وان الذى بينى وبين بنى أبى ... وبين بنى عمى لمختلف جدا
اذا أكلوا لحمى وفرت لحومهم ... وان طلبوا هدمى بنيت لهم مجدا
يعيرنى بالدين قومى وانما ... ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم ... فليس كبير القوم من يحمل الحقد

أذكر هذا جميعه فى ذكرى مولد شوقى وفى ذكرى وفاته فاليومان متوافقان . وأتساءل هل كان شعر شوقى يستطيع اليوم أن يوقظ فى العرب عروبتهم ويردهم الى ضمائرهم ويعيدهم الى الطريق . فيقول لهم ما قاله فى رثاء الخلافة . لأحسب انه كان سيسمى القصيدة فى رثاء العروبة . فهى اليوم هى القتيل :

عادت أغانى العرس رجع نواح ... ونعيت بين معالم الأفراح
كفنت فى ليل الزفاف بثوبه ... ودفنت عند تبلج الأصباح
شيعت من هلع بعبرة ضاحك ... فى كل ناحية وسكرة صاح
ضجت عليك مآذن ومنابر ... وبكت عليك ممالك ونواح
الهند والهة ومصر حزينة ... تبكى عليك بمدمع سحاح

والشام تسأل والعراق وفارس أمحا من أرض العروبة ماح ؟

وطبعا أبدلت كلمة الخلافة بكلمة العروبة وأمضى فى قصيدة شوقى :

يا للرجال لحرة موءودة قتلت بغير جريرة وجناح
هتكوا بأيديهم ملاءة فخرهم موشية بمواهب الفتاح
نزعوا عن الأعناق خير قلادة ونضوا عن الأعطاف خير وشاح
وعلاقة فصمت عرى أسبابها كانت أبر علائق الأرواح

كان شوقى خليقا أن يقول مثل هذا وأكثر حين يرى حال العرب اليوم ولكن ٠٠ كم تخادع نفسها النفس ٠ أو مثل هؤلاء الباحثين عن متعتهم كانوا سيلبون دعوة شوقى هيهات ٠ ان كانوا قد عزفوا عن دعوة الله لهم بالوحدة أيلبون دعوة انسان مهما يكن أمير الشعراء ٠

اللهم انك قد فرضت علينا الحج ليكون للمسلمين وحدة ورباطا واجتماعا فاللهم فشأنك اليوم مع عبادك الذين صاروا فرقا وشيعا وأحزابا وليس لهم من دينك عاصم ولا من نفوسهم عصام وحسبنا أنت فأنت وحدك نعم الوكيل ٠

١٩٨٥/١٠/١٣ الأهرام

ماذا فعلتم بأبيكم ؟

أشاهد فى هذه الأيام رواية زينب التى ألفها فى أوائل هذا القرن أبو الرواية المصرية الدكتور محمد حسين هيكل باشا · وهكذا تعتبر هذه الرواية تراثا أدبيا بدأت به الرواية المصرية مسيرتها حتى بلغت اليوم ما بلغته ·

وقد قدمت هذه الرواية فى السينما المصرية وهى صامتة ثم قدمت فى أول الخمسينيات ناطقة · ولا أعرف شخصا ذا اهتمام بالأدب عامة وبالقصة خاصة لم يقرأ هذه الرواية ويستمتع بها ·

وحين ألف الدكتور هيكل باشا هذه الرواية كان المذهب السائد فى الأدب الغربى هو المذهب الرومانسى · فالرواية رومانسية ناعمة تصور الريف المصرى الطيب وترسم الحب الصادق الذى يصطدم مع الظروف والتقاليد الريفية التى لم تكن حتى ذلك الحين تعترف بالحب ·

وجمال هذه الرواية ان تبقى كما هى تمثل بداية الرواية المصرية وتمثل الريف المصرى الناعم الهنىء السلس المجرى الصافى النمير الطيب القلب ، وقد كان من المستحيل فى تلك الأيام ان يحاول أى فرد أو أى حب مصارعة التقاليد الريفية أو الوقوف فى تيـــارها الذى ينزل فى نفوس الفلاحين منزلة العقيدة أو قريبا من منزلها قربا يجعلها تختلط بالايمـان وبالدين ·

فرواية زينب اذن لم تكن صراعا طبقيا · ولا كانت هناك طبقات فى ذلك الحين بل كان الجميع فى بوتقـــة واحدة يأخذ القوى منهم بيـد الضعيف والصحيح منهم بيد المريض · وكانت أجواء القرية كلهـــا حبا خالصا وأخـوة وتكافلا ولم يكن قد ظهر فى أفقهـــا من يثير قوما على قوم ولا طبقة على طبقة مازال الريف حتى يومنـــا هذا وبعد كل المحاولات العنيفة التى بذلت للتفرقة بين أبنائه مازال حتى اليوم لا يعرف الطبقات ولا يطيق الشيوعية ولا يقبل الكراهية وحياة له أو ديدنا أو شعورا ·

وربما عرف الصعيد الثار وهذا جانب بعيد كل البعد عن ســـائر ما يعرفه الريف من أخوة وصداقة وحب فالمكان يجمعهم وما يصيب الفرد منهم يصيب الجميع ·

فى هذه الأجواء الصافية الشفيفة كتب هيكل باشا زينب . فبالله عليكم يا من كتبتم زينب الجديدة ماذا فعلتم بأبيكم ؟

ما هذا الحقد وتلك الكراهية وذلك السواد القاتم وهذه السخيمة المقيتة التى طمستم بها معالم الرواية ومن أين أتيتم بهذه الشخصيات الحقيرة النفس الوضيعة الأهداف الرخيصة التصرف ؟

هل تتصورون انكم مادمتم قد أنعمتم برتبة الباشوية على شخصية روائية لابد أن تنعموا عليها مع الرتبة بالسفالة والانحطاط والجشع والتآمر والسعار وجمود الحس وانعدام المشاعر هيهات .. قد جهلتم وانى سأذكر هنا أسماء باشاوات وأرجو أن أعرف رأيكم فيهم ما رأيكم فى أحمد عرابى باشا وشريف باشا ومحمود باشا سليمان الذى رفض الملك قبل تولية السلطان حسين والذى جمع الأحزاب فى داره وأزال ما بينهم من خلافات ود . محمد حسين هيكل باشا ود . مشرفة باشا ود . شوشة باشا وعشماوى باشا . ود . على ابراهيم باشا عميد الجراحة ود . المنياوى باشا الجراح . ود . ابراهيم شوقى باشا عميد طب الأطفال ود . عبد الوهاب مورو باشا الجراح الشهير . ولطفى السيد باشا ود . عبد الحميد بدوى باشا رئيس محكمة العدل الدولية وعبد الرازق السنهورى باشا وعبد الخالق حسونة باشا أمين عام الجامعة العربية وسابا حبشى باشا ، وأحمد مصطفى باشا المستشار ومحمد صفوت باشا المستشار . هذه الأسماء أوردتها من الذاكرة وقصدت ان أتجنب ذكر جميع الباشاوات الذين لم يكن لهم شهرة الا فى العمل السياسى ففى ميدان السياسة يختلف الرأى حول رجالاتها وأنا انما أريد أن أقدم أسماء لم يختلف حولها رأيان ولو أنك أمعنت النظر فى شأن هؤلاء الباشوات لتبينت حقيقة يريد المؤلفون ان يخفوها عن عمد مزيف مزور سيىء القصد فهم حين يكتبون عن الباشوات لابد أن يجعلوهم جميعا أثرياء ثراء فاحشا ويستخدمون ثرائهم فى غرض واحد هو الاساءة الى خلق الله لوجه الشيطان وحده ما أجهلكم بعظمائكم .

أكان عرابى ثريا أم مصطفى كامل أم هيكل أم طه حسين أم منصور فهمى أم مشرفة أم كل هؤلاء ؟ هذا اذا كان الثراء جريمة وانما لا غفران له هذا هذر قابلناه فى فترة سوداء من تاريخ أدبنا ولكن أعتقد ان هذه النغمة أصبحت نكراء كاذبة تشوه وجه مصر وعظماءها بغير كسب أدبى أو وطنى أو سياسى .

وبعد فماذا صنعتم بأبيكم ومن اذن لكم أن تشوهوا الرواية الأم فى الأدب العربى هذا التشويه المريع ؟ لقد مزقتم رواية زينب شر تمزيق ولقد ضحكنا منكم ضحكات مريرة وأنتم تدخلون شخصية لطفى السيد فى الرواية والمؤلف برىء من ذلك كل البراءة فلطفى السيد باشا كان بمثابة خاله وأستاذه وما يتصور الدكتور هيكل باشا ان يجعل منه شخصية روائية ولقد ضحكنا ضحكنا على شر البلية وأنتم تحاولون ان تجعلوا من ابن الباشا شخصية موازية للدكتور هيكل من قال لكم أن هيكل باشا كان شيوعيا مثل هذا الفتى الذى وسمتموه والذى مثله بكل أسف ممثل أحبه وأعجب به وأشعر انه قادر على تقريب الناس اليه ومن هذه الفتاة فى الخمار الأسود الحزينة المكشرة عن أنيابها المتحفزة كنمرة شرسة كذئبة أهذه زينب شخصية هيكل باشا أم هى زينب بتروفيسكى أم ساشا المصرية ومن هؤلاء الشخوص جميعا من هذا الفتى الحاقد الملىء بالشر أهذا ابراهيم الذى رسمه هيكل نسمة من هوى وخلجة من فؤاد محب وأنشودة من الصفاء ومن الصفاء ومن هؤلاء ومن هؤلاء ومن أولئك الأمهات ومن هذا العمدة وما هذا الهواء ؟

فى هذه الرواية التى تدعون انها زينب كل الشخصيات المفتعلة متهرئة منهارة غير متكاملة ٠

ولكم كتبت أن كاتب السيناريو له رؤيته الخاصة ٠ وكم غير كتاب سيناريو من روايات لى فما غضبت لأنهم أبقوا الفكر الأساسى الذى كتبت له الرواية ٠

أما هذا الذى صنعتم بزينب فعجيبة من عجائب الدهر ٠ هو تمزيق استحياء وهو اعتداء لا تطور وقتل لا احياء ٠ ولكن زينب هيكل ستخلد الى الأبد لأنها فى كتاب ٠

واننى أحذر المشاهدين أن يظنوا ان هذا الذى شاهدوه له صلة بزينب هيكل أول رواية فى تاريخ الأدب العربى واذا كانوا يريدون ان يعرفوا زينب فليقرءوها فى كتاب أو يشاهدوا أحد الفيلمين السينمائيين اللذين ظهرا عنها ٠

أما هذا الذى يصنعه التيلفزيون فليس زينب من قريب أو من بعيد ٠

ياكاتب السيناريو ان كنت أنت الكاتب الذى أعرفه فقد أذهلتنى فانا أعرفك كاتبا قديرا وأعرفك أيضا مخرجـــا مجيدا · فما هذا الذى تصـــــنع ؟

ياسيدى الأستاذ رواية زينب ظهرت فى مصر ولم تظهر فى الاتحاد السوفيتى ورواية زينب رومانسية وليست بأى حال من الأحوال ولن تكون رواية شيوعية كما صنعتها والعجيب أننى أعرف عنك أنك أبعد ما تكون عن الشيوعية والمخرج زميل العمر الذى أخرج المسلسل أبعد ما يكون عن الشيوعية فما هذا الذى تصنعان ؟

أحسب أنكما معذوران لقد تمكن الشيوعيون ان يجعلوا كاتبا حرا ومخرجا عميق الديمقراطية يقلبان زينب التى ألفها الدكتور محمد حسين هيكل باشا رواية شيوعية والأمر من قبل ومن بعد للواحد القهار ·

١٩٨٥/١٠/٢٠ م الأهرام

خطـاب وتعليـق

جاءنى هذا الخطاب من الأستاذ أحمد محمد حسين هيكل المحامى ونجل أستاذنا المغفور له الدكتور هيكل باشا وانى أنشر الخطاب وأعلق عليـــه :

أخي ثروت لعلك بمقالك اليوم عن زينب المزعومة عبرت عما كان يجيش بصدرى وصدر كل الذين شاهدوا هذا التزييف الذى تعرضت له أو لقصة فى الأدب المصرى الحديث · وأقول التزييف لأنه ما من شخصية من شخصياتها تمت بصلة حقيقية لأصلها فى الرواية الأم كما سميتها ، وما من معنى من المعانى التى عبرت عنها تلك الشخصيات المزيفة تمت الى المعانى التى عبرت عنها شخصيات الرواية الحقيقية بصلة أو سبب واذا كان مثل ذلك يحدث فى شأن زينب وهى القصة التى قرأها الملايين فى أصلها المكتوب وشاهدتها ملايين أخرى على شـــاشة السينما ، واحتلت مما كتب النقاد والدارسون آلاف الصفحات ، فما بالك بما يمكن أن يحدث لروايات لم تتح لها مثل هذه المكانة !! يا حسرة على ما يصنعه التليفزيون بأدبنـــا كله ·

وما أظن صاحب زينب الحقيقية ليرضى عن هذا الذى يفعله التليفزيون بالأعمال الأدبية ، وما أظن أننا ـ وقد تحملنا أمانة حفظ تراثه وسنحمل هذه الأمانة الى النهاية ـ لنقبل ان نبقى مكتوفى الأيدى تجاه هذا العبث · ولو أن التليفزيون يريد ـ كدأبه ـ ارضاء ميول جمهور المشاهدين فلعله خانه التوفيق هذه المرة كما خانه من قبل فى أعمال أخرى رغم النقد الكثير الذى وجه اليه حينئذ · وما اخراج التليفزيون لحياة العقاد ببعيد · ولكن أحدا لايتعلم الدرس ولايعيه · على ان الذى لايمكن القبول به تحت أى ظرف من الظروف هو ان يتم ذلك على حســـاب خير ما فى فكرنا وأدبنا الحديث من أعمال كبرى نعتز بها و يفخر بها الوطن ·

ومسئوليتنا الأدبية والوطنية تقتضينا أن نحول دون أن يشـوه العابثون تراثنا · ومن هنا فانى أناشدك عرض الأمر بصـــفة عاجلة على مجلس ادارة اتحاد الكتاب ليرى فى الأمر رأيه وليصل من ذلك الى ما يكفل

حماية أعمالنا الأدبية الرفيعة من عبث العابثين • هذا هو الجانب العام في الموضوع • أما عن مسئوليتي الخاصة فأود أن أبلغك أن هذا الذي حدث لم نأذن به ولأجرى اتفاق بشأنه مع التليفزيون وسيكون له حديث آخر بيننا وبينه بالطريق الذي رسمه القانون ودمت لأخيك •

أنا أعرف يا أخي أحمد مقدار الألم الذي تعرضت له وأنت تشاهد رواية أبيك الخالدة تتحول الى رواية أخرى لا صلة لها بها • وأعرف أيضا الأسى الذي تعرض له أخوتك وأخوتي وهم يشاهدون رائعة أبيهم يمثل بها بدلا من ان تمثل ونحمد الله أنه أكرم المؤلف العظيم ولم يشهده • ولكن قد يهون الأمر عليك وعلى أخوتك اذا قدر لك ان تشاهد سائر البرامج في التليفزيون فسترى يا أخي المد الشيوعي وقد طغى طغيانا مريعا على هذه البرامج • وسترى أنك رددت بجهد الشيوعيين الى تليفزيون الستينات •

وأنت تعلم يا أخي كما أعلم أنا أن هؤلاء الشيوعيين مهما يفعلوا فلن يصلوا الى قلوب الشعب أو مشاعره فانهم سيجدون دون سمومهم لا اله الا الله محمد رسول الله تردهم فاشلين خائبين وسيجدون الايمان بالله عند اخواننا المسيحيين يقصف أقلامهم ويحطم الحادهم مدحورا مهانا •

ولكن الخطر مع ذلك داهم وبيل فها أنت ذا ترى الموجة قد جرفت الرقباء وجعلتهم ــ وهم معذورون ــ لايسمحون الا بالروايات التي تهاجم كل ذي لقب أو ذي مكانة أو ذي كرامة • وماذا بيدهم أن يفعلوا وهم يرون الشيوعيين يملئون الدنيا بصراخهم : أن الشرف لا يجتمع مع الكرامة وأن الخلق لايكون لمن يحترم نفسه •

وماذا بيدهم أن يفعلوا وهم يرون الشيوعيين يرفضون أن يكون الانسان انسانا الا اذا كان معدما أما العاملون الكادحون على مكاتبهم أو بفكرهم أو بجهدهم أو باشرافهم فسحقا لهم وبعدا •

فالطبيب والمهندس والمحامي والمحاسب والكاتب والمعلم كل هؤلاء طبقة برجوازية ذات تطلعات •

والرقباء ليسوا شيوعيين ولكنهم يرون وجه الأعلام قد استولى عليه الشيوعيون فهم يصرخون في جميع الصحف وهم يطلون عليك في أغلب البرامج •

والأمر يا أخي أحمد ليس مجرد أعلام أو مقالات أو برامج انما الأمر أخطر من ذلك وأجل شأنا ٠

ان الحرية الاقتصادية تتعرف وجه الدولة من أعلامها فاذا طغى هذا اللون الأحمر على صوت الدولة فهيهات هيهات أن يطمئن أصحاب رءوس الأموال المصريون ان يدخلوا بأموالهم الى ميدان التصنيع ٠ واذا كان المصريون يخافون فالخوف أعمق وأشد في نفوس رءوس الاموال الاجنبية سواء كانت لدول أم لأفراد ٠

ونحن ـ كما تعلم ـ يا أخي دولة أملهـــا الوحيد في الازدهـار الاقتصادي ، والازدهار الاقتصادي يعتمد على الاستقرار وحرية رأس المال واطمئنانه والشيوعيون ـ كما تعلم ـ أملهم في الوصـــول الى الحكم معتمدين على تخريب الاقتصاد المصرى وزلزلة الثقة فيه عند العالم أجمع دولا وأفرادا ٠

وهكذا ترى يا أخي أحمد أن زينب جرى عليها ما يجرى لكل الأعمال الفنية الرفيعة في فترتنا هذه ٠

ولكن هون عليك يا أخي فوالدنا الدكتور هيكل خالد مهما تعبث بروايته موجات عارضة لابد لها ان تزول فمحمد حسين هيكل هرم ضخم هيهـــات أن يؤثـر فيه شيء وقد انتهت كارثة هذه الرواية التليفزيونية وما خلفت في نفوس عارفي أبيك الا بعض الحسرة ما تلبث أن تزول ٠ والكتاب من بعد ومن قبل هو الخالد ٠ أما هذا الزبد فانت تعلم انه جفاء زائل لا قيمة له ٠ ودائما ذائما يا أخي أحمد لن يصح الا الصحيح ٠

١٩٨٥/١٠/٢٧ م الأهرام

سنة ١٩٨٦

٠٠ وبالحق نزل

قرأت فيما قرأت منذ قريب كلاما حاولت ان أجمع شـــتاته أو ألم شعثه فتأبى على ونفر أن يلتئم ، ورفض أن ينســجم بعضــه مع بعضــه ٠ فقد قال القائل ان الشــيوعية لا تتعارض مع الاســلام وتلك عجيبة من العجائب وقد حاول الكاتب ان يسوق الأدلة ويدعم رأيه بالبراهين فاذا بالأدلة تنهار جميعا واذا دعائمه تتساقط مع براهينه لتصبح أنقاضا من هذاء وحطاماً من لغو الكلام ٠

فالشيوعية لاتجتمع مع الاسلام فى وعاء واحد أبدا ٠ ولايستطيع أن يكون انسان ما شيوعيا ومسلما فى وقت معا مطلقا ٠

فالاسلام يقوم على خمس أهمها شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ٠

وهاتان الشهادتان ليستا مجرد كلام يقال وانما هما كلام وعمل ، وقول وفعل ونطق وايمان ٠

لابد أن نؤمن أن الله واحد أحد وأنه سبحانه أرسل رسوله محمدا عليه الصلاة والسلام ٠ وجعل معجزته هى المعجزة الوحيدة الخالدة فى تاريخ جميع الرسل والأنبياء ٠ فكل معجزات الأنبياء كانت بصرية شهدها قوم النبى الذين أرسل اليهم والذين عاصروه ٠ بل والذين تصــادف وجودهم وقت وقوع المعجزة ٠

أما الاسلام فمعجزته القرآن ٠ كتاب لا يأتى عليه الزمان ويأتى هو على الزمان ٠ باقيا خالدا دائما تتلقاه الأجيال كما أنزل لايختلف فى حرف من حروفه عن يوم أوحى به الى خاتم الأنبياء الى يوم أن تقوم الساعة ٠

ويقول سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز « **وبالحق أنزلناه وبالحق نزل** » سورة الاسراء ــ ١٠٥ تعاليت يا سبحانك ٠ هذه الدقة فى التعبير لم تعرفها اللغة فى كل ما كان من كلام قبل الكتاب ٠ وفى كل ما تبعه من ألوان القول ٠

وهذه التفرقة الدقيقة فى آيته الكريمة لم تعرفها اللغة الا فى القرآن الكريم · فالله سبحانه وتعالى يعلن البشرية أنه أنزل كلامه بالحق ولا يكتفى بهذا بل يعلنهم جل وعلا أنه بالحق نزل ·

فهو حق فى بداية رحلته وهو حق حين انتهت رحلته ليصبح بلاغا الى العالمين · فيا أيها الناس اعلموا منذ نزل القرآن الى ان يرث الله الأرض وما عليها أن هذا القرآن صدر عن الحق وأصبح بلاغا لكم بالحق لا يستطيع باطل أن يتغشى حرفا منه بظل مهما يكن هينا ·

وهو سبحانه يضمن للعالمين انه هو المسئول عن ذكـــره · فيقول سبحانه « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » صـــدق الله العظيم ســورة الحجر آية ٩ وقد فعل سبحانه وبقى الكتاب وهو باق الى الأبد الأبيـــد ·

فالذى يقول : (لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) يشهد بهاتين الشهادتين أن الله أرسل سيدنا محمدا بكتابه العزيز وأن الكتاب أنزله الله بالحق وأنه بالحق نزل ·

وليس فى الأمر اجتهاد اذن · ومادمت شهدت الشهادتين فأنت اذن تشهد أن القرآن من عند الله ·

وأنت ملزم أن تؤمن بكل ما جاء فى هذا الكتاب · ومادام كتاب الله فانت لا تستطيع أن تقبل منه ما تقبل وترفض منه ما ترفض فهو ليس كلام بشر مثلك · وانما هو كلام الله الذى هو الله فاذا كان الأمر كذلك وانه لكذلك · فكيف يستقيم فى الأذهان ان يكون هناك شيوعى مسلم ·

ولست أريد أن أدخل فى جدل عريض حول أصل النظرية الشيوعية من ماركس الى من تبعه بالحاد الى آخر شيوعى وانما أريد أن أناقش مالاشـــك فيه ·

فالنظرية الشيوعية ترفض الملكية التى تعود بمال على صاحبها ·

وترفض النظرية الشيوعية فكرة الميراث جملة وتفصيلا ·

واسأل هؤلاء الشيوعيين كيف يستقيم هذا مع ما جـــاء فى القرآن فهل تراهم يجيبون ·

لن يجدى هنا قول القائل منهم أنه مسلم وأنه يقيم الصـــلاة فى مواقيتها وانه حج بيت الله الحرام فكل هذا لن يغنيه عن الاجابة شيئا ٠

فهو مادام مسلما فلابد أنه يعرف أن هناك ســورة اسمها ســورة النساء ومادام يعرفها فلاشك انه يعرف تفاصيل المواريث التى أوردها الله سبحانه فى هذه السورة ٠ وفى تفاصيل لم يذكرها سبحانه وتعالى عن الصلاة وهى الصلاة ٠ فالقرآن لم يذكر عدد الركعات فى كل صـــلاة ولم يذكر سبحانه كيفية الصلاة من ركوع وسجود ولست أريد بذلك ان أقول ان المواريث أهم ــ أعوذ بالله سبحانه انه أقصد الى شىء من هذا ــ وانما أردت فقط ان أشير الى مقدار الأهمية التى شـــمل الله بها فكرة الميراث فى قرآنه الكريم ٠

فكيف يريد الشيوعيون أن يحرموا الميراث والملكية ويظلوا بعد ذلك مسلمين ٠٠ هيهات ٠

لقـد كان ماركس أكثر صراحة ، أم الأجـدر بى أن أقول ــ انه كان أكثر وقاحة منهم ٠ فقد علم يوم انشأ نظريته انها ستتعارض مع جميع الأديان فالغى الأديان جميعا واستراح وأتعب البشر من بعده ٠

فاذا نظرنا الى تطبيق النظرية فى البلاد الشيوعية وجدنا الكنائس أصبحت متاحف ٠ ووجدنا الدول الشيوعية تمنع غير الملحدين ان يدخلوا الحزب الشيوعى ٠ وويل وأى ويل لانسان فى البلاد الشيوعية لا يكون عضوا فى الحزب الشيوعى ٠

ان الشيوعيـــة حرب على الأديان جميعا بنص النظـــرية واذا كان المشرعون للنظرية الشيوعية فى موسكو يجيزون لأتباعهم أن يدعوا التدين ليجتذبوا الناس الى نظريتهم فان الاسلام وجميع الأديان لاتتيح لاتباعها أن يختـــاروا من الدين ما يحـــلو لهم فيعتنقوه وينصرفوا عما لا يروق لهم وينبذوه ٠

ان الدين كل متكامل لا يجوز لأحد من البشر أن يختار منه ويرفض ٠

واذا كان الأوامر قد صدرت للشيوعيين فى الدول الاسلامية أن يدعو الاســلام كفترة يسمونها مرحلية ٠ فان الاســلام والمسلمين يعلمون المؤمنين والكافرين ويستطيعون فى يسر وفى منطق لا يقبل الجدل أن

يعرفوا المسلمين اسلاما يبترون به الحادهم والمؤمنين الذين يعرفون ماذا يعنى قولهم : « لا اله الا الله محمد رسول الله » ٠

ومن عجب قولهم فى ميدان الالحاد ان أصل العالم مادة ثم هم يفصلون نظريتهم فى الخلق تفصيلا جريئا لا متيل لجرأته ٠ وهم بهذه النظرية يريدون أن يقولوا انهم يرفضون فكرة الايمان بالغيب وانهم لايؤمنون بغير العلم ٠

فاذا هم ـ ودون أن يشعروا ـ يقيمون نظرية تقوم كلها على الغيب لا يؤيدها أى دليل علمى أو روحى ٠ فالأمر الذى لا شك فيه أن ماركس لم يكن شاهدا على بدء الخليقة كما لم يكن انجلز أو لينين حاضرين ٠ فكيف اذن استقامت النظرية بين أيديهم ويطلقون عليها اسم النظرية المادية ويطمئنون الى ذلك ويستريحون ٠

بينما نصدق نحن المؤمنين ما جاء فى القرآن عن بدء الخليقة فى منطق منسجم مع طبيعة ايماننا كل الانسجام ٠ فالذى عرف سر الروح فى الانسان أرسل الينا كتابا هو معجزة الدهور وفى هذا الكتاب ذكر كيف نشأ الخلق ٠ ومادمنا لم نعرف سر أرواحنا فحتم علينا أن نصدق كل ما يقول ٠

ويصبح القرآن الكريم فى خلق الله أجمعين « **وفى أنفسكم أفلا تبصرون** » سبحانك ما أعظمك ولكن الملحدين لا يبصرون ولا يريدون أن يبصروا ٠ فعلى القلوب أقفالها وهم يستمدون الحادهم من جيوبهم ومن أرباحهم ثم هم يزدادون جرأة على الحق ويدعون انهم مؤمنون ٠

ومادامواقد فقدوا الايمان بربهم فلا عجب ان يفقدوا الايمان بوطنهم وهاهم أولاء يشعلون الفتن فى كل يوم ويلقحونها بالسخيمة والأحقاد والضغائن ويستجيب لهم فتية أبرياء لايدرون أنهم جعلوا منهم الوقود ليحرقوا به أمن الوطن ٠

وليس لكافر ميثاق ولا عهد ٠ وهؤلاء الشيوعيون يعلمون أن نباتهم لاينمو الا فى الأرض المحترقة وفى أنقاض الأوطان وهاهم أولاء يحاولون ان يحرقوا بلادنا ويهدموا أركانها ٠

ولكن هيهات أن الشعب لهم بالمرصاد ومن فوقه العزيز ذو القوة المتين · وما خاب من كان الله ظله وعونه وملاذه وملجأه ·

ويصل الى خطاب من الصعيد يسألنى لماذا أكتب عن الشيوعيين وهو لا يعرف عنهم شيئا · هنيئا لك أنك تجهل أمرهم فقد أكرمك الله بهذا الجهل كل الاكرام · ولكننى يا أخى لا أعرف ماهو الموضوع الذى تعرفه أنت حتى أكتب فيه أنا · ومادام الأمر كذلك فاقرأ أنت عما لاتعرفه فان هذا هو خير لك ولى من أن أكتب أنا عما أجهله أنا وتعرفه أنت ألا ترى ذلك ؟ ·

١٩٨٦/١/١٥ م الأهرام

حين تتحطم الحقيقة

كانت دعوة جمعت الكثيرين من أصحاب الرأى وبدأنا نتجمع وكان من أوائل الذين جاءوا صديق صاحب نظرة وعمق وما هى الا أن اجتمع بعض المدعوين حتى بدأ الحديث · وراح الصديق صاحب النظرة العميقة يقول وقال كثيرا ·

الشيوعيون يسيطرون على وجه الاعلام المصرى وليس الأمر مجرد ظهورهم بعنف واصرار وليس هو مجرد الحاح شيوعى على شعب يكره الشيوعيين وانما الأمر أخطر من ذلك وأجل شأنا · ان الاعلام هو واجهة مصر كلها · وواجهة مصر هو اقتصادها · ويحدثنا العاملون فى السفارات الأجنبية أنهم يتابعون كل ما يقوله الاعلام المصرى فى شتى المناحى · وهم لا يكتفون بالأخبار ولذلك فهم يدهشون لماذا يتجه الاعلام هذا الاتجاه الشيوعى · الأدب الآن شيوعى ومسيطر والفن شيوعى ومسيطر وهذه أشياء لها دلالات خطيرة وخاصة على الاقتصاد وعلى الشباب الذى لم يختر بعد طريقه وهذا الشباب يريد أن ينشر وسيضطر أن يتلون بالشيوعية ليجد أمامه المجال مفتوحا للنشر ·

ولم نجد بدا أن نوافق القائل فى كل ما قال · فجميع الحاضرين كانوا يشعرون بأن الذى يقوله هو الحقيقة الكاملة ·

ويعود الى الحديث :

وهكذا حين اطمأن الشيوعيون الى مكانتهم فى الاعلام المصرى تفشوا فى الجامعات تفشيا لم يتمتعوا به فى حياتهم كلها ولا أظنهم يتمتعون به فى أى دولة من دول العالم · وها هم أولاء يتاجرون بمصر ويستغلون الأحداث الفردية التى لاتحمل أى مدلول ليقيموا الأبطال من غير الأبطال ليجعلوا أنصارهم يحركون الاضطرابات كل يوم ويذيع زملاؤهم من العملاء فى المحطات الأجنبية الأكاذيب ويهولون من شأن التحركات الطلابية ويجعلون منها ثورات شعبية · وهذه التصرفات كلها متصلة الحلقات قيؤيدهم فيها أعداء الحكم والطامعون فيه والحاصلون على الأموال من الدول

التى تكن لمصر الديمقراطية كل عداء تلك الدول التى تنفق فى سبيل اثارة القلاقل فى مصر الأموال المجنونة فى انهمار لا ينقطع سيله ويحاول هواة البطولات الزائفه أن يركبوا الموجه ويبلغوا من هواياتهم البطولية ما يتيحه لهم المتطرفون من الملحدين وغير الملحدين · وليس يعنيهم أن الناس منهم يسخرون وهم يجعلون أنفسهم أشبه بالقراقورات ويبتعدون بتصرفاتهم الرعناء السخيفة عن ساحة السياسة المحترفين وهكذا ترون أن كل هذه الأمور لم تأت عفوا وانما هى مؤامرات حبكت عقدتها بأيد متمرسة على حبك المؤامرات · وهل هناك أكثر تمرسا من المتطرفين ملحدين وغير ملحدين فى حبك المؤامرات · ولا يستطيع أحد منا أن يناقش ما يقول صديقنا فجميعنا يرى أن ما يقول صدق لا شك فيه وحق لا يحتمل النقاش · ويعود الى القول ويزداد الأمر سوءا حين نجد من يتمدح بأيام الطغيان والاعتداء على الأعراض والأنفس والأموال بل ان بعضهم يهدد من يحاول أن ينتقص من عظمة هذه الأيام وجلالها ويقول فى وقاحة لم نر لها مثيلا فى العالم ·· كان الاعتداء على الأعراض وعلى الأنفس وعلى الأموال قد وقع على كل فرد فى مصر · وهو يعلم انه مادام قد وقع على فرد واحد فكأنما وقع على مصر جميعها ·· وأذكر أننى قرأت كتابا لكاتب فرنسى يقدس نابليون بونابرت ويعجب به فى كل ما صنعه ولكنه حين يصل الى الحرية يقول ان بونابرت كان طاغية الى درجة أن عدد الصحفيين الذين اعتقلوا فى عهده كان أربعين صحفيا · وأذكر أن الكاهن الأكبر لعهد الطغيان فى مصر دافع عن عهده فى جريدة الأهالى قائلا ما معناه ·· ما هذه الضجة الكبرى التى يضجونها عن المعتقلين ان كل الذين كانوا فى السجون عند وفاة الرئيس الأسبق لم يتجاوزوا الأربعة عشر ألف سجين · ويأتى الكاتب الآخر المدافع عن أيام الطغيان فيرى أنه مادام الاعتداء على الأعراض والأنفس والأموال لم يقع على كل فرد فى مصر فهو مقبول مباح لاعيب فيه ولا ضرر منه وهو بعد ذلك يهدد وماله لايفعل وهو ربيب عهد القهر والتهديد ·

ويصمت الجميع ولايجدون شيئا يجيبون به الا الأسى والحزن ويعود الصديق الى الكلام ويزيد الأمر سوءا أن الأحكام حين تصدر لا تنفذ من فورها فيحسب المجرمون أنهم يستطيعون أن يتمادوا فى غيهم ويمرحوا ما شاء لهم اجرامهم · ونسمع عن لصوص سرقوا المال العام وتتطاول السنوات قبل أن نسمع خبرا عن مواجهتهم ثم نجدهم يتحصنون بشتى حيل ومختلف حصون حتى يؤجلوا مواجهة القضاء · والقضاء نفسه بطىء ولعله الجهة الوحيدة المعذورة فى هذا البطء فالعاملون فى السلطة القضائية عددهم أقل بكثير مما يعرض عليهم ولكن هذا البطء يجعل الشعب

يتململ ولا يستطيع أحد ان يلومه اذا ظن أن العقاب لا يقع على من يستحق في الموعد المعقول ، والأدهى من ذلك أن هذا التراخي في مواجهة اللصوص يشجع الآخرين على قبول الرشوة حتى أصبح الأمر ظاهرة عامة الاستثناء فيها يدعو الى الاجلال والاكبار وغاية الاحترام · وقد كان ينبغي أن يكون الأمر عكس ذلك فتكون الأمانة هي الأصل والرشوة هي الاستثناء · وأنتم تعرفون كم يؤثر هـذا على سمعة مصر عنـد المستثمرين كما تعرفون أن الاستثمار يعتبر هو العماد الأول في آمالنا الاقتصادية اليوم · ونوافق ويستطرد الصديق فاذا نظرنا الى الصحف المعارضة نجدها تذكر وقائع بذاتها الاجابة عليها اذا لم تكن حقيقية غاية في البساطة واليسر · ولكن لا نقرأ تكذيبا فاذا نشر يستخفي في خجل وكأنه هو الأكذوبة · ترى ألم يصبح شرف الذمة أمرا ذا أهمية وأصبح الحفاظ على نقاء السمعة أمرا لايستحق أي عناء ؟ فان لم يكن الأمر كذلك ـ وكم أرجو ألا يكون ـ فمالنا لا نقرأ الا تكذيبات نادرة وتظل اتهامات فادحة تصيب كرامة كبار الموظفين في مقتل دون أي تكذيب ·

وقبل أن يتم الصـديق حديثه فقد كان يبدو أنه يحمل في جعبته أكثر كثيرا مما أفضى به · أقبل أحد الوزراء كان مدعوا الى مكاننا هذا وجاء متأخرا كعادة الوزراء · كان الله في عونهم فهم يشهدون من المناسـبات ما تنوء به العصبة ذات العدد ·

ولم يكمل الصديق الحديث بطبيعة الحـال وانتقـل الكلام الى موضوعات أخرى ووجدت الصديق يقول حديثـا غير الذي كان يقول · ولم أعجب فمن الطبيعي في دعوة اجتماعية وليست سياسية الا نحاول أن نسيء الى أحد من المدعوين · فهم انما جاءوا جميعهم لينسـوا أعمالهم ويروحوا عن أنفسهم فليس عجيبا أن يحاول الجالسون جميعا أن يختاروا من الأحاديث ما لا يثير جدلا · وتفرق الحديث بددا وأخذ كل منا بطرف وبعد أن كنا جميعا أذنا واحـدة نسمع ما يقول الصـديق أصبحنا آذانا وألسنة وتناسينا مآسينا العامة والخاصة وسمرنا وانصرف كل منا الى شـأنه ·

صديقنا هذا ليس كاتبا وليس صحفيا ولكنه يكتب في الصحف من حين الى آخر مقالات يشارك بها في الرأي العام · قرأت مقالا نشره بعد اجتماعنا هذا ·

ما أعجب ما قرأت له ؟!!

انه يقول فى مقاله أشياء تتناقض كل المناقضة مع كل الذى قاله لنا فى أمسيتنا تلك · أنه يخاف الشيوعيين والمتطرفين وينافقهم وبالقطع هو لا يخاف الحكومة فالحكومة اليوم أصبحت لا تخيف أحدا · ويل لنا من أنفسنا اذن ·

اذا كان الفلاسفة قالوا الحقيقة لابد أن تكون واحدة واذا كانت الحقيقة اليوم قد أصابتها قنبلة النفاق فأصبحت جذاذات وقطعا صغيرة متناثرة على شتى أفواه وفى كل جهات العالم · واذا كانت الحقيقة اليوم عاجزة ان تكون واحدة فى مفهومها العام ·

. فلابد ·· لابد ·· لابد أن تظل الحقيقة واحدة وبالنسبة للشخص الواحد كيف تكون الحقيقة شتى حقائق بالنسبة للشخص الواحد وكيف يستطيع شخص واحد ان يعد حقيقة لحديث الأصـــدقاء وحقيقة أخرى لحديث المسئولين وحقيقة ثالثة للنشر فى الصحف وعلى الناس ·

أين الحقيقة يا أخى فيما تقول جميعا ·

واذا كان أصحاب الرأى لا يحافظون على الحقيقة الواحدة فمن يحافظ ·

تولانى حـــزن شـــديد وأنا أقـــرأ مقال الصديق فأنا لا أتصور أن شخصا له علمه يصنع بنفسه هذا الذى صنعه ·

ماذا هو قائل اذا التقى بى أو بأحد الذين شهدوه وهو يقول آراءه الصريحة الصادقة فى ليلتنا تلك ·

أغلب الأمر أن أمثال هؤلاء يعتمدون على حياء الآخرين فأنا لا أستطيع أن أقول له مواجهة أيها الصديق أنت منافق · ولكننى لا شك أستطيع أن أنقل أمره الى الناس جميعا وأحتفظ باسمه لا أذيعه فى هذه المرة ولكننى أشفع الحديث بتهديد لا تأمن أيها المنافق أن أذيع اسمك اذا تكرر منك ما رأيت · فان أصحاب الأقلام مسئولون ان يقدموا الحقيقة كل الحقيقة ولا شىء غير الحقيقة الى قرائهم والى التاريخ فى وقت معا ·

١٩٩٨٦/١/١٢ م الأهرام

سـيدة اللغـات

أى حرب طاحنة تلقاها اللغة العربيـة من الشيوعيين الملحدين والمغرضين الكافرين وليست اللغة العربية هدفا فى ذاتها وانما يتقصدونها بسهامهم لأنها لغة القرآن الكريم ·

والحرب ليست بنت اليوم ·· ولكنها قديمة قدم الكفر والأغراض الخبيثة الخبيثة وقد خيل اليهم أن نجحوا يـوم ألغوا جامعة الأزهـر القديمة · ولم يصبح حفظ القرآن شرطا للانتسـاب الى سـاحة الأزهر الشريف ولا الى حصن دار العلوم العتيد الشامخ ·

وتحطمت اللغة على شفاه الأساتذة وانسحقت على شـفاه التلاميذ وشب جيل لا يعرف اللغة العربية · وزاط الأعداء وتهللوا وحسبوا أنهم نالوا ما كانوا اليه يطمحون ·

وما هى الا دورة زمن وما أسرع ما يستدير الزمن ـ حتى تبينوا أن اللغة على ألسنة الشباب تهشمت ولكن الدين الاسلامى يزداد فى نفوس الشباب رسوخا وثبوتا وتأصيلا ·

وتطيش منهم السهام ويتولاهم الهوس يتخبطون فى حربهم كمن يتخبط من به من الشيطان مس ·

ويعود الأزهر الى الأزهر · وتملأ ربـوع مصر المعاهد الدينية تكاد تغطى قراها جميعا · وتعود اللغة العربية الى الشفاه وما هى الا دورة زمن أخرى نرى ملامحها منذ اليـوم حتى يستقيم اللسـان العـربى كما كان مستقيما ·

ويرى الشيوعيون الملحدون والمغرضون مراض القلوب مطالع الصباح فيهيج هائجهم ويقول قائلهم ان اللغة العربية ما هى الا صدى وتمر أيام ولا نقرأ تعليقا على ما قال الرجل المهلوس ·

وأعجب ويتملكنى الأسى والحزن والأسف · أهانت لغتنا على أصحابها كل هذا الهوان · أن الأمم العريقة كلها تعتز بلغتها اعتزازها بشرفها · فكيف اذا كانت لغتنا هى لسان كتابنا الخالد · الكتاب السماوى الوحيد الذى بقى بلغته منذ نزل حتى اليوم وحتى يرث الله الأرض وما عليها ويقول سبحانه فى الآية ١٠٣ من سورة النحل ·

« ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين » ·

ويقول جل شأنه فى الآيات ١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٥ من سورة الشعراء **« وانه لتنزيل رب العالمين » · نزل به الروح الأمين · على قلبك لتكون من المنذرين · بلسان عربى مبين » ·**

ويقول تقدست كلماته فى الآية ٩٧ من سورة مريم ·

« فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا » ·

ويقول تباركت آياته فى الآية ٥٨ من سورة الدخان ·

« فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون » ·

فاذا كان اللسان العربى صدى · فما الصوت · وان كان ظلا فما الأصل · ولماذا يحاول هؤلاء المغرضون فى حمق واصرار أن يكونوا قوما لدا يصبون على الدين كراهيتهم سما ناقعا ·

أيحسبون اننا يخفى علينا ما يسعون اليه من محاولة تحطيم اللغة العربية · وهل يتصورون انهم سيبلغون الأمل الذى يصوره لهم جهلهم من تحطيم الدين فى نفوسنا اذا حطموا لغة هذا الدين وصوته الأصيل وصوت الآباء والأجداد على مدى آلاف السنين ·

لقد حاولوا أن يهاجموا علماء الدين والمصابيح الهداة من شيوخ العقيدة فانهالت عليهم الأقلام فعاجوا طريقهم الى محاولة تحطيم اللغة العربية قائلين انها صدى · وعجزوا أن يقولوا لأى صوت كانت لغتنا العربية هى الصدى ·

أيريدون أن يقولوا انها صدى التراث الذى يسمونه رجعية وسلفية وتحجرا ·

أو ليس لكل أمة تراثها فى لغتها • أو ليس للفرنسيين وللانجليز والألمان والايطاليين واليونانيين تراث لغوى •

أهذه اللغات جميعها أصل • ولغتنا نحن التى هى لغة كتابنا هى الصدى بئس ما يدعون •

لماذا نكرمهم ويستخفون أمرنا • ولماذا نقدس حريتهم ولا يقدسون عقيدتنا • وهم الملحدون ونحن المؤمنون • ونحن الأصل وهم الاستثناء ونحن الأكثرية الكاثرة وهم الأفراد القلة • اما يستحون ؟ •

وكيف لهم ان يستحوا وهم الكافرون عقيدة وخلقا وقولا وقلما •

ويتصدرون وسائل اعلامنا الرسمية ويتبجحون بهذا الكفر وهذا التجديف ولا يجدون من يردهم واننا نربأ بأنفسنا ان نقول : من يمنعهم • فالحرية هى أساس ديننا فديننا الوائق من عظمة تعاليمه يرفض فى كبرياء أن يرغم أحدا على الايمان به هكذا نزل بالحق وهكذا دعا اليه نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهكذا سيظل الى قيام الساعة •

فالحرية فى ديننا أصل • ولهذا نحترم حريتكم ولكن عليكم أنتم أيضا أن تحترموا حريتنا • وعليكم لو كنتم على شىء ضئيل من الحياء ان تراعوا مقدساتنا ولا تمسوا عقيدتنا بسمكم الناقع •

اللغة العربية هى لغة القرآن : كتاب المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها • وهى اللغة الوحيدة بين لغات العالم اليوم التى بقى كتابها بلسانها لم يتغير منه شىء أليس من الطبيعى أن تكون هذه اللغة هى أعظم اللغات قاطبة • فأى لغة فى العالم الذى يعيش اليوم يقرأ بها كتاب الهى الا لغتنا نحن •

أهذه اللغة صدى فما الصوت اذن !؟

وبعد فماذا نحن صانعون بتراثنا جميعا ؟ من قبل الاسلام حتى اليوم • وهل تراث الأدب العربى جميعا الا اللغة العربية ، ترى أيريدنا الملحدون أن نلقى بهذا التراث فى البحر ونتلقى عنهم لغتنا وأدبنا • لغة جديدة وأدبا مستحدثا •

ويل لهم بماذا يهرفون •

ان لم يكن للأمة تراث فليس لها حاضر · ولا ينبت جديد من معدوم · ولكل فرع أصول · فاذا قطعت الأصول قطعت الفروع جميعا ·

ان التاريخ العربى مرتبط بالتراث الأدبى كل الارتباط · وقد كان الشعر العربى هو المؤرخ لكل أحداث العرب · ومن هذا الشعر العربى ومن النثر العربى نكون تراثنا جميعا · فهل يكون هذا التراث جميعا صدى ·

· اننا اليوم ننزل بالبلاد العربية فاذا تحدثوا أمامنا بلغتهم الدارجة أصبح الكلام بالنسبة الينا غريبا لا نكاد نفهم منه حرفا حتى اذا نطقوا باللسان العربى استقام حديثهم وفهمنا ما يريدون ·

ربما كانت لغتنا الدارجة مفهومة فى البلاد العربية بفضل الفنون المختلفة التى تصدر من مصر الى العالم العربى · ولكن اللغة تفاهم بين طرفين · فان يفهم الطرف الآخر عنا فلابد لنا نحن أيضا أن نفهم عنه · فاذا لم يكن التفاهم بيننا باللغة العربية التى يقول عنها الكافرون صدى فبأى لغة يكون ·

يا أيها الذى قال هذا · لقد عدوت فى قولك على لغة القرآن وعدوت فى قولك على لغة التراث · وعدوت فى قولك على لغة الأدب العربى الحديث فلن يكون الأدب أدبا أو يكتب باللسان العربى وعدوت فى قولك على لغة التفاهم بين العرب أجمعين ·

وبعد مرة أخرى فأى لغة تختارها ليكتب بها الأديب العربى أو الشاعر العربى · اذا كتب المصرى لغته الدارجة فان أحدا لن يستطيع ان يفهم ما يكتب حتى أبناء مصر · لأنهم تعلموا القراءة بالعربية الأصيلة وليس باللغة الدارجة واذا كان المصرى لن يفهم فما ظنك بأبناء العربية من الدول الأخـــرى ·

والى أين ينتهى بنا الأمر اذا كتب كل عربى بلغته الدارجة ·· انهم حينئذ سيصبحون كالطيور العجماء تقول ولا يفهم أحد عنها شيئا بل سيكون شرا مصيرا وأسوأ حالا ؛ لأن الطيور تفهم عن بعضها البعض أما الانسان العربى فلن يفهم أحد عنه شيئا حتى أبناء وطنه · لأنهم جميعا تعلموا القراءة والكتابة باللغة العربية لا بالدارجة · وبهذه اللغة تكتب صحفهم وبها تقرأ نشرات أخبارهم فى الاذاعة والتليفزيون ·

ما أحسب أيها الكافرون الا أنكم تهرفون بما لا تفهمون وكبر مقتا أن تقولوا ما لا تفهمون . فاحذروا أنفسكم فهى حين تجهل يبدأ جهلها عليكم وتصبح لكم شر عدو .

أما نحن المؤمنين فديننا يزداد مع الأيام قوة ومنعة وانتشارا ولغتنا ستظل الى ما بعد الزمان سيدة اللغات وان رغمت منكم كل الأنوف .

١٩٨٦/١/١٩ م الأهرام

وجهان لعملة واحدة

كنت أحسب أن الكتابة فى موضوع ينبغى الا تزيد عن مرة واحدة أو مرتين على أكثر تقدير · وكنت أحسب أن المهتمين بالحياة العامة يتابعون عن كثب ما يكتبه الكتاب · ولكن يبدو أننى كنت ساذجا فى حسابى هذا غاية السذاجة والدليل على ذلك اننى كتبت مرة عن الصلة بالأدب والسياسة · فلم تكف ووجدت من يجادلنى فى هذا الشأن فكتبت ثانية · فلم ينته الجدل · فكتبت ثالثة واعتقدت اننى وفيت الموضوع حقه فى جميع آبعاده وأننى لن أجد من يناقش هذا الأمر مرة أخرى معى على الأقل ·

ولكن خذلتنى الحقيقة وتبينت أننى كنت فيما أظنه واهما · فقد فاجأنى أستاذ فاضل من أكثر الناس صلة بالحياة العامة بل هو من العاملين فى غمارها بل لا عمل له الا هذه الحياة العامة فهو كاتب متمكن وصحفى ذو مكانة · وأنا من المعجبين بما يكتب ومن المعجبين به صديقا وانسانا وصحفيا ·

فاجأنى الصديق برأى له عن الصفحة التى أشرف بالقيام بأمرها فى الأهرام · فهو يقول انك تكتب فى هذه الصفحة السياسة · بينما القراء ينتظرون أن يقرءوا فيها أدبا · ومساحة السياسة فى الأهرام ضخمة بينما الأدب ليس له الا نصيب قليل وصفحتك تمثل جانبا ضخما من هذا النصيب ·· فاذا كتبت مقالاتك فى السياسة أسهمت فى اضعاف هذا النصيب ·

وناقشت الصديق ثم رأيت أن حجتى ينبغى لها أن تكون للناس كافة وليس للصديق وحده ·

وبادىء ذى بدء أنا لست أستاذا جامعيا أكتب فى الأدب الخالص فان أحدا لا ينتظر منى ان أكتب فصلا فى خصائص الشعر الجاهلى أو أكتب مقارنة بين الأدب فى العصر العباسى الأول وبين الأدب فى العصر الحديث·

كما أن أحدا لا ينتظر منى ــ وأنا الروائى والقصاص ــ ان أكتب فصلا فى نقد رواية أو مجموعة قصصية وحين أفعل ذلك أدخل فى ميدان

ليس لى لأن النقد حين أكتبه أفعل ذلك عن تذوق شخصى وليس على المبادىء الأكاديمية · فأنا نفسى كاتب رواية وقصة ومن الطبيعى أن أكون من بين المتعرضين لنقد النقاد وليس من المفروض أن أكون أنا نفسى ناقدا ·

والواقع ان المقالات النقدية القليلة التى أكتبهـــا هى على سـبيل التنويه وليست على سبيل النقد المنهجى المتخصص · فلهذا النـــوع من النقاد أساتذته المهيئون له بثقافتهم ودراستهم وطريقهم الذى اختاروه فى الحيـــاة ·

واذا كان بعضهم يميل مع الهوى ومع الصـــداقات ومع المذاهب الأيدويولوجية التى يعتنقها فهذا لا ينفى أن للنقد أهله · واذا كان أغلبهم لا يقوم بواجبه من متابعة الأعمال الأدبية التى تظهر فى حياتنا فهذا أيضا لا ينفى أن للنقد كتابه ·

ومن المؤكد الذى لا شك فيه أننى لست من بينهم ·

والآن أعود الى صديقى الذى دهمنى برأيه · أى نـــوع من الأدب الخالص تريدنى أن أكتب ؟

أنا أعـــرف ··

الذى ينبغى لى فى ميدان الأدب الخالص ولا ينبغى لى غيره أن أكتب رواية ·

وأحسب يا صـــديقى أننى لا أتكاسل عن هذا ما أسعفتنى الفكرة فالرواية ليست بحثا وانما هى فكرة تطرق ذهن الكاتب ويظل بها وتظل حتى يرى أنها تصلح ان تكون رواية فيكتبها ·

والذى ينبغى لى فى ميدان الأدب الخالص ان أكتبه قصـــة قصيرة أو صورة قلمية ·

وأحسب ياصديقى اننى أفعل ذلك ما وافتنى فكرة القصة أو الصورة القلمية · ولكن الأمر ليس يسيرا · وأنا فى هذا الشـــأن لست مطلق الارادة · انما أنا أتلقى الفكرة وحيا ، فان لم تأت فهيهات لى ان أكتب افتعالا أو تعسفا ·

ولكن الأمر ياصديقى أخطر من هذا وأجـــل شأنا كيف استطعت وأنت تعمل فى الصحافة وفى الأدب أن تضـــع هذه التفـرقة بين الأدب والسياســة ؟

ان الأدب اذا انفصل عن السياسة أصبح أدبا ميتا غير جدير بالوجود بله بالبقاء ٠

الأديب شاهد على عصره ٠ والأديب أديب بأسلوبه فى كل موضوع يتناوله ٠

والأديب حين يكتب الرواية سياسى ٠ وهو سياسى حين يكتب القصة ٠ بل ان الأديب الناقد سياسى أيضا لأنه حين ينقد الرواية ينقدها فى ظل الحياة الاجتماعية التى تصورها ٠ والحياة الاجتماعية سياسة ٠

السياسة هى كل الحياة التى نعيشها ٠ والأديب فى كل باب من أبواب الأدب يكتب هذه الحياة ويترجمها الى الناس الى الذين يعايشونه والى الأجيال القادمة جميعا ٠

وعميد الأدب العربى كتب مقالات سياسية صريحة ثم هو سياسى حين كتب أحلام شهرزاد والمعذبون فى الأرض وشجرة البؤس والأيام ودعاء الكروان وأوديب ٠

وهيكل باشا من الزعماء السياسيين وصل الى الزعامة السياسية بأدبه وحده وهو أديب سياسى حين كتب كتبه الاسلامية وأديب سياسى حين كتب روايته ٠ ان رسم المجتمع سياسة ٠ وآمال الأديب فى الحياة سياسة ٠

والعقاد ما رأيك فى أدبه السياسى ألا يكفيك اسم العقاد مثالا رائعا على اندماج الأدب بالسياسة ٠ فعبقرياته أدب سياسى ومقالاته الصريحة فى السياسة أدب سياسى وكتبه فى البحث أدب سياسى ٠ ولا يستطيع الأدب ٠ الا أن يكون سياسة أو هو غير كائن ٠

وتوفيق الحكيم أديب سياسى منذ كتب أهل الكهف حتى يومنا هذا ٠ وقد كانت له فى أخبار اليوم مقالات سياسية أسبوعية ٠ وروايات كلها سياسة منها الصريح الذى لا شك فيه مثل شجرة الحكم والسلطان الحائر وايزيس ومنها ما تتوارى فيه السياسة خلف الرمز مثل بنك القلق والورطة والصفقة وكل رواياته لا استثنى عنها شيئا فمسرح المجتمع كله سياسة لأن السياسة هى المجتمع والمسرح المنوع كله سياسة لأن السياسة هى المجتمع ٠

واذا تركنا هذا الجيل الى الجيل التالى له ٠

أليست روايات نجيب محفوظ كلها سياسة ٠ فماذا تكون اذن ٠ ان منها الصريح مثل ميرامار والثرثرة والحب فوق الهضبة وأمام العرش ومنها غير الصريح وكلها تتناول المجتمع الذى هو السياسة ٠

ان مجال السياسة هو المجتمع ومجال الأدب هو المجتمع فلا يمكن أن يكون بينهما انفصال بأى حال من الأحوال ٠

ان ما يكتبه عبد الرحمن الشرقاوى فى الأدب التاريخى سياسة وكل مسرحياته سياسة فليس عجيبا أن يكون مقاله الاسبوعى فى الأهرام سياسة أدبيـــة ٠

هو سياسة أدبية وأدب سياسى فى وقت معا ٠ ان الأسلوب الذى يكتب به الأدباء فى السياسة لا يتأتى الا لأدباء ٠ وهذا هو الأدب السياسى٠

وأرجع معك الى شوقى أليست رواياته سياسية ٠ وعزيز أباظة أليست رواياته سياسية ٠

واستعرض معى بعض ديوان شوقى انه تاريخ مصر فى عهده قدمه الى الأجيال شـــعرا ٠

اقرأ معى لشوقى :

أأم المالكين بنـــى أمـــون ليهنك أنهـــم نزعـــوا أمونـــا
ولـدت لـه المـأمين الدواهى ولم تلدى له قط الأمينـــا
فكانوا الشهب حين الأرض ليل وحين الناس جد مضللينـــا
مشت بمنارهم فى الأرض روما ومن أنوارهم قبست أثينـــا

واقرأ معى لشوقى فى وداع كرومر :

أيامكم أم عهـــد اسـماعيلا أم أنت فرعون يسوس النيلا

أم حاكم فى أرض مصر بأمره لا سـائلا أبـدا ولا مسـئولا

يا مالكـا رق الرقاب ببأسـه هلا اتخذت الى القلوب سبيلا

لما رحلت عن البلاد تشهدت فكأنك الداء العيـاء رحيـلا

وبعد فماذا أنت قائل ؟ هذه المقالة التى قرأتها الآن أليست أدبا ؟! انها أدب ولكنها أيضا سياسة • أنهما وجهان لعملة واحدة لا ينفصلان •

١٩٨٦/١/٢٦ م الأهرام

كتـــاب الســـادات

انتهيت وشيكا من قراءة كتـــاب الســـادات الأسطورة للأستاذ موسى صبرى ولا شك ان تأخرت فى الانتهاء من قراءة الكتاب وقد كان ذلك لأنى أقرؤه فى امعـان شـديد وهو فى نفس الوقت كتـاب ضخم تستغرق قراءته الكثير من الوقت ولكن المتعة التى تصاحب القارىء فى رحلته الطويلة تجعله يستعذب جهد القراءة ٠

فالسادات علامة من أهم علامات جيلنا ٠ وأثره ليس مقصورا على مصر وحدها وإنما هو اتسع فشمل العالم أجمع ٠

فان هذا الأســـطورة المسماة أنور السادات استطاعت أن تبهر العـالم أجمع ٠ حتى لأذكر اننى كنت فى باريس وركبت مع زوجتى سـيارة أجرة وكان ذلك عقب ان عبر الســـادات التاريخ الى القدس ٠ وسمعنى سائق السيارة أكلم زوجتى بلغة لم يفهمها فقال ٠

ـ من أى البـــلاد ؟

قلـــت :

ـ من مصر

قـال :

ـ ان لكم زعيما عظيما أتحبونه فى مصر أم لا ؟

قلـــت :

ـ بل نحبه كل الحب !

قـال :

ـ اننا لم نحب زعيما من خـارج بلادنا مثل حبنـا لديجول كما أحببنا أنور السادات ٠

وكم فرحت بما قاله السائق وقارنت بين هذا الذى يقوله وبين ماكنا نسمعه قبل ذلك حين كنا نلم بباريس وخرجت من المقارنة بشعور طاع من الاعتزاز برئيسنا أكرم الله مثواه ٠

ان انسانا لم يستطع أن يشغل من صفحات التاريخ الحديث ما شغله السادات بعناوين المجد والسموق ٠ فالعالم لم يسمع عن دولة تنهزم هزيمة لم يشهد التاريخ لها مثيلا ثم تستطيع فى مدى سنوات ست ان تقلب هذه الهزيمة الى نصر لم يشهد التاريخ له مثيلا أيضا ٠

والعالم لم يشهد انسانا يواجهه وينفذ ما يعتقد أنه الصواب على رغم كل التحديات الا أنور السادات ٠ والعالم لم يشهد زعيما يضحى بنفسه لينقذ وطنه ضاربا عرض الأفق بالدعايات والشعارات الجوفاء الفارغة الا أنور السادات ٠

وتمر السنوات ٠ ويتبارى الذين وجهوا اليه سهامهم المسنونة لينالوا بعض مانال فيخذلهم الطريق ٠ وهم فى غيهم بدلا من ان يعترفوا بالخطأ الذى وقعوا فيه يزدادون عداء للرجل حتى وهو فى مثواه الأخير ٠

ولست أدرى أى مصير كان ينتظرنا اذا نحن لم نستظل بالسلام وكيف يتصور انسان أن عدونا كان سيسكت على الهزيمة لتكون نهاية علاقته بمصر وهى الدولة الوحيدة التى تستطيع أن تحاربه ٠ والعدو يعيش فى المنطقة تحت شعار القوة وحدها ٠ والقوة مازالت كما كانت فى العصر الحجرى هى الحقيقة التى تحكم علاقات الدول بعضها ببعض ٠

ولو لم تكن اسرائيل مذعورة من أمريكا الطرف الثالث من معاهدة السلام لما خنعت ولافتعلت ألف سبب لتدخل فى حرب مع مصر ٠ رحم الله السادات فى عليين ٠ أدرك ـ رحمة الله ـ هذا جميعه وأصر ان تكون أمريكا شريكا ثالثا فى المعاهدة وبهذا الاصرار اكتسبت المعاهدة قوتها وجبروتها استطعنا أن نعيش السلام الذى نعيشه اليوم ٠ والحرية التى نحياها الآن ٠ واستطعنا ان نفرغ لأزمات جرها علينا حكم الطغيان لمدة تقرب من عشرين عاما ٠ وفرضتها علينا سنوات الحرب التى تواصلت منذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٧٣ ٠

ومع أن هذه الحقيقة ساطعة لا شك فيها نجد المغرضين والأفاكين والجبناء والنهازين لايتركون فرصـــة الا اهتبلوها لينالوا من الزعيم الأســـطورة ٠

ويظهر كتاب موسى صبرى وكأنه لم يظهر ويستطيع الشيوعيون والناصريون بما لهم من أصـوات صارخة وعلى رغم قلتهم الضئيلة أن يفرضوا الصمت أو شبه الصمت على الكتاب ولو ظهر لطفل منهم صفحة من كتاب لملئوا الدنيا ضجيجا وعجيجا فهو هو الكاتب الأوحد ٠ وهو هو العبقرية والخلود ٠ وهو هو المجد التليد ٠ والفن الأصيل ٠ والرفعـة التى لا تدانيها رفعـة ٠ والسموق الذى يعلو اليه سـموق وسبحان الله العظيم من قبل ومن بعد ٠

وأجد فى كتاب السادات الأسطورة شيئا ربما حلا لى ان أعلق عليه فقد أعاد الى شخصيا ذكريات لا تنمحى من ذهنى فقد جاء فى الصفحة ١٨٠ من الكتاب هذه الواقعة أرويها كما جاءت ٠ وهذه الواقعة حدثت فى معتقل الزيتون حيث كان المؤلف معتقلا وحيث التقى لأول مرة بالزعيم الســـادات ٠

وذات صباح طلبنى جلال الدين الحمامصى للتحدث معه فى غرفته ثم أغلق الباب بالمفتـاح ٠

وقال : سأفضى اليك بسر سياسى خطير ٠ وحذار من البـوح به لأى انســـان ٠

قلت : خيرا

قال : هل لفت نظرك شىء فى أخبار الصحف ٠

قلـت : لا

قال : هناك خبر هام ٠ ان النائب ابراهيم دسوقى أباظة (باشا) عضو الأحرار الدستوريين قدم استجوابا للحكومة عن ســـوء معاملة المعتقلين السياسيين ٠

قلت : وما أهمية ذلك ٠

قال : لقد فكرنا هنا بأن من واجبنا الوطنى أن ندعم هذا الاستجواب
قلت : وكيف ؟

قال : هذا هو السر • لقد قررنا أن يهرب عدد من المعتقلين هنـا ووقع الاختيار عليك من ضمن من تقرر هربهم •

وشرح لى جلال الحمامصى التخطيط الكامل للهرب وباب الحجرة مقفل بالمفتـــاح » •

ويمضى المؤلف بعد ذلك شارحا قصة الهرب من المعتقل ذلك الهرب الذى دبره الزعيم السادات والذى نجح •

وانما أروى هـذه الواقعـة لأذكر ما لم يذكـره المؤلف عن ذلك الاستجواب الذى قدمه أبى • والواقع ان المؤلف لم يكن محتاجا فى واقعة الاستجواب الا الى هذا الجزء الذى أورده فلا لوم عليه ولا تثريب انه لم يمض فى الواقعة الى نهايتها •

فالذى حدث أن حكومة الوفد اختارت اليوم الذى ستناقش فيه الاستجواب المقدم من أبى لتعتقل فى ذات اليـــوم المرحـوم مكرم عبيد باشا • وهكذا وقف أبى على المنبر وبدلا من أن يناقش الاستجواب قال اننـا متضامنون مع مكرم باشا فى كل ما فعله ولتفعل بنا القوة الغاشمة ماتشـــاء •

وجن جنون الحكومة الوفدية وفوجئنا فى بيتنا بعد منتصف الليل بقوات ضخمة من الشرطة تحاصر البيت ثم تقتحمه وتعلن أبى أنهـــا ستفتش البيت وعرفنا أنها كانت تبحث عن الكتاب الأسود الذى أصدره مكرم عبيد باشا فى ذلك الحين بمعاونة من الأستاذ جلال الحمامصى وقد كنا فعلا نوزع هذا الكتاب من بيتنا ولكن أبى بعد أن ألقى كلمته فى مجلس النواب توقع ان يدهموا البيت ليبحثوا عن الكتاب أو المنشورات الأخرى التى كانت توزع فى هذه الأيـــام فى ظـل الحكم العسكرى والصحافة المكممة فهربنا كل ما كان لدينا من نســـخ وجرى التفتيش وحسبنا نحن أهل البيت ان هذا الذى يحدث شىء بربرى بعيد كل البعد من أى معنى كريم •

واليوم حان لى أن أشهد أن التفتيش الذى تم كان تفتيشا هينا لينا شريفا اذا نحن قارناه بما كان يحدث بعد ذلك فى سنوات الطغيان الغاشمة • وأين بضع شرطة يمـــرون بالغـرف أو يفتحون الدواليب والأدراج المغلقة من تلك العواصف التى كانت فى عصر الطغيان تدمر البيوت تدميرا حتى اذا انحسرت لم تترك الا ترابا مهيلا وفناء ماحقا •

ذكريات ومالنا لا نذكرها أليست الذكرى تنفع المؤمنين •

١٩٨٦/٢/٩ م الأهرام

عالى الصوت لم يزل

رأيته شابا يافعا فى أروقة حزب الأحرار الدستوريين • لم تكن سنه قد بلغت العشرين بعد وكان متحمسا للحزب حماسا جنونيا مندفعا حتى لقد كان رجالات الحزب لا عمل لهم معه الا كبح جماحه • والحد من اندفاعه • وكان فى الاجتماعات هو دائما البادىء بالهتافات وكان يظل يهتف حتى يضطر الخطيب الى أن يرجوه أن يعطيه فرصة ليكمل خطابه •

حتى اذا انتهى الخطباء تجده وقد بح صوته حتى لا تستطيع أن تسمع منه كلمة الا اذا ملت بأذنك حتى تلتصق بفمه •

وفى هذا السيل الجارف من التحمس المندفع المتدفق عرفنا أنه يذهب الى الهيئة السعدية وأنه يبدى من الحماس لمبادئها نفس ما يبديه لمبادىء حزب الأحرار الدستوريين وأنه يهتف لزعماء الهيئة السعدية كما يهتف لزعماء حزب الأحرار الدستوريين •

وكان الحزبان مؤتلفين فى الوزارة وأغلب الأمر بل من المؤكد أن أعضاء الهيئة السعدية عرفوا أمر اتصاله بحزب الأحرار الدستوريين كما عرف حزب الأحرار أمر اتصاله بالهيئة السعدية •

ومن المؤكد أيضا أن رجالات الهيئة كانوا يكفكفون من غلوائه ويعقلون المندفع من تهوره •

وظل هذا حاله حتى سقطت الوزارة المؤتلفة وتألفت الوزارة الوفدية وكان الفتى قد أصبح فى الجامعة فاذا هو فى سهولة ويسر يهجر حزب الأحرار الدستوريين والهيئة السعدية جميعا وينقل تحمسه الى الحزب الوفدى فهو عضو فى لجان شبابه وهو هو المتزعم للهتاف حتى يبح صوته وهو هو المتصدر فى احتفالات الحزب ـ وما أكثرها ـ يوزع الأدوار على الهاتفين ويؤلف كلمات الهتاف ويخص كل وزير من الوزراء بفيض من الثناء • ويغمر كلا منهم بموفور من المديح •

والفتى مرن على الهتاف مزانا قل أن يجيده أحد فى مثل سنه وتلك ميزة ليست قليلة الشأن فى مكان توجد به تجمعات أو اجتماعات أو خطباء ٠

وكان الفتى يستفيد من هتافاته هذه فوائد ليست بالهينة الشأن ولا الضئيلة العائد فهو قد حصل على مدى سنوات هتافه على كل الاعانات التى تقدمها الوزارات لمن ضاق عليهم الرزق ٠

نال من وزارة الأوقاف ومن وزارة الشئون الاجتماعية وعمل فى كل صحف هذا الزمان لا كمحرر فلا شأن له هو بالتحرير وانما عمل كمورد للاعلانات من الحكومة وناهيك باعلانات الحكومة من مورد لا ينقطع سيله ، ولا ينضب غمره ، ولا يغيض ماؤه ٠

وقد كانت أغلب الصحف والمجلات تكاد تعيش على هذه الاعلانات وهكذا استطاع الفتى أن يصلح شأن نفسه ، أما شأن ذويه فهو غير مسئول عنهم فقد كان أبوه موظفا ضئيل الدخل هزيل المرتب وكان له أخوة ثلاثة فلم يفكر يوما أن يعين أهل بيته بما يجعل الحياة معقولة أو ممكنة بل انه يرغم أباه على أن يشترى له الملبس أيضا ٠ أما أنه يطعم بالبيت فهذا أمر يراه طبيعيا فما دام أبوه قد أتى به الى الحياة فهو مسئول أن يطعمه حتى يتخرج ٠ وهو لا يرى أن هذه القاعدة يمكن أن يرد عليها استثناء مهما يكن هو موفور الدخل ، ومهما يكن أبوه مجهدا قليل المال كثير النفقة ٠

ومع المران والأيام صار يسافر الى بلدته يبحث عن طلاب الحاجات ويتشفع لهم وينال من جدواهم ما يعتبرونه رشوة وما يعتبره هو حقا له لا شك فيه ولا مناقشة ٠

وما هى الا زيارة أو اثنتان الى البلدة حتى أصبح الفتى مقصد قريته والقرى المجاورة جميعا ٠ وأصبح أمره مشهورا وأصبحت أسعاره معلومة لا يجهلها أحد ٠ وما لقصاده لا يكثرون وكل من يقصده بمعضلة يحلها له فشفاعته عند ذوى الشأن مقبولة وهو دائما عندهم موضع ترحيب ٠

وأركان الصفقة معروفة واضحة المعالم ٠ يستجيب الوزير للشفاعة من الفتى ويهتف الفتى باسم الوزير فى حفلات الحزب ٠ ومن الناحية

العكسية لا يستجيب الوزير لشفاعة الفتى فلا يهتف الفتى باسم الوزير ٠

وحتى أكون صادقا مع نفسى ومعك لم يكن كل الوزراء فى العهد الوفدى أو غيره من العهود يهتمون فى كثير أو قليل بهتافات الفتى أو صراخه فاذا استجابوا لشفاعة منه فهى استجابة حزبى كبير لشاب من شباب الحزب والفتى لا يهمه الباعث عند الوزير وانما كل ما يهمه أن يحقق ما كلفه به دافعو الرشاوى وليكن الباعث بعد ذلك ما يكون فهو لا شأن له به ٠

واحترقت القاهرة ٠

وراحت الوزارة تتنقل تائهة من عهد الى عهد فما استقرت على رئيس ولا تريثت عند وزير ٠ وزاغت أعين الفتى فأصبح لا يدرى باسم من يهتف ٠ ولا بمن يصل أوشاجه ولا الى أى كرسى يمد حباله ٠

وجاءت الثورة واتضحت المعالم ووضحت له الأمور وضوحا تاما ٠

كان صوته بالمران والممارسة أعلى الأصوات فى الهتافات وتنقل الهتاف من رئيس الى رئيس فى مثل السهولة واليسر التى كان يتنقل به من حزب الى حزب فيما قبل الثورة ٠

وحين استقر الحكم كان الفتى الذى أصبح شابا ذا خبرة واسعة بمعرفة الطريق الذى يختار أعظم الهاتفين شأنا وأعلاهم صوتا ٠

انضم الشاب الى هيئة التحرير وما هى الا لفتة زمن حتى أصبح من أعظم أعضائه نشاطا ٠ فكان طبيعيا أن يرشح نفسه لمجلس الأمة وكان غريبا أن ينتخبه الذين قضى مصالحهم فهم ينتخبونه على الرغم من أنهم هم أنفسهم كانوا يقدمون له الرشاوى فى جميع العهود ٠

وحين أصبح فى هذا المكان المرموق رفع أسعاره فى القيام بالشفاعات ٠ ثم ضاعفها عدة أضعاف وقال ـ ووجد من يصدقه ـ انه لا يأخذ لنفسه وانما هو يشرك معه الكثيرين الذين يعاونونه فى قضاء الحاجات ٠

وبصورة تلقائية انتقل الشاب من هيئة التحـــرير الى الاتحـــاد القومي . ورفع أسعاره مرة أخرى .

ثم أصبح في مقدمة العاملين في الاتحاد الاشتراكى . وكان من المعقول جدا أن يصبح عضوا فى التنظيم الطليعى .

وكان عضـــوا فى المجلس الذى رقص للهزيمـــة . وكان تصفيقه يومذاك واضح المعالم بين السمات .

وذهب عهد بأكمله وجاء عهد آخر . تسلل اليه فى أناة وخبرة فاذا هو عضو فى منبر مصر ثم هو عضو فى حزب مصر ثم هو عضو فى الحزب الوطنى . وهو دائما عضو بمجلس الشعب . وهو دائما يحصل على أعظم الأصوات من الناخبين .

وما دام قد صفق للهزيمة فقد أصبح من الطبيعى بل من الحتمى أن يصفق تصفيقا مضاعفا عشرات المرات للنصر الرائع الذى لم يشـــهد العرب له مثيلا فى العصر الحديث وصفق فى حماس لا مثيل له لما أعقب النصر من خطوات السلام الخالدة .

ولكن العجيـــب فى أمـــره أنه اذا جلس فى جمـــاعة يهاجمون كامب دافيد وافق المهاجمين فى رأيهم .

فاذا انتقل الى جماعة يؤيدون كامب دافيد كان أشـــد منهم حماسا فى تأييدها .

ظاهرة عجيبة هذا الفتى .

أم ترى لم يصبح ظاهرة ولا عجيبة . لست أدرى ؟!

وتسألنى أو لا شك أن ستسألنى من هو ؟

أهو هذا الرجل أم هو ذاك وكيف لى أن أعلم ربما كان هذا وذاك جميعا فقد تشابه الخلق علينا .

ومن أين لى أن أدلك عليه وأنا أروى لك قصة تمتد جذورها نيفا وأربعين عاما . وأما أحسب أننى مقصر فالملامح المحددة قد انماعت فى عينى

ولم يبق أمامى منهـا الا الخطوط العريضة أقدمها اليك وأنا واثق أنك أنت • أنت أيهـا القارىء ستعرف الملامح بكل وضوح وستتبينها بكل دقة • فان ذاكرتك أنت دائما أكثر نشاطا وأعظـم تركيزا • فما على بأس أن أترك لك أنت أن ترى من ألمحت اليه وأن تتعرف أنت على اسمه وسماته • بل اننى واثق أنك ستصل من الأمر الى أبعد من ذلك ، فانك قادر لا شك أن تذكر لى اسم أمه وأبيه ، واسم زوجه وبنيه ساروا فيه جميعا من دروب وما ارتادوا من طريق فأنت دائما أيها القارىء أعظم الناس علما بمن حولك وما حولك • فشأنك وهـذا الفتى الذى أصبح شابا ثم صار كهلا يأخذ طريقه الى الشيخوخة ولكن بخطوات نشطة وصوت عال مرتفع الضجيج لم تنل السن منه وما أوهنته السنون •

١٩٨٦/٢/١٦ م الأهرام

حتى أبطال أفغانستان

ليس شيء بغريب على الشيوعيين · وقد تعودنا أن يطلعوا على الناس في كل يوم بلون جديد من الجرأة على الحق · والاساءة الى مشاعر الناس قاطبة · والتهجم على العدل الواضح الذى لا يختلف حوله اثنان ما دام ليس بينهما من هو صاحب غرض ، أو مائل مع الهوى ، أو حائد عن الطريق القويم الذى لاشك فيه ·

ليس شيء على الملحد بغريب · وما من شيء منه يدعو الى الدهشة وأى تصرف يمكن أن يثير العجب من قوم باعوا دينهم بالمال ، وتخلوا عن أوطانهم ورضوا أن يكون وطنهم بلادا أخرى · وانسلخوا عن جماعتهم ليخلصوا ولاءهم لجماعة أبعد ماتكون عن مقدسات جماعتهم ومثلها وقيمها وأخلاقها ·

ليس شيء بغريب من قوم هذا دأبهم · ولكننى مع ذلك فجعت دهشة وعجبا وأنا أتابع الحملة الجديدة التى يشنها الشيوعيون على أبطال أفغانستان · وزادت فجيعتى وهم يطلقون على الشعب الأفغانى الذى يقاوم الاستعمار متمردين أيكون المدافع عن حقه متمردا ؟! ماذا يقول هؤلاء الملاحدة ؟! ·

انهم لايشنون حملتهم على الجيوش الغازية المعتدية · ولا على الحكم العميل السفاح · لا ·· ليست على هؤلاء حملتهم ·

وانما حملتهم على المجاهدين الأبطال الذين يقفون بأيد عزلاء أمام الوحوش الضارية التى تغزو وطنهم ·

ترى أتولاك العجب أيها القارىء ؟ ·

أعرفت فى حياتك وقاحة مثل هذه الوقاحة · وما أضعف الكلمة فى وصف هؤلاء المصريين ـ أو الذين يقولون أنهم مصريون ـ وهم يؤيدون الاحتلال والغزو والجبروت وسفك الدماء والاعتداء على أمن الدول وسلامتها بلا وأزع من ضمير أو حياء ·

لايشك أحد ان الأوامر قد صدرت لهم من حزبهم بشن هذه الحملة الرعناء الظالمة الهوجاء على قوم يقولون لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا رسول الله لم يرمون بأنفسهم الى أتون الهول الذى فتحه عليهم الغزاة ٠

ولايشك أحد أن هذه الأوامر كانت مشفوعة بالمغريات وبالتهديدات فى وقت معا ٠

ولكن ألم يبق للشيوعيين فى مصر بقية مهما تكن هينة من خجل ؟!

أو ظل مهما يكن واهنا من حياء ؟! أو اثارة مهما تكن واهية من الحفاظ على مشاعر المسلمين الذين يعيشون بينهم ٠ بل لا يبالون بمشاعر المؤمنين جميعا ٠ لكم قرأنا كتابات فى أزمان مختلفات وفى عصور عديدة ٠ فما وجدنا كاتبا واحدا يدافع عن الاحتلال والقهر وعزو الدول المطمئنة الوادعة ٠ فأى كتاب هؤلاء الذين طلع علينا بهم الزمن الأخير ٠ وفى أى مداد يغمسون أقلامهم الا ان تكون الدماء هى مدادهم والمال المنهوب والرشوة باعثهم المنهمرة والذى تتكسر أمامه كل مشاعر الانسانية التى أودعها الله فى نفوس البشر ٠

يشهد غزو أفغانستان اليوم العام السابع له ٠ بعد أن بدأت روسيا هذا الغزو بجيش قوامه ثمانية آلاف وخمسمائة جندى وثمانمائة دبابة وثلاثمائة طائرة ٠

وما أضخم هذه الأعداد فى مواجهة شعب أعزل ليس بيده الا بنادق عتيقة الصنع ٠ ولأن روسيا لاتعرف معنى الايمان فقد حسبت ان الغزو لن يستغرق أكثر من بضع ساعات من نهار أو ليل ٠

ولكن روسيا تجهل ان هؤلاء الضعاف أجساما هم العمالقة نفوسا وان هذه الأجساد الهزيلة الضئيلة تملك قوة أعظم من أسلحة العالم أجمع ٠

ان قوتهم هى ايمانهم ٠ انها (لا اله الا الله) التى تخفق بها قلوبهم ٠ وان محمدا رسول الله التى تجرى بها دماؤهم فى العروق وبهذا الايمان صد هؤلاء العزل الزحوف الغازية ٠ وبهت الذى كفر واذا الغزاة الجبابرة يطلبون المدد ويتوالى المدد ارسالا فاذا جنود الغزو ترتفع أعدادها

ارتفـــاعا مذهـــلا · فالآلاف الثمانيـــة لاتصـــبح عشرة أو عشرين أو خمسين أو مئة ·

بل تصبح مائتين وثلاثين ألف جندى · واذا الدبابات التى تحارب اليوم فى أفغانســـتان تصبح ثلاثة آلاف دبابة واذا الطائرات تصبح سبعمائة طائرة ·

كل هذه الجيوش تحارب الحق والحق وحده ·

ومع كل هذه الجحافل الضخمة لايستطيع الغزاة أن يستولوا على أكثر من عشر مساحة أفغانستان · ويظل المجاهدون المؤمنـون محتفظين بتسعة أعشار أرضهم ·

وترغم الحكومة العميلة الجيوش الأفغانية النظامية أن يصاربوا آباءهم وأخوتهم وأبناءهم · ويحاول بعض منهم أن يرفض هذا القتـال المفروض عليهم مع ذوى قرباهم وأصحاب الأرض والحق · فاذا بالحكومة العميلة ترغمهم ارغاما ساحقا ان يستمروا فى حرب أنفسهم وتطلع علينا وكالات الأنباء بخبر عنوانه اعدام عشرين جنديا أفغانيا رفضوا القتال ضـد الثـوار ·

وتستمر الحرب سبع سنوات والجيوش الزاحفة بكل جبروتهـــا محاصرة بالايمان حولها وتصبح كمن مشى الى رمال متحـركة تبتلع كل قادم اليها ولاتتركه حتى يموت خنقا فيها ·

ويزداد السعار وتتحول الجيوش السفاكة المغلوبة المدحـورة مـن حرب الرجال الى محاربة الأطفال فاذا هم يعذبون الأطفال ويقتلونهم أمام أنظـار آبائهم وأمهاتهم · ويذكر الأفغـانيون ما شهده أتباع الرسول من كفار ذلك الزمان الجاهلى ويزدادون اصرارا على التمســـك بايمانهـــم وبأرضـــهم ·

وقد يقول قائلهم ولكن عتاة مكة والمجرمين من أهل الكفر لم يعذبوا الأطفال أمام والديهم · ثم ما يلبثون أن يرتدوا الى ايمانهم · اذن فبشرانا فبقدر الهول الذى نشهده يكون اكرامنا عند العدل المطلق عالم الغيب والشهادة ·

هذه الوحشية التى لم يشهد أى تاريخ لها مثيلا يباركها الشيوعيون فى مصر بايعاز من شياطينهم وتتوالى مقالاتهم فى أكثر من مجلة تؤيد الغزو وتتمدح به وتذكر أفضاله وآثاره العظيمة على البلاد · وهم فى حمأة اندفاعهم فى المديح لاينسون ان يقولوا : ان الغزو يعمل على نشر التعليم جميعه والتعليم الدينى خاصة ولايذكرون ان الهاربين من جنات الاحتلال بلغوا فى باكستان وحدها ثلاثة ملايين نفس · ولايهمهم ما تتناقله وكالات الأنباء عن السرقات والرشى والاعتداء على الحرمات التى تمارسها القوات الغازية على أفغانستان جميعا حكومة وشعبا ·

مالهم هم وهذا ؟ ان الأوامر قد صدرت لهم أن يمدحوا · وان يقولوا ان الغزو حمل معه الى أفغانستان الحياة السعيدة الهانئة وانه طبق قوانين الاصلاح الزراعى · ومبادىء ماركس الخالدة · ووهب الشعب المكاسب الاشتراكية · وتتزايد جرأتهم على الحق فيصبون سخيمتهم على السادات الزعيم الخالد انه سلم أسلحة روسية للمجاهدين ويرون ان هذا الذى صنعه السادات عمل من أعماله الجديرة باللوم فهم اليوم يرون أن كل ما صنعه السادات سيىء · حتى مساعدة أصحاب الأرض ان يستردوا أرضهم ·

ويقول قائلهم ان الروس اكتشفوا البترول والغاز وفتحوا لهم العيادات الطبية وجهزوها · وأنشئوا مصانع للسيارات بل انشئوا مصانع ونشرت الجيوش المعتدية المحبة والسلام فى ربوع البلاد الى غير هذا من المآثر والأفضال التى تعود الاحتلال ان يدعى انه يفعلها فى الأراضى المحتلة · وكلها أكاذيب لا ظل لها من الحقيقة وما يقولها قائل الا نال ثمن قولها ·

أحسب أن الغيظ قد تملكك مما تقرأ · ولكن ما يهم المهم أن يمتدحوا بالغزو والاحتلال والقضاء على الدين والايمان وحق الانسان الطبيعى أن يعيش آمنا فى وطنه مطمئنا ·

وقد أسمع من يقول : وأى عجيبة فيما يصنعون ؟ أنسيت أنهم أيدوا احتلال اسرائيل لفلسطين هاتفين بحياة روسيا التى كانت الدولة الثانية فى العالم فى الاعتراف بالدولة الاسرائيلية لم تسبقها فى ذلك الا أمريكا التى مازالت الوطن الأم لاسرائيل حتى اليوم ·

وهم هم أنفسهم اليوم الذين يلصقون بالسادات العظيم كل ما فى قاموسهم من سفالات لأنه وقع السلام مع اسرائيل ·

وهم هم أنفسهم أعلى الناس صوتا فى الدفاع عن فلسطين وعن القضية ٠

متى كان لهم رأى يقفون الى جانبه ٠ أو مبدأ يثبتون عليه الا الالحاد بالله ورفض الانتماء الى الوطن ٠

ولايكتفون بالقول بل هم يشفعونه بالعمـــل ويؤلبون العمال فى المحلة وفى شركة أسكو ٠ بعد أن خاب سعيهم فى تجمعات الطلبة ٠ يريدون لمصر أن يتحطم فيها الانتاج وأن يعمها الخراب لأن تربتهم هم هى الأرض الخراب ٠

ولولا أن رئيس مصر مسلم قوى الايمان ، مصرى عميق المصرية لطالبوه أن يستدعى الجيوش الغازية فى أفغانستان لتنشر فى مصر الخير والبركات والســـعادة والهناء التى لايخجلون أن يقولوا ان الجيوش الغازية قد نشرتها فى أفغانستان ٠

ليقل الشيوعيون ما يشاءون ٠ ولكن أحسب أنه ينبغى أن يقف بهم الأمر عند الكلام ٠ فاذا تعداه الى العمل والى التسلل فى الجماعات من عمال الى غير عمال فاننا لهم بالمرصاد ٠ فان الأمر جد لايصلح معه الهزل ٠ واذا كانوا يركبون الحرية ليقتلوا بها الحـرية فليكن هذا فى الكلام فقط وهم فى هذا الميدان يمرحون ما شاء لهم المرح حتى لقد طغا صوتهم فى أجهزة الاعلام على كل صوت ٠ وهم يقولون فى مجلاتهم وفى الصحف القومية ماشاءوا أن يقولوا ٠ ولكن الفرق بعيد بين صيحاتهم هذه وبين أن تصبح هذه الصيحات عملا وفتنة تأليب المخابيل البلهاء على الديمقراطية والحرية التى تنعم مصر بها اليوم ٠

واذا كانت الحكومة قد وسعت لهم مجـــالات الاعلام جميعها من صحف الى مجلات الى اذاعة الى تليفزيون فان على هذه الحكومة نفسها أن تمنعهم ان يثيروا الفتنة ويشعلوا الثورات ٠

واذا كان وجودهم الواضح بالاعلام يهدد الاقتصاد المصرى تهديدا عنيفا تدريه الحكومة كل الدراية ٠ فان الفتنة التى يريدون اشعالها هى القضاء الكامل على هذا الاقتصاد الذى لا يحتمل اليوم أقل هزة فحسبه ما يعانى وحسبنا نحن المؤمنين الله فانه نعم الوكيل ٠

من طوايا الحياة ..

ماذا أصاب قومى فى مصر ؟ أين الأيام الخضر ؟ وأين عصير الحياة العذب وأين ذلك الاشراق المضىء . وأين انطلاق الحديث ينتقل مرحا من قلب الى قلب ومن صديق الى صديق . ومن ابن أبيه . ومن أب الى ابنه . ومن أخ الى أخيـه . بل أين المودة بين الزوج والزوجة وأين بينهما الذكريات والأمال . حتى الحب الجديد أصبح لا يولد حرا كما كان حرا ولا هو اليوم يعرف ذلك الاندفاع المتدفق لا يعوق دفاعه عائق ولا يجرؤ مانـع أن يمسك عنـانه . أين هو : هادرا صاخبا . وأين هو جدول من غير سلس المجرى لؤلؤى المياه . يجرى فى ضفتيه لأنه حب وكفى .

يا لشـقاء الحب فى وطنى اليوم . الضفتان اليوم مال جامد حقير مسعور . وبحث عن مسكن بعد أن نضبت المساكن فى بلدى . لا هدير للحب اليوم بل هو معتقل فى حبال شديدة الأسر من التفكير المذعور من هول الغد . الفتى يبحث عن فتاة تكون ذات مال . أو ذات عمل . ولم يعد الغنى يبحث عن هواه وحبه فى شريكة الحياة التى يريد الله أن تكون له فى غده سكينة لا مسكنا ومودة لا منفعة .

أصبح يريدها الفتى ذات شـقة لا ذات عاطفة وذات مال لا ذات رقـــة .

ماذا صنعت بك الأيام يا بلدى .

أين أنسام النيل وكانت رخاء وسماحة . أين انطلاق الريف وكان هناءة وجمالا . ما للريف اليوم قد كشر عن أنيـاب المال . وزمجر عن صوت العصر العنيف الصارم .

كان الريف يماشى الأيام صفاء ونعومة . فاصبح يقضم الأيام قضم الوحوش ويكسرها ويحطمها . فلا الناى يعزف فى ريفنا ولا الآذان تصغى الى شدو الكروان والبلبل والعصفور ولا النديم فى ريفنا يعرف ندماء

ولا حلقات السمر فى أمسيات الحقول تتحلق تضيئها ألسنة اللهب من نار كنار ابراهيم فهى برد ودفء وهى سلام لا يحرق وانما يشيع فى نفوس البشرية حوله طمأنينة وهناء قدسية الاطناب الأمن وسادها وحب الله والناس وجميع المخلوقات عمادها وأركانها ٠

ماذا صنع بك الحقد يا ريفنا ٠ أين أريحك المعطار ٠ وأين أديمك المسامح ٠ وأين أجواؤك التى ما عرفت الا الحب والنقاء والسعادة والصفاء ٠

ماذا صنع الأمس باليوم ٠ وكيف استطاع الحقد الآخذ الوبيل أن يعصف بجمالك هذا كله يا مصر ٠

ماذا صنع الأمس باليوم ؟ وكيف استطاعت السخائم السود الفاتمة أن تسحب الغيوم والسحائب الكشرة وتثبتها على أقطار بلدى وفى أنحاء سمائها التى كانت صافية مؤرجة بالعطر النقى والهواء الشريف ٠

ماذا صنع الأمس باليوم ؟ كيف استطاعت الكراهية والبغضاء الحقود أن تبدد أنوال الحب فى نفوس المصريين وقد كانت من قبل تنسج الهوى والتعاطف والرضا ٠ والكبرياء فى غير صلف ٠ والعزة فى غير تعجرف والأمانة فى غير افتعال ٠ والترفع عن الدنايا ٠ والبعد عن الصغار ٠ والعزوف عن الآثام ٠ فى طبيعة مواتية وفى سجية نقية بيضاء ٠

أين أيام كان الابن يذوب طربا اذا سمع صوت أبيه وتسجح نفسه اذا سمع دعاء أمه ٠

أين أيام كان الأخ للأخ عونا، والأخت لأخيها ابتسامة هوى موصول لا تشوبه على الأيام شائبة ٠

هل استطاعت سنوات الحقد العجفاء القاتمة السوداء أن تشق الابن عن أبيه وتنأى بالفتى عن دعاء أمه وتجهل الأخ للأخ عدوا لدودا والأخت لأخيها ناهبة للميراث الذى كان اليه سيؤول ٠

أضعيف هو الحب ؟! ٠

أم قوى هو الحقد ؟!

أم أن الأمر أدهى من ذلك وأمر ·

أترى الخير والستر قد انسحبا من طوايا الحياة ومن وشائج القربى وهى ثنيات الصداقة فانكشف الوادى الأخضر الفسيح بالرضا عن غاية حمقاء مسعورة رعاياها ذئاب بشرية يأكل بعضها لحوم بعض فى غير رحمة ولا شفقة · ومن أين وطيوف الانسانية قد رحلت هى أيضا مع سماحة الخير ومع كرامات الستر الحبيبة ·

لقد دخل الخوف بلدى فى السنين العجاف · والخوف سريع مجتاح حين يدخل بلدا · ثم هو عند الارتحال متلكىء وبطىء ثقيل الخطى ·

والأمر بعد ذلك ليس ميسورا فهو كلما هم بالخروج من بلدى اجتاحها عاصف يعيد الخوف الى الفرائص والذعر الى النفوس · وهكذا استقر الخوف فى السنوات الأخيرة يطفىء شموع الأمن ويحطم أركان السكينة ·

تمثل يوما فى قرارات اقتصادية خرقاء دمرت الاقتصاد بعد أن كان يوشك أن يستقر · وكان علاج هذه القرارات بطيئا فازداد الأمر سوءا · وما زال الخوف يظل اقتصادنا حتى اليوم · المال المصرى يخشى الخروج الى النشاط ، والمال الأجنبى يخشى الدخول الى مصر · والمصريون فى الخارج حبسوا أموالهم فى البلاد التى يعملون بها بعد أن كانت تنثال فى رضا وطمأنينة الى المصارف المصرية ·

وتمثل الذعر فى الأصوات الناعقة من الشيوعيين نشروها فى كل مكان من أركان الاعلام فهم فى الصحف القومية لهم صفحات ومقالات وصولات وجولات · هم فى التليفزيون يوشكون أن يستولوا على الأركان الأدبية فيه لم تفلت منهم الا الأحاديث الدينية وهم فى الاذاعة يمرحون ويسرحون ، لهم برامج ثابتة ولهم فى كل حين حديث أو لقاء · والأجهزة جميعها حريصة على أن تسترضيهم حتى لأعلم أن بعض الأحاديث التى تناقش نظريتهم منعتها الاذاعة أن تخرج على الهواء · وليس انتشار الشيوعيين بالأمر الهين · فالأضرار الناتجة عنه أخطر مما يتصور المسئولون فانهم بصيحاتهم هذه لا يخيفون المؤمنين · فنحن واثقون من أن الشعب المصرى لن يلتفت اليهم ولن يأبه بهم · ولكن الخوف كل الخوف

أن تخيف أصواتهم رءوس الأموال فى خارج مصر سواء كانت مصرية أو أجنبية فليس فى العالم شيء أكثر جبنا وحذرا من المال · وهيهات لمال يأتى الى دولة يعلو فيها صوت الشيوعيين ·

وهكذا يزداد الخوف تمكنا فى ربوع مصر ويأبى أن ينقشع ويتحدث الناس بصوت جهورى مرتفع فالنـاس فى بلادى لم تعد تهمس وليس خوفهم اليوم من الحاكم فرئيسنا اليوم أعظم الرؤساء سماحة وبعدا عن العنف والجبروت وانما الناس تخاف من الأيام ومما يأتى به الغد ·

ويزداد الخوف رسوخا فى نفوس الناس ·

ثم هو يقوى ويشتد فيما نراه أخيرا من ظهور وجوه كانت اختفت يوم اختفى عنا عهد الطغيان والاعتداء على الاعراض والحريات والأنفس والأموال فقد علت بآخرة ، أصوات الفئة الباغية وعاد الى النعيق على نخل بلدى غربان الخراب والهزيمة الماحقة فى كل الحروب تضيف على القمة الخائبة منها ٦٧ علامة لا يمحوهـا الزمن لعواقب الفسـاد والسرقـات والاعتداء على انسانية الانسان وتحطيم الحرمات التى أمر الله أن يراعيها الحاكم فى الرعية· عاد عواء الذئاب فاهاج جميع مكامن الخوف فى نفوس المصريين· ويقول كاهنهم الأكبر للناس انه بغيره لن يكون قرار ما حكيما· وكأنه ما كفاه ما شارك فيه من قرارات كانت كلها خرابا ما زالت مصر تعانى منه حتى يومنا هذا وستظل تعانى منه لسنوات أخرى قادمة الله وحده يعلم عددها · هذه الجوقة التى تمثل السرقات بادئة من مجوهرات أسرة محمد على الى آخر من صودرت أمواله أو وضع تحت الحراسة والتى تمثل الهزائم المتوالية بدءا من ٥٦ مرورا بحرب اليمن الى انفصال سوريا الى ٠٦٧ عادت الى الظهور مع عازفها الأول ولا يجد الناس مفزعا الا القرآن الكريم أمنهم عند الكريهه ومفازتهم عند الذعر وجنتهم عند الملمات ·

ويذكرون أن هذا العهد جميعه لم يكن يؤمن بالله ولا باليوم الآخر وانه ليس ممن قال عنهم الله سبحانه وتعالى **وبالآخرة هم يؤمنون** ·

وهم واثقون من كفر العهد ورجاله ليس مما فعـل العهد ورجاله بالبشر فحسب وانما بنص ما جاء صراحة فى كتب كاتب العهد وكاهنه الأكبر ·

ويستجيب القرآن الكريم لفزع الناس وكيف لا يستجيب لهم الله وهو قريب يجيب دعوة الداعى اذا دعاه · وتاتى الآية ١١٨ من سورة

آل عمران **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون** · صدق الله العظيم والناس تعلم أن القائمين على الأمر اليوم من هؤلاء الذين يعقلون وان رئيسنا من هؤلاء الذين يسمعون القول فيتبعون احسنه ·

وتتجمع هذه المشاعر جميعا وتصخب فى نفوس الشعب · ثم تنفجر فئة باغية جاهلة حمقاء تحرق أمن مصر وأمالها فى جنون أرعن مأفون وتبحث مصر عن السبب أو الدافع فاذا هى تجده فى جيوب الخونة المخابيل متمثلا فى مبالغ متشابهة ذات أرقام متتالية تصيح بأعلى صوت لها أن أعداء مصر فى الخارج قد أعطوا أوامرهم لأعداء مصر فى الداخل وشفعوا الأوامر بالأموال واستغل هؤلاء وهؤلاء حراس أمننا والأمناء على الطمأنينة فى بلادنا واستغلوا جهلهم ولا أقول فقرهم وغباءهم ولا أقول ضيقهم وصنعوا منهم قذائف حرقت أول ما حرقت أمن مصر والثقة التى تمكنت أن تشيعها فى نفوس العالم حولها ·

وترفض مصر أن تصدق ما رفعوه من سبب لعدوانهم فلو كان ما أعلنوه ذا صلة بأى نوع من الصدق لكان من الطبيعى أن تكون وسيلتهم وهم رجال الأمن المجندون متمثلة فى شكوى يقدمونها أو تظلم يحمله عنهم قوادهم أو أى سبيل آخر يتفق مع الخلق ·

ولكنهم لم يفعلوا ذلك وانما أذهلتهم الأموال التى تسربت اليهم فى خفية عن مصر وأصبحوا قنابل تحرق مصر · مصرهم التى رضعوا لبانها وتفيئوا ظلها · والتى لا ملجأ لهم الا حقولها ومغانيها ولا مشرب لهم الا نيلها ·

ان تكن سنة قد زيدت على تجنيدهم وهم بها ضائقون فالى أين يريدون أن يتجهوا اذا لم تزد ان لم يتجهوا الى مصر التى يحرقون ·

لا ليست زيادة سنة صحيحا كان أمرها أو كان أشاعة ـ بالسبب الذى تقبله مصر · انما هو الخيانة والرشوة ومصر تتساءل اليوم ان كان الذين قبلوا الرشوة جهلاء حمقى فأين كان رءساؤهم · وهو سؤال ضخم وكل اجابة عليه محزنة تمزق النفس حسرة وألما وذهولا فاجعا مدمرا ·

والعجيب العجيب وفى نفس الوقت العظيم أن شعب مصر الذى يتحمل ما يتحمل من عناء هو الذى يقمع الخونة ويصدهم ويرفض فى اجماع منقطع النظير اجرامهم ·

ان هذا الشعب هو النبت الصالح الذى يخرج من الأرض الطيبة .

وان أرض مصر العريقة عراقة الزمن لا يمكن أن تنبت الا هذا الشعب النبيل وصدق الشاعر :

وهل ينبت الخطى الا وشيجة وتزرع الا فى منابتها النخل

١٩٨٦/٣/٢ الأهرام

هل هم منتهون ؟

للقلم وجمة · وبعد الحادثات يسود صمت فيه الم وفيه تفكير وفيه عجب وفيه ذهول ويصيب القلم فى ايدينا وجوم · فهو ذو نبض وذو حياة ومن كان ذا نبض وذا حياة يصيبه الوجوم كما يصيبنا ·

وماذا أنت قائل لقومك اليوم · أما الأحداث فقد تناولتها الأقلام جميعا ولم يعد فى جنباتها مجال للقول الا أن يكون القول وجوما وهموما وحزنـا ·

ومن الوجوم يثور التفكير ويعتلى ، وتنظر فى الجرائد القومية التى صدرت بعد الحوادث فتجدها على حالها · وكأنها لم تشهد الايدى الخائنة تحرك النفوس الجاهلة وتكاد تشعل الفتنة فى أرجاء مصر جميعا ·

أعداء مصر الملحدون · المنتمون لغير ترابها · الداعـون لغير حبها تتصدر صورهم وأحاديثهم بعض الجرائد القومية ·

وكان لم يكن بالأمس القريب حريق هـم مشـعلوه بأحـاديثهم وكتاباتهم قبل أن ينشب · وهم الذين أشعلوه بخيانتهم وبمؤامراتهم فى الليل ، وسيلتهم اليه الرشوة الحقيرة ينهالون بها على نفوس مأفونة لا علم لها يقف بها عن الشر · ولا خلق لها يردها عن التمرد ولا كرامة لها تمنعها عن الرشوة ، ولا وطنية لها تزعها عن اشعال الحريق فى وطنها ولا عقل يذودها أن تحرق نفسها فى عمل انتحارى جماعى ·

فما أحرق هؤلاء الغوغائيون الا أنفسهم وهل مصر الا هم لو كان يعقلون ·

وتطالعنى صفحات الشيوعيين فى الجرائد القومية يحللون ويتحللون ويفلسفون وينماعون ويتافقون فى غير خجـل ويكذبون فى غير حيـاء ويقولون غير ما يعتقدون فى تبجح لا يتأتى الا لقوم باعوا ايمانهم بالالحاد · وباعوا أوطانهم بالخيانة ·

ولا ألوم الجريدة التى تسمح لهم بهذا ، فالصحف اليوم فى عصر الحرية هى المسئولة وحدها لا تقف على كتفيها سلطة ولا تتحلل أصابعها رقابة من خارجهـا · وانما ضمير الجريدة وحـده هو الفيصل والحس والسياسى هو صاحب القرار ·

فليقل الشيوعيون ما شاءوا أن يقولوا فى صحفهم وما هى بالقليلة العدد أما أن يفرضوا علينا فى جرائد تنتمى بجميعها الى مصر فتلك كبيرة لا تغتفر ·

وهم يعلمون ان هـذا الذى يفعلون أثار نفوس الناس فى مصر جميعها وأثار مخاوف المهتمين بشئون مصر فى خارجها سواء كانوا من أبنـاء مصر أو كانوا من الذين يفـكرون فى القـدوم اليها ليسـتثمروا أو ليجعلوا من ربوع مصر وآثارها مكانا لسياحتهم الآمنة أو لسـياحتهم التى تريد أن ترى آثار مصر التى يعتبرها العلماء متحف العالم أجمع ·

هم يعلمون ذلك وكان من الطبيعى أن يعـودوا الى العقـل منهـم والرشاد بعد هذه الفئة الباغية التى شهدتها مصر · ولكن لا عقل لهم ولا رشاد ولا تزال صفحاتهم كما كانت قبل الفتنة بل هى أشد سوءا وأكثر سوادا أو احمرارا ولك أن تختار أى اللونين شئت ·

كان عليهم أن يعلموا أن مصر ترفض هذه الفئة · وتحـاربها · لأن مصر وقفت بجانب جيشها الشرعى ولم تقف بجانب المعتدين المجرمين الآثمين كما يتمنى الملحدون المنتمون لغير مصر ·

ولو لم يكن الشعب المصرى يؤيد رئيسـه ويتمسـك به لكانت الفرصة أمامه مواتيـة أعظم ما تكون المواتاة · ولاهتـاجوا مع المهتاجين ولا حرقوا مع المحرقين ولا أتلفوا مع المتلفين ولا دمروا مع المدمرين ·

ولكن الشـعب المصرى لم يحرق ولا هو أتلف ولا دمر والشـعب المصرى أيضا لم يتخذ موقفا سلبيا ولم يبتعد عن الأحداث فى غير مبالاة · انمـا وقف المصرى عونا على المفتـونين وعلى المحرقين وعلى المتلفين المدمرين ·

الشعب المصرى اليوم يحس أن مصر بلاده وما كان ليشعر بذلك لو كان رئيسه جبارا طاغية منفردا وحده بالسلطان مبعدا الشعب عن أى رأى فى مصير البلاد ·

وأشهد يا رئيس الجمهورية ويشهد الشعب معى انك لم تكن فى يوم طاغوتا ولا منفردا برأى ولا متباعدا عن الشعب ولا متكبرا عليه ٠

وأشهد يا رئيس الجمهورية ويشهد الشعب معى أنك لم تمسك على شعبك سلاحا ولا كنت عليه سوط عذاب ولا حاولت أن تخرق الأرض أو أن تبلغ الجبال طولا ٠

وأشهد يا رئيس الجمهورية انك لم تصعر خدك للناس ولا ملت عنهم تهاونا بهم أو كبرا عليهم بل أنت منذ عرفناك ذو تواضع فى غير ضعف ٠ وذو كبرياء فى غير تكبر ٠ وذو حديث سلس المجرى قريب المأخذ لا تقف فى مجراه صخور من الافتعال أو التصنع أو التخلق بغير خلاقك بل أنت دائما على سجيتك المصرية الأصيلة ٠ أن ثرت فلمصر وليس على مصر ، وان غضبت فلشعب مصر ولم تكن غضبتك يوما على شعب مصر ٠

لم نعرف فى عهدك أن مصريا زج به الزبانية العتاة الى معتقل ٠ وما سمعنا يوما أن شخصا قتل خفية عن الناس فى أطواء المعتقل حتى اذا سأل عنه ذووه قيل لهم هرب فهو مجهول المصير ٠ ولم تستول حكومتك على أموال الناس ولم تتعرض سلطة فى عهدك لأحد تستلب كرامته فالعرض فى عهدك مصون ٠ ولم نسمع ولم يسمع أحد أن كلابا أو أدميين اعتدوا على أعراض نساء أو رجال باسم الدولة فى عهدك المبارك٠

وأشهد يا رئيس الجمهورية انك أعطيت المعارضة الطريق المفتوح على مصراعيه وان كثيرا منهم خفروا هذا الطريق بالأكاذيب والأثارة وبعضهم دمره بالافتراء والتآمر والخيانة ٠ فلم تغلق يوما جريدة معارضة ولا أنت حتى منعت جريدة قومية أن تقول كل ما يعن لكتابها أن يقولوا ٠ بعد أن كانت الأصوات كلها تصدر عن بوق واحد ٠

ولقد حذرت ولم تهدد وبصرت ولم تصادر ٠ وكنت صادقا فى تحذيرك وتبصيرك ٠ ولكن هل وعى الأخرون الدرس وهل ارعوى غاويهم أو رشد سادرهم ٠٠ لا أظن ! ٠ ٠ ٠

والامانة وسيلة للمعارضة راحوا يفسرون حديثك انه تهديد بزوال الديمقراطية والحرية ٠

وآسفى لهم فهم لا يعقلون ٠

وأشهد يا رئيس الجمهورية انك لم ترم مصير مصر الى شرك الحروب وأهوالها ومصائبها بغير داع لها الا الأمل فى زعامة عالمية أو رغبة فى مجد شخصى مزيف ٠ فأموال مصر فى عهدك أمنة فى مستقرها وان عدا عليها لص أو منحرف كنت له بالمرصاد لم تحم يوما قريبا وان كان أخا ، ولا تسترت على معتد وان كان منك فى أقرب مكان ٠ ولو ان الشعب قارن بين كل ما سرقه السارقون وما انتهبه المجرمون فى عهد الحرية وبين نفقات يوم واحد فى أى حرب من الحروب لكانت المقارنة وكأنها بين ابرة وصاروخ أو بين نقطة ماء ومحيط ٠ هذا ان لم نذكر الدماء التى نزفت والتى هى أغلى ما عرفته البشرية ٠

وأشهد يا رئيس الجمهورية انك لم تكذب على الشعب فى يوم من الأيام ولم تخدعه ولم تعد وعدا أنت تعرف أنك لم تنفذه ولم تعير الشعب المصرى انه كان بلا كرامة ولم تحاول يوما أن تهون من عظمة شعب مصر ولم تستخفه أو تستهن به ٠

وأشهد يا رئيس الجمهورية انك منذ توليت وأنت تعرف انك واحد منا يسعدك ما يسعدنا ويضنيك ما يضنينا ٠ تحيا حياتك فى غير سرف ولا مظاهر ،فى كرامة تليق بانسان ٠ تمشى على الأرض هونا فلا مختال أنت ولا أنت فخور ولا متأله أنت ، ولا أنت ذو شره ٠

لهذا يا رئيس الجمهورية كان الشعب معك لا عليك لانه يعرف عن يقين انك معه لا عليه ٠ ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفض من حولك ولما وقف حولك وحول وطنه يذود عن حياضه ويدافع عن آماله ويرد الخونة المعتدين فى اصرار وثبات وشجاعة وصمود ٠

ونحن يا رئيس الجمهورية اليوم ننتظر نتائج التحقيقات وليس لنا أن نقول ما لا نعلم ولكن من حقنا أن نفكر ، وأن نستنتج وأن نرى المقدمات لعلها تصل بنا الى الحقائق ٠

ان المتمردين مجرمون لا شك فى اجرامهم ٠ ولكن المجرم الأكبر مازال خافيا عن العيون وان كانت بعض ملامح منه بدأت تطل علينا ٠

من بين هذه الملامح تلك الجنيهات فى جيوب الفقراء الثائرين · من أين جاءوا بها !؟ وكيف توالت أرقامها تضـيع أنها من مصـدر واحـد · ما المصدر ؟ ·· هذه واحدة من الملامـح ·

وبعض الملامح التى تدل على المجرم الأكبر جاءت فى واقعة عظيمة الدلالة · هذه السيدة المصرية العظيمة التى لم تقفل شباكها ولم تهرب الى العميق العميق من سراديب بيتها وانما وقفت فى النـافذة تصـور الأحداث وهى تعلم تمام العلم أن هؤلاء المجانين لو رأوها أو راعا واحد منهم لكان القتل هو أهون مصير لها هذا اذا لم يصحبه حرق لعمارتها كلها ولاهلها وذويها وجيرانها جميعا ·

صورة من حب المصريين لمصر ، تحمل صورة للخوانة الذين لا نريد أن نصرح بما نستنتجه فى شأنهم وان كان أمرهم معروفا للجميع · ولكن الأمر فى يد العـدالة فمن حقها علينـا أن ننتظر كلمتها فى ثقـة كاملة بأمانتها وذكائها فى وقت معا وبعد فمن حقنا اليوم أن نقول مع شوقى :

أرى مصر يلهو بحـد السـلاح ويلعب بالنـــار ولدانهـــا
وراح بغـير مجـــال العقول يحـــل الســـياسة غلمـانها
وما القتل تحيا عليـه البـلاد ولا همـــه القـول عمـرانها
فأين النبـــوغ وأين العـلوم وأيـــن الفنـــون واتقانهـا
وأين من الربح قسط الرجال اذا كان فى الخلـق خسرانها
لقـد عبثت بالنيـاق الحـداة ونـــام على الأبـل رعيـــانها

١٩٨٦/٣/٩ م الأهرام

لا نخاف الا الله !

توالت الأنبـاء من داخـل المؤسسـات الحكوميـة عن اللصوص والمرتشين • لم تجامل هذه الأنباء أحدا فهى حينا تتناول وزيرا ثم هى ما تلبث ما تتفاقم وتصبح أحكاما نهائية على أربعة من كبار موظفى الدولة ولا تمثل هذه الأحكام الا جزاء يسيرا من قضايا مازال الجانب الأكبر منها متداولا فى أيدى القضاة ثم تهب ريح من وزارة الصناعة تتهم جماعة كبيرة العدد بالرشوة •

وكل هذه الأنباء تعيد الى المواطن المصرى ثقته بحكومته أن الجميع عندها سواء • وانها لا تتستر على أحد مهما يكن ذا سطوة أو ذا قرابة • وان القضاء فى مكانه الأسنى لا يعنيـه الا الحق والحق وحده معصوب العينين عن قيمة المتهم ومكانته متفتح البصيرة فى نظره الى العدالة المطلقة وما يؤيدها من أدلة وشواهد وشهود •

وليس شىء يدعو الى الثقة فى دولة ما مثل القضاء الشريف ، وكاذب كل من يدعى أن مثل هذه القضايا تهز الثقة فى الاقتصاد المصرى • فان هذه القضـايا تؤكد الثقـة فى الاقتصاد المصرى • وان كانت الثقـة فى الاقتصاد المصرى لا تتأتى الا بالتغاضى عن المرتشين والتستر على اللصوص والسكوت على المجرمين فليذهب هذا النوع من الثقة الى أى جحيم يشاء • ولتظل مصر على ما تنتهجه من ردع المجرمين وتقديمهم الى المحاكمة وليأخذ العدل مجراه وليكن بعد ذلك من أمر الاقتصاد ما يكون فالقاعدة الثابتة ان الاقتصاد والصلات المالية ان لم تتسم بالشرف فهى الى انهيار لا شك فيـه •

ولكن العجيب المؤسف أن هذه القضايا جعلت الموظفين الشرفاء فى حالة تجمد كامل عن اصدار القرار • أضع على رأس هؤلاء الوزراء أنفسهم، فقد أصبح الوزراء — وهـم يعلمون انهم شرفاء — يخافون من اصـدار القرار • فالقرار الذى يستغرق اصداره يوما أو بعض يوم لا يصـدره الوزير الا بعد عدة شهور • واذا كان الوزير خائفا فوكيل الوزارة هالع واذا خاف الوزير وهلع الوكيل فالسكرتير العام مذعور ومن يليـه من

المسئولين فى فرق مبين لا يملكون معه أن يضموا أصابعهم على قلم ليتحملوا به مسئولية رأى ٠

ما هذا الذى يحدث ٠٠ أمعقول هذا ٠ ألا تواتى الجرأة الا اللصوص٠ ويتجمد الشرفـاء فى سجون الخوف والهلـع المذعور والفرق المرتعش الآليم ؟

بمثل هذا يتجمد الاقتصاد ٠ ومن مثـل هذا يفر من التعـامل مع الحكومة كل الشرفاء مصريين كانوا أو كانوا أجانب ٠ أفراد كانوا أو دولا ٠ هل يعقل أن يصبح تخريب اللصوص عندنا واسع السطوة الى هذا الحد حتى انهم استطاعوا أن يمدوا أثرهم الخطير الى الوزراء وهم وزراء ؟

أخشى ما أخشاه الا يكون الوزراء واثقين من شرعية وجودهم على كراسى الوزارة ٠ فان هذا الشعور مدمر فتاك ٠ يفتك بمصالح الدولة ويدمر الوزير نفسه ٠

أحسب أن الوزير فى كل قرار يعرض عليه يظل يسوف التوقيع بانقاذ القرار موجها نظره الى أعلى حينا يستمد الشجاعة حتى اذا افتقدها وفقدها راح يقلب عينيه ذات اليمين واليسار يحاول أن يتلمس التأييد من معاونيه ومسـاعديه ومستشاريه ٠ وأحسب أن الوزير بهذا يمد جميع هؤلاء بشحنة من الرعب لا يملكون معها أن يقطعوا برأى ومن أين لهم الرأى وقد أكلهم الذعر أكلا وانتهبهم رعب الوزير انتهابا ؟

اننا اليوم أحوج ما نكون الى وزراء واثقين كل الثقة بشرعية وجودهم على كراسيهم ٠ يؤدون ما يرون أنه الحق ويتوكلون على الله العلى القدير ٠

لا يخشون فيما يفعلون الا الله وحده المطلع على الضمائر لا يخفى عليه من شىء فى الأرض أو فى السماء ٠

ان المعارضة ستعارض ٠ ولكن ما الباس ٠ ان المعارضة هى روح الديمقراطية وأساسها الأول ٠ وفى رفضها يستنير الناس ويعرفون تماما ما فى القرارات من محاسن وعيوب ٠ ولن يجمع الناس على شىء أبدا فما أجمعوا على شىء من قبل ٠ وانما الأغلبية هى صاحبة القرار وحسب من يصدر القرار أن تؤيده الأغلبية ٠

ولست فى حاجة الى القول أن صاحب القرار لابد أن يبذل أقصى جهده للوصول الى القرار الأمثل فعليه أن يبحث ويدرس ويستشير حتى اذا اطمأن الى القرار أصدره ٠

فان القرار الصادر فى عجلة وبغير دراسة وبال مستطير ٠

وفى نفس الوقت القرار الذى ينبغى أن يصدر ولا يصـدر وبال مستطير ٠

وانه لمن المحزن أن تكون الديمقراطية مدعاة للخوف والهلع وهى النظام الذى يقوم على رأى الأغلبية وفى ظله يكون الخطأ نادرا لا يقـع الا فى أضيق الحدود ٠

فى حين تتسم الديكتاتورية بالقرارات الرعناء التى لا يسبقها تدبر أو تفكير أو دراسة ٠٠

والديمقراطية تحتمى من الخطأ بحـق الجميع فى المناقشـة بينما لا حماية للديكتاتورية الا الارهاب فليس فى الديكتاتورية دراسة تسبق القرار ولا فى الديكتاتورية مناقشة للقرار اذا صدر وقديما قال الشاعر :

تلوا باطلا وجلوا صارما وقالوا صدقنا فقلنا نعم

وانه لكارثة كبرى أن يخاف الوزير وهو فى حماية من المناقشة الحرة وتداول الرأى ٠

ولا يخاف الوزير فى ظل الطغيان وهو بلا رأى ولا فكر فهو فى هذا النظام البغيض لا شىء الا لسان ينطق عن الديكتاتورية حتى ولو كان ينطق بغير ما هو مقتنع به ٠

ولا يجوز للوزير فى ظل الديمقراطية أن يخشى الكتاب الذين دافعوا عن الديكتاتورية وارتبطت مصالحهم الخاصة بسيفها الظالم السفاك لأن هؤلاء أصحاب هوى ولا أمانة لهم ٠ وهم لن يؤيدوا الديمقراطية بقلوب خالصـة أبدا ٠

وقد يقول هؤلاء ان السرقات قد كثرت وان هذا دليل على الفساد وهم يعلمون ـ ولكنهم لا يقولون ـ انه فى ظل الديكتاتورية قام الحكام بتأميم السرقات فلا يسرق الا أصحاب السلطان وحدهم والدليل حاضر

من قريب فحسبك أن تذكر جواهر أسرة محمد على والقصور المسلوبة والأموال التى صودرت لحساب الدولة فانتهبها حكام ذلك الزمان ٠

هذه واحدة وأخرى أنه لم تكن هناك حياة تجارية فى ظل الطغيان فالأموال كلها كانت خبيئة مستورة تتخفى وراء الجدران وتتباعد عن الظنون وتنأى عن الحدس والتخمين ٠ فما كان أحد ليفكر أن يستثمر ماله خشية أن تنقض عليه الحراسة فتستولى على أمواله جميعا هذا اذا لم تضم اليهم حريته وكرامته وعرضه أيضا ٠

فممن يسرق السارق ؟ وماذا يسرق ؟ وهل كان هناك مال حتى يسرقه سارق ؟

ولا يجوز للوزير أو أى مسئول فى ظل الديمقراطية أن يخشى من قضايا اللصوص المقدمين الى المحاكم فليس هناك دولة ليس فيها مرتشون أو لصوص بمناصبهم ٠

ولكن الأغلبية دائما من الشرفاء ٠

كل ما فى الأمر أن هذه القضايا جديدة علينا بعد فترة طويلة لم تكن لمصر فيها حياة اقتصادية على الاطلاق ٠ وهذه القضايا تشكل موجة ولكنها لاشك ستنحسر ٠ فلا ينبغى بأى حال من الأحوال أن تمسك هذه الموجة العارضة بأيدى الوزراء وأصحاب القرار أن يصدروا القرارات التى يتعين عليهم أن يصدروها فان خوفهم هذا قد أصاب الأسواق المصرية كلها بالرعب والتجمد ٠ وكم يحزننى أن أرى العاملين فى حياتنا الاقتصادية يصيبهم الظلم الفادح نتيجة الخوف من اصدار القرار العادل ٠

وكم يصيبنى الأسى لمصر وأنا أسمع من التجار أن الكثيرين من زملائهم يفكرون فى انهاء أعمالهم التجارية ٠

وانك لن تسأل أحدا ممن يعملون فى الحياة الاقتصادية الا قال لك ان حركة السوق متوقفة تماما ٠ وركود السوق خراب فما الخطب اذا توقف ؟!

ان الأدواء الاقتصادية التى تعانيها مصر معروفة حتى لغير أساتذة الاقتصاد • والدواء الوحيد لمواجهتها هو الشجاعة فى اتخاذ القرار •

فان احاط بنا الخوف فى القرارات الفرعية فويل لاقتصادنا كل الويل حين يتحتم علينا أن نواجه القرارات الكبرى التى سترغمنا الأيام على اتخاذها شئنا أم أبينا •

فيا مصرنا الخالدة ناشدى المسئولين فيك أن يلوذوا بالجرأة فى الحق لا يخشون الا الله وحده •

فهو وحده سبحانه القاهر فوق عباده • وهو أيضا الرحمن الرحيم الغفور • جلت آلاؤه •

١٩٨٦/٣/١٦ م الأهرام

بين النظرية والتطبيق

فى أهرام الجمعة ٧ مارس مقال للأستاذ السيد يسين رئيس مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام · والمقال يحمل على رأسه اسم المركز وهذا يوحى بشكل لا يقبل الجدل أن الأستاذ السيد يسين انما يتحدث باسم مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية · وأعتقد أن فى هذا افتئاتا على المركز · فان للأستاذ سيد يسين ـ اذا شاء ـ أن يكتب معلنا رأيه هو أما أن يكتب تحت راية المركز الذى يمثل الأهرام جميعه فأنا أرى أن هذا يؤدى الى نوع من الخلط بين رأى فردى ورأى جهة بأكملها فأنا أشرف بالاشراف على القسم الأدبى فى جريدة الأهرام ولكننى حين أكتب أنا أعبر عن رأيى وحدى ولا يجوز لى أن أطبع شعار القسم الأدبى على مقالتى كما لا يجوز لى أن أضع شعار اتحاد الكتاب الذى أشرف برئاسته ·

وبعد فهذا أمر يتصل بالشكل كان من الحتم أن أعرض له أما المقالة نفسها فتحمل عنوان « الديمقراطية والعنف والسياسة الاجتماعية » والمقالة تحمل سمات المعارضة العنيفة ولا بأس على الأستاذ سيد أن يعارض ما طابت له المعارضة فنحن جميعا نعارض حينا ونؤيد حينا نتغيا المصلحة العامة ما وسعنا الجهد وما اسعفتنا الحجة ·

وقد قدم الأستاذ السيد يسين آراءه فى اصلاح أحوال مصر من وجهة نظره وأنا لم أمسك القلم اليوم لأناقش هذه الآراء ·

وانما ثارت نفسى وفزعت الى قلمى والى كتابة هذا الذى تقرأه الآن حين انتهى بى المطاف الى العنوان الفرعى فى آخر المقال ، وانى ناقل اليك ما قال بادىء ذى بدء ·

يقول الأستاذ السيد يسين تحت عنوان فرعى « اعادة صياغة السياسة الاجتماعية » ما يلى ·· السياسة الاجتماعية فى بلد ما تترجم بشكل محسوس التوجيهات الأيديولوجية الأساسية للنظام السياسى ومن هنا تختلف السياسة الاجتماعية اختلافات جذرية فى النظم

الاشتراكية والرأسمالية · فى النظام الاشتراكى يعلو الصالح العام على حساب الصالح الخاص · وتتوجه السياسات الاجتماعية الى جماهير الشعب جميعا لكى تنهض بها من الناحية الثقافية والاقتصادية والسياسية ويظهر ذلك فى صورة برامج التعليم المجانية التى تسمح لأفقر العناصر الاجتماعية أن تبرز مواهبها وأن تكشف عن ابداعاتها ، وكذلك فى سياسات الدخول والأجور والتى لا تسمح للقلة أن تثرى ـ استغلالا ـ على حساب الأغلبية وهى التى تفتح آفاق الثقافة بلا حدود أمام كافة جماهير الشعب وتصل الى القرى والنجوع وهى أخيرا تدعم من ايجابيات الشخصية الانسانية وتكافح سلبياتها من خلال القدوة والتربية والتعليم والردع والاصلاح العقابى وعلى العكس تماما فى النظام الرأسمالى حيث يعلو صوت الصالح الخاص على حساب الصالح العام وتصاغ السياسات الاجتماعية أساسا لخدمة الأقلية والصفوة المختارة · وهى حين تتجه الى الجماهير العريضة فهى تتجه بقدر وبطريقة محسوبة ، والغرض الأساسى هو اشباع بعض الحاجات الأساسية لها تلافيا لعوامل السخط الاجتماعى وتفاديا لاحتمالات الصراع الطبقى ·

وأكتفى بهذا القدر الذى يعلم الله كم قاسيت من جهد لأنقله وأنا أسأل الأستاذ السيد يسين هل ما زالت الشيوعية نظرية لفظية أم انها تجاوزت هذا الى التطبيق الطويل الذى يقارب اليوم نصف قرن من الزمان ·

وما دام الأمر كذلك ألا يرى أن الأمانة العلمية تقتضى مناقشة التطبيق · واذا كنا لا نناقش التطبيق بعد خمسين عاما من أعمال النظرية فمتى اذن ؟!

ومادام قد اختار أن يضع على رأس مقاله مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ألم يكن واجبا حتميا عليه أن يذكر الرأى والرأى الآخر وبعد فلننتقل الآن الى ما قاله :

أيعرف الأستاذ حكومة فى العالم الحر جميعه تعمل لغير الصالح العام · أين تقع هذه الحكومة وفى أى دولة رأسمالية على وجه الأرض ·

وكيف يصبح فى العقول أن حكومة ما تعمل لصالح أفراد ولا تعطى الشعب الا الفتات ·

وهل ما يناله العامل في امريكا يقارن بما يناله العامل في روسيا ·

وهل فكر الاستاذ السيد يسين فيما يتمتع به الانسان في ظل الحكومة الديمقراطية من حرية وديمقراطية وانطلاق وهل يستطيع مقارنته بما يشقى به الانسان في ظل الحكومات الشيوعية ·

هل الثقافة متاحة في الدول الشيوعية وغير متاحة في الدول الديمقراطية · أيصدق هو هذا القول · فأين اذن أدباء الاتحاد السوفيتي ومبدعوه ·· أين ورثة تولستوى وديستوفسكي وتشيكوف وجوجول · ألم يقتل النظام الشيوعي كل عبقرية حاولت التحرر من الخوف سواء كان ذلك في ميدان الفن الأدبي أو كان في ميدان العلوم والأمثلة حاضرة من قريب وهو يعرفها كل المعرفة · أليس النظام الديمقراطي يقوم في جوهره على أساس الحافز الشخصي !!

أو ليس هذا الحافز الشخصي هو الهاوية التي تردى في فقدانها النظام الشيوعي حتى لقد اضطر لينين روسيا نفسه أن يسمح بالملكية الزراعية فيما يعرف بسياسة النيب (السياسة الاقتصادية الجديدة) عام ١٩٢١ م ليحقق حافزا شخصيا للزارع بعد أن أصبحت روسيا التي كانت مخزن القمح في العالم تستجدى القمح من الدولة الرأسمالية الكبرى أمريكا ·

ألم تستبدل النظرية الشيوعية الحافز الشخصي الذى يتمشى مع الطبيعة الانسانية بنظام « الردع والاصلاح العقابي » وهل يعني هذا التعبير شيئا الا القهر والنفي والقتل والمعتقلات ·

أولا لايعني هذا أن النظام الشيوعي يقول للانسان علانية وفي غير خفاء سأقتلك وأهين انسانيتك وأدمر كل ما هو شريف في حياتك لأجعلك سعيدا رغم أنفك فاذا لم تسعد فلك الويل ولك النفي الى صحراوات الجليد ولك الاعتقال في السجون · واذا لم تسعد بعد هذا جميعا فلك القتل · أليس هذا هو تطبيق النظرية يا أستاذ سيد أم شيئا آخر ·

أو ليس هذا التطبيق هو الذى جعل كل الدول التي فرضت عليها الشيوعية تهرب منها وعلى رأس هذه الدول جميعا أضخم دولة في التاريخ ألا وهي الصين · وهي دولة عدد سكانها ألف مليون نسمة · وقد كان ينبغي أن ينجح فيها النظام الشيوعي · فان ينال الفرد في هذا الزحام

البشرى المروع لقمة عيشه أمر يدعو وحده الى التمسك بالنظرية ولكن النظرية فشلت فى أن تهب للانسان فى الصين حتى لقمة العيش ونجحت فى القهر وقتل انسانية الانسان فتركت الصين النظرية كلها واتجهت الى حريـة الحياة ولاشـك أن الدولة بحثت عن النظام الامثـل لمواجهة متطلبات ألف مليون نسـمة بعد أن خذلتها النظرية الشـيوعية خذلانا مبينـا ٠

ولعل انتخابات فرنسا الأخيرة تعطيك مثلا آخر عن فشل النظرية حتى لم تتحملها فرنسا الا فترة انتخاب واحدة ٠

أو ليست روسيا تعيش بامتصاص دول الستار الحديدى كلها ٠ وكل هذه الدول تحاول أن تتخلص من جنة الشيوعية فتجد أمامها الوحش السـفاح يسوى جثث الأطفـال والشـيوخ والعجائز بالارض فلا تملك الا الخنوع فى ألم قـاتل ٠ ولتـذكر ان كنت لا تذكر ما حدث فى المجر وتشـيكوسلوفاكيا ولا يزال يحدث فى بولندا ٠ ناهيك بالغزو الأخير لأفغانستان محاولة ضمها الى جنتها ٠

أترى يا أستاذ سيد أن كل الدول الديمقراطية التى تعيش فى حرية لا تعمل حكوماتها للصالح العام ٠

أم ترى كل دول الستار الحديدى لا تعمل حكوماتها للصالح العام حين تحاول التخلص من عبودية الجنة السوفيتية ٠

وبعد أيها الصـديق هل ترى أن التعـليم المجانى فى مصر خرج مثقفين ؟

أترك هذا لضميرك ٠ بل وأتنازل عن أمالى قليلا وأسألك هل خرج التعليم المجانى فى مصر متعلمين ٠ أم أن الأمر لم يزد عن لافتة على فراغ بعد أن أصبحت المدارس المصرية تعلم الجهل فتحسن تعليمه ٠

هل أفلح الاصلاح الزراعى فى مصر فى الارتقاء بالزراعة يا أستاذ سيد ٠ اذن فاجعل مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية يجيب على السؤال بالأرقام لا برأيك أنت ٠

هل ترى أن نظرية الخمسين فى المائة من الفلاحين والعمال نظرية مقبولة عندك وهل لها مثيل فى العالم ٠ اجعل مركزك يجب ولا تجب أنت ٠

هل القطاع العام بصورته الراهنة فى مصر خراب لمصر أم ازدهار لاقتصادها · اجعل المركز يجب ولا تجب أنت ·

وبعد يا أستاذ فلو مضيت فيما أخـذت فيه لما توقف القلم ولولا اننى أرده عن المضى فى طريقه لما انتهى به الحديث الى مئات الصفحات ·

وحسبنا الله ونعم الوكيل ·

١٩٨٦/٣/٢٣ م الأهرام

أعجب واعجب معى !

أعجب غاية العجب حين أمر بحرم الجامعة فاشهد صفوفا لا تنتهى من السيارات من بينها سيارات فارهة يتناقل الناس فداحة أثمانها وتصل هـذه الأثمان الى عشرات الألوف · وأرى للشـباب من تلاميـذ الجامعة يتقـاطرون الواحـد تلو الآخر ومن بينهم من هو فخور بسـيارته ذات الثمانين ألفا أو التسعين ·

أهؤلاء يتلقون تعليمهم بالمجان ؟!

أهؤلاء يحتاجون من الدولة الى دعم ليتعلموا به ؟!

كره الله هذا والمؤمنون ·

وعند بدء العام الدراسى أجد آلاف البيوت تسعى لادخال الأطفال البادئين الى المدارس الخاصة ، ويتخرج هؤلاء الآلاف فى المدارس الخاصة وقد حملوا فى أيديهم شهادة الثانوية العامة بذل آباؤهم وذووهم آلاف الجنيهات ليتيحوا لهؤلاء الأبناء أن يحصلوا على هذه الشهادة ويحصلوا معها على لغة أجنبية تكون لهم سندا فى الحياة ·· أعظم به من سند ·

ويخطو هؤلاء الى الجامعـة المصريـة فاذا التعـليم فيها بالمجانيـة الكاملة ؟!

فهل هذا معقول ؟!

ينفق الطالب عشرة آلاف جنيه أو اثنى عشر ألف جنيه أو أكثر ليحصل على شهادة الثانوية العامة التى تؤهله للدراسة فى الجامعة حتى اذا أدرج اسمه فى كشوف طلبة الجامعة وأصبح يتلقى تعليمه من أساتذة أغلبهم حاصل على الدكتوراه اذا كانت الكليات نظرية أو هو يكلف الدولة التى تئن وتتألم من قلة الموارد مبالغ طائلة ليتعلم فى الكليات العملية

مثل الطب والهندسة دون أن ينفق مليما واحدا • كيف يسوغ هذا ، كيف يدفع هؤلاء الطلاب آلاف الجنيهات للمدارس الخاصة ويتعلمون تعليمهم العالى بالمجان •

ولماذا تهون الأموال وتقدم فى سماحة ويسر الى أصحاب المدارس الخاصة والأجنبية • حتى اذا بلغت هذه الأموال أبواب الجامعة المصرية التى تقوم الدولة بأعبائها جميعا أحجمت الأموال عن حرم الجامعة وتسربت الى سيارات مجرمة وقحة لا حياء فيها ولا خجل •

احرام على بلابله الدوح حلال للطير من كل جنس

كل دار أحق بالأهل الا فى خبيث من المذاهب رجس

ان الجامعة أولى بهذه الأموال والدولة أكثر حاجة اليها من المدارس الخاصة ومن السيارات التى لا تتقى الله فى فجور أثمانها •

ليكن التعليم فى الجامعة بالمجان • ولكن ليكن هذا مقصورا على غير القادرين فقط أما هؤلاء الذين يحصلون على شهادة الثانوية العامة من المدارس الخاصة ويبذلون الآلاف المؤلفة وأولئك الذين يشترون السيارات ويقفون بها على أبواب الجامعة فليكن تعليمهم بالمصروفات الكاملة • بل ينبغى أن تكون المصروفات منهم كافية لتقوم بشأن غير القادرين من الطلاب فما قيمة المال اذا لم يكن عونا لزميل محتاج أو لأخ ضئيل المصادر •

وليس يصلح حجة أن الدستور ينص على مجانية التعليم ففى ظل هذا الدستور نفسه نشأت المدارس الخاصة • وفى هذا الدستور نفسه تتقاضى الجامعة الأمريكية المبالغ الفادحة نظير المصروفات •

ولم يحدث فى تاريخ العالم أن اجتمع فى بلد واحد نوعان من القوانين يعارض كل منهما الآخر •

ومصر الآن تمر بظروف استثنائية واذا لم نواجه مناحى الانفاق بالحزم وبالصدق وبغير محاولات رخيصة للتشدق بالألفاظ فان مصيرنا الى بوار لا يعلم الا الله مداه •

وأخرى •

فى أى بلد من بلاد العالم تلتزم الدولة بتعيين جميع الخريجين ، يعلم الله ان هذا القانون صـــدر حين صـدر لرشوة الخريجين وتسميم الآبار أمام كل من يريد اصلاحا فى هذه الدولة ٠

ويعلم الله ويعلم الناس ان هذا القانون لم تبذل فيه أى دراسة ولم يحظ بأى تعمق ولم ينل أى نظر رشيد أو غير رشيد الى المستقبل ٠

وهل أدل على ذلك من ان الخريج الآن يظل قابعا فى بيته السنوات الطوال فى انتظار خطاب القوى العاملة حتى اذا جاءه هذا الخطاب تـم تعيينه بأربعين جنيها أصبحت لا تستطيع أن تواجه مطالب فرد وحيد فما ظنك بأسرة كاملة قد يكون الخريج مسئولا عنها ٠

وهل هناك دليل على صدق ما أقول من هذا البيان الذى صدر منذ قريب عن الحكومة انها ستسمح للموظفين بالقيام بأعمال أخرى فى غير أوقات العمل الرسمية ٠

ما هى هذه الأعمال ؟

اذا لم نكن نعرفها فنحن نتعامى عن الحقيقة ونشيح عنها فى اصرار على التجاهل ولا أقول الجهل ٠

ألا يعمل هؤلاء الخريجون كسائقين للسيارات الأجرة أو هم يعملون فى الفنادق أو فى المقاهى أو عمالا فى المحلات العامة ٠

أكنا نعلمهم فى الجامعة لينتهى بهم المطـاف سائقين للسـيارات أو عمالا فى المحال العامة ٠

وأى الطريقين كان أجدى عليهم أن يتعلموا فى الجامعة لمجرد الزهو والتفاخر أم أن يتعلموا هذه الأعمال التى انتهى اليها مصيرهم ٠

أما كان الأولى بهم أن يتعلموا الميكانيـكا أو يتعلموا فى المعـــاهد الفندقية بدلا من اضاعة سنوات حياتهم للحصول على شهادات لا يعملون بها ٠

وأخرى ٠

ما قصة الخمسين في المائة من العمال والفلاحين · وما الاصرار عليها · ان كان ذلك للمحافظة على حقوق الفلاحين والعمال فالله يعلم ومصر جميعها تعلم انه ليس بين ربوعها من لا يتصل نسبه بالفلاحين أو العمال ·

ان جميع أبناء مصر بلا استثناء أبناء فلاحين أو عمال ·

ليس في مصر طبقة تنتسب الى غير الفلاحين أو العمال · حتى طبقة التجار أباؤها في أغلب الأمر من الفلاحين والندرة منهم من العمال ·

فما هذا التقسيم العجيب الذى لا يعرف بلد في العالم له مثيلا ·

لا مثيل له في دولة شيوعية ولا في دولة اشتراكية ولا في دولة ديموقراطية ·

هو في مصر وفي مصر وحدها دون سائر الأمم ·· وكيف يصح في الأذهان أن يختار الشعب أعضاء مجالسه التشريعية والمحلية من العمال والفلاحين الذين لم ينالوا الا أقل قدر من التعليم ·

ان الفلاح أو العامل اذا كانت له قضية هينة الشأن في محكمة قصد الى محام وأغدق عليه الأتعاب لأنه هو المختص في الشئون القانونية ·

والفلاح أو العامل ان شعر بألم في ضرس له قصد الى الطبيب ودفع ما يطلبه منه هذا الطبيب ليريحه من ألم ضرسه · فكيف يجوز أن تختار الدولة نصف المشرعين فيها من غير المختصين لمجرد انهم فلاحون أو عمال·

ما بعجيب اذن أن تصدر القوانين دون دراسة مستوفاة فقد قام بدراستها نصف الذين كانوا يجب أن يقوموا بهذه الدراسة ·

ألا يدرك الفلاحون والعمال ان ضرر هذه القوانين الهزيلة يعود عليهم هم أولا وأخيرا ، فما مصر كلها الا عمال وفلاحون أو أبناء عمال وفلاحين · لا أستثنى في مصر أحدا ·

كيف نقبل أن يتولى المختصون أعمالنا الخاصة الضئيلة الشأن اذا قيست بأمور الدولة · حتى اذا احتاجت الدولة جميعا والشعب كله الى تشريع أحلناه الى غير مختص ·

ان قانون العمال والفلاحين الذى يحتم انتخاب خمسين فى المائة منهم يثير من الأحقاد بين أبناء الطبقة الواحدة ما لا يستطيع اى قانون فى العالم أن يثيره . فالفلاح أو العامل لا يرى أى غضاضة أن يمثله فى المجلس التشريعى أى فتى من أبناء قريته أو من أبناء زملائه العمال فى المصنع .. ولكنه لا شك يشعر بالغضاضة كل الغضاضة ان يذهب فلاح مثله أو عامل مثله الى المجلس التشريعى . وحين يقول لنفسه أو للناس فيم يزيد عنى ابن فلان هذا حتى يصبح عضوا بالمجلس التشريعى . ولا يجد جوابا تثور فى نفسه نيران الحقد . ولا لوم عليه .

ومن ناحية أخرى ما مصير العامل والفلاح الذى ينتخب فى المجلس التشريعى لمدة دورة ولا يصادفه النجاح فى الدورة التالية . انه يلاقى الهول الآخذ المبيد . فلا هو ظل فلاحا ولا ظل عاملا ولا ظل عضوا بالمجلس التشريعى . ولا هو يستطيع أن يعود الى حقله فلاحا ولا الى مصنعه عاملا .. وكيف له أن يعود وقد ظل سنوات وهو مشرع بين المشرعين لبس الحلة وركب السيارة التى يسر له المجلس الحصول عليها وأصبح فى دنيا أخرى ليس للفأس أو للنول مكان فيها .

● ليس فى مصر من لا يعلم ان هذا القانون انما كان تسميما للآبار لجميع الحكومات التى تتولى الأمر بعد يوم صدوره .

وليس شىء يصنعه بشر مقدسا . انه لا تقديس الا لكلمات الله وحدها ولشريعته . أما كل ما يصنعه الانسان فهو قابل للتفكير وللتدبر وللتغيير . ومن المؤكد الذى لاشك فيه ان هذه القوانين البشرية جميعا ليست مصنوعة فى السماء ومن المؤكد أيضا انها ليست مقدسة وانما ينبغى علينا وجوبا أن نقلب فيها النظر ونمعن الفكر . فان تكن مصر قد هزلت فى فترة طويلة من حياتها فقد جاء اليوم لها أن تعدل عن الهزل الى الجد . ومن التهريج الى الصدق والتبصر .

ان شعبا انتصر على المستحيل فى حرب ٧٣ ليس كثيرا عليه أن ينتصر على الخرافات فى بيته .

وما دمنا قادرين على أن ننتصر على الأعداء فلابد لنا الآن أن ننتصر على أنفسنا ونكف عن الهراء ليكون الجد وحده هو طريقنا . فانه لا سبيل لنا أن نخرج من أزمتنا الا بمواجهة ما شاع فى حياتنا من هزل وترهات والله من فوقنا هو ولى التوفيق .

لا يخلف الله وعده

أنا من المقتنعين كل الاقتناع ان رئيس التحرير هو وحده المسئول عن السياسة العامة للجريدة · وطبيعى أن رئيس التحرير يعنيه غاية العناية أن تحقق الجريدة التى يرأس تحريرها النجاح الأدبى والمادى معا · ولذلك فهو بطبيعة الهدف الذى يتغياه يبعد نفسه كل البعد عن اساءة استعمال الحق المخول له بالقانون وبالأعراف الصحفية ·

وأشهد أن ابراهيم نافع رئيس تحرير الأهرام من هؤلاء الذين لا يسيئون استعمال حقوق رئيس التحرير · ولعل القراء لا يحتاجون فى هذا الى دليل فنحن نكتب ما نشـــاء فى حرية تامة · ولكن يحدث ــ ونادرا ما يحدث ــ ان يتصل رئيس التحرير بواحد منا يطلب اليه فى أدب جم أن يخفف من حدة مقالة أو عبارة · أو قد يحدث مرة كل عام أو عامين أو أكثر أن يطلب رئيس تحرير الأهرام ان يكتب أحد كتاب الأهرام مقالا آخر غير الذى كتبه · وطبيعى أن يغضب الكاتب ولكن هذا الأمر حين يحدث انما يتصل بالسياسة العامة للجريدة التى يقع على رئيس التحرير وحده واجب توجيهها وأنا أدرى بما أعرفه من خلق ابراهيم نافع أى حرج يشعر به وهو يطلب الى الكاتب هذا المطلب العسير ·

ولعلك سائل نفسك فيم هذا الحديث اليوم ؟ الواقع ان مقالة الأستاذ سيد يسين التى نشرت فى صفحة الأدب فى الأسبوع الماضى وصلتنى متأخرة فبادرت بطلب جمعها وعزمت فى نفسى أن أرد على ما جاء فيها اليوم ، وكان طبيعيا ان أخبر الأستاذ ابراهيم نافع بما تتجه اليه نيتى · فكلانا كاتب فى الأهرام ومن الطبيعى أن يكون رئيس التحرير على دراية بما يكتبه كل منا ردا على الآخر أو تعليقا عليه · وهكذا رأيت ــ ولأول مرة ــ أن أنبىء الأستاذ ابراهيم نافع بما أنتويه من اننى أجلت ردى على الأستاذ سيد يسين الى الأسبوع التالى فاذا هو فى أدب جم يرجو أن نوقف النقاش عند هذا الحد ·

وقد كان الأستاذ ابراهيم من الرقة والعذوبة بحيث لم أستطع مناقشته · وصبرت نفسى وقرأت المقال فاذا الأستاذ سيد يعفينى من

الرد تماما فهو لم يزد فى مقاله عن أنه صنفنى وصنف نفسه بالصورة التى يطيب له أن يطالع بها نفسه ولو كان الأستاذ سيد يسين قد تفضل فناقشنى ما جاء فى مقالتى لكنت عاودت الكرة ورجوت رئيس التحرير أن يسمح لى بالمناقشة ٠

ولكن الأستاذ سيد لم يناقشنى وانما صنفنى فيا استاذ ابراهيم نافع أنا أذن استجيب لطلبك وأكف قلمى عن الرد ولن أراجعك لا ولن أناقشك فأنت وحدك المسئول عن مقدار الحجم الذى ينبغى للنقاش بين كتاب جريدتنا الكبرى ٠

فلنضرب صفحا عن هذا ودعونا نلقى نظرة على أمنا التى تتجاذبها صراعات من الشـــعارات البعيدة عن الجدية فى وقت لا حياة لنا فيه الا بالجدية ٠ والويل لنا أقصى الويل اذا ظللنا نمضع الألفاظ الجوفاء التى ألقت بهزلها وهزالها على كبريات المرافق فى حياتنا فاذا نحن نصير الى هذا الذى صرنا اليه ٠

ما بال أقوام يثور ثائرهم وتحمر معاطسهم وتبرق أقلامهم بالترهات اذا ذكر كاتب أو نائب فى مجلس الشعب أو الشـــورى كلمة القطاع العـــام ٠

أى عفريت كافر خبيث ألقى فى روعهم أن مصر تستطيع أن تستغنى عن القطاع العام ـ كل القطاع ـ هيهات ٠ قسما ما ارتعدت مفاصلهم ولا وجلت قلوبهم الا بما يعلمون كل العلم ما جره القطاع العام بصورته الحالية من خراب ودمار على اقتصاد مصر ٠ وأخلاق أبنائها الذين عملوا فيه فظنوا أنه مرتع للسرقة والاتلاف وللرشوة والاختلاس ٠

أما القطاع العـام كفكرة فلا يمكن أن يلغى ففى الغائه انهيـــار لاقتصادنا لا شك فيه ٠ ولكن ألا ينبغى علينا وجوبا أن نجعل منه مصدر كسب لا خسارة ومورد دخل لا مصرف انفاق ٠

واذا نحن لم نفعل فما مصيرنا ٠٠ وما مصير علاقاتنا بالدول التى تقدم الينا الأموال معونات أو قروضا ٠

أما القطـــاع العـــام فى ذاته فهو مبدأ معمول به فى كل الدول الديمقراطية وما من دولة فى العالم تخلو من القطاع العام ٠ وقد درسنا فى كلية الحقوق نظام الريجى الذى كان معمولا به فى فرنسا وقد كانت

الدولة فى ظل هذا النظام تحتكر صناعة الكبريت • وفى ثلث القرن الأخير اتسع حجم القطاع العام فى فرنسا اتساعا كبيرا وشمل الكثير بل والكثير جدا من الصناعات الكبرى •

وكذلك الأمر فى انجلترا وكذلك هو فى جميع البلاد التى تعمل فى نظام الحكم الحر أو الديمقراطى ولا أعرف دولة على وجه الأرض تستغنى عن القطاع العام أو ترفضه • ولو أننا استقصينا بالأحصاء لتأكد هذا الذى أذهب اليه •

وانما ندعو فى مصر الى أمر آخر بعيد كل البعد عن الغاء القطاع العام جميعه ان كل ما نرجوه أن يبحث أئمة الاقتصاد وأساتذته فيما يجدر بالدولة ان تجعل منه قطاعا عاما وما يجمل بهـــا ان تتركه للقطـــاع الخـــاص •

وأعتقد أن أحدا لا يستطيع أن يناقش أن الصناعات الكبرى لابد ان تكون من القطاع العام • مثال ذلك الحديد والصلب والغزل والنسيج وكل ما ترى الدولة بالنظرة الاقتصادية الواعية ، انه يحقق للدولة الفائدة الكبرى • وليس من الحتم ان تتمثل الفائدة فى الناحية المالية فقط • بل قد يكون بقاء هذه المؤسسات فى اطار ملكية الدولة أمرا يتصل بما هو أهم من المـال • مثـال ذلك الاذاعة والتليفزيون والتليفونات والسكك الحديدية •

ومن المؤسسات الهامة فى مصر على سبيل المثال لا الحصر شركات الأقطان التى فرضت بها الدولة ضريبة خفية تصل الى قرابة خمسمائة جنيه على الفدان الواحد • وبطبيعة الحال أصبحت هذه المؤسسات ترد على الدولة مبالغ خيالية لا نستطيع بأى حال من الأحوال ان ننتقصها من ميزانيتها والا أنهار الاقتصاد المصرى كله •

وهكذا ترى أننا لا نفكر مطلقا أن تنظر الدولة المصرية الى الدول الأخرى فيما تبقيه فى قطاعها العام وما تعفيه منه • فليس فى العالم الحر ــ فيما أعتقـد ــ دولة تستولى على محاصيل الأرض بالثمن الذى تفرضه الا فى مصر •

ولكن لا بأس فقد أصبح هذا ضرورة لا غنى عنها •

فولولة المنتفعين وأصحاب اللافتات وأبناء الشـــعارات كلما ذكر القطـاع العام نوع من التهريج مرنوا عليه وأصبح ذلك دأبهم ، مرضـا أصيبوا به وليس لهم منه شفاء •

أذن فلنتجه بالحديث الى الجانب الآخر من القطاع العام ٠

هل حققت الفنادق ما كان يجب أن تحققه من أرباح ومن طيب سمعة ومن اجتذاب سائحين ٠ علم الله أن أميرا عربيا ينزل الآن بأحد الفنادق ويصرخ من سوء الخدمات فى الفندق صراخا يكاد يصل الى بلاده ٠ يطلب الطلب وتمر الساعات وينساه قبل أن يستجيب له المسئول ٠ وترسل اليه الرسائل فتظل فى حيازة من تسلمها من موظفى الفندق يوما ويومين قبل أن تصل ليد الأمير أو مرافقيه ٠ والطعام فى الفندق لا يسيغه أحد الى غير هذا مما نعلم جميعا ٠

ولكن أبناء الشعارات يصرخون ، حذار أن يقترب أحد من القطاع العام أو يمس ذكره بكلمة ٠ يناقشون الايمان وهو الايمان ويرفضون ان يمس أحد قدسية القطاع العام ٠

هل قدر الله لك أن تدخل محلا تجاريا من محلات القطاع العام ٠ لا شك أنك فعلت ٠ وانى أسـألك بربك رجلا كنت أو كان القارىء سيدة ٠ هل شعرت ان مكانا ما من مناحى الحياة جميعا يمتهن انسانيتك كما يمتهن انسانيتك محل تجارى من محال القطاع العام ٠ ولم لا والبائع لا رقيب عليه من ضمير وهو سيىال مرتبه سواء اشتريت أو لم تشتر ٠ وليس من أحد فى المحل جميعا يهمه أن يزداد البيع ٠ فالمحل يفقد الحافز الشخصى فقدانا تاما ٠

وأذكر هذه المتاجر حين كانت بيد أصحابها وأذكر «صيدناوى باشا» صاحب محلات صيدناوى واقفا على باب المتجر الخارجى وتمر به امرأة خارجة من المتجر وهى فى الملاءة الملفوفة وفى يدها طفلها ويقترب منها صيدناوى بمنتهى الأدب :

ـ لماذا لم تشترى شيئا يا سيدتى ؟

وتقول السـيدة :

ـ لم أجد ما أريد ٠

ـ وما الذى تريدينه ؟

تقول له : لقد كانت تريد مترا من قماش معين رخيص الثمن فاذا الباشا يقول لها فى أدب :

ـ موجود عندنا • تفضلى معى •

ـ ويذهب الى القسم الخاص ببيع هذا القماش ويجد لها ما تريد وينزل عقابه على العامل الذى استهان بالسيدة وبمطلبها •

اذهب أنت اليوم الى متجر من متاجر القطاع العام وأطلب شراء أغلى ما عندهم من أى بضاعة وستكون سعيد الحظ ان وجدت انسانا يكلمك كانســـان •

اننى أتصور أن تكون الدولة منتجة للصناعات الكبرى ولكن لماذا تكون الدولة وسيطا بين المصانع والمستوردين والجمهور فى نظام يدعى الحرية الاقتصادية •

لقد شهدنا الدولة المصرية تبيع سندويتشات الفول والطعمية وهكذا لم يكن عجيبا ان تبيع أيضا الكباب والفراخ المشوية •

أيهما اجدى على الدولة أن تكون التجارة حرة وتفرض ضرائبها التصاعدية على التجار ويدخل الربح المؤكد الى خزائن الدولة أم أن تنزل الدولة منافسا للتجار وتخسر الخسائر الفادحة التى أصبحت حديث الناس فى العالم أجمع •

ويتباكى المتباكون على العاملين فى القطاع العام • لكم الويل يوم يحشر المنافقون الى جهنم وبئس المصير • هل وجد هؤلاء العمال مكانا فى القطاع الخاص وتركوه الى القطاع العام ان العمال جميعا يعلمون ان دخلهم فى القطاع الخاص سيكون أضعاف ما يتقاضونه من القطاع العام • واذا كانت الدولة فى القطاع العام تعين أصحاب الشفاعات فان القطاع الخاص يجعل العامل يشعر بأهميته لأنه محتاج اليه فعلا بغير وساطة أو شفاعة •

وبعد فما هذا الا مثل أضربه ، له مئات الاشباه والأمثال وأساتذة الاقتصاد وجهابذته أقدر منى على دراسة القطاعات الخاسرة جميعا وهم أيضا قادرون ـ بعون الله ـ على جعل مصارف الخسارة موارد كسب للدولة

لو أننا رددنا عنهم الرعب الذى يثيره أصحاب الحناجر الكاذبة والشعارات الملفقة والذين لا عمل لهم الا تخريب الاقتصاد المصرى ليزرعوا أشجارهم التى لا تنمو الا فى الأرض الخراب .

فليعمل الاقتصاديون بحرية العلماء وشجاعة الوطنيين وليكونوا على ثقة ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا . بهذا وعد عباده ولا يخلف سبحانه وعدا .

١٩٨٦/٤/٦ م الأهرام

الحرية مسئولية الفرد

ان أعباء الحرية على الفرد لا مثيل لها فى الديكتاتورية • ففي ظل الديكتاتورية يقول الديكتاتور للشعب بالعمل لا بالاعلان ، لا شأن لك أيها الشعب بدولتك • اعتبر نفسك مفضولا عنى كل الانفصال • أنت أيها الشعب بدولتك • اعتبر نفسك مفصولا عنى كل الانفصال • أنت لا غنى لك عنها حتى تبقى حيا على ظهر الأرض ، أما الدولة فلا شأن لك بها مطلقا •

أنا الديكتاتور المسئول وحدي عن الدولة وعن أموالها أنفقها بالصورة التي تطيب لى وأنا وحدي الذى أحدد صلات الدولة بالدول الأخرى فأنا لى أن أسب الدولة ورئيسها وأنا لى أن امتدح دولة أخرى ورئيسها • ولى أن أسالم ولى وحدى أن أحارب • وأنا وحدى الذى أعلن هذه الحروب وأنا وحدى الذى يعرف مدي فائدتها أو أضرارها • وأنا أعلم أنك أيها الشعب ستقدم لى أبناءك لأقتلهم فى ساحة القتال ولكن ما العجب في ذلك أن الموت هو النهاية الطبيعية لكل المخلوقات فأى بأس أن أحدد أنا الموعد الذى يموت فيه من أشاء من أبناء شعبى • وأعلم أن الحرب ستكلف الدولة أموالا لا طاقة لها بها ولكن أنا المسئول عن أموال هذه الدولة جميعا فقد أبيع أرصدة الذهب بها وقد استدين لأحارب • وقد أقبل السلاح المتخلف بأثمان السلاح المتطور ••• كل هذا شأنى أنا وحدى وليس شأنك •

ومادمت قد سألتك في استفتاء وقبلت أن أكون رئيسك فحتم عليك أن تترك لى وحدى حق التصرف في حياتك ومماتك ، ومادام الموت والحياة أصبحا من حقى • فان حرية الأفراد ــ من باب أولى ــ من خالص حقى أحبس من أشاء وأعتقل من أشاء وأثبت حكمى بكل الوسائل التى أراها صالحة لذلك وان أدى ذلك الى أن يعتدى أعوانى على الأعراض • ومادمت قبلت أن يعتدى أعوانى على الأعراض فمن الطبيعى ــ من باب أولى ــ أن أصادر أموال من أشاء وأمنع من أشاء عن العمل • ومن حقي ــ لا شك ــ أن أمنع أي انسان في الدولة أن يفكر مادمت أنا أفكر • وما حاجتك أيها الشعب الى التفكير مادمت أنا أفكر لك • وأنا أفكر لك بموجب

الاستفتاء الذى خولتنى به هذا الحق . ولست أقبل منك أن تدعى أن هذا الاستفتاء قد تم بالقهر والقوة والجبروت . وأن أدعى أحد من الشعب ذلك فان حقى أنا الشعب . فأنا ـ كما تعلم ـ أنا الشعب أن أنزل به ما أشاء من عقاب .

وهكذا يصبح الفرد فى ظل الديكتاتورية متخففا من كل الأعباء . وهو لا يستطيع ان يقول رأيا حتى ولو حاول ذلك . ولهذا لم يكن عجب أن يلجأ الكتاب وهم صوت الانسان ورواد الحرية فى كل العصور الى كتابة ما يريدون قوله بالرمز فى أى شكل يستجيب لهم وكم من مقالة كانت رمزا وكم من رواية وكم من قصة . أما الشعب فقد كانت لغته مختلفة عن لغة الكتاب . كانوا يطلقون النكتة ليعبروا بهـــا عن رأيهم فيما يقاسونه من أهوال .

وكان الاعلام في الدولة يصدر عن لسان واحد لا تختلف فى ذلك جريدة عن جريدة كما لا تختلف الصحافة عن الاذاعة المرئية أو الاذاعة المرئية عن الاذاعة المسموعة . كانت كلمة واحدة لكل يوم واينما قلبت وجهك لن ترى الا هذه الكلمة واينما حولت أذنك لن تسمع الا هذه الكلمة وكل كلمة يقولها الديكتاتور هى الشعار وهى الحكمة وهى الرأى وهى الأولى والآخرة وهى كتاب التفرد بالحكم ودستوره وآياته .

تلك هى الديكتاتورية . وكل ديكتاتورية الى زوال . لأن الديكتاتور مهما يكن عاتيا طاغوتا جبارا لا يزيد عن انسان يقع عليه ما يقع على الانسان فهو ليس الأحد ولا هو بالصمد وهو يلد وهو يولد أذن فهو يموت وتجرى عليه نواميس الحياة كما يجريها ملك الناس اله الناس القاهر فوق عباده .

وحينئذ تعود الحياة الى الحرية وهى فى عودتها ذات صخب وضجيج وذات أصوات مرتفعة تكاد تحسب أنها لن تهدأ أبد الدهر .

ومع الصخب والضجيج تنماع الحدود . ويصبح الانسان الذى عاش فترة من عمره مقصيا عن شئون الدولة مطالبا أن يتدخل فى كل شىء ســـواء عنده أن يكون عالما بما يتكلم فيه أو غير عالم . المهم أن يتكلم .

وهنا تتضح الحقيقة الكبرى . فاذا كانت المســئولية فى ظل الديكتاتورية على الديكتاتور وحده . فانها فى ظل الحرية والديمقراطية مسئولية كل فرد من الشعب .

والمسئولية ذات أصول • لأن للحرية أصولا • والحرية بلا أصول فوضى عارمة تؤدى بمصالح الدولة الى الخراب •

وأول هذه الأصول أن يكون كل فرد ملتزما بالقانون • والقانون حق وواجب • فاذا حاول الفرد فى ظل الحرية أن ينال حقه ولا يؤدى واجبه هالت الموازين فى الدولة جميعا •

ومن أصول الديموقراطية أن يحاسب الانسان نفسه على كلمة يقولها أو يكتبها • لأنه بكلمته التى أصبحت حرة يخاطب الشعب كله بل وشعوب العالم أجمع • فالدولة اليوم لا تعيشى وحدها وانما الذى يجرى بها يؤثر فى مجريات الأمور فى شتى أنحاء العالم • وتوجه هذا الحديث الى بعض من الذين يحاضرون الناس ويعلنون أنهم يعبرون عن رأيهم هم • ولا بأس بهم فى ذلك ولكن لابد أن يكونوا على دراية وافية بما يعلنون والا رفضت الحرية ما يقولون والحرية هنا هى الشعب •

أننا نحن كتاب أحرار من كل القيود الخارجية ونحن فى نفس الوقت مقيدون بقيود نفرضها على أنفسنا هى فى ذاتها أعظم ثقلا من قيود العالم أجمع • أننا مقيدون بثقة الناس فى أشخاصنا وفيما نكتب • ونحن نعلم كل العلم أننا اذا كتبنا حرفا عن غير اقتناع شريف به عفيف فان الناس ستفقد ثقتها فى كل ما نكتبه •

ونحن نعلم أن الثقة فى الكاتب لا تتكون الا فى عشرات السنين وأن هذه الثقة نفسها قد يفقدها الكاتب فى لفظة واحدة يشعر القراء أنها صادرة عن غير اقتناع نقى من نفوسنا •

فاذا قدر لكاتب منا أن يتولى منصبا فعلى الكاتب حتما أن يكون رأيه مرتبطا بهذا المنصب • فاذا أراد أن يسترد حريته عليه أن يستقيل • فلا يقبل مثلا من مدير مكتب وزير الاقتصاد أن يحاضر فى ندوة عامة أو يكتب مقالا فى جريدة يختلف فيه مع الوزير • مدعيا أنه يعبر عن رأيه الخاص • فان أحدا لن يصدق أن ما يقوله انما هو رأيه الخاص • لقد فقد الحق أن يكون صاحب رأى خاص معلن يوم قبل وظيفته فى مكتب وزير الاقتصاد • فاذا أراد أن يقول رأيه الخاص فعليه أن يستقيل أولا • لأن رأيه هذا قد يقلب موازين الاقتصاد فى الدولة كلها •

ان الحرية المتاحة فى أمريكا واسعة فضفاضة ولكننا لم نسمع أن موظفا عاما قال رأيا وادعى أنه رأيه الخاص وليس رأى المنصب الذى

يمثله • وان قال فان أحدا لن يصدقه وعلى كل فان هذا لم يحدث قط ولن يحدث أبدا •

فليس الأمر مجرد رأى يقال انما هو سياســـات دولة يقوم عليها اقتصادها ومستقبلها ومستقبل صلاتها مع دول العالم أجمع • ومستقبل صلات الشركات العالمية بهذه الدولة وصلات الأفراد بها أيضا •

ان للحرية حدودا اذا اختلطت أصبحت فوضى • وان الحرية تعطى الشعور بالانسانية لأفراد الشعب وتمنحه عظمة الاحساس بالانتماء للدولة التى يعيش تحت سمائها وهى فى نفس الوقت تفرض عليه واجبات •

ولكل وظيفة حقوقها وواجباتها • فالذى نقبله من الموظف العادى لا نقبله من القاضى مثلا • لا يستطيع القاضى أو أعضاء النيابة أن يظهروا فى المحلات العامة بمظهر غير لائق ولا يجوز لهم ما يجوز لغيرهم من لهو ومتع • ان المجتمع الذى وهب لهم الاحترام فرض عليهم الوقار واحترام الـذات •

والطبيب الذى يدخل بيوت الناس اذا عرف عنه أنه صاحب نساء مثلا سقط قدره •

وما يفعله كل انسان ممارسا لحريته لا يستطيع الانسان الذى أصاب بعض الشهرة أن يفعله •

لكل وظيفة فى الحياة واجباتها وآدابها • ولكل وظيفة حدودها التى يتحتم على شاغلها أن يقف عندها • ويظل دائما حرا كل الحرية • اذا وجد أن القيود التى تفرضها عليه وظيفته أكثر مما يطيق فان له بتوقيع واحد منه أن يترك هذه الوظيفة الى غيرها يستطيع أن يتحمل واجباتها وقيودها • وكل ميسر لما خلق له •

١٩٨٦/٤/١٣ م الأهرام

تعليـــق

لا أتصور أن يمر هذا الأسبوع دون أن أقدم أصدق التحية للدكتور يوسف أدريس على مقاله الرائع فى يوم الاثنين الماضى بجريدة الأهرام حين ناشد أسرتى الرئيسين السابقين أن يتنازلا عن الأراضى الشاسعة التى ينتفعان بها دون ملكية بالمعمورة • والتى لا تستفيدان من وجودها فى حوزتيهما أى فائدة • فلا هى متاحة للشعب أن يبنى فيها ولا هى تمثل للأسرتين الكريمتين شيئا ذا قيمة • وانى أنضم الى الدكتور يوسف أدريس فى مناشدته وأدعو الكتاب جميعا أن يشاركوه فى هذه المناشدة • فانه لشىء عظيم أن يحس الشعب أن الأسرتين الكريمتين منه يحسان بآلامه ويشاركانه فى أزماته • فهل من سميع •

لا اقتصاد بغير ثقـة

ان رئيس جمهورية مصر العربية رجل نادر المثيل فى طهارة اليد وشرف الذمة والبعد كل البعد عن مواطن الشبهات ٠

أذكر أننى كنت يوما فى مكتب أحـد الوزراء بالمملكة العربية السعودية فاذا أحد الجالسين يوجه الى الحديث ٠

ـ أسمعت ما فعله رئيسكم منذ قريب ٠

قلت :

ـ لا أعرف ما تقصده ٠

قـال :

ـ لقد شاعت هنا قصة نتناقلها جميعا وكلنا اعجاب برئيسكم ٠ فقد قيل أن ابنه سافر الى فرنسا فى رحلة دراسية فاذا أبوه يشترى له تذكرة سـفر سياحية فى الدرجة الثانية بعد أن أجرت عليهـا الشركة التخفيض الذى تمنحه للطلبة جميعا وسافر ابن رئيس الجمهورية دون ان يحيط به أى مظهر من المظاهر التى تلحق بأبناء الرؤساء ٠

قلت :

ـ أنا لم أسمع بهذه القصة ولكنها ليست عجيبة على رئيسـنا فهكذا هو ٠

وحين عدت الى القـاهرة تأكدت من صـدق ما رواه لى المواطن السعودى ٠ وللناس همس مسموم ٠ ولهم بينهم حديث يستعذبون فيه الخوض فى أقدار الناس وأمانتهم ٠

ومثلى يكاد يسمع كل ما يدور به همس وأغلب ان لم يكن جميع ما يتناقله الناس فى تنادمهم ٠

وأقسم ـ وما أنا بحاجة الى قسم ـ أن أحدا لم يذكر الرئيس محمد حسنى مبارك الا وتحدث عن طهارة يده وبعده كل البعد عن أى مظنة لشـائبة ولقد قلت اننى لست بحاجة الى قسـم لأن هذا الذى أقوله سيؤيدنى فيه كل قارىء سواء كان مؤيدا للرئيس مبارك أو معارضا له ٠

كان من الطبيعى أذن أن تصبح الطهارة هى سمة العهد جميعه ٠ وأن تكون هى الصفة التى يتحلى بها كل من يجلس على مقعد ذى سلطان وادارة ٠

ولكن ـ وأسفاه ـ الهمس يدور فى كل مكان بكبائر التهم والناس تلوك كثيرا من الأسماء بشتى سرقات واحتيالات واستغلال للنفوذ وإهتبال للفرص واستيلاء على ما ليس لهم بحق وتستر على لصوص وحماية لمن يستحلون أموال الدولة ٠

والهمس يدور أن كثيرا من الاتهامات حولت الى المدعى الاشتراكى ٠ وقد أكرمنا الله فى منصب المدعى الاشتراكى بقاض من أمجد القضاة ، وأشرفهم قصدا وغاية وتصرفا ، الى جانب علم وافر وقدرة فائقة على مواجهة قضاياه ، فالذى لا شك فيه أذن مع ما يعرفه الجميع عن هذا القاضى أن جهازه ليس فيه العدد الكافى للاضطلاع بذلك الكم الوفير الذى يتدفق على محكمته ٠

وليس الأمر يسيرا فان وظيفة المدعى الاشتراكى تعتبر من أخطر الوظائف ان لم تكن أخطرها فى هذه السنوات التى نجتازها ٠ ومصر فى أشد الحاجة الى هذه المحكمة لتواجه الفساد الذى يحيق بأجهزتها والذى حاق بها فى خروج مصر من الاقتصاد المغلق الى الاقتصاد الحر ، ومن عصر الحكم المفرد الى عصر الديموقراطية والحرية ٠

وان التقرير الذى طلع علينا به مكتب المدعى الاشتراكى يظهر بجلاء حاجة مصر الماسـة الى هذه المحكمة ٠ ولـكن لابد أن يتهيـأ للمدعى الاشتراكى كل ما يتطلبه عمله الخطير من معاونين يستطيع بهم أن يواجه هذه الموجة الطاغية من الفساد والرشوة والسرقة واستغلال النفوذ ٠

ولا مجال للقول هنا ان وظيفة المدعى الاشتراكى وظيفة استثنائية فى السلطة القضائية ٠ فان الحالة الاستثنائية لابد أن تواجهها الدولة بقضاء استثنائى ٠ والقائمون بالأمر فى مكتب المدعى الاشتراكى قضاة

جميعهم من السلطة القضـائية وعلى رأسهم قاض من أعظم قضـاة مصر فمن الطبيعى اذن أن يكون عددهم كافيا لما استشرى فى مصر من فساد ، فانه لولا المدعى الاشتراكى لهربت من مصر أموال تزيد عن الأموال التى هربت أضعافا مضاعفة • ولولاه لأفلت من العقاب مجرمون ارتكبوا أبشع الجرائم معتدين على الأمنين من بنى مصر • وشر عدوان لهم على اقتصاد مصر نفسـها •

ان مصر اليوم تعانى أعظم ما تعانى من شاغلى مناصب كبرى ثارت حولهم وحول أقاربهم الأقربين تهم دامغة •

وتعانى مصر اليوم من قيادات تنحرف باتجاهها الى أسوأ ما واجهته مصر من أهوال سياسية واقتصادية وخلقية واجتماعية •

وقد عاشت مصر فترة طويلة من الزمن فى ظل حكم حطم القيم الأخلاقية والانسانية شر تحطيم • ونرى الكثيرين ممن عملوا فى ظل هذا الحكم يتولون أخطر المناصب وأكثرها حساسية وفعالية •

وللسياسة والحكم رجال أولا وقبل كل شىء • فاذا فقد الشعب ثقته فيمن يتولون المناصب الخطيرة فى دولته فكيف يمكن أن يثق باقتصاد دولته وكيف يجوز لنا أن نطالبه أن يقدم أمواله فى المشاريع الاستثمارية • وكيف نريد ممن يملك العملة الصعبة أن يساهم بها فى اقتصاد مصر • وكيف نريد ممن يملك العملة الصعبة أن يساهم بها فى اقتصاد مصر ؟! ويرسلوا أموالهم الى مصر وديعة • والوديعة لابد أن تكون وادعة أمينة فمن أين يأتى الأمن الى نفوس المصريين فى الخارج وهم يرون المصريين فى الداخل يخافون على أموالهم من هول الاشاعات التى تحيط بهم مع الهواء الذى يتنفسون ومع الماء الذى يشربون وأين الأمان فى بلد تتعالى فيه صيحات أقوام يشرفون على قطاعات هامة فى حياتنا نسمع فى رنين صيحاتهم القضاء على الحرية الاقتصادية أو الحرية السياسية •

ان أنصار الطغيان ودعاة الشيوعية أصبح لهم اليوم فى مصر صوت مرتفع عالى الطبقات تؤيد كوارثهم بعض مناصب غاية فى الأهمية وعلى درجة عالية من الحساسية •

والصوت المرتفع يستطيع أن يبتلع فى طياته الحقائق المؤكدة • والذى لا شك فيه أن شعب مصر يكره الطغيان كما يكره كل شعب فى أن يحكمه طاغية •

ولكن الأصوات المرتفعة التى هيـــأ لها الاعلام المصرى أن تكون صيحات بعيدة المدى استطاعت أن تبتلع المبادىء الحقيقية التى يعتنقها الشعب المصرى والتى يحافظ عليها حفاظه على الحياة وهى الحياة وهو يؤكد ذلك بالأدلة الدامغة أقربها الانتخابات التى لم يستطع الشيوعيون فيها أن يفوزوا بمقعد واحد ٠

ولم يكن عجبا أن يكون هذا دأب الشيوعيين فى كل مكان فى العالم ولعل آخر ما بدأ من كراهية الناس لهم انتخابات السودان وقد كان صوتهم فى السودان مرتفعا عاليا ذا هزيم كهزيم الرعد حتى لقد ظننا أنهم سيفوزون بالأغلبية فى انتخابات المجلس النيابى وتتم الانتخابات وتظهر النتائج فاذا هى حتى هذه اللحظة التى أكتب فيها مقالى تسفر عن نتائج تؤكد أن الشعوب لا تطيق الشيوعية ولا تتصور ان تحكم بها ٠ فحين يفوز حزب الأمة السودانى بثمانية وثمانين مقعدا ويفوز حزب الاتحـاد بستين مقعدا ويفوز المستقلون بخمسة مقاعد لا ينال الشيوعيون الا مقعدين ربما نجحا برغم أنهما شيوعيان لا لأنهما شيوعيان ٠

هكذا الشعوب فى جميع أنحاء العالم من غربه الى شرقه لا يختلف فى ذلك شعب عن شعب ولا أصحاب دين عن أصحاب دين آخر ٠

وهكذا كان حتما علينا أن ننظر فى أمر هؤلاء الذين يتولون مناصبنا ولابد أن يكون اختيارنا لهم مبعثا للفوز بثقة الشعب فيهم ٠ فانه لا أمل لنا أن ينتعش اقتصادنا الا اذا استقرت الثقة كل الثقة بمن يتولون عظائم أمورنا ٠

١٩٨٦/٤/٢٠ م الأهرام

حريق وكـوب ماء !

أحسب · أو أنا أخشى أن تكون الحكومة وقد أصدرت البيانات الطوال بضرورة الانتاج وحتميته قد اطمأنت أن الناس سيسارعون الى الانتاج وأن كل شيء سيسير في نهجه الأمثل ·

هيهـــات ·

أنا لم أجد في حياتي شيئا سوى الجهد المبذول فيه لا يأتي بثماره قدر هذا الذي يسمونه بالتوعية ·

كم من أموال انفقت في سبيل التوعية بعواقب زيادة النســـل والانفجار السكاني وما يصاحبه من أهوال في الغد ومن ضيق في العيش ومن تقتير في الرزق · وكم قالوا انظر حولك وانظر أمامك وانظر خلفك · فكانت النتيجة مزيدا من الانفجار السكاني · ولعل التوعية صنعت عكس ما أريد منها فذكرت منصرفا عن زيادة النسل فجعلته يزيده حين كان لا ينوى أن يزيده ·

والنـــاس لا تحب النصيحة · والذي يستنصحك انما يريد أن تؤيده فيما استقر عليه هواه فان كانت نصيحتك تؤدى الى غير ما يميل اليه ، بحث عن ناصح آخر يؤيد رأيه الذي اتخذه · وأذكر محاضرة للشاعر عزيز أباظة قال فيها ان النصائح هي أثقل الطيبات على النفوس وهو محق ·

ولن تجد عاملا يستغل ما أتاحته له قوانين العمال من اجازات ومن تهرب ومن قعود على العمل يترك هذا جميعه ويسارع الى ما تفرضه عليه الأمانة وشرف المعاملة ويقبل على العمل الاقبال المفروض فيه ·

استجابة الى النداء الصادر من الحكومة أو من غيرها ·

لا شيء يرد السادر المنصرف عن الجدية في الحياة الى الطريق القويم الا القانون · أما التي يسمونها بالتوعية فلا خير فيها مطلقا ·

ان العامل حين يتهرب من العمل ويدعى المرض ويستنفد أجازاته جميعا يعلم كل العلم أن الذى يصنعه لا يتفق مع الأمانة ولكنه يصنعه مع ذلك . وهو مستعد أن يبذل نصحه لجميع الآخرين أن يقوموا بواجبهم خير قيام ولكنه يستثنى نفسه فالانسان يعتقد أنه دائما استثناء من القاعدة العامة . وان ما ينبغى للآخرين لا يسرى عليه . وما يجب أن يصنعه الآخرون انما هو واجب عليهم لأنهم آخرون أما هو فاستثناء من القاعدة . انه هو .. وهل فى العالم أجمع مثله هو .. هو فلتة الطبيعة . وهو الاستثناء الوارد على مخلوقات الله . وهو يحق له مالا يحق للآخرين .

فأى توعية توجه الى هذه الأنانية يعتقد هو أنها أصلا تقال للآخرين ولا تقال له هو . لأنه هو يعرف كل شىء ولا يحيط انسان بما يعلمه هو .

ولما كان الله هو الذى برأ النفوس وخلقها فانه يعرف مخلوقاته بكل ما يتذبذب فى جوانحهم من هواجس وهكذا أرسل سبحانه كتابه يحمل الى العباد الوعد والوعيد والإنذار والأمل .

لأنه يدرى أن الانسان لا يسير على الهدى الا خوفا وطمعا .

والآيات التى تعد الانسان بالفوز وبالجنة وبالنعيم كثيرة . والأخرى تتوعد الانسان بالنار والعذاب كثيرة .

ولكنى اختار من بينها قوله تعالى فى سورة الأعراف الآيات ١٦٥ وما بعدها « **فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون . فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين . واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم . وقطعناها فى الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون** ». صدق الله العظيم .

والله سبحانه وتعالى كان يستطيع أن يضع مخلوقاته جميعا على الجادة ويلزمهم الطريق القويم ولكنه جلت مشيئته أراد أن يحمل الانسان الأمانة ويختار وأرسل الى الناس رسله يبشرون بكل ما فى الجنة من هناء لم تره وما سمعت بمثله اذن من قبل وينذرهم بالسعير والغسلين والزقوم لمن لم يخش الوعيد .

فالبيانات اذن التى تدعو الى زيادة الانتاج ثرثرة فارغة لن يستجيب لها أحد · فكل الذين يعطون الانتاج يدركون جريمتهم التى يرتكبون · وهم فى غير حاجة الى هذه الدعوة الى زيادة الانتاج ليزيدوه · ومالهم لا يستغلبون من الدولة ما أباحه القانون من أجازات تزيد على مائة وعشرين يوما فى العام · وأغلبهم يعتقد أن ما يسرق من الحكومة والقطاع العام حلال مباح فمال الحكومة عندهم سائبة لا صاحب له ·

ان القوانين التى تحكم العمال عندنا لا مثيل لها فى العالم ·

وانى لأعجب كيف نريد أن تنهض الصناعة عندنا فى ظل هذه القوانين · وأقرأ ما يكتبه المتخصصون من أن عمال العالم أجمع يعملون ثمانى ساعات فى اليوم ومنهم من تصل ساعات عمله الى عشر ساعات بينما لا يكمل العامل عندنا الساعة ونصف الساعة فى اليوم ·

وكيف نريده أن يعمل وهو يعلم أنه لا رئيس له ·

فى أى دولة فى العالم يفصل رئيس مجلس الادارة فى توقيع قلم ولا يفصل العامل المسىء الكسول غير المنتج بل ان الوزير وهو الوزير يبعد عن الوزارة فى غمضة عين بينما لا يستطيع الوزير أن يفصل أى عامل فى وزارته أو فى المصانع التابعة لوزارته ·

الوزير تحاسبه المجالس النيابية والعامل لا حسيب عليه ولا رقيب ·

وأذكر قصة رواها لى مدير عام لمصلحة السكك الحديدية استقال منذ بضع سنوات وكان معروضا عليه العمل في شركة أجنبية بمرتب يفوق مرتبه عدة أضعاف · واستدعاه رئيس الوزراء ورجاه أن يبقى فقال المدير السابق ·

ـ اننى من أجل مصر مستعد أن أترك المرتب الضخم المعروض على فى العمل خارج الحكومة وأبقى ولكن بشرط واحد ·

وقال رئيس الوزراء :

ـ ما هو ·

قـــال :

ـ حين عينت مهندسا بالدرجة السادسة بمصلحة السكك الحديدية تسلمت دفتر جزاءات • فاذا وجدت أى تقصير أثناء تفقدى للآلات والعربات وقعت الجزاء الفورى على العامل المقصر واليوم وأنا فى أكبر منصب فى المصلحة لا أطلب شيئا الا أن يكون عندى دفتر مثل الذى تسلمته وأنا موظف أبدأ حياتى فى هذه المصلحة نفسها •

وقال رئيس الوزراء :

ـ هذا غير ممكن

واضطر المدير أن يقول :

ـ وأنا آسف لا أستطيع البقاء فى منصب لا مسئولية لى فيه الا أن أتمتع باللقب دون أى فعالية •

واستقال المدير العام • وأعتقد أن كل الذين جاءوا بعده يريدون أن يقولوا نفس الذى قاله هو ولكنهم يعلمون أنه مستحيل التنفيذ •

ان عهد الطغيان قدم الرشـــاوى من دماء مصر الى التجمعـــات الكبرى •

واليوم تغلق دوننا المسالك •

فاذا قلنا ادركوا المجالس التشريعية فى مصر وحافظوا على كرامة مصر ، بالغاء نسبة الخمسين فى المائة فى مجلسى الشعب والشورى وجدنا من يقول هذا مخالف للدستور •

واذا قلنا أن الاقتصاد المصرى قد دمر تدميرا تاما بالقطاع العام على صورته الراهنة والقوانين التى تحكم العمال وجدنا من يقول هذا مخالف للدستور •

واذا قلنا ان مصر قد تدهور التعليم فيها حتى أصبح جهلا وحتى صارت الشهادة العالية فيها لا تعنى أن صاحبها نال ما ينبغى من التعليم

واذا قلنا أدركوا التعليم بالمال من القادرين .. من القادرين وحدهم وجدنا من يقول هذا مخالف للدستور .

ووسائل تغيير الدستور واردة فى الدستور نفسه فاذا لم يتغير الدستور لانقاذ مصر فلأى شىء يتغير الدستور .

الأمر الذى لا شك فيه أن هذا الدستور قد وضع من أجل المصلحة العليا لمصر . فاذا لم يتغير من أجل المصلحة العليا لمصر فمتى يتغير .

ان الدستور قد وضع من أجل مصر . ولا يعقل أن نضحى بمصلحة مصر من أجل الدستور . اذا كان ما نطالب به عدلا فالعدل أحق بأن يتبع فى الدستور أولا .

فالدستور هو أبو القوانين فاذا تحققت فيه العدالة فهيهات لها أن تتحقق فى أى ناحية من نواحى الحياة .

وان هذه الموضوعات التى نثيرها أساسيات فى حياتنا ونحن ندرك الآن الأزمة الطاحنة التى نواجهها فاذا لم نأخذ طريقنا فى شجاعة وفى اصرار الى الأساسيات فكل الذى يصدر من قرارات ومن قوانين لن يفيد الا كما يفيد كوب ماء تلقيه على حريق يلتهم بلدا بأكمله . ويأبى الله هذا والمؤمنون .

١٩٨٦/٤/٢٧ م الأهرام

غربة الزمان والمكان !

ما هكذا كنا ولا هكذا كان الزمان ولا كانت مصر • ماذا دهانا وماذا ألم بالزمان والمكان جميعا ؟ • • •

لقد عايشنا هذا الزمن • واختلط تراب مصر بكل ذرة من كياننا البشرى فاختلط بالقلب منا وبالمشاعر وبكل شهيق لنا أو زفير •

لا •• ما هكذا كنا :

لم يخل زمن من الأزمان من شرار الناس وخيارهم • وقد بدأت الجريمة من عهد قابيل وهابيل • ولكن بدأت معها التوبة أيضا • وعرفت الجريمة منذ ذلك الحين الأسف والندم • يقول سبحانه وتعالى فى سورة المائدة فى الآيتين ٣٠ و ٣١ « **فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ـ فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال يا ويلتى اعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين** » •

ولكن الجريمة اليوم أصبحت تتبجح فى غير خزى فلاهى تعرف التوبة ولا الخجل ولا الندم •

كانت الجريمة تتوارى فى أستار الخفاء فاذا هى اليوم تسفر عن وجهها فى ضياء العلن وفى وقاحة الاستهتار •

وكان المجرم ان ارتكب عملا ينافى ما استقر المجتمع على احترامه يخفى فعلته ويواريها كما وارى قابيل سوءة أخيه فاذا هو اليوم يفضح ما استتر ويكشف ما استتر ولا يبالى أن يعرف الناس عنه ما ارتكب •

وتشهد مصر صحفا تقـــدم للقراء فى كل يوم ولفترة استطالت أســابيع متصــلة أحاديث واعترافات عن سفاح قاتل وكيف كان يقتل ضحاياه وكيف كان يعذبهم • فلا المجرم السفاح يخجل ولا الصحف تعود الى الرشد منها •

وتشـــهد مصر اللصوص ينتهبون الأموال العامة انتهابا ضاريا لا يستحون فهم يصرخون فى الناس معلنين أنهم لصـــوص وانهم خانوا الآمانة التى استأمنتهم عليها دولتهم والتى سلمها الشعب اليها . وانهم ليس يعنيهم أن يعرف الناس جميعا ما اختانوا وما استلبوا .

وان صراخهم ليتمثل فى السرايات ذات القلاع يسكنونها وأبناء الشعب لا يجدون حجرة يظلهم سقفها . وفى السيارات ذات الفجور يركبونها ويغدون بها ويروحون فى رائعة النهار وفى مفضوح المجاهرة وأبناء الشعب لا يجدون موضعا لقدم فى وسائل المواصلات العامة . وهم يصرخون بأنهم بالملابس الفاخرة يرتدونها وبما يشـــترون من أدوات التسلية ذات الأسعار التى أصابها السعار .

لقد انقلب هؤلاء الأدميون الى ذئاب ضارية تنهش فى غير رحمة وتسرق فى غير مبالاة وتقتلع جذور الانسانية فى وحشية لا تجرؤ عليها الوحوش وهى الوحوش . وقد تتوارى الوحوش وهى تأكل الفريسة فى حين يعلنون هم جرمهم بكل وسائل الاعلان .

واذا الزمان غير الزمان . واذا المكان غير المكان .

لقد كانت الأزمان تجعل المجتمع يرفض هؤلاء القتلة ويحقرهم ويرفض أن يوسع لهم مكانا أى مكان فى القمة منه أو فى القاع .

كان الناس يرفضون أن يعرفوهم أو أن تقوم بينهم وبين هؤلاء أى صـــلة .

أما اليوم فهم القمة وهم الصـــدارة وهم بأموالهم المنتهبة ذؤابة المجتمع وسادته لا يرفضهم أحد بما عربدوا وبما قتلوا من ضمير وما اجتثوا من أشجار الكرامة والخلق الرفيع .

وكان المكان فى مصر يضيق بهم فتزحف أموالهم التى سرقوها الى رقابهم يختنقون بها وتصبح عليهم وبالا ونقمة غابت عنها نعمة الثراء . وما المال بغير مجتمع يوقر صاحبه ويجعل من مكانته شيئا مذكورا .

أما اليوم فالمكان موسع لهم غاية السعة ، وهم فى كل محفل لهم من المكان موضع الصدارة والناس تتصايح بأفضالهم وتتغنى بأمجادهم

وتسكب عليهم سيول المديح والاجلال والأكبار والمفاخر • التهليل لهم — لا عليهم — يحيط بهم ويسبقهم في كل مكان •

ويل للزمان من الزمان وويل للمكان من المكان •

أصبح الشرف غريبا في مصر طريق الأنبياء ومنارة الأديان ومصباح الهدي وملهمة الوحي على مدى الأزمان وفي كل مكان •

كان الكتاب في مصر ثروتها وغناءها وانشودتها وكلمتها • وكان الكتاب مثلا يقدرون حق الأمانة التى يحملونها وكان الكاتب اذا نافق أو اعوج سيره أو مال به الطريق ينصرف عنه الناس غاضبين غضبا قد لا يبدونه لغيره • فقد خذلهم وحطم الثقة التى شرفوه بها •

وانظر اليوم فأرى كثيرا من الكتاب يقولون مالا يفعلون • ويبشرون بالطهـارة وهم غارقون فى العفن • ويدعون الى الأمانة وهم يخـونون اقلامهم • ويتصايحون بحب مصر وهم يطعنونها بأسلحة شرسة فتاكة فى صحف لا تصدر فيها • مستغلين النفوس الحاقدة على مصر مادين أيديهم لأعداء لا عمل لهم الا عداوة مصر يتربصون بها الدوائر ويحلمون بأوهام المخابيل أنهم بمـا يفعلون سيتمكنون من حـكم مصر التى هى مصر • وما بالهم لا يحلمون مادام بعض الكتاب يباركون أحلامهم ويصورونها لهم على أنها افكار معقولة مؤكدة التحقيق •

ونسمع ان فئات من المصريين يعقدون اتفاقات مع بعض المتهوسين من الحكام أنهم سيمهدون لهم الطريق الى زعامة مصر ليصبحوا بعد ذلك زعماء العالم العربى أجمع • ويقدم هؤلاء الخونة المصريون معسول الكلام ويقدم أولئك الحكام أموال شعوبهم التى فرضوا أنفسهم أوصياء عليها بقوة السلاح وبغير شرعية حق •

واذا الزمان غير الزمان واذا المكان غير المكان •

ويرى الشباب هذا الهول ولا يجد المثل الأعلى الذى سمع عنه بل يرى اللص يحيط به التمجيد والاجلال والخائن تصفق له الأيدى •

وتنقلب أمام الشباب أمل الغد موازين الأمور •

والوقت عصيب والمال يسيطر على حياة الناس بشراسة لم يعرفها التاريخ فحين يبارك المجتمع السرقة والخيانة وانعدام الشرف تصبح

الصورة أمام الشباب مطموسة المعالم مشوهة السمات فالشرف الذى عرفه من الكتب يراه مشوها فى الحياة وقد حلت مكانه كل نقيصه كان المجتمع فيما مضى يزدريها ويرفضها فكيف نريد لهذا الشبـــباب أن يكون عماد المستقبل ودعامة الآتى من حياة مصر ٠

لكل زمن مضى مفاخره ونقائصه ٠ ولكن النقائص كانت تنزوى خجلا وتتباعد عن النهار وتتخفى فى اطواء الظلام ٠ وكانت المفاخر شهيرة جهيرة واضـــحة المعالم بينة المعارف يمتدحها المجتمع ويتغنى بها الشـــعراء والكتاب ٠

ولكن زماننا هذا انقلبت فيه المعايير ٠ أصبح الذى يرتكب المعاصى يهتف بها ويصنعها وهو جهير الصوت فخورا سعيدا متفرحا ٠

وأصبح الشريف يتوارى خجلا ٠٠ انه يأبى أن يسرق ٠ ويعف عن المال الحرام ٠ ويمتع نفسه أن تقبل ما ليس لها ٠

نحن فى زمان يشربون فيه الخمر علنا ويقيمون فيه الصلاة سرا ٠ نحن فى مكان يسرقون فيه وتهتف لهم المظاهرات والمظاهر ٠ ويعفون فيه فى الخفاء وحتى لا يرميهم المجتمع انهم أغبياء سذج جهلوا الدنيا وضلوا طريقها الذى يؤدى بهم الى الثراء والعظمة والسعادة والهناء ٠

ان الدين الحنيف يأمر بالصلاة لأنها تنهى عن الفحشـــاء والمنكر والبغى ٠ فلا وربك لا يرضينى التهوس الدينى والارهاب باسم الاسلام الحنيف وانما يرضى المجتمع حين يرى المعاصى تخجل والشرف يعلو وليس يرضى المجتمع حين يرى من يدعون الحفاظ على الاسلام يشهرون السلاح ويريدون أن يركبوا الدين مطية الى عرض الدنيا ٠

فلئن تعف نفس واحدة وتسمو عن المخازى أكرم ألف مرة من أن تتكون جماعات تريد أن تحكمنا فى دنيانا باسم ديننا الذى نفديه بالأرواح وهم أبعد ما يكونون عن الدين ٠ وزمانهم أيضـــا ٠ الدين الاسلامى صلة مباشرة بلا وساطة بين المسلم وربه ٠ حتى ليقول سبحانه لنبيه ﷺ **لست عليهم بمســـيطر** فاذا كان النبى ﷺ وهو النبى ليس بمسيطر فبأى حق يريد هؤلاء أن يسيطروا علينا وعلى مقادير أمورنا ٠ ويل للزمان من الزمان ٠ حتى الدين وهو الدين لم تتركه النفوس الجشعة وتريد أن تتخذ منه وهو الرحمة المطلقة سلاحا للعدوان والقهر والاذلال ٠

غرباء نحن فى هذا الزمان • وغرباء نحن فى هذا المكان ولكننـــا سنصمد • وستنجلى الغمة • وعما قريب ستعتدل الموازين ويعود الشرف الى قمته ويذهب الزبد جفاء • •

فان ربك لايخلف وعده وهو غالب على أمره وهو ناصر دينه وما غرسه هذا الدين من سموق وعظمة وكبرياء ؟

١٩٨٦/٦/١٥ م الأهرام

أطفـــــال

لك الله وحده يا مصر يا أم الأمجاد ويا واهبة الحضارة للتاريخ ويا مشرق العلوم والفنون والآداب ·· أهذا الذى يحيط بك اليوم حتى بعد أن زالت وانكشفت عن سمائك سحب القهر والدمار ·

ان أبناءك حتى اليوم لا يزالون يعيشون فى هذه الأيام المريرة من حياتك تسيطر عليهم بالسلب حينا وبالايجاب حينا آخر ·

والا فما هذا الذى تصنعه بعض صحف وما هذا الذى به يعبثون · أتراهم قد جهلوا أن هذا الهذر الذى يهذرون لا يصيب الا مستقبل مصر وحريتها وغدها وآمالها وآلامها ·

هل هانت مصر عليهم فجعلوا منها لعبة لأقلامهم ··

لك الله وحده يا مصر ··

لقد غابت الحرية عن حياتنا فترة سوداء حالكة السواد · ثم عادت · وكنا نحسب أنها حين تعود سنكون أهلا لها وكفئا لأعبائها · رجالا فى حريتنا شدادا فى الحق مترفعين عن الصغار متأبين عن الهوى ، متعففين عن السقوط ·

فاذا ببعض ممن أتاحت لهم الحرية صدور الصحف يذكروننا بالطفل الأهبل نال بعد طول الحرمان لعبة جديدة فلا يزال بها يستخدمها فى غير ما أهلت له ويجربها فى غير طريقها ويقذف بها ذات اليمين وذات اليسار حتى تتحطم · وينسى الطفل فى سذاجته وجهله أنه هو ·· هو نفسه سيكون أول الباكين عليها · ويذهل عن نفسه ذهولا أرعن مأفونا ناسيا أن هذه التى حسبها لعبة قد تنفجر عن قنبلة تصيبه هو أول ما تصيب ثم تصيب معه أهله وبيته أجمعين ·

ما لهؤلاء الكتاب يلعبون ويلهون ويعبثون والوقت جد كل الجد والأمر خطير غاية الخطورة ·· والشدة التى تمر بها مصر تحتاج الى العزم

كل العزم · والحزم كل الحزم · وهى فى غناء كل الغنـــاء عن ثرثرة المخابيل وهراء المهازيل ·

انهم يريدون ــ وبكل الجهـــد يريدون ــ أن يزحزحوا مصـــر عن حريتها · ويريدون ــ وبكل الجهد يريدون ــ أن تستعمل السلطة اجراء استثنائيا ويسعون أشد السعى أن يصدر أمر بمصادرة أو آخر باعتقال ·· وهيهات ·· خاب سعيهم فهو الى بوار · لن يكون هذا ·

أنهم اليوم أصحاب أصوات عالية وسيوف يحسبون أنها باترة ··

وأناشدهم الله والحق والوطنية · أين كانوا أيام المعتقلات تفغر أفواهها تلتهم أبناء مصر فى غير مرحمة ولا مساءلة ولا حتى تفكير ·

وانهم اليوم يهددون بالويل والثبور وعظائم الأمور · ويحسبون أنهم بهذا الذى يهرفون يهزون أعمدة الديموقراطية التى لا تزال مصر تهفو الى تثبيتها وتعميق أسسها · ولو ان رئيس الجمهورية شخص آخر لما جرأوا أن يقولوا ما يقولون ولا فكروا أن يكتبوا ما يكتبون · ولكنهم يعلمون أن حسنى مبارك ثابت كالجبل الأشم · يكبر عن الصغار · ويعلو عن الوهاد · واذا مر كريما ، وان خاطبه الجاهلون قال سلاما ·

يطالبون فيما يطالبون أن يترك رئيس الجمهورية رئاسة الحزب ولعمرى أى ديموقراطية تلك التى لا ينتسب فيها رئيس الجمهورية الى حزب · فلينظروا الى ديمقراطيات العالم الرئاسية أجمع · أليس كل رئيس دولة فيها ينتمى الى حزب من أحزابها · فأى عجيبة أن يكون رئيس جمهورية مصر رئيسا لحزب مصرى ·

ويقولون ــ ولا أدرى أيصدقون ما يقولون أم هو اللغو ــ أن الحزب الديمقراطى لا يمثل الشعب ــ فكيف السبيل الى معرفة رأى الشعب أن لم يكن بالانتخاب وان الانتخاب بالقائمة بالذات هو أصدق معيار على رأى الشـــعب فى الحزب نفســه · فى حين نجد أن الانتخاب الفردى يختار الشخص لشخصه فى أغلب الأمر دون النظر الى حزبه · والاختيار فى هذا النوع من الانتخابات يتم للصلات الشخصية والمنافع الفردية وأقرب مثال على ذلك يوم اتهم أحد أعضاء المجالس النيابية بالاختلاس وأدانته المحكمة الابتدائية وتقدم الى الانتخابات فكان الناخبون يهتفون « حرامى حرامى لكن بنحبه » الله الله ·· أهذه هى الديمقراطية التى يريدون ·

وان قالوا أن الحزب الديمقراطى ليس له تاريخ أو جذور فأبسط ما يقال لهم وكيف تريدون له جـــذورا أو تاريخـا بعـــد أن انعدمت الديموقراطية وقتلت الأحزاب فى مصر لمدة ربع قرن · وكيف كان يمكن للديموقراطية أن تعود الا بأحزاب جديدة ·

وربما وافقتهم أن الحزب الجديد ينبغى أن تكون له مبادىء واضحة المعالم محددة السمات جلية الملامح · ولكننا مازلنا فى خطواتنا الأولى من الديمقراطية ولابد ــ مع الأيام ــ ان يصبح للحزب الوطنى مبادؤه ومعالمه وسماته ·

ونسألهم أين أنتم من المبادىء وكيف تطبقونها وأنتم الحزب الذى نشأت دعائمه منذ أكثر من ستين عاما ؟

طلبت الحكومة رأيكم فى الدعم وكيف يصل الى مستحقيه فنكصتم عن ابداء الرأى ولذتم بترهات وحجج منهارة دون أن تفكروا فى مصلحة مصر ولا فى موقفها الاقتصادى وأصررتم أن تدخروا رأيكم وتحتفظوا به حتى تعارضوا أى قرار قد تتخذه الحكومة فى هذا الشأن · وكان الأحرى بكم أن تؤيدوا الحكومة كل التأييد فيما تفكر فيه لأن هذا المذهب الذى تذهب اليه الحكومة يتفق كل الاتفاق مع مذاهبكم وآرائكم التى تدعون أنكم تعتنقونها ·

وحين تكلم أقوام عن مجانية التعليم فى المدارس والجامعات كان رأيكم غمغمة مبهمة وكلاما معجما يســـوده الحرص على المعارضة لمجرد المعارضة وليس المعارضة من أجل مصر ·

وبدلا من أن تحاربوا الاصرار على بقاء الخمسين فى المائة من العمال والفلاحين فى المجالس التشريعية ومجالس الادارات رحتم توجهون أسهمكم الى الأشخاص وليس الى الأفكار · وتحتسبون أنفسكم أبطالا دون بطولة فى الهجوم على رئيس الجمهورية وأنتم تعلمون كل العلم أنه لن يصادر لكم جريدة ، ولن يحبس قلما ، ولن يعتقل أحدا · فهكذا هو وهكذا تعرفونه وعلى الرغم من وثوقكم بهذا · أو لأنكم واثقون من هذا ــ رحتم تهاجمون بسيوف ورقية ــ وجعلتم من أنفسكم أضحوكة بين الناس ·

ثم أنتم ــ ويا للعجب ــ تطالبون أنه بالغاء حزب الأغلبية · أليس لكم وازع من عقل أو منطق · كيف تظنون أنه يمكن أن يصدر أمر بالغاء حزب الأغلبية والابقاء فى الوقت نفسه على أحزاب الأقلية ·

ألا تدركون أنكم بهذا الذى تطالبون تفتحون بابا واسعا لالغـــاء الديمقراطية جميعها ·· أتراكم الى هذا تسعون ؟

احـــذروا أنفسكم واذكروا مصر ·· فانكم بما تصنعون تعملون جاهدين أن تدمروا الديمقراطية تدميرا كاملا · ولو لم يـــكن رئيس الجمهورية كالجبـــال الرواسى لـــكان جـوابه عليـكم غير هذا الذى تشـــهدون ·

بعض هذا الذى تصنعون بمصر فانكم ألستم منطقيين مع أنفســكم ولا مع مبادئكم ، بينما أرى الشيوعيين والناصريين منطقين مع أنفسهم ومع مبـــادئهم ·

فهاتان الفئتان اذن تســيران فى الطريق الطبيعى للمــادىء التى تدينان بها · فالشيوعيون يعلمون ان لا حياة لهم مع الديمقراطية وان نادوا بها فما ينادون بها الا ليقتلوها ويجهزوا عليها ·

والناصريون يريدون أن يعود الطغيان والجبروت والحكم العاتى ذو الظلام الدامس والارهاق والعنت ليعودوا هم الى السلطان وامتصاص دم الشعب وأكله حيا أو ميتا ·

الفئتان فى طريقهما الذى اختارتاه ·

أما أنتم فتسيرون فى عماية من طريقكم وعلى مبادىء غير التى تدينون بها وترفعون شعارات غير الشعارات التى ينبغى أن ترفعوها ·

وقد عرفتم الظلم وذقتم علقمه وطحنكم الطغيان فيما طحن فافيئوا الى الرشد منكم وكونوا من الذين اتقوا والذين قال عنهم الله « **ان الذين اتقوا اذا مســـهم طائف من الشـــيطان تذكروا فاذا هم مبصرون** » (الأعراف ـ ٢٠١) ·

ولا تنسو قوله سبحانه فى سورة الانفال ٢٥ « **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب** » ·

صدق الله العظيم ·

١٩٨٦/٦/٢٢ م الأهرام

العمل الجيـد منـارة

كان شهر رمضان حافلا بالأعمال الدرامية • وقد كان العمل العظيم الرائع ـ الذى قدمته الكاتبة الاسلامية والدرامية القديرة أمينة الصاوى ـ جديرا بكل اجلال وابهار فقد استطاعت فى مهارة فائقة أن تمزج بين تاريخ التوحيد والتاريخ السياسى لمصر • كما استطاعت فى فنية باذخـة أن تجعلنا نتتبع عملها فى تشوق ولهفة • وقد رأينا فى هذا العمل الفنى العظيم الموحدين المؤمنين متفرجين سـعداء لا ترين عليهم فترة الحزن ولا كآبة النفس •

فقد جرى العرف فى الأعمال الدينية السابقة أن يظهر المؤمنين وقد لبسوا قناعا شمعيا من الغضب لا تختلج وجوههم بنأمة فرح • بينما الايمان هو السعادة المطلقة وكلما كان ايمان الانسان عميقا كان تفرحه وهناؤه غامرا • وأنا ـ فيما أكتبه الآن ـ أقدم اعجابى الشديد بما كتبته الكاتبة العظيمة أمينة الصاوى ولا أقيم العمل من الناحية التاريخية فليس هذا شأنى بل اننى أرى أن للكاتب الدرامى أن يمزج من أحداث التاريخ ما يشاء ليقدم عمله الفنى ، على أن العمل مع ذلك عرض على المتمكنين فى التاريخ وأجازوه •

ومما زاد اعجابى بهذا العمل الفنى العظيم أن الفرصة فيه كانت سانحة غاية السنوح للخطب المنبرية والوعظ المباشر ولكن أمينة الصاوى استطاعت أن تجعل الأحداث هى التى تقول ما تريد المؤلفة أن تقوله دون اثقال على المشاهد أو عنف به •

وينبغى لى وجوبا أن أهنىء المخرج أحمد طنطاوى على براعته الفائقة التى قدمت العمل فى أحسن صورة يمكن أن يظهر بها فقد كان موفقا كل التوفيق فى كل لحظة من لحظات العمل التى قاربت الثلاثين ساعة •

كما أهنىء الممثلين جميعا لا استثنى منهم جميعا أحدا • فهم فى تناغم سيمفونى سامق اسـتطاعوا أن يكونوا داخل أدوارهم دون أن يفرضوا على أدوارهم عنتا أو رهقا •

ثم أنا من بعد ابتعد تماما عن المسلسلين الآخرين اللذين قدما في القناتين الأولى والثانية فنحن في أيام أعياد ولا أريد أن أسيء الى أحد · وانما لابد لى أن أهنيء الممثل العملاق صلاح قابيل الذى أدى دور الترزى فى قدرة فنية شاهقة تصل به الى قمة يندر أن يصل اليها ممثل عالمى كما أهنيء الأستاذ كرم مطاوع ذلك الفنان الرفيع المشاعر المتمكن على دوره فى المسلسل الآخر فقد استطاع أن يقدم الشخصية المعقدة غاية التعقيد والتى تتصرف تصرفات حمقاء رعناء دون أى باعث انسانى أو درامى فى موهبة لا تتأتى الا للقلة النادرين ·

ولا يفوتنى ان أهنيء القمة صلاح ذو الفقار على دوره أيضا ـ فقد أداه بالروعة التى لا ننتظر منه أقل منها ·

ولا أستطيع أن أغفل المسلسل الدينى « نور الاسلام » للكاتب الفنان المتمكن الأستاذ محمود شعبان فقد كان الكاتب رائعا كعهدنا به دائما فى كل ما قدم من أعمال سواء للاذاعة أو التليفزيون ·

أما مسلسل « الأفيال » للكاتب الكبير فتحى غانم فيمثل نموذجا فنيا شاهقا للأعمال التليفزيونية وكيف تستطيع أن تصعد الى قمة الفكر والفن جميعا ولكن من أين للتليفزيون بكاتب فى حجم فتحى غانم الذى أبى أن يترك روايته تمزق بين أيدى الآخرين وكتب هو لها السيناريو والحوار ·

ولو أن الذين يكتبون تفاهاتهم للتليفزيون درسوا مسلسل الأفيال وكيف يستطيع الكاتب الكبير أن يكون كبيرا فى كل انتقالة لمشهد وفى كل حرف من حوار لعادت عليهم دراستهم هذه بالخير العظيم · ولكن هيهات فكل كاتب منهم يعتقد أن الله خلقه وحده وترك الآخرين · وكل صغير منهم يعتقد ان الكبار أصبحوا كبارا بالصدفة العمياء وليس بالموهبة الرفيعة وبالدراسة الشاقة العنيفة ·

اننى أهيب بالأساتذة فى المعاهد أن يدرسوا مسلسل الأفيال لتلاميذهم ليعرف التلاميذ ماذا يستطيع القمم أن يقدموا ·

واذا تركت الأعمال الدرامية وانتقلت الى البرامج الأخرى فانى أختار برنامج المربية الفاضلة السيدة نوال الدجوى فقد كان برنامجا خليقا بأستاذة فاضلة وانى أنتهز الفرصة لأتفق معها فى رأيها عن عمل المرأة فقد جرى البعض أن يجعلوا منه قضية قاطعة لا مناقشة فيها فرأى البعض

أن المرأة لا يجوز أن تعمل ورأي آخرون أن المرأة لابد أن تعمل والأمر أيسر من ذلك . فالاسلام لا يمنع المرأة أن تعمل . ولكن على المرأة نفسها أن تقدر ان كان عملها خيرا لها أم بقاؤها في البيت هو الأولى بها . فان كانت بلا أطفال فما الذى يمنعها من العمل . وان كان أطفالها يذهبون الى المدرسة فما بقاؤها في البيت ؟ ولكن لابد أن تعلم أن تركهـا لأطفالهـا جريمة لا تغتفر . فليس في العالم انسان يعوض الطفل عن حنان أمه . وعليها أن تقدر أيضا اذا كان عملها أكثر مجلبة لخير بيتها أم لا . فان أجر الخادمة اليوم أصـــبح يتساوى مع مرتب وكيل الوزارة فهل اذا عملت المرأة ستستطيع أن تدر على البيت دخلا يقارب ما تنفقه في أجر الخادمة .

هذه كلها أمور لكل سيدة في البيت أن تقدرها وان تقرر على هدى تقديرها ان كانت تبقى في البيت أم تتركه الى العمل خارج منزلها وأذكر ان مائتين وخمسين ألف سيدة في أمريكا أضربن عن العمل والحجة الوحيدة التي سقنها ان العمل أفقدهن أنوثتهن . على المرأة المصرية أن تدخل هذا أيضا في حسبانها وهي تقارن بين البقاء في البيت والعمل خارجه .

ولكنني مع السيدة نوال الدجوى ان هذا الأمر لا يكون بحكم قاطع شامل ينطبق على الجميع .

ومن البرامج التي استمتعت بها طول شهر رمضان البرنامج الذى قدمه التليفزيونى القدير طارق حبيب . فقد كان عملا ممتازا يمزج بين التسلية والعلم والفن في باقة طريفة حبيبة قريبة الى نفس المشاهد . وأشهد أن بعض الأسئلة التي كان يقدمها كانت غاية في الصـــعوبة لا يستطيع معرفة أجوبتها الا متخصص في مادتها . ولكن ما الباس فهو يريد أن يصل بهذه الاجابات الى المستمع عبر برنامجه ولا يهم من بعد أن كان المتسابقون يعرفون الاجابة أم لا يعرفونها .

كان التليفزيون مزدحما بالأعمال طوال شهر رمضان حتى أن بعض الأعمال كانت تتوارى في الزحام . ولهذا أرجو من السيدة الفاضلة رئيسة التليفزيون أن تعمل على اعادة تقديم مسلسل (نور الاسلام) الذى كان يذاع في موعد أغلب المشاهدين كانوا منصرفين أثناءه الى القناة الأولى . ولذلك فقليل أولئك الذين شاهدوه وهو جدير بأن يشهده الجميع .

وبعد فليس هناك عمل فنى يجمع على الاعجاب به كل المشاهدين . وان كنت في هذه العجالة قد أبديت اعجابى بأعمال معينة وحجبت رأيى عن أعمال أخرى فلا شك أن هناك غيرى من يختلف معى في الرأى .

وانى أهيب بالسيدة الأستاذة سامية صادق أن تحاول المحافظة على هذا المستوى الجيد الذى حققه التليفزيون فى شهر رمضـــان المبارك فمادمنا نعرف الطريق فالطبيعى أن نسير فيه ولا نحيد عنه مهمـا تكن الأسباب فلا شىء فى العالم يساوى ان يتقن الانسان عمله ما دام يعرف كيف يتقنه · ولنضرب صفحا عن كل رجاء أو شفاعة · فان الرجاء والشفاعة فى العالم الفنى يكونان فى غرفة مغلقة والنتيجة السيئة منشـورة على الدنيا جميعا ·

وينبغى ألا يخاف التليفزيون قطاع الطرق فى الصفحات الفنية وغير الفنية بالصحافة فان مكر هؤلاء الى بوار ومهانة · ويبقى العمل الرفيع منارة على طول الزمان · والجمهور يعرف الطيب من الخبيث · ويعرف النقد المغرض حين يراه · ويعرف الكلمة الصادقة حين يقرؤها · والله من قبل ومن بعد يجزى العاملين المحسنين خير الجزاء ·

١٩٨٦/٦/٢٩ م الأهرام

أعزك الله يا عزة !

جاء فى الأخبار تحت عنوان طفلة تنقذ ثلاثين مواطنا من الموت ·· الخبر التالى أسوقه كما ورد « كتب ـ محمد رجب ـ أنقذت طفلة فى الثامنة من عمرها ثلاثين مواطنا ومواطنة من الموت ·· دخلت الطفلة عزة محفوظ مكتب العقيد أمين بهجت مأمور قسم الجيزة وأبلغته بأن المنزل المجاور لمنزلها خلف مبنى القسم على وشك الانهيار ·· وانها سمعت والدها ووالدتها يتحدثان عن سماع أصوات غريبة تنبعث من جدرانه التى تهتز وقالت ان والديها قررا عدم ابلاغ الشرطة خوفا من سكان المنزل ·· انتقل المأمور والضابط للمكان ·· وحينما تأكدا من صدق الطفلة ·· قررا اخلاء المنزل فورا من سكانه ·· وبعد دقائق من الاخلاء انهار المنزل وبدأ التحقيق ·

كانت الطفلة ترتجف وهى تدخل من باب القسم ·· لاحظ المأمور أن نظراتها يملؤها الفزع ·· اتجه اليها ·· سألها عما تبحث ·· قالت له ان صديقتها الطفلة تسكن بهذا المنزل الذى سمعت من والدتها أنه سينهار بين لحظة وأخرى وانها تخشى على صديقتها من الموت ·· وتخشى أن يعلم والداها بحضورها للقسم ·· تردد المأمور فى تصديق الطفلة وأمام الحاحها وبكائها المستمر اصطحبها ومعه المقدمان ماجد الباز وعمر الفرماوى رئيس المباحث ·· وتبين أن المنزل متصدع الجدران ومائل قليلا فقرروا اخلاءه فورا ·· وبعد دقائق انهار المنزل ·· وتبين من المعاينة المبدئية ان أسقف المنزل من خشب النخيل ··

والى هنا ينتهى الخبر تقريبا ·

وأنت يا عزة لا تدرين أية سعادة غامرة أدخلتها الى قلوبنا · فقد رأيت فيك أملا من بعد يأس قاتم خيم على حياتنا ·

فأنت يا بنية استطعت بعملك الذى صنعته عن فطرة أن تصبحى ابتسامة مشرقة على شفاه قوم طال بها الزمن وهى تحس المرارة والأسى ·

ان عزة لم تلتق بالشرطة من قبل · وواضح من الخبر انها كانت خائفة هالعة مرتعشة من الاقدام على هذه المخاطرة التى لا تدرى إلى أى مصير تقودها ·

زادها خوفا وهلعـا ذلك الحديث البعيد كل البعد عن الانتمـاء الانسانى والذى بلغ مسامعها من أمها وأبيها ·

وان كان الخبر لم يأت من الحديث الا بعجالة سريعة الا أنه من المؤكد ان الحديث كان مستفيضا متطاولا · وماله لا يكون ·· زوجان فى بيتهما والأحداث التى يمكن أن تكون مادة تسلية قليلة نادرة وها هى ذى فرصة متاحة للحديث الوافر · تكلما عن الناس الذين يقطنون بالمنزل والشروخ التى داهمت المنزل · ومتى داهمته وكيف سـكتوا عنهـا · والولدان يرفضان ان يبلغا عن المنزل المتهالك ويطمئنا ضميرهما انهما انما يصنعان ذلك حتى لا يغضبا سكان المنزل من أصدقائهما ·· اذن فالأبوان الكريمان يخافان أن يغضـبا قوما ولا يخافان أن يقتلاهم أجمعين · ولا شك أن الأبوين فى حديثهما تخوفا أن يذهبا الى القسم حتى لا يشغلا وقتهما ويضيعا يوما بأكمله فى الابلاغ ومصاحبة الشرطة الى المنزل ·

ان الأبوين من ذلك الجيل الذى نشأ فى الأيام الداكنة من تاريخ مصر والتى جعلت الناس يشعرون أن مصر غريبة عن المصريين وهم عنها غرباء يوم قال الحاكم انه الوطن شأنى أنا وشأنكم أن تقبلوا رشـوتى بالخبز الرخيص والتعليم المجانى فى جميع مراحله وان تهملوا فى مصانعكم ووظائفكم ما طاب لكم الأهمال ولن يمسكم أحد بسوء · بل ولكم أيضا أن تكون نسبة الجهلاء من فلاحين وعمال خمسين فى المائة ويشتركوا فى التشريع للبلاد وحكم الناس وقد كان التشريع يصدر من الحاكم المنفرد ويمر بالمجلس النيابى لاقراره وليس لمناقشته ·

جيل ساومه الحاكم واشترى منه حقوق المواطن الانسان ، ودفع له الثمن تخريبا للوطن وتدميرا لكرامة مصر واقتصادها ·

انه جيل تعود ألا يكون صـاحب رأى فى أى شىء يخرج عن نوع طعامه فى بيته وفى بيته فقط ·

جيل بعيد كل البعد عن الحياة العامة وما يضطرب فيها وما يمس شئون الناس من ناسهم الذين يحيون من ماء نيلهم ويأكلون من أرض مصرهم ·· شاه زمنا ·

والقاطنون فى البيت ماذا نحن قائلون لهم أنلومهم انهم لم يبلغوا عن الحال الذى صار اليه بيتهم ، من السهل أن نلوم ولكن أترانا كنا نصنع غير ما صنعوا · أسرات بأكملها يضمها بيت متهالك ان تركوه فهم نهب للتشريد والضياع فى تيه العالم أجمع ·

ان سكان هذه البيوت جميعا أحياء وأمواتا ضحايا القانون الذى أصدره الطاغية فى الستينيات لتخريب العلاقة بين ملاك البيوت وسكانها وجعل الملاك يتوقفون منذ صدوره عن البناء توقفا تاما وها هى ذى النتيجة اليوم ·· مقاتل جماعية لسكان البيوت المتهالكة أو تشريد لمن تركوا المنازل المتصدعة وضياع كامل للشباب الذى يريد أن يبدأ حياته ويكون أسرة ·· هذا الضياع الذى أدى الى وحشية بعض الأبناء لتخلص لهم ببيوت والديهم ·

أما عزة ابنة الأمل ونبت الأرض الحرة والهواء النقى فقد غالبت كل هذا وذهبت وحدها الى القسم ترتجف ولكنها تغلبت على خوفها لتنقذ صديقتها فى البيت المجاور فأنقذت معها سكان البيت أجمعين ·

أنت يا عزة تشعرين أن الصداقة تستحق ما تعرضت له من خوف وحرج وأنت يا عزة تشعرين أنك تنتمين الى الناس حولك الذين هم وطنك·

وأنت يا عزة ضربت المثل الرفيع لكل المصريين · فلو ان الوزراء اتخذوا قراراتهم بنفس الجرأة التى اتخذت بها قرارك لصلح حال الاقتصاد المصرى · واستقام المعوج من الأمر · فنحن الدولة الوحيدة فى العالم التى تعرف أمراضها وتعرف دواءها ولكنها لا نحاول أن نستخدم الدواء لتقضى على المرض · مازلنا نصر على مجانية التعليم الوهمية ونحن نعرف الخراب المحيق بمصر وبالتعليم من هذا الداء ومازلنا نصر أن تكون نسبة العمال والفلاحين خمسين فى المائة ونحن نعلم اننا بهذا نخرب التشريع المصرى والكرامة المصرية بقانون لا مثيل له فى العالم أجمع · ونحن نصر أن ينال الدعم الأغنياء مهما يتفاقم حجم غناهم · ونحن مصرون ألا يعمل العامل ثم يظل فى عمله ·

ولو أن أعضاء مجلس الشعب يا عزة أدركوا أنهم مسئولون عن مصر جميعها وليس عن ناخبيهم وأقاربهم فقط ولو أنهم فعلوا مثلك فقدموا الصالح العام على الصالح الخاص لكان حال مصر غير هذا الحال ·

ولو أن الموظفين أدركوا أنهم ينبغى أن يتقنوا عملهم مهما يكن أجرهم ضئيلا لأن القيام بالواجب فى ذاته قيمة عليا أدركتها أنت يا عزة لأصبح وجه مصر جديرا بتاريخها العريض ·

ولو أن كل فرد فى مصر يا عزة أحس انه مسئول عن أخيه كما أحسست أنت أنك مسئولة عن صديقتك لاستطعنا يا عزة أن نعلو فوق المحن ونسمو فوق الأزمات ولغير الله ما بنا لأننا غيرنا ما بأنفسنا ٠

وبعد يا عزة ربما كنت فيما أقول حالما فى وادى الآمال ٠ لكنك انت يا بنيتى قد فتحت لى الباب الى هذا الوادى ٠ ومادامت مصر قد أنبتتك فمالى لا أرجو أن يكون جيلك كله مثلك ٠ فان صح هذا الرجاء فان لنا نحن المتفائلين أن نتوقع لجيلك هذا أن تكون أيامه كلها اشراقا ٠ ومالى يا بنيتى ألا أرجو فان لكل ليل صباحا وقد كنت أنت تباشير هذا الصباح ٠

١٩٨٦/٧/٦ م الأهرام

المبادىء .. والتطبيق

أصاب الوفد الدستور والديمقراطية بأمراض وهزال وكان هذا فى الفترة السابقة على قيام الثورة وكان من أهم العوامل التى عجلت بقيامها . فقد تصرف الوفد بغباء منقطع النظير فى فترة حكمه الأخيرة . وكانت فلسفته ان يكون رئيسه وأعضاؤه عبيدا ساجدين فى ساحة الملك العربيد حتى يظلوا فى الحكم أطول فترة ممكنة . ورأينا رفعة رئيس الوفد يقبل يد الملك المدنسة بكل ما هو وضيع ومنحط من مخاصرة للنساء الى لعب ميسر . ورأينا رفعة رئيس الوزراء مصطفى النحاس باشا يؤم حزبه فى صلاة مؤلمة قبلتها الملك فاروق فى مصيفه بكابرى . ورأينا القاهرة تحترق فى عهدهم . ورأينا مذبحة الشيوخ فى زمانهم وبهذه المذبحة دمروا الدستور وكرامة مصر جميعا .

ومن عجب أن بعضهم يدافع عن هذه المذبحة الدستورية بأن تعيين هؤلاء الشيوخ لم يكن بادىء ذى بدء بالطريق الدستورى والسؤال البسيط الذى يستطيع أن يوجهه لهم أى انسان عاقل فلماذا لم تعيدوا تعيين الأشخاص أنفسهم بالطريق الدستورى لتبقوا على الدستور قيمته وعلى مصر كرامتها .

وقد ورث حزب الوفد الجديد نفس الغباء بل أشد منه هوانا ولعلك لو قرأت المقالة الأخيرة التى هاجمتنى بها مجلة الوفد تدرك ـ ان لم تكن قد أدركت بعد الى أى حضيض من الغباء يتردى حزب الوفد الجديد .

فى عنوان المقالة جعلوا اسمى زروت بدلا من ثروت وأصروا على هذا الابدال للاسم فى المقالة كلها . أليس هذا غباء . أليس من الطبيعى أن أقلب اسم رئيسهم كما فعلوا باسمى فأسميه ظلام الطين مثلا أو غير ذلك وغيره كثير فاذا سألونى ما ذنب الرئيس أجبتهم ان المقالة بغير توقيع فالحزب اذن مسئول عنها جميعا وعلى رأسه زعيمه فالخطاب اذن لابد أن يتوجه اليه من باب الأدب ووضع الأمور فى نصابها . ثم ان مجلة الوفد صدرت فى يوم قريب بمقال فى صدرها بعنوان العين بالعين والرأس بالرأس فأنا لم أستحدث جديدا بل هم الذين أحدثوا وفى هذا المقام وقبل أن أتركه الى غيره أجد المقالة تسبنى لضخامة جسمى وأتساءل أليس

هذا غباء منقطع النظير أم ترى كاتب المقالة أراد أن يسب رئيس حزب الوفد عن طريقى والا فكيف يهاجم حزب رئيسه حضرة صاحب المعالى فؤاد سراج الدين باشا شخصا آخر لضخامة جسمه الا اذا كان يريد مهاجمة الطول فقط لا الضخامة كلها · وبعد أليس هذا أسلوب النساء اللواتى يفرشن الملآت على قوارع الطريق ويعيرن الأخريات بالنحافة حينا أو بالضخامة حينا آخر · فى أى عرف سياسى رأى أولئك النسوة حوارا عقليا يتجه الى معالم الجسوم وليس الى معالم العقول ومعالم الضمائر ومعالم الوطنية ·

وبنفس الغباء يقول الوفديون اننى كاتب دساس أدس بينهم وبين رئيس الجمهورية · يا لهم من حقراء العقول · هل سمع أحد فى العالم ان دساسا يدس عند أى شخص ضد آخرين ويعلن دسه فى صحيفة الأهرام كبرى جرائد المشرقين جميعا · وما حاجتى للدس وهم القائلون فى مقالهم الرئيسى العين بالعين والرأس بالرأس ·

بهذا الغباء نفسه أصاب الوفديون الحيـاة الديمقراطية فى مصر بالمرض العضال ثم جاءت الثورة وشملت الفرحة مصر جميعا من أقصاها الى أقصاها وقد كنت فى ذلك الحين شابا صغيرا فى الخامسة والعشرين من عمرى ولكن ملازمتى لأبى جعلتنى ألازم فى هذه الفترة شلة من زعماء مصر من غير الوفديين وقد كانوا جميعا سعداء بما تم ، فهم الذين أبدوا سخطهم على تصرفات الملك بعريضة الثلاثين الشهيرة ·

وجاءت الثورة ورأينا أهدافها ·

وانى اليوم أكتب ما أكتب لنرى معا ماذا حققت الثورة من أهدافها وكيف حققتها كان الهدف الأول « القضاء على الاستعمار وأعوانه » ·

أما الاستعمار فطبيعى أن يكون المبدأ الأول لأى حكم هو القضاء عليه ولكن الاستعمار كان يلم أذياله من العالم أجمع حتى لقد ترك الهند التى كانوا يسمونها درة التاج البريطانى ·

وكانت مصر قد وصلت مع بريطانيا الى معاهدة صدقى ـ بيفن التى تجمع الآراء السياسية انها كانت خيرا من المعاهدة التى خرج بها الانجليز من مصر ·

أما أعوان الاستعمار الذين ورد ذكرهم فى المبادىء فقد ثبت من المحاكمات الثورية المتعاقبة ان أرض مصر الطاهرة لم يكن فيها خائن لبلاده

مطلقا · ولولا الحادث المؤسف الذى وقع فى ٤ فبراير وقبول النحاس باشا الحكم على أسنة الحراب الانجليزية ولولا انحطاط شباب الوفد فى ذلك الحين الذين حملوا السفير البريطانى على أكتافهم لظلت صـــفحة الوطنيين المصريين ناصعة البياض · ولظل الشرف الذى كان هالات نور حول الرءوس من أبطال ثورة ١٩ مضيئا متوهجا لا يغض شىء من توهجه ·

أما المبدأ الثانى فقد كان القضاء على الاقطاع ·

وقد نفذت الثورة هذا المبدأ فعلا وقضت على اقطاع الأرض واقطاع العمارات · ولكن الثورة لم تستطع أن تمس الصلات الحميمة بين الناس بعضهم وبعض وظل المحترمون محافظين على احترامهم بين الشعب ولهذا عادت اليهم الثـورة فى عـام ٦٦ لتنكل بهم أشـد التنكيل بدعوى أنهم استعادوا أموالهم · وصاح بهم الشيخ الجليل خالد محمد خالد لقد كونوا ثرواتهم فى ظل قوانين ثورتكم ولكن هيهات · اعتدوا يومذاك على أعراض الرجال وعلى حياء النساء وفرقوا كل معنى من معانى الانسانية ·

وبعد فهل قضت الثورة على الاقطاع أم قضت فقط على الاقطاعيين الذين كانوا يعيشون عند قيام الثورة · ان نظرة عابرة لا تحتاج الى امعان تظهرنا على الحقيقة القائلة وهى ان رجال الثورة واللائذين بهم والمنافقين لهم أصبحوا شرا من كل الاقطاعيين الذين قضت الثورة على اقطاعهم ·

لقد استولى رجال الثورة على القصور والأموال واجتمع فى أيديهم كل السلطان الغاشم الذى لا يعرف القانون ولا الانسانية · وأذلوا مصر كلها شر اذلال فصاروا أشد وبالا على المصريين من الاحتلال والاقطاع جميعا · وان ما أصدرته المحاكم فى عهد الحرية الأخير من أحكام لخير دليل على بشاعة ما شهدته مصر على يد الذين يدعون أنهم خلصوها من الاحتلال والاقطاع ·

وجريمة أخرى لا تقل بشاعة ارتكبت فى ذلك الحين فانهم فى حماة حقدهم على كل مالك تدخلوا بين مالك المسكن والمستأجر فتوقف البناء تماما فى مصر وكانت النتيجة هذه الأزمة الطاحنة التى نشقى بها اليوم والتى يعانيها أشد المعاناة شباب مصر حتى لنرى الوحشية تتملك من قلوب بعضـــهم ـ وان كانوا نادرين ـ فيحاولون التخلص من أبائهم لتخلص اليهم مساكنهم · وهذا الشباب هو الذى تدعى الثورة أنها علمته مجانا ولولاها ما تعلم ونسيت الثورة ان الكثيرين من قوادها كانوا فقراء بل كان بعضهم معدما ومع ذلك تعلم ولم تكن المصاريف المدرسية حائلا

ولا عائقا يردهم عن التعليم · لقد أعطت الثورة الفتات للشباب متمثلا فى التعليم المجانى الذى أصبح اليوم وهما كاذبا واستلبت حقه فى الحياة وفى أن يكون صاحب بيت أو صاحب رأى أو صاحب حرية · ويا ليت ما ناله الشباب من التعليم كان تعليما حقـــا · علم الله ما هو الا ورقة تمثل شهادة ما تلبث عند الاختبار وملاقاة الحياة والعلم الحقيقى ان تصبح هباءة لا تساوى قلامة ظفر ·

أما المبدأ الثالث فهو القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال ·

وقد حققوا هذا المبدأ بالاستيلاء على مصانع مصر كلها وأقاموا القطاع العام · والنتيجة واضحة للعيان ولا تزال الدولة منذ عهد السادات حتى اليوم تحاول أن تصلح المنهار من القطاع العام فتتقطع منها الأنفاس ويتسع الفتق على الراتق وما أهون كلمة الفتق فى هذا المقـــام ولعل الكلمة المناســبة لم تعرفها اللغــة بعــد ·· ربما كانت الاهتراء أو التمزق أو الاختراق ··

أما المبدأ الرابع فهو اقامة عدالة اجتماعية ·

وهذه طبعا كان لا يمكن أن تتحقق · وكيف لها أن تتحقق وقد أزالوا طبقة وكونوا هم من أنفسهم طبقة أخرى أشد منها سعارا وأبعد منهـا سلطانا وأقسى منها قلوبا وأعتى منها ضراوة وهى من قبل ومن بعد أقصى ما تكون نأيا عن الانسانية ·

ولقد أقاموا بدلا من العدالة الاجتماعية ارهابا شاملا واغتالوا كل معنى للعدالة : اجتماعية كانت أو غير اجتماعية ·

أما المبدأ الخامس فقد كان اقامة جيش وطنى قوى وان الذى حدث فى عام ٦٧ يغنينا تماما عن أى حديث فى هذا المضمار وان كان ينبغى ألا ننسى أن الجيش الذى كان قائما كان يستخدمه الطاغية لاستجلاب الأمجاد الشخصية لنفسه هو ولم يبال بشأن القتلى على جبال اليمن والكنغو وغيرهما · ومادمنـا نتكلم عن الأرواح فما يجوز لنا أن نذكر الأموال الضخام التى ألقيت فى ميدان هذه الحروب والتى أسهم القاؤها فى الخراب الذى نعانيه اليوم ·

أما المبدأ السادس فهو اقامة حياة ديمقراطية سليمة · وواقع الأمر أن الديمقراطية كانت تحتضر على يد الوفد قبل الثورة ولكنهـا كانت موجودة وكان الناس يعيشون فى ظلال منها لا شك فيها · وكان المنتظر

ان تقدم الثورة الدواء للديمقراطية فتصح من بعد مرض وتزدهر من بعد ذبول · ولكن الثورة رأت أن أيسر شيء أن تقتل الديمقراطية قتلا تاما فلم يكن لها وجود مطلقا ولم تعد الى الحياة الا على يد الزعيم الخالد أنور السادات · ثم هى اليوم تشهد أزهى عصورها فى عهد الزعيم العظيم حسنى مبارك ·

كم من مبادىء لها عند نطقها وقع فى النفس رائع وجليل ولكنها عند التطبيق تصبح ازهاقا لكل معنى كريم عرفته الحياة ؟ ·

١٩٨٦/٧/١٣ م الأهرام

الى الدكتور النمر ...

أهنئك يا فضـــــيلة الدكتور عبد المنعم النمر على جائزة الدولة التقديرية واعتذر اليك عن هذا الذى قرأته فى بعض الصحف لقوم تعودوا أن يصوتوا ولا يقولوا شيئا . ولا بأس عليك يا مولانا فانهم حشرات تخرج من جحورها اذا سمعت صفير الأم صادرا من هناك من تلك البلدة التى يحكمها مجنون فهى حكومة بلا عقل ، أو من هنا لك من تلك البلاد التى يحكمها ملاحدة فهى دولة بلا دين .

وأعتذر اليك مرة أخرى عن ذلك المأفون الذى اتخذ الحديث عنك طريقـا للنيل منى وقد دأب على ذلك وهو يستثيرنى اليه بشتى طرق ووسائل على أمل أن أرد عليه يوما فأجعل منه شيئا مذكورا وما هو بشىء حتى يكون مذكورا .

وانى يا سيدى الدكتور أنصحك ـ ان كان لمثلى ان ينصح مثلك ـ الا تفكر فى الرد على ما كتب فأنا قد أخذت على نفسى الا أرد وليس موقفى هذا لأنى أذكر بيت المتنبى الخالد :

واذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

اضرب عن هؤلاء جميعا صفحا واطو صفحتهم وهى مطوية بطبيعتها وهيا الآن الى كتابك الجليل الذى أصدرته منذ قريب والذى اعتقد أن العالم الاسلامى أحوج ما يكون اليه اليوم .

ان كتابك « الاجتهاد » الذى أقرأه الآن من أعظم الكتب التى ظهرت فى هذه الفترة الأخيرة وكم كنت موفقا حين كتبت تحت عنوان « الاجتهاد » ضرورة من ضرورات الدين والحياة . كيف كان ! وكيف صار ! وواجبنا الآن .. » .

واسمح لى يا مولاى أن أشد على يدك فى قوة لشجاعتك النادرة أن أصدرت هذا الكتاب تواجه به فئات كثيرة لا ندرى أيها أكثر ضلالا من الأخرى . فهناك الجامدون المتحجرون الذين يأبون أن يكون ديننا الحنيف

صالحا لكل زمان ومكان · وهناك المتكسبون بالدين ولا يريدون أن يتطور التشريع عند الشرح ومواجهة الجديد فى حياتنا والذين يأبون أن يقرءوا التاريخ ويروا الشافعى وهو الشافعى يغير الكثير مما أثبته عندما جاء الى مصر · فاذا كان هذا الامام الجليل يغير أراءه حين استبدل مكانا بمكان فكيف كان صانعا لو استبدل زمانا بزمان ·

لأحسب يا سيدى الدكتور ان الأئمة جميعا لو أنهم عاشوا زماننا هذا لغيروا الكثير من أرائهم وتفسيراتهم واجتهاداتهم ·

وأنت يا دكتور تواجه بشجاعة جماعات تريد أن تجعل الدين طوع أمرها وتجعل منه سلاحا فتاكا تشهره على حياتنا وأمننا وكرامتنا والمستقر الثابت من معيشتنا · يخيل اليهم فى خبال وجنون أنهم بما يمزقون من جنبات الحياة سيصلون الى الحكم ويصلوننا نيرانهم البعيدة كل البعد عن الدين القيم ·

واجهت هؤلاء جميعا بكتابك هذا الجليل وانه ليطيب لى أن أنقل هذه الفقرة الهامة التى جاءت فى كتابك تحت عنوان « هل أحاديث الرسول كلها وحى » وفيما تقول « يعنى : هل كل ما نطق به الرسول أو فعله أو أقره انما كان بناء عن وحى ، أو حراسة وحى ، بحيث لو كان غير سليم أو صحيح ينزل الوحى عليه ليصححه كما حصل فى بعض الأمور · بعض العلماء قال بهذا مستظلين أو مستدلين بقوله تعالى مدافعا عن رسوله « **والنجم اذا هوى · ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى · ان هو الا وحى يوحى · علمه شديد القوى** » ·· الآيات واعتبروا النطق عاما فهو لا ينطق ولا يقول الا عن وحى يوحى اليه ·· ومثله الفعل ·· ومع ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد برأه الله من الميل الى الهوى والغرض الشخصى فى كلامه وفعله اجماعا الا أنهم فى تفسيرهم انه لا ينطق الا عن وحى فى أى موضوع يتكلم فيه · ولو فى شأن من شئون الحياة العادية ، ولو كان فى الزراعة ، أو الطب ، أو الحكم فى أمر من الأمور ·· كل كلامه الذى ينطق به عن وحى أو الهام من الله ·· هكذا تصوروا استنادا لهذه الآية · وهو استناد خاطىء ·غفلوا فيه عن سياق الآية وسبب نزولها فالآيات مسوقة للرد على المشركين ، الذين ادعوا أن محمدا يكذب أو يفترى ويقول قولا يدعى انه من عند الله · وانه القرآن · وهم فى هـذا الادعاء يتجنون ويتجاوزون ما عرفوه عنـــه طول حياته · من أنه لا يكذب · وانه الصادق الأمين ، وذلك حين أراد الله نفى اتهامهم له بالافتراء فى القرآن أومأ الى هذه التجربة فى حيـــاته وقال : « **ما ضل صاحبكم وما غوى** » فهو صاحبكم ومغاشركم منذ الصبا والشـــباب ولم تجربوا عليه كذبا قط فكيف تتهمونه بالكذب الآن بعد كل هذا النضج » ·

وتقول يا دكتور فى موقع آخر ·· ونتيجة هذا كله أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يجتهد أحيانا ويقول باجتهاده · وكان اجتهاده قائما على القواعد العامة من القرآن » ·

وهكذا استطعت يا فضيلة الدكتور ان تقدم أعظم دليل على ضرورة الاجتهاد وعدم الوقوف بالآراء الشرعية عند آراء مضى عليها أكثر من ألف عام · فاذا كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو الموصول الأسباب بذات الله العلية يجتهد أفلا يجتهد علماء الشريعة والفقه الاسلامى ونحن نبدأ القرن الخامس عشر من ظهور الاسلام ·

والذى لاشك فيه أن الله ـ سبحانه ـ فى علياء سمائه قد أراد لنبيه أن يجتهد وأن يناقشه أصحابه الرأى ولو لم تكن هذه مشيئته لأوحى لنبيه بالرأى قبل أن يقول وبالعمل قبل أن يعمله فمن غيره ـسبحانهـ يعلم السر وأخفى · ولكنه يريد الرأى أن يكون شورى ويريد لنبيه أن يشاور أصحابه فى الأمر · بل ويريد لنبيه أن يكون انسانا من الناس يعتب عليه كما تفضل سبحانه وتعالى وكما ذكرت أنت فى عتابه للرسول فى أسرى بدر بقوله جل شأنه فى الآية ١٧ من سورة « الأنفال » ·· « **ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم** » ·

وكما عتب عليه سبحانه وتعالى فى أذنه السريع لبعض المسلمين المنافقين بالتخلف عن الخروج معه للجهاد وذلك بقوله جل شأنه فى الآية ٢٣ من سورة « التوبة » « **عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين** » ·

وكما عتب أيضا فى اعراض النبى عن ابن أم مكتوم بقوله تعالى : « **عبس وتولى ان جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى** » ·

فالنبى اذن انسان يجتهد ويستشير ويشار عليه الا حين يتنزل عليه الوحى من السماء·هنا تعنو لوجوه وتنحنى للحى القيوم ولا رأى هناك ولا مشورة وانما نسمع ونطيع ونخشع وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله ·

والنبى صلوات الله عليه وسلامه أدرى الناس بهذا بل هو فى خلقه الرفيع يتواضع حتى لنراه حين يقبل اليه رجل يريد أن يسلم ويقف

ببابه وقد أخذه الرهب وتمتلكه هيبة الرسول يقول له فى ايناس كريم وفى عظمة لا تكون الا : لنبى ادخل فما أنا الا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة · يا صلى الله عليه وسلم أهو هكذا فقط أليس هو نبى الله المختار وحامل الرسالة وخاتم النبيين وسيد البشر أجمعين ·

ومن أعظم الوقائع التى رويتها يا دكتور تلك التى حدثت من بربرة التى أعتقها أهلها وكانت زوجة لمغيث العبد فحين ملكت أمر نفسها بانعتق طلقت نفسها · وكان مغيث شديد الحب لها وكانت شديدة الكراهية له فكلم مغيث رسول الله فى ذلك فكلمها فى أن تراجعه وتظل زوجة له فقالت « أتأمرنى يا رسول الله » ·· قال « بل أنا شافع » فأبت بربرة أن تراجع زوجها وردت شفاعة رسول الله · أى دين سامق شامخ سماوى رفيع ديننا هذا · نبى اختاره الله ليتلقى كلامه من السماء يشفع لدى امرأة كانت فى أمسها القريب جارية نباع وتشترى ·· يشفع ولا يأمر صلى الله عليه وسلم · وهى ترد الشفاعة · ثم هى لا تجد بعد ذلك من الصحابة أى أعراض أو غضب عليها اذ ردت شفاعة رســـول الله وسيد البشر أجمعين ·

فماذا ترى يا سيدى الدكتور اليوم من بعض أناس قد ورمت أنوفهم ومسهم الكبر بزيفه يخيل اليهم انهم سيخرقون الأرض أو يبلغون الجبال طولا فاذا بلوتهم وجدت انتفاخ أوداجهم هواء ووجدت رءوسهم فراغا ·

أهنئك يا سيدى الدكتور بكتابك هذا القيم وأرجو الله سبحانه أن يستجيب العلماء فى مشارق الأراضى الاســـلامية ومغاربها لدعوتك ويقيموا مؤتمرا يتناولون فيه كل مسائل الفقه الخلافية حتى يقطعوا الطريق على الجهلاء والمدعين والمتاجرين بالدين القيم ·

وفقك الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ··

١٩٨٦/٧/٢٠ م الأهرام

من فيض الكريم

اقرأ هذه الأيام كتابا من أعظم ما كتب كاتبنا الكبير الأستاذ يحيى حقى · الكتاب بعنوان « من فيض الكريم » · وهو فعلا من فيض الله سبحانه وتعالى على الكاتب ·

والكاتب الكبير يحيى من هؤلاء الذين حين تستمع اليهم تحس بشعور عميق أن الكاتب كثير التفكير يعمل عقله فى كل ظاهرة من ظواهر الكون وهو لا يكاد يفلت خلجة من خلجات الحياة دون أن يوسعها تفكيرا وتقليبا لكل وجه من وجوهها · وهو فى هذا الكتاب مؤمن مستقر الايمان مطمئن كل الاطمئنان انه لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله · ويطالعك هذا الايمان المستقر المطمئن منذ العنوان الأول فى كتابه « لماذا أنا سعيد لأنى ولدت مسلما » ·

وتطالعك هذه المقالة بأعظم أنواع الايمان · ذلك الايمان الذى يمتزج فيه العقل بالروح والفكر بالشعور ، يقول فى مطلعه ·· « اننا فى الأغلب الأعم نرث ديننا · نشب على عقيدة أبائنا · فلو كنت مسيحيا مثلا ثم أسلمت بعد بحث ومقارنة واختيار لحق لى ان أكتب هذا المقال تحت عنوان « لماذا أنا مسلم » فمن أجل الصدق وحده أجعل عنوانه « لماذا أنا سعيد لأنى ولدت مسلما » ولا أكتبه الا فى نطاق مبدأ عام : ان الأديان كلها طرق متباينة متفرقة ولكنها تؤدى جميعها الى ساحة واحدة · ومع ذلك فأنا سعيد لأنى ولدت مسلما لأن الاسلام جاء للانسان بنظام يجد فيه فكره سموه لا انحطاطه ، راحته لا عناءه » ·

ثم يمضى الكاتب الكبير فى مقالته التى أسمح لنفسى ان الخص ما حوته فهو يرى أن هذا النظام الذى أتى به الدين الأعظم يستند الى وحدانية الله سبحانه وكل تفكير لابد أن يؤدى الى وحدة الكون فى عقل الانسان · وازاء الكون الواحد لابد من اله واحد · هو خالق هذا الكون الواحد · وبما أنه خالق الكون كله فهو رب البشر جميعا لا يختص به شعب الرسول دون بقية الشعوب · ويقول الأستاذ يحيى حقى فى نقلة أخرى انه ليس فى كتاب غير القرآن مثل هذا الالحاح المفصل على الانسان

ليعمل عقله ويتدبر الكون ويفهم أسراره حتى لقد ارتفع طلب العلم الى مقام الفرائض · ثم يقول الكاتب الكبير ان العقيدة علاقة حميمة بين الخالق والمخلوق لا تحتاج لوسيط ·

ويمضى الأستاذ يحيى فى مقاله على هذا النسق الرفيع من المنطق الذى يجعل الايمان أمرا يحتمه العقل ، واذا سرنا عمقا مع مقالة الأستاذ يحيى هذه لوجدنا أن الانسان الطبيعى غير ذى العوج فى المنطق أو الفهم · وغير ذى الهوى لابد أن يؤمن بوحدانية الله وبعظمة الدين الاسلامى وسموقه وتمكنه · وان دعوة الكتاب المنزل للتفكير هى وحدها أعظم دليل على قوة الدين ومتانته · وانك لتذكر آية واحدة من القرآن فلا تملك ألا أن تخر ساجدا للواحد الديان « **وفى انفسكم افلا تبصرون** » سبحانك جل جلالك ·

وتذكر هذه الصلة المباشرة بين الانسان وبين ربه فترسخ فى نفسك عظمة الخالق ·

فالخالق وحده هو الذى يجعل نفسه موئلا لكل الناس وليس لفئة دون فئة ولا حتى لأتباع دين دون دين آخر ·

وقد يطيب لى أن نتعمق معا ذلك العنوان الذى اختاره الأستاذ يحيى « لماذا أنا سعيد لأنى ولدت مسلما » فقد يدخل فى روع البعض أن معنى ميلادى مسلما اننى لم يكن لى اختيار فى عقيدتى وانما هى فرضت على بحكم المولد · وهذا معنى مرفوض جملة وتفصيلا · فاننا نولد مسلمين ونظل مسلمين بحكم المولد حتى نصل الى مرحلة التأمل والفكر وحينئذ نتعمق ديننا ونلبث عليه مختارين بالحرية الكاملة وبالفكر البعيد عن كل مؤثر خارجى وان فعلنا غير ذلك نكن منافقين مخادعين لأنفسنا وللناس جميعا ·

ويكون اسلامنا غير مقبول عند الله لأنه سبحانه فى علياء سماواته رضى لنا الاسلام دينا على أن ندخله مختارين لا مرغمين · أحرارا لا تابعين ·

والآيات كثيرة كقوله سبحانه لنبيه « **لست عليهم بمسيطر** » الغاشية آية ٢١ · وكقوله سبحانه « **فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب** » الرعد آية ٤٠ ، والآيات فى هذه المعنى متواترة ·

فاذا عجبت فاعجب معى لقوم يريدون أن يجعلوا من أنفسهم أنبياء ومسيطرين فى وقت معا ويريدون أن يكونوا مبلغين وما هم بمبلغين ومحاسبين وما هم بالهة ·

فان لم يكن هذا هو المروق والفوضى فماذا يكون ·

وانتقل فى ربوع الكتاب القيم « **من فيض الكريم** » للأستاذ يحيى حقى فأقف عند مقالة له بعنوان « لبيك اللهم » يقول فى مطلعها « نويت أن أصلى » نويت أن أصوم نويت أن أحج ، يتطلب الاسلام ممن يؤدى فرائضه ان يكون أول شىء يفعله هو أن يحزم أمره · ويعقد نيته على أداء الفريضة ولو سرا بينه وبين نفسه والجهر بها أفضل ينطق اللسان وتسمع الأذنان ويستقر فى الوجدان ويتجسم المعنى فى كلمات واضحة لها رنينها ومذاقها وأريجها فى عقد النية واعلانها توفيرا لكل الضمانات على صدقها وقضاء على نوازع التشكك والتردد · وهذا هو التوقيع على صك التعهد والاحساس بالالتزام واعلانه وقبول تحمل مسئوليته ، فهو يتطلب منه أن يتيقظ كل التيقظ لما هو قادم عليه من قبل أن يقدم عليه فلا يؤديه أداء آليا ، وذهنه سارح أو غافل أو مشغول بأفكار ومطامع » ·

الى أن يقول الأستاذ يحيى : « لا عجب أن بدأ البخارى بحديث شريف كأنه لحن افتتاحية ليسيمفونية عظيمة · لا حد لاعجابى به ، وحبى له ولا ينقطع لسانى عن ترديده كأن كلماته فصوص من الماس » ·· الى أن يذكر الحديث الشريف وهو قوله عليه الصلاة والسلام ·· « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى » ·

وقد أعجبت بهذه المقالة فى الكتاب كل الاعجاب ورحت أفكر وما لبث أن ومض فى ذهنى خاطر مضىء كأنه نور مشع · انما الاسلام كله مسئولية ونية المسئولية هى ظاهر الأعمال والنية هى الباعث الخفى · ونحن أمام البشر أجمعين ليس لهم منا وليس علينا لهم الا الأعمال أما خافية نفوسنا فهم لا يريدون منها شيئا وان حسبوا انهم يعلمون · أما نحن أمام الخالق فمحاسبون على العمل وعلى النية جميعا ·

وقد نخطىء فى عملنا مع البشر فيحاسبنا البشر حسابا عسيرا لأنهم لا يعرفون ما تنطوى عليه ضمائرنا · اما ان أخطأنا عن غير قصد فى مسئوليتنا الدينية أمام الله سبحانه الذى يعلم السر وأخفى والمطلع على طوايا النفس وأحنائها فانه يمحو عنا خطأنا وكأننا ما أخطأنا · ولذلك فاننى أدهش حين أسمع قائلا يقول لآدمى « يا أخى اغفر خطأ فلان فان الله يغفر » وهذا منطق مقلوب ان الله يغفر لأنه الله · ولأنه الرحمن ولأنه الرحيم ولأنه الغفور ولأنه المطلع على خفايا الضمائر وأعماقها · أما البشرى

فما هو برحمن ولا هو برحيم ولا بغفور ولا هو بمطلع على الضمائر وان ادعى ذلك · ومن أجل هذا فانه لا يغفر الا القـــوم الأقربون الى الله جل علاه ·

ومن هنا أعجب معى مرة ثانية وثالثة وألفا من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قواما على ديننا · أين هم من ذلك · وهموا وضلوا وضللوا · وخاب سعيهم · وفشل رجاؤهم من أى تشريع أعطوه لأنفسهم هذا الحق · وما هو لهم حق ·

أيحسبون أنفسهم آلهة · · أين هم من ضمائرنا ومن ايماننا الذى لا يدريه الا الله وحده · والذى اختص نفسه سبحانه بالاطلاع عليه · أم يريدون أن يجعلوا الناس أمامهم يقومون بمظاهر الدين وما يبدو منه · أفهذا هو الدين عندهم · ساء ما يحكمون · ان الدين لله وحده · وهو وحده سبحانه موئلنا وملاذنا اليه صلاتنا وصيامنا وزكاتنا وحجنا · وان لم نؤد هذه الفروض بالنية الخالصة لذاته ـ جلت ذاته ـ فهو وحده القادر على أن يردها علينا غير مقبولة · فما هو بحاجة الى توحيدنا ولا الى صلاتنا ولا صيامنا ولا زكاتنا ولا حجنا · فانه سبحانه هو الغنى عن العالمين · فكيف لهؤلاء المتطرفين أن يعرفوا عن أى مصدر فى نفوسنا نقوم بطقوسنا الدينية ·

انهم يريدون أن يركبوا الدين وسيلة الى التحكم فينا · وويل لنا كل الويل اذا تمكن منا هؤلاء · وأى فئة أكثر ضلالة من فئة تستغل دين الله وهو دين الله ليصلوا به الى مطامع دنيوية فانية · واذا كانوا لا يعرفون أن كل سلطان الى زوال الا سلطان الله · فما شأنهم بالدين اذن ·

واذا كانوا لا يعلمون أن الدين انما هو احتقار للدنيا وسعى الى العليا · وعزوف عن الفانية نظرا الى الباقية · واذا كانوا لا يعلمون أن الانسان كادح الى ربه كدحا فملاقيه · فهم اذن أبعد ما يكونون عن جوهر الدين ولبابه ·

فليتخذوا لأنفسهم ملعبا يلهون فيه وبه وليتركوا الدين لعلمائه وفقهائه وليتركوا الناس ليعبدوا ربهم الذى خلقهم والذى يعلم ما ظهر منهم وما بطن وهم له عابدون · حبا وأملا ورغبا ورهبا · وان الناس فى غناء كل الغناء عن قوم يريدون أن يفرضوا أنفسهم عليهم طواغيت وجبارين · والله سبحانه وتعالى جل أن يكون الجهلاء دعاة لدينه الأقوم ولكتابه الكريم ··

١٩٨٦/٧/٢٧ م الأهرام

انهـــا مصر

كنت أشاهد فى التليفزيون فيلما أجنبيا تدور أحداثه فى الحرب العالمية الثانية · وبطل الفيلم يفوم بدور جندى من الجنود البواسل فقد الثقة فى الهدف الذى تحارب من أجله انجلترا وطنه ·

واذا ببطلة الفيلم تطالعه بالنقد الشديد لتصرفه وفى منولوج رائع تذكره بأن الهدف هو انجلترا ذاتها · وفجأة وجدت نفسى أصحو الى حقيقة مصرية دامية · ان أغلب الشعب المصرى جنود هاربون من الميدان فى وقت مصر فيه تواجه حربا سفاكة ضارية ·

ان مصر تحارب أخطاء أربعين عاما أورثتها الفقر والانهيار فى كل مرافقها والنقص فى ضرورات حياتها · ولكن أدهى ما تواجهه مصر فى هذه الحرب هو هرب أبنائها من الميدان · فقد أصبح أغلب أبنائها يفكرون فى الشئون التى تدور فى حجرات بيوتهم ولا يفكرون فى شأن مصر على أنهـــا الوطن الأكبر الذى لولاه ما وجدت هذه الحجرات التى يدورون باهتمامهم فى داخلها وينصرفون كل منصرف عما يحدث فى خارجها من معاناة شعب هو شغبهم وأمه هى أمتهم · انها مصر ·

مصر هى تلك الصلة الحميمة بين الأم وابنها · لا ليست صـلة فرد لأمه · وانما تلك العلاقة الالهية الرفيقة الجبارة التى تصل الأم بابنها : وهذه الصلة الشامخة الخفية · الصارخة الهامسة · التى تصل بين قلب الأب وكل نبضة حياة من نبضات الابن ·

هذه العلاقة وتلك الصلة فى معناها المجرد والأسمى وليس فى مفهومها المحدد الضيق الذى تضعه الأسماء فى اطار له طول وعرض · انما أريد المعنى المطلق للأمومة والأبوة · هذا المعنى الذى لا ينتهى الى نهاية ولا تشمله معالم بينة الحدود · انها علاقة الأم بوليدها وعلاقة الأب بابنه طليقة لا تقيدها أسماء أو أشخاص أو اطارات بذواتها ·

مصر هى صلة الانسان بكل شجرة نشأ فى ظلها وغرست جذورها فى صميم مشاعره وفى الأعماق البعيدة من كيانه · كل شجرة وجدها

أمام بيته أو على ضفاف الجدول الذى يجرى فى حقله أو فى طريقه وهو طفل الى المدرسة أو تلك الشجرة التى سمع مع حفيف أوراقها همسة حب أو كلمة حنان · أو تلك التى رأى تحت أغصانها نظرة وفاء · أو تلك التى أحس وهو مستند الى جذعها ناظرا الى الماء الرقراق يجرى تحتها لحظة رضا عن الدنيا واقبال على الحياة ·

انها مصر بكل ذرة أنبتت مطعمه · أو سار عليها فشعر بالحنان يتصاعد الى قلبه دفئا فى الشتاء ونفحة هواء رطيب فى حر الصيف · بكل ذرة استنشقها فشم فيها حضن الأم الرءوم ·

انها مصر بكل نسمة عبير استافها شهيقا وأعادها الى وطنه زفيرا يشارك الوطن نضح عرق يروى الحياة فاذا الجاف من الزرع يضحى أخضر خضلا يهب للحياة دماءها ومعناها ·

انها مصر بكل صلاة فرض من فروض الله · وبكل آذان يتعالى فى أنحائها وبكل تسبيحة حب وشكران للخالق الوهاب · الرحمة المطلقة والغفران العريض يلف التقى فى سيبه والمعاصى ·

انها هى بكل كلمة صدق خطها قلم كاتب وكان مداده دماء القلب · وكان هدفه الأعلى خير مصر · انها هى بكل نغمة جميلة رددتها شوارع مصر وحواريها وأزقتها وحقولها وشواطئها · مصر بكل لمسة ريشة لفنان رسم بها خلجة من خلجاتها ووجها من وجوهها ولوحة من جناتها وشاطئا من بحارها وغديرا من خلجانها ·

مصر بكل ضربة فأس أنبتت الحياة وشقت ظلام الفقر عن نور الوفرة · مصر بكل لحظة جهد مقدسة يبذلها عامل فى مصنع · بكل خطوة مشاها شرطى فى سبيل أمنها ·

مصر بكل قطرة دم جاد بها محارب فى سبيلها · وبكل ما ضحى به الأبناء تركهم آباؤهم ليستشهدوا من أجلها · وبكل ما ضحى به الأمهات والآباء وهم يرون أبناءهم الذين هم أعز عليهم من أنفسهم يصعدون الى السماء فى عليين ويتركونهم صرعى ، حيارى ، الموت عندهم أجمل من الحياة ، يتخبطهم الحزن ويأكلهم الأسى ثم لا يجدون الصبر الا احتسابا من أجل مصر ·

مصر بكل بيت شعر قاله شوقي أمير شعراء العربية منذ عرف الناس الشعر العربى حتى اليوم · وبكل بيت قاله شاعر مصرى سبقه أو شاعر مصرى لحق به ·

مصر بكل نبضة حب طهور بين فتى وفتاة وبكل خلجة تعاطف ورحمة بين زوجين · وبكل ايثار يبذله أخ لأخيه أو صديق لصديقه ·

بكل سماحة علوية يعفو بها أخ أكبر عن أخ أصغر · وبكل خطرة مودة يسعى بها أخ أصغر الى أخيه · بكل وشيجة وفاء بين أبناء الانسانية· بكل كلمة سلام فى ثورة غضب · بكل تحية معطرة كريمة يحطم بها عدو سياج عداوة ليقيم مكانه بناء مودة وحب ·

مصر بكل قمة مجد تسنمتها منذ مشرق التاريخ وقبل التاريخ · بكل منارة علم قامت باسمها فى أنحاء الدنيا العريضة · وبكل أهزوجة فن طارت من أهرامها الى أنحاء العالم ·

مصر بكل لحظة هناء فى حياة مصرى أو مصرية · بكل فرج من بعد ضيق · وبكل يسر من بعد عسر · بكل برهة عناء كشفه الرحمن عنها بكل هنيهة شقاء رادفتها سعادة · وبكل خلجة قلق واكبتها مشاعر أمن وسكينة واطمئنان ·

مصر هذه تحتاج اليك لتكون جنديا فى الساحة · سلاحك من حب وركابك من عزم · والعاقبة فى حربنا هذه مؤكدة لا شك فيها · فليس غير النصر فى انتظارنا · فان الله ينصر من ينصره · وان مصر التى تعودت دائما أن تعطى لا يضيع عندها أجر الصادقين المحسنين العاملين ·

١٩٨٦/٨/٣ م الأهرام

الـكاتب حـق

قد يحسب بعض الشـباب من الكتاب ان الكاتب ثورة دائمة · ورفض مطلق ، وتلك نظرة سطحية فجة · ان الكاتب أولا وأخيرا كلمة حق · انه صدق مع نفسه ليكون عند الناس صدقا · وان لم يكن الكاتب عند الناس ثقة وحقا فهو لا شيء وليس يجدى أن يكون له مصفقون وهتافون ودعاة بين الصحفيين · فكل هؤلاء لا يستطيعون أن يجعلوا القراء يحترمون الكاتب فى دخيلة أنفسهم ·

ليس الكاتب مجرد ضجة فى الحياة · وليس هو طلقات مدافع فى الهواء · فذلك شأن أصحاب السرك والبهلوانات وليس شأن الكاتب · ان الكاتب لا عمل له فى الحياة الا أن يكون موصول الوشائج بالجماهير · يخاطب عقولهم · ويهز عواطفهم · ويصـــل الى الخوافى البعيـدة عن نفوسهم · ولن يستطيع كاتب أن يبلغ من هذا شيئا اذا لم يصل الى مكانة شريفة عند القارىء · فان القارىء لن يفتح عقله وقلبه وعواطفه الا لمن يثق به ويقدر مكانته · قد يختلف معه فى الرأى ولكنه يحترمه ·

ومادام يحترمه فانه سيناقش رأيه ويواجه كل حجة بحجة · وكل رأى برأى فاما أن يقتنع بما يقول الكاتب أو يرفضه ولكنه على الحالين يوقر الكاتب وينزله من نفسه منزلة التقدير والاكبار والاجلال ·

والقارىء الذى يستحق لقب قارىء لا يأبه بحفلات الزفاف التى تقام لأى كاتب وليس يعنى بالمواكب التى يصطنعها أصـدقاء كاتب ما لأعماله ولا يأبه القارىء الجدير بهذا اللقب بطلقات النـار التى يطلقها الصغار فى زفة الصحافة مصوبة الى الهواء · انما القارىء يعنى فقط بما أنتجه الكاتب من عمل · مقالة كان هذا العمل أو رواية أو قصة أو كتابا أو كان العمل قصيدة أو ديوانا ·

قد تصلح هذه المواكب أن تجعل الكاتب شهيرا · ولكن ان كانت الشهرة وحدها هى ما يسعى اليها الكاتب فهذا أتفه من أن يكون كاتبا وأحقر من أن يحمل قلما · انما الشهرة التى يصيبها الكاتب أثر جانبى يتم له دون أن يسعى اليه · فليس الكاتب مهرجا يوزع اعلانات الحفلات ولا هو طبالا يضرب طبوله ليعلو منها الصوت ثم لا تقول شيئا ·

انما الكاتب رأى · والرأى منطق · والمنطق ثقافة · والثقافة جهد وبحث وعناء · وان حاول الكاتب أن يستغنى عن هذا جميعا بادعاء الثورة على مجتمعه · أو بالتظاهر برفض كل ما هو مستقر من قيم جماعته وأمته · فانه قد يشتهر أمره بين الناس حينا ثم ما يلبث أن يخبو منه الضوء فما هى الا عشية وضحاها حتى يصبح بين الناس أضحوكة · أو يصبح على الأقل نسيا منسيا · وان دام حوله التهليل وان علت باسمه الطنطنة فانه سيظل عند الناس غير ذى مكانة ولا احترام ولا توقير ·

وقد تسألنى ما حديثك هذا عن القارىء الجدير بهذا اللقب ·· ومن حقك أن تسأل · فقد يظن بعض الناس أن كل من يقرأ قارىء وتلك أغلوطة ما أبعدها عن الصواب ·

ان القارىء هو الذى يقرأ للكاتب وليس القارىء من يكتفى بأن يقرأ عن الكاتب · وانه كثيرا ما نكتب الصحف أخبار الكتاب · وأنباء ما يشهدون من ندوات أو ما يذيعون من مقابلات بالاذاعة والتليفزيون · وكثيرا ما تتناول الصحف والمجلات أنباء طريفة عن بعض الكتاب قد تكون مسلاة للقراء · أو قد تروى الصحف والمجلات أخبارا عما يعد للكاتب من روايات فى السينما أو الاذاعة أو التليفزيون أو المسرح · ولكن الكاتب ليس هذه الأخبار · وانما الكاتب هو ما يكتب وما يقول لا ما يكتب عنه من أخبار وما يقال عن أعماله من أنباء ·

ولا بأس بالقارىء أن يطالع هذه الأنباء ولكنه ان لم يقرأ ما كتبه الكاتب من انتاج أدبى فهو ليس قارئا وانما هو واحد من الناس الذين يريدون أن يتسلوا بالحديث عن أنباء الكتاب ·

القارىء الجدير بلقبه هو هذا الذى يتابع الكاتب فيما يكتب وليس فيما يحيا من حياته الخاصة · وهؤلاء القراء نادرون ·

أذكر اننى كتبت بجريدة الأخبار مقالة نقدية عن عمل لأستاذنا نجيب محفوظ وفى يوم ظهور المقالة وكان ذلك منذ عشرين عاما ونيف ـ طهر بالصفحة الأخيرة من الأهرام خبر عنى أننى دعوت ممثلة كانت مرشحة لدور فى فيلم عن احدى رواياتى الى بلدتى بالشرقية وأننى قدمت لها الفطير المشلتت · وأذكر فى ذلك اننى لم ألق أحدا من الناس الا حدثنى عن خبر دعوتى للممثلة الى بلدتى غزالة · ولم ألق أحدا حدثنى عن المقالة التى نشرتها بصحيفة الأخبار · كل هؤلاء الذين لقيتهم فى هذا اليوم لا أعتبرهم قراء · انما هم مطالعون يبحثون عن الأنباء المسلية ليملأوا فراغ يومهم فهم يتسلون بنا ولا يقرءوننا ·

وأذكر اننى دعيت الى ندوة عن رواية لى بقصر الثقافة بالاسكندرية بمناقشة رواية لى كانت قد عرضت بالتليفزيون · ولكن الندوة كانت لمناقشة الكتاب طبعا لا العرض التليفزيونى · فأنا مسئول عن كتابى الذى أوقع عليه ولست مسئولا عن أى عمل ينتج عن رواية لى سواء كان ذلك فى السينما أو التليفزيون أو المسرح أو الاذاعة ·

وقبل الندوة جلست بحجرة رئيس قصر الثقافة ليقدم لى فنجان قهوة · وبينما أنا فى هذه الحجرة قدم الى أستاذ ذو وقار ووجاهة وقدم نفسه لى فاذا هو أستاذ أدب عربى باحدى الجامعات فرحبت به واستقبلته بما يخلق بأستاذ جامعى · وجلس الدكتور الى جانبى وراح يمتدح روايتى موضوع الندوة ويبدى اعجابه الشديد بها وفى سؤال عابر لم أكن أشك فى اجابته بل ربما دعانى الى طرحه ذلك الارتباك الذى أشعر به دائما اذا طالعنى المديح مواجهة · فأنا حينئذ لا أجد شيئا أقوله الا غمغمة ليس لها معنى وهمهمة لا تكاد تبين · وجمعت كلمات سؤالى بصعوبة بالغة وقلت للدكتور ·

ـ طبعا حضرتك تتحدث عن الكتاب ·

وصعقت وأنا أسمعه يقول فى بساطة بلهاء ·

ـ لا والله فأنا لم أقرأ الكتاب وانما شاهدته بالتليفزيون · وطبعا لم أكمل الحديث معه والتفت الى الآخرين الجالسين معنا ورحت أتحدث اليهم وكأن الدكتور غير موجود · انه ليس بقارىء فكيف يكون أستاذا ·

والكاتب لا يعنى بهؤلاء الذين يقرءون عنه وانما يهتم اهتماما بالغا بمن يقرءون له ·

والكاتب أيضا ليس يعنى بمن يسبه لمجرد السباب أو يمتدحه لمجرد المديح · وانما يعنى كل العناية بمن يعارضه رأيا برأى وحجة بحجة · ويعنى كل العناية ويحمد غاية الحمد أولئك الذين يمتدحونه عن بينة ووعى مقدرين فنية العرض عنده وعمق المعانى التى يعبر عنها والأبعاد التى تنبعث من أعماله ·

ولا يستطيع كاتب أن يرضى الناس جميعا · وأذكر فى عام ١٩٥٨ م أن ناقدا تناول عمـــلا لى بنقد قاس عنيف فى احدى المجـلات العربية · ووجدت نفسى وأنا أقرأ المقال أثور ثورة عارمة وأعد نفسى للرد عليه ·

وفى غضبتى طلبت أستاذنا نجيب محفوظ لأشهده على هذا النقد الجائر الذى كتبه ذلك الناقد فاذا نجيب يشعر بالثورة التى تعتمل بنفسى ويقول فى هدوء رزين ٠

ـ الله ٠٠ ماذا جرى يا فلان ٠ وهل تنتظر أن يرضى عنك كل الناس ٠ اننا اذا أرضينا نصف قرائنا نكون قد حققنا نجاحا ساحقا ٠

ونزلت كلماته على ثورتى ماء قراحا ووجدت نفسى سعيدا بعد غضب هادئا بعد فورة ٠ اذا كان نجيب محفوظ يقول هذا فانه يصبح حتما على من الحتم الا أغضب لنقد أبدا ٠ ومنذ ذلك الحين لم أرد على ناقد لعمل لى قط وما أحسب أننى سأرد على ناقد لى أبدا ٠ وفلسفت هذا الموقف لنفسى بأننى اذا كنت اليوم حيا وأستطيع أن أناقش ناقدا فماذا أنا صانع فى غد حين أكون بجوار رب كريم وينقد ناقد كتابا لى ٠ واقتنعت أيضا أنه ما دام الناقد قد كون رأيه عن كتابى على النحو الذى نشر به نقده فذلك شأنه ٠ فانه اذا كان صادقا مع نفسه فهو يعبر عن موقع عملى فى نفسه تعبيرا أمينا ٠ أما اذا لم يكن صادقا مع نفسه فما حاجتى اليه وما حيلتى فيه ٠

أما الذى يسبنى دون نقد فاننى أجد نفسى كانسان مسوقا الى الرد عليه لأبين له على الأقل أن السباب أيسر الأمور وأنه اذا كان يبيح هذا لنفسه فعليه أن يتحمل ما أبيحه أنا أيضا لنفسى ٠

أما اذا كان السباب من نكرات يحاولون به أن يتواثبوا على أكتافى فاننى أحرمهم من تحقيق أملهم ولا أذكرهم وكأنهم ما قالوا وماكانوا ٠

والكاتب صاحب رأى ولكل صاحب رأى معارض ٠ وكم اختلفت مع أبى الروحى وزعيم كتاب العرب توفيق الحكيم وكم احتدم بيننا النقاش ولكن هذا الخلاف لم يستطع يوما أن يمس شعورى نحوه بالبنوة وشعوره نحوى بالأبوة وهى بنوة وأبوة لا تقف عند المشاعر بل وتعدوها الى أنه يعتبرنى المسئول الأول عن كل ما يمكن أن يطلبه أب من ابنه فى مألوف حياة الأبناء والآباء ٠

وكم اختلفت مع أخى الأعز الكاتب الكبير عبد الرحمن الشرقاوى ٠ وقد كتب كل منا رأيه المعارض للآخر فما ندت منى كلمة تمس احترامى اله واكبارى وما خط قلمه فى معارضتى الا كل حب وعفة ٠

واذكر اننى عارضت رأيا له فى مجلس الشورى معارضة عنيفة ثم خرجنا معا من الجلسة بعد انتهائها وجلسنا فى استراحة الأعضاء نتبادل الحديث ونرتشف القهوة · ويمر بنا اخواننا الكرام أعضاء المجلس فيصيبهم الدهشة والعجب · كيف عارض كل منا الآخر داخل الجلسة ثم خرجنا وكأن كلا منا يؤيد الآخر · ولم يدهش الأعضاء بعد ذلك حين رأوه ورأونى يؤيد كل منا الآخر داخل الجلسة فى كثير من الآراء · فان المعارضة بيننا هى فى ذاتها عارضة وليست أصيلة · وهى أيضا لا تجرؤ أن تمس تلك الصلة الحميمة الحبيبة العميقة التى تربط الصديقين الأخوين منه ومنى ·

الوحيد الذى لم أختلف معه قط هو أستاذنا نجيب محفوظ على طول سنوات الصداقة الحميمة بيننا وهى صداقة تزيد عن صلات كثير من الأخوة وقد زادت ـ أدامها الله ـ عن أربعين عاما · والعجيب أن توافقنا فى أعمال أدبية كثيرة صدرت له ولى فى أوقات متزامنة ·

وبعد فأنا لا أعرف أننى ـ والحمد لله ـ لا أحمل عداوة لأحد من الكتاب ومهما تختلف بنا الآراء فاننى أكن له الاحترام مادام كاتبا حقا وليس مزيفا وأعتقد أو ربما يحلو لى أن أعتقد انه هو الآخر يحتفظ لى بنفس هذه المشاعر ·

١٩٨٦/٨/١٠ م الأهرام

الفضل لا يضيع !

قرأت منذ قرابة أسبوعين في عمود فكرة للصحفي الكبير الأستاذ مصطفى أمين مقالا هز مشاعري وجعل الأفكار تنثال الى ذهني في ترسل بعضها يمض النفس وبعضها يمدها بالاشراق والسكينة ٠

قال الأستاذ الكبير في فكرته ، كانت هوايته أن يخدم الناس ، كل الناس ٠ السجين يفك أسرة والمظلوم والمقهور يفك ضيقه ٠ الباكي يجفف دمعه ٠ الجريح يضمد جراحه ٠ الواقع على الأرض يأخذ بيده ٠ وشاء قدره أن يكون بقرب أحد الحكام وتصور الناس ان بريق السلطة سوف يغيره وان هيلمان النفوذ والسلطان سوف يبدله ٠ واذا به يزداد قربا من الناس وتفانيا في خدمتهم واصرارا على رفع الظلم عنهم ٠ وكثيرا ما ضاق به الحاكم ٠ كل يوم يراه يجده يحمل على رأسه المظالم والشكاوى والالتماسات » ٠

ويروي الأستاذ مصطفى أمين بعد ذلك أن الحاكم ضاق بما يحمله اليه من مظالم وماس وحاول أن يتنبه عن هذه الخصلة التي من شأنها ان تجعل صدر الحاكم غاضبا حرجا فلما أبى ان ينثني ومضى في طريقه يرفض ان يرى ظلما ويسكت عنه أو قهرا ولا يحاول ان يرفعه أو مقتا يحيق بانسان ولا يسعى أن يكشفه ٠ فلم يجد الحاكم بدا من ابعاده عنه ٠

ولم يعد يقابله كل يوم في الصباح والمساء كما كان يفعل في أول عهده ٠ وأصبح يراه مرة كل أسبوع ما لبثت أن أصبحت مرة كل شهر ثم مرة كل عام والرجل مع ذلك لا يكف عما دأب عليه فان لم تسعفه مقابلة الحاكم لجأ الى الخطابات يرسلها اليه ٠

وينتهي الأستاذ مصطفى أمين بكلمة حزينة دامعة ليس الحزن فيها أو الدمع من أجل الرجل وانما من أجل الوفاء والانسانية جميعا ٠ يقول الأستاذ مصطفى أمين ٠

« ثم مات الرجل وفوجئت ان أحدا لم يشترك في جنازته أو يحضر مأتمه أو يعزي أسرته » ٠

أنا لا أعرف هذا الرجل الذى روى عنه الأستاذ الكبير وأنا أيضا بطبيعة الحال لا أعرف الحاكم الذى يشير اليه الكاتب · ولكننى أعرف اننى لم أشعر بعجب من نكوص الانسان عن أداء واجبه العزاء فى رجل قضى حياته فى خدمة الانسان وأقصى عن الصدارة من المقاعد التى تحف بالسلطان من أجل الانسان ·

وتذكرت أبيات شوقى للأميرة أم المحسنين التي تبرعت بمجوهراتها لانشاء جامعة القاهرة وقد وقعت بينها وبين الملك فؤاد جفوة فمنع استقبالها وهى عائدة من الحج فقال شوقى :

برىء الرفق من السيف الذى ... منع الأم ملاقاة البنين
حجب النعمة حتى وجدت ... بينها سدا وبين الشاكرين
رب يوم عدت فيه من منى ... ومن الخيف ومن دار الأمين
من دنا من ركبك العالى به ... آب فى القرية معدوم القرين
نسيت روعته فى بلد ... كل شىء فيه ينسى بعد حين

فاذا كان هذا يحدث للأميرة وهى أميرة والناس تعلم ان الشقاق بينها وبين الملك ما يلبث ان يزول فالملوك دائما كالبحر القلب لا يدوم لهم رضا ولا يمكثون على غضب · وانهم فى أغلب أحوالهم يحبون بلا مبرر ويكرهون بلا سبب وينطبق عليهم البيتان القديمان ·

لا تمدحن ابن عمار اذا نديت ... كفاه يوما ولا تذممه ان حرما
فانها خطرات من وساوسه ... يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما

اذا كان الناس يعلمون دلك ومع هذا يمسكهم الرعب ان يهنئوا الأميرة على عودتها وهى على قيد الحياة · فهم اذن أكثر منطقا مع أنفسهم ان يردهم الحذر من السلطان ان يشيعوا من بذل حياته من أجلهم الى مقره الأخير مخافة أن يسمع السلطان بسعيهم هذا الى التوديع فيقبض عنهم رضاءه ان كان راضيا أو ينزل بهم سوط عذابه ان لم يكن عنهم راضيا ·

وذكرنى مقال الأستاذ مصطفى أمين بقوم دأبوا الا ان ينتقموا من أولئك الذين أغدقوا عليهم الخيرات اغداقا · فأنا أعرف بعض الناس كان

لهم أصدقاء قريبون من بيوت الحكام • فكانوا يلجأون اليهم ليستطيعوا ان يعيشوا وكان أصدقاؤهم يلبون رغباتهم وكانوا بهذه التلبية يمكنونهم من العيش • ثم انقلبوا عليهـــم أعداء ذوى شراسة وحقد وكراهية لا تتأتى لاعدى الأعداء •

أعرف واحدا كان يتعلم على نفقة قريب له وأصبح هذا الفقير ذا سطوة وبطش وسلطان فاذا هو يتقصد قصدا ان يهين قريبه هذا ويحاول ان يذل أبناءه بكل وسائل الاذلال ولولا ان صاحـــب الفضل كان أرفع من الهوان ولولا ان أبناءه كانوا ذوى كرامة وشموخ لتمكن منهم قريبهم هذا الذى لم ينل شهادته الا بفضل بيتهم •

ولا أنسى حوارا بين الكاتبين الكبيرين يوسف السباعى ـ رحمه الله ـ وعبد الرحمن الشرقاوى ـ أطال الله عمره ووهب له الصحة والعافية ـ منذ أكثر من عشرين عاما • يقول يوسف : ـ يـا أخى هذا الفتى يشتمنى ويسبنى فى كل يوم بالجرائد مع اننى قدمت له خدمات لا أول لها ولا آخر وبعضها كان له أثر ضخم فى حياته •

فاذا الشرقاوى فى ذكاء وظرف ومعرفة بنفوس الناس يقول :

ـ طيب انت يشتمك لأنك صاحب أفضـــال عليه فلماذا يشتمنى أنا وأنا لست صاحب فضل عليه •

وهذان المثالان أقدمهما الى الناس والى الكاتب الكبير نموذجين عابرين فى حياتى أسعفتنى بهما الذاكرة ولو أننى تقصيت أمثالهما لما نضب القلم ولملأت مئات الصفحات •

ان الكراهيـة التى رأيتهـا من المفضـولين على المتفضلين كراهية تتقاصر دونها كراهية أشد الأعداء لدودا وأعمقهم خصومة وأبعدهم حقدا •

كأنما يحاول هؤلاء الجاحدون ان ينتقموا من الزمن فى أشـخاص المحسنين اليهم وكأنى بهم يريدون أن يقتلوهم ويفنوهم حتى لا يبقى على ظهر الدنيا من يعرف انهم كانوا يوما فى شدة وانهم مدوا أيديهم واحتاجوا فى فترة من فترات حياتهم •

ولا أستطيع أن أنسى ذلك الشاب الفقير الذى سعى الى موظف بوزارة الأوقاف لتقرر له الوزارة راتبا شهريا من الخيرات • واستطاع الموظف

أن يحصل للطالب على هذه الاعانة . ويتخرج الفتى محاميا . ويذهب اليه صديقه بأوراق قضية خطيرة فى حياته ويقبل المحامى أوراق صديقه فى ترحاب وفى تظاهر بالفرح أنه سيتمكن أخيرا من رد بعض أفضال صديقه .

لا لم يطلب منه أتعابا ويا ليته فعـــل . وانما باع أوراق القضـية للخصوم وخسر صاحب الفضل دعواه وكانت حصيلة الدعوى آلافا من الجنيهات وكانت الأموال تخصه وتخص اخوته معه . وحتى لا أبث الحزن فى نفس القارىء أبادر فاذكر أن الخصوم كانوا أشرف من المحامى الخائن وتصالحوا فى الدعوى صلحا عادلا .

ولا تعجب اذا قلت لك ان صاحب الفضل أبى الا أن يظل صاحب فضل ورفض أن يتقدم بشـكوى الى نقابة المحامين فى تقية منه لله أن يضيع مستقبل المحامى ضياعا كاملا .

ولا تعجب أيضا ان قلت لك أن هذا المحامى لم تمر عليه الا فترة قصيرة فى المحاماة ثم رفع اسمه من الجدول دون أى تدخل من صديقه الذى آثر أن يظل كريما الى النهاية .

وبعد فهل يصنع الانســـان ذو النفس الكريمـة المعروف وينتظر الجزاء . عند من يمد لهم العون .

انا واثق ان الأمر ليس كذلك . ان الذى يقدم الخير للناس ينال أحسن الجزاء وأفضله وهو يقـــدم هذا الخير . لا شىء فى الدنيا يساوى ما يشعر به الانسان حين يحس أنه رفع ظلما عن مظلوم . أو أنه أتاح من الحياة فرحا لقوم سدت دونهم منافذ الحياة . أو استجاب لأمل علقه به ضعيف لا حول له ولا طول .

ان لحظة السعادة التى يحسها صاحب الفضـــل وهو يقدم فضله لا يعادلها شىء فى العالم أجمع . وهو لا يفكر ولا يدور بخلده أن ينتظر ممن قدم له الفضل عرفانا بالجميل أو ردا للفضل . أو شكرا على ما قدم . ان سعادته هى أكبر من كل عرفان انه يشعر فى دخيلة نفسه أنه أرضى نفسه قبل أن يرضى الآخرين . وان فرحه بأنه استطاع ان يقدم فضلا

لأى انسان لا تعادله فرحة فى العالم· بل وأحسب انه حين يقدم الفضل لعدو له تصبح سعادته مضاعفة اضعافا ·

وأعتقـــد ان من حقى الآن ان أقول للصحفى الكبير مصطفى أمين لا تحزن على صديقك الذى مات بغير وداع فقد نال من الخير الذى قدمه أنواعا من السعادة لا يستطيع كل من وقف الى جانبهم أن يقدموها اليه ·

وناهيك بما هو ملاقيه عند رب السماوات والأرض الذى يمحق الربا ويربى الصدقات · سبحانه ·

١٩٨٦/٧/١٧ م الأهرام

المتـاجرة بالعـدم !

يبدو ان الحالة التى تمر بها مصر ليست واضحة المعالم فى أذهان البعض · ولا أستطيع ان أقول ان مصر هانت على كتابهـــا · ولكن الذى أشاهده يجعل الانسان المصرى فى محنة مروعة لما تقاسيه مصر من تصور الأمر هزلا لا جد فيه · فهم ينتهزون الفرصة ليمارســـوا بأقلامهم مهنة الخطابة الجوفاء ووضع اللافتات على الفراغ واللهو بحاضر مصر والتسلية بالألفاظ ضاربين عرض الأفق بالمصلحة الكبرى لمصر وأبناء مصر ·

قرأت فى الأسبوع الماضى مقالتين لكاتبين يهاجمان فى ضراوة أولئك الذين يدعون الى الغاء مجانية التعليم فى الجامعة ·

والكاتبان يعلمان حق العلم ان أحدا لم يدع الى الغاء مجانية التعليم فى الجامعة أو فى غير الجامعة ·

والكاتبان ينشدان نشـــيدا واحدا عن الطبقات الفقيرة وكيف ان الأثرياء يريدون ان يستلبوها الحقوق المقدسة التى حصلت عليها ·

وتلك مضحكة أخرى تدعو الى البكاء على حال القلم عندنا وما أصبح يستخدم فيه ·

ان الذين كتبوا ضد مجانية التعليم فى الجامعـة لم يطالبوا بالغائها بالنسبة لغير القادرين وكل ما قالوه أن يدفع القادرون المصاريف ويعفى غير القادرين ·

وأعيد الجملة مرة أخرى ·· ان يدفع القادرون ·· وثالثـــة أقول القادرون المصاريف ويعفى غير القادرين ·· يعنى الطبقة الفقيرة · يعنى الطبقة الكادحة لا تدفع · ويدفع الأثرياء ·· الأغنياء ·

فهل هذا استلاب من الفقراء · وهل قال أصحاب هذا الرأى انهم سيأخذون هذه الأموال ويضعونها فى جيوبهم أم قالوا ان القادرين يجب

ان يدفعوا للدولة ماداموا قادرين حتى تستطيع الدولة ان تعلم غير القادرين فما هذا اللهو الذى يلهو به بعض الكتاب . ان الأمر خطير . وأكبر ملايين المرات من التناحر بالشعارات والتنابذ بالأحزاب والترامى بالفقر والثراء. انها مصر كلها وما هى فيه من أزمة اقتصادية طاحنة . ان الوقت متسع بعد ذلك أمام أصحاب الشعارات ان يرفعوا عقائرهم بما يحلو لهم . ولكن اليوم دعونا نبحث عن المصلحة العامة لمصر وننسى الخلافات الحزبيـــة والعقائدية وننسى ــ ولو الى حين ــ الأوامر القـادمة من الخارج والمغلفة بما لا يعلمه الا الله .

كيف يسوغ فى الأذهان ان يستطيع أب ادخال أبنائه فى المدارس الأجنبية ويدفع لأبنائه مصاريف تبلغ آلاف الجنيهات فى العـام مضافا اليها ما ينفقه هذا الأب القادر على الدروس الخصوصية حتى اذا حصل أبناؤه على الثانوية العامة حملت الدولة وحدها عبء تعليم أولاده دون أى عون منه . وتقول الاحصاءات ان التعليم فى الكليات النظرية يكلف الدولة مبلغا ضخما لكل طالب ولكن هذه المبالغ تتضاعف ثلاثة أضعاف أو أربعة اذا كان الطالب يدرس فى كليات عملية مثل الطب أو الهندسة .

أليس من الطبيعى ان يساهم الأب القادر فى عبء التعليم الجامعى مادام قد أغدق أمواله فى التعليم الابتدائى والاعدادى والثانوى .

وكيف يسوغ فى الأذهان ان يأتى الطالب الى الكلية بسيارة يتراوح ثمنها بين عشرة آلاف جنيه وخمسين ألف جنيه ويدخل مزهوا فخورا مدلا على زملائه ثم يقبل هو ويقبل أهله أن يجلس الى الأستاذ يتلقى تعليمه دون ان يدفع مليما للدولة التى تقدم له هذا العلم .

ان هؤلاء القادرين يدخلون فى منافسة غير شريفة مع زملائهم من الفقراء ، لأن الأثرياء يستطيعون أن يدفعوا أجور الدروس الخصوصية البالغة الارتفاع فى حين لا يستطيع الفقراء . ولكن النبوغ على كل حال لا يعرف الفقر ولا الغنى ولا يعرف الشعارات الجوفاء ولا يعرف اللافتات المقامة على الخواء ، وانما يعرف أن يكون الطالب جادا يؤدى واجبه باخلاص واتقان . وان نظرة منك واحدة على المتفوقين تقنعك أن النبوغ يكون حيث يكون الاخلاص والاتقان فأنا لم أقرأ أن متفوقا كان يستعين بدرس خاص . جميعهم يعتمد على نفسه ويؤدى واجبه فيتفوق .

وهكذا يصبح كلام المدافعين عن الفقراء استغلالا لغير موجود ومتاجرة بعدم . فالذين يدعون الى دفع المصاريف فى الجامعة انما يدعون الى ذلك بالنسبة للأثرياء لا للفقراء .

وأخرى · هل حسب هؤلاء أن الدولة حين تدعم أيا كان موضع دعمها انما تقدم أموالا من جيوب الوزراء أو من حسابات الأثرياء ·

ان هذه الأموال التي تستهلكها الدولة انما تأخذها من أموال الشعب من كدح الكادحين ومن عرق العارقين · ليس هذا المال سائبة ولا هو قادما من السماء · فالخطب المستفيضة للابقاء على الدعم انما تدمر على غير وعي الأموال التي تملكها الدولة والقطاع العام · فالدولة تدعم الشعب من أموال الشعب ولا مجال هنا للمزايدة والمتاجرة ·

وثالثة الأسافي · أيرى هؤلاء المدافعون عن مجانية التعليم أن يظل التعليم الجامعي مجانيا مهما يسقط الطالب · أليس من الطبيعي ان يحرم الطالب الفاشل الذى سقط تلك المنحة التي تهبها له الحكومة ليعطى فرصة لطالب آخر فالح أن يأخذ مكانه · أم ان الدولة ينبغي أن تنفق على الناجحين والساقطين والفالحين والفاشلين والجادين والهازلين ·

أفيقوا الى ما تكابده مصر فليس الأمر هينا ولا يسير ، انه تراكمات عشرات السنين تحملها أكتاف مصر في هذه الفترة من حياتها ويتحتم علينا نحن المصريين أن نقف صفا واحدا متراصا فالمصير مصيرنا جميعا واذا نحن لم نتكاتف فسترغمنا الحياة ارغاما على مالا نحب ولا نرضى · فعالم المال عالم بغيض صلب المشاعر ، جامد الحس ، وليس يعنيه الى أى مصير يلقى ضحاياه ·

وهو عالم لايعرف الخطب الرنانة ولا الكلام المتثائب ولا يعرف نفاق الجماهير على حساب الجماهير · ولا يعرف التظاهر بغير الحق ولا التشدق بغير علم ·

ومصر اليوم تعتمد على ثقة الدول · والثقة لاتأتى عفوا وانما لابد ان يراها العالم تسير في الطريق الأقوم والاقتصاد الأنشل · وهيهات أن تقوم ثقة من فراغ أو من خطابة لا تعنى شيئا أو الفاظ لا تتسم بالمنطق أو العقل أو الفهم الصحيح ·

ومصر هى الدولة الوحيدة في العالم التي تقدم التعليم المجانى في الجامعة لا يماثلها في ذلك دولة شيوعية أو اشتراكية أو رأسمالية · ونحن مع ذلك لا ندعو الى الغاء هذه المجانية انما ندعو أن تحجبها الدولة عن القادرين الأثرياء حتى تطيق أن تتيحها لمن لا يتمتعون بالسعة والغنى ·

ومصر هى الدولة الوحيـــدة التى تتحمل تعيين جميع الخريجين فى وظائف أصبح الخريجون يزدرونها حتى لقد رأيت بعينى خريجين تخرجوا فى الجامعة يعملون خدما فى المنازل · لا فى الفنادق · ومع ذلك لا تزال الدولة مصر أن تعين جميع الخريجين وقد نتج عن هذا بطالة فى داخل الوظيفة وتحميل لميزانية الشعب بما لا يطيق ولا يعنى هذا الا ضـــمور الأموال التى ينبغى أن تنفق فى مواضعها الصحيحة وانهيارا فى المرافق العامة وذلك الانهيار على ما فيه من ارهاق للمواطن المصرى يحمل فى طواياه تدمير ثقة القادمين الينا بأموالهم مصريين كانوا أو أجانب وفى طواياه أيضا ما فيه من آثار محطمة لصلاتنا الاقتصادية بالدول التى يهمنا كل الأهمية ان تتوثق صلاتنا الاقتصادية بها ·

ومصر هى الدولة الوحيدة فى العالم شرقه وغربه وشماله وجنوبه التى تجعل نصف المشرعين فيها من العمال والفلاحين · وهو أمر لا تأخذ به روسيا دولة البروليتاريا ولا أى دولة أخرى فى شعارها وطبعا لا تأخذ به دولة حرة فى العالم · وفى ظل هذا النظام هيهات لنا أن نتمكن أن نصل بمصر الى ما يجدر بمصر حتى تواجه أزمتها الاقتصادية · والذى لا شك فيه انه لا أمل لنا أن نصل الى الطريق الأقوم الا بالمواجهة دون زيغ أو خوف أو تهريج أو هتاف حناجر ··

وان الله سبحانه الذى يمحق النفاق لايبارك الا الصادقين مع ربهم ومع أوطانهم ومع أنفسهم ·

١٩٨٦/٨/٢٤ م الأهرام

الشريف الغريب !

نشأنا في جيل كان شأنه عجبا · كان يقول ان الانسان لابد ان يكون شريفا حتى لا يحتقره الناس · وان الانسان ينبغي أن يحافظ على كرامته وان يكون صادقا مع نفسه ومع الآخرين حتى يقبله المجتمع النأى ، وكان يقول ان الانسان ان خادع الآخرين فترة ما فما أسرع ما يكتشف الناس أمره ويصبح بينهم مهينا محاطا بكل ألوان الاحتقار والازدراء وينصرفون عنه ·

وكان في جيلنا الكاتب يكتب ويترك للناس ان تحكم على ما يكتب في غير تمويه ولا دعاية كاذبة جوفاء ودون ان يصرف همه الى الانحناء هنا وهناك على مكاتب الصحفيين لينشروا عنه كاذب الأنباء ومختلق الأقاويل · ونشأنا نرى أنه ليس هناك شرف يعدل شرف الكاتب · وكان الكاتب يعرف قيمة الأمانة التي يحملها بقلمه · وهكذا كان الناس يحلون الكاتب أرفع مكان من قلوبهم ومن ضمائرهم ومن مجتمعهم ·

كان جيلا عجبا ، الشرف فيه هو الأصل · والخيانة استثناء · والأمانة مفروضة فيمن يتولون الوظائف العامة · وخيانتها نادرة · فما أن تقع حتى يرتفع لوقوعها ضجيج ضخم · والذين أشيع عنهم أنهم قبلوا الرشوة كانوا قلة يعرفهم المجتمع ويتجنبهم الناس فلا يدعون أحدا منهم الى بيوتهم ولا يوسعون لهم في مجالسهم ·

تقدمت سيدة أشيع عنها مالا يرضاه الخلق الرفيع الى محمد باشا محمود وذكرت اسمها له ومدت اليه يدها ليصافحها فاذا به وهو الرجل الذي تلقى علومه في لندن التي تقدس التقاليد وتحترم السيدات غاية الاحترام ·

اذا بهذا الرجل يضع يمينه خلف ظهره ويأبى أن يصافح السيدة وهي من أعرق عائلات مصر · ثم يستدير لها ويتركها ذاهلة ·

وجاءت سيدة كانت حريصة ان تذكر المجلات أخبارها في صفحات المجتمع الراقي الى وزير جليل وكان صديقا لأبيها وقصدت الى الوزير

على أمل أن يجيب رجاءها الذى تحمله اليه بما كان من صـــداقته لأبيها فاذا بالوزير يطالعها بصراحة لم تسمع مثيلا لها فى حياتها :

ـ هل أنت سعيدة أن تنشر الصحف عنك فى كل يوم خبرا وأنك دعوت فلانا وفلانا ودعاك فلان من الناس وفلان · لقـــد كان أبوك رجلا عظيما وأنا واثق انه لو كان حيا ما سمح لك أن تصنعى هذا الذى تصنعينه الآن من اساءة لنفسك ومن امتهان لذكرى أبيك · عودى الى بيتك يا ابنتى وكونى فى المكان الطاهر الذى تركك أبوك فيه ·

ولم يستجب لرجائها ولم تستجب هى أيضا لنصيحته فكان جزاؤها أن جفاها المجتمع وحطمها وماتت بعد ذلك بعد أن سحقتها الحياة · فقد كانت الحياة تسحق أولئك الذين يحاولون أن يستهينوا بمقدسات المجتمع وقيمـــه ·

كان جيلا عجيبا · ثقافته كتاب ، وحديثه حول كتاب ، ومبتداه أدب رفيع وشعر سامق حلو الرنين عذب اللفظ كريم العطاء ·

اذا أراد أن يسمع فأم كلثوم وعبد الوهاب فى القمة ومعهما أسماء لامعة متألقة تشق أصواتها ظلام الحياة بالنور والأمل والسعادة والهناء ·

يختارون شعر أغنياتهم من أعظم شعراء العربية ان أرادوا شعرا ومن أعظم كتاب الكلمة المصرية ان مالوا الى الأغنية المصرية ·

وبأصوات هؤلاء أصبحت اللغة المصرية عالمية بين الناطقين بالعربية جميعا تؤازرها المسرحية المصرية والفيلم المصرى · فان أراد العرب ثقافة فكتاب مصر وشعراؤها · وان أرادوا طربا وغناء فعلى القمة دائما أم كلثوم وعبد الوهاب وكل من نشأ فى ظلالهما · ومن أراد أن يشتهر أمره من المغنين العرب فمصر مسرح شهرته ومصدر اذاعته يعلمون جميعا أن الصوت الذى لا يسبقه (هنا القاهرة) لا يسمعه أحد ·

وغنى الشعب أشعار شوقي وحافظ وعزيز أباظة وابراهيم ناجي وعلي محمود طـه وأحمـد فتحي وأحمد رامي وأبي فراس الحمـــدانى وعبد الفتاح مصطفي وصالح جودت ومصطفى عبد الرحمن ٠

وغنى لامام الزجل المصرى بيرم التونسي وكتب شوقي الكلمة العامية وغناها له الشعب وكتب رامي وجودت الأغنية التي تسمو كلماتهـــا الى أرفع ألوان الشعر وجاء من بعدهم الجيل المتألق من الذين رحلوا عنا منذ قريب ومن الذين مازالوا معنا أطال الله حياتهم حسين السيد ومرسى جميل عزيز وعبد الوهاب محمد وأحمد عبد المجيد وأحمد شفيق كامل وأخوانهم ٠

كان جيلا عجبا ٠ بدا فيه رعيل العمالقة ألوانا من الأدب لم يسبقهم فيه سابق ٠ جيل طه حسين وهيكل والعقاد والمازني والزيات وأحمد أمين وتوفيق الحكيم وتيمور ويحيى حقي ٠ كان جيلا كتب المقالة والقصـــة والرواية والمسرحية والتاريخ والنقد ٠ فلم يكن عجبا من بعد أن يأتى جيل التخصص نجيب محفوظ ومحمد عبد الحليم عبد الله ويوسف السـباعى وعبد الحميد جودة السحار وعبد الرحمن الشرقاوى واحسان عبد القدوس وأمين يوسف ويوسف جوهر وباكثير ومحمود البدوى ٠ ولم يكن عجبا أن يلحق بجيلهم الجيل الثانى ٠

كان جيلا عجبا ٠ اذا أراد ان يضحك شاهد الريحانى وان تواضع فالكسار ٠ وجاء جيل المهندس ومدبولى وعبد المنعم ابراهيم وزملائهم وظلوا يقدمون على المسرح الفن الرفيع بلا اسفاف ولا استخفاف بعقلية الجمهور ولا بكرامته ٠

ما الذى حدث ؟٠٠ وما هذا الذى فشـــا فى اعراق الحياة وفى أنحـــائها ٠

ما الذى حدث ؟ ٠

كيف صارت السرقة والرشوة فى الأصل ٠ وكيف أصبح المجتمع يقبل المجرمين ويضعهم فى الصدارة من أبهائه ٠ كل من سرق أموال مصر أصبح عظيما وكل من مص دماء الشعب أصبح عند الناس علما ٠ أمسى المجتمع لا يعاقب أحدا بل غدا المال وحده هو السيد ٠

لم يصبح الشرف في ذاته قيمة ٠ فاذا لم يصحبه المال فهو عند ناس اليوم خيبة وجهل بالمسالك وغباء للطريق وانحراف عن معرفة الحياة ٠

أصبح خريج السجون خيرا من خريجي الجامعة ٠ وأرى بين الناس من يتباهى بانه منافق وبانه جبان وبانه صانع كل عهد ومسح كل حذاء

وقبل كل يد وجلس على كل مائدة فان لم يجد حولها كرسيا التقم الفتات كما يفعل الكلب الذى لا صاحب له · ذليل قيده من داخله · ضئيل · فرض هو صغاره على نفسه ولم يفرضه عليه أحد ·

كنا فى جيل يبدأ الاحترام فيه من احترام الانسان لانسانية نفسه هو ويفرض بهذا احترامه على الآخرين · وأصبحنا اليوم نـــرى السفلة المنافقين يســـدون من الحياة آفاقها · ويصفق لهم المجتمع وتهلل لهم

أصبح الشرف غريبا فى حياتنا يتخفى عن العيون حذر السخرية وخوفا من التندر به · علا صوت اللصوص وطغى سلطانهم حتى أصبح لهم كتاب يمجدونهم ويتغنون بدناءاتهم لا يضنيهم ان يحقرهم النبلاء ·

اذا أراد الناس أدبا فما لا يفهم من الأدب وممن لا ثقافة له · وفيم يجهدون أنفسهم وما هى الا انحناءة هنا ومعها رشـوة ومذلة هناك ومعها دعوة حتى يصبح أمرهم شهيرا جهيرا وان كانت شهرتهم من فراغ واسفاف وغموض وتفكك وانحلال للشكل والمضمون معا ·

واذا أراد الناس أن يسمعوا فتلك الأغانى التى يرفض القلم أن يذكر من كلماتها كلمة ، بلة جملة ·

واذا أراد الناس أن يضحكوا فهذه الروايات التى يؤلفها المثلون بالتعاون مع الجمهور على خشبة المسرح · وصفعة وركلة وبهلوانية وسخف وهذاء وتنابذ بالشتائم ومباريات فى الانحطاط أيهما أشـــد أفولا وأعظم تدهـورا ·

غريب هو الشرف فى دنيا الناس اليوم وغريب هو السمو فى عالم الفن اليوم ، ترى ماذا يقول الأمس اذا أطل علينا من غيابات الماضى ·

لأحسب أن سيحمد الله أنه أصـــبح أمســا وأنه لن يعـود الى الحياة أبدا ·

١٩٨٦/٧/٣١ م الأهرام

المشـــتمة

كان لأحد وجهاء الريف محصـول من القطن باعه الى أحد التجار . وكان القطن فى تلك الأيام نوعين : أحدهما اسمه زاجورا وهو الأرخص والآخر اسمه سكلاريدس وهو الأغلى ثمنا .

باع الوجيه قطنه على انه سكلاريدس وقبض العربون وحـل يوم الاستلام وجاء التاجر وفتح الوجيه مخزنه وطالع القطن التاجر .

ـ ما هذا يا سـيد بك ؟ .

ـ قطن يا حـاج مسعود .

ـ أعرف أنه قطن ياسيد بك ولكن هذا ليس سكلاريدس .

ـ بل هو السكلاريدس بعينه شئت هذا أم أبيت .

ـ يا سيد بك هذا موضوع ليس فيه مناقشة . هذا القطن زاجورا .

ـ بل هو سكلاريدس .

ـ من قال لك هذا ؟

ـ إنا لا أحتاج لأحد أن يقول .

ـ كيف ؟

ـ القطن قطنى أنا وأنا وجدى صاحب الحق فى تسمية قطنى .

وضحك الواقفون جميعا وصـارت هذه الواقعة أمثولة عندنا فى الشرقية يرويها جيل عن جيل ، وكانت الأجيال وهى ترويها تعلم طبعا ان الوجيه صاحب القطن يعرف الحق ولكنه يحيد عنه قاصدا متعمدا ليمزح مع صديقه التاجر ولينتفع أيضا بفارق العربون الذى كان أكبر من عربون الزاجورا وقد تم له ما أراد وسلم قطنه بثمن الزاجورا بعد أن ضحك ملء قلبه من صديقه التاجر .

وظلت هذه القصة تثير فى نفسى الضحك كلما خطرت على ذهنى وظللت أرويها على أنها ضحكة من ضحكات الحياة وربما كتبتها فى الأهرام

قبل اليوم • ولكن الذى ذكرنى بها اليوم اننى تأملتها تأملا جديدا على ضوء أو على ظلام ما نشهده فى حياتنا فرأيت فيها عجبا •

تأملتها فى الساحة الأدبية فاذا بى أجد أن كثيرا من النقاد يفعلون فعل الوجيه سيد بك فى حكايته هذه التى مر عليها ما يقرب أو ما يزيد عن ســـتين عاما •

ان كثيرا من النقاد يرفضون الكتاب دون ان يقرءوه وهناك نقاد كثيرون آخرون جـــرأة يرفضـــون الكاتبين دون ان يقرءوا لهـــم • وتناقشهم فلا حجة لهم الا :

ـ هذا رأيى وأنا حر فيه •

ـ ولكن على أى أساس بنيت هذا الرأى ؟ •

ـ أنت لا تملك أن تسألنى فرأيى لى وحدى وأنا وحدى صاحب الحق فى القبول أو الرفض •

وهذا الحوار طبعا مؤلف فان نقادا على هذه الشاكلة يخطىء كل من يحاول أن يناقشهم •

أذكر أن أحد هؤلاء النقـــاد وهو أســـتاذ جامعى ومتخرج فى أعظم الجامعات قال لى يوما :

ـ أتدرى لماذا لا نكتب عنك •

والنـــون هنا ليست للتعظيم وان كان هو صـــاحب غرور منقطع النظير • انما النون تعنى القوم الناقدين الذين يدينون بعقيدته ويلتفون حول مذهبه • والحقيقة أننى كنت أدرى كل الدراية لماذا لا يكتبون عنى • بل أن كتابتهم عنى بغير المهاجمة أمر لم أتوقعه فى حياتى وأحسب انه يعلم أننى أدرى ولكنه أراد أن يضيف الى الأسباب التى تردهم عن الكتابة عنى سببا لا أدريه • قلت :

ـ ربما كنت أدرى ولكنى أحب ان أسمع منك •

فاذا هو يقول :

ـ اننا نرفض الكتابة عنك لأن طه حسين كتب عن أول رواية لك •• ماذا هل ولدت عملاقا كالتليفزيون •

وأذكر انني ضحكت فرحا أن كتابة العميد أحد الأسباب التي تحجب عني كتاباتهم · وأنا باليقين اعتبر ان حرفا واحدا مما كتبه عني العميد يعدل بل ويفوق كل ما كان يمكن ان يكتبوه عني وان كالوا لي المديح الوانا واشكالا على الصورة التي تعودوا ان يكتبوا بها عن الذين ينتمون الى دينهم ومذهبهم ·

وأذكر قصة أخرى لا أستطيع أن أنسـاها · وقع خلاف بين أحد الرائيين وبين أحد النقاد واحتدم الخلاف وتطاير منه الشرر · وتصادف ان كنت جالسا مع الناقد فاذا هو يقول في غيظ شديد ·

ـ والله ليرين كيف يكون عقابي عندما تصدر له رواية جديدة · ماذا يظن أليس روائيا ولابد أن يكتب رواية جديدة ·

ولم أعلق ولم يعلق أحد من الجالسين معنا وبماذا يمكن أن نعلق انه يرفض رواية لم يكتبها الكاتب بعد ويتوعدها بالويل والثبور وبعظائم الأمور وحتى لا نعدو الحق لابد أن نذكر ان الناقد قال ما قال في فورة غيظ وغضب والمرء لا يحاسب على قول قاله في فورة غيظ · ولكن الذي دهشت له ومازلت أدهش الفكرة التي راودت الناقد · وكيف أنه يتصور انه يستطيع أن يرفع ويخفض دون موضوعية ودون تعمق للعمل ·

وثالثة كنت أشترك أحيـانا في الاذاعة في ندوة لمناقشة كتاب أو رواية · وكم من مرة شهدت نقادا يشتركون معنا في الندوة دون أن يقرءوا العمل موضوع المناقشة ·

كان هؤلاء يذكرونني بصاحب القطن الزاجورا الذي يرى من حقه ان يجعله سكلاريدس · فهم يدمغون الحق بالباطل في جرأة منقطعة النظير وان كان صاحب القطن يمزح بما صنع فهم ـ للأسف ـ يظنـون أنهم جـادون ·

وظللت أحسب ان هذا الصنف من الناس موجود في ساحة الأدب وحدها حتى أذن الله للحرية أن تعود الى مصر وظهرت الجرائد المعارضة ·· ياسبحان الله ·· ما هذا الذي يطالعوننا به ؟ اذا كان الأدب فنا والناس فيه تعتمد على ذوقها فان السياسة شأن آخر ·· انها شأن دولة ·

لقد بدءوا معارضتهم بالشتيمة وكان لها حين بدأت وقع في نفوس المصريين ، فقد ظلوا قرابة عشرين عاما لايقرءون في صحفهم الا تمجيد

الحكام ورفعهم الى سماوات الآلهة · وظلوا قرابة عشرين عاما يهمسون بالنكتة وان قرءوا فى صحفهم نقدا فمغلف بالرمز متنكرا بالفن القصصى أو الروائى ·

فالشتيمة فى أول أمرها كانت نغمة جديدة على مسامع القراء · ولكن كل جديد من شأنه أن يصـــبح قديما · وان رحب الناس فترة بالجديد فانهم بطبيعة النفس البشرية سرعان ما يملون · ثم سرعان ما يزهدون · ثم ينصرفون والذى لاشك فيه ان الشتامين المعارضين يدركون ذلك كل الادراك ولكن يبدو أنها البضاعة الوحيدة التى يملكون ·

ولكن المعارضة أسمى من ذلك وأرفع · وبغير معارضة لا ديمقراطية ولكننى أحسب أن الديمقراطية تستطيع أن تقوم بغير الشتائم ·

فالشتائم أيسر شىء كتابة · وهى لا تليق بأصحاب الرأى · فكيف اذا صارت هى عمادهم الوحيد ·

وقد يكون الشتم مظهرا للجرأة والشجاعة اذا كان رئيس الجمهورية سفاكا ظالما يعتقل معارضيه ويحطم أقلام الكتاب الذين لا يؤيدونه ويغلق الجرائد التى تهاجمه ويشرد الجماعات التى تـرى غير رأيه وتسـير فى غير نهجه ·

وكم يمض النفس ويملؤها حسرة أن الرئيس لو كان كذلك لأصبح الشتامون مداحين والهاجمون مصفقين والمعارضون مؤيدين يرقصون على طبول الحكام ويهتفون بأبواقهم ·

ولكن رئيس الجمهورية لا يصنع هذا الصنيع وما هو بجبـــار فى الأرض ولا بالظالم العتى ولا هو من المنتقمين · فأى بطولة يجدونهـــا فيما يكتبون ؟

وان لهم من الكتاب العلماء أسوة · وهم أيضا معارضـون ولكنهـم شرفاء لا يتاجرون بأقدار مصر ولا يحاولون ان يعتدوا على الحق بالسباب ولا يفكرون ان يقيموا من أنفسهم أبطالا مزيفين بائعين فى ســـبيل ذلك مستقبل مصر وبلا ثمن · ومن أمثال هؤلاء الشرفاء وعلى رأسهم أستاذنا العلامة الجليل د· وحيد رأفت مالهم لايتخذون منه مثلا أعلى ولست أقصد بذلك الوفديين وحدهم وانما أوجه حديثى الى المعارضين جميعا بدلا من هذه المشتمة التى يبذلون أقصى الجهد ان يرسموا بها من أنفسهم زعماء

وقواد سياسة أو قواد حروب · ان كثيرا مما أقرأ لكتاب المعارضة كلمة واحدة لا تتغير في عدد عن عدد آخر · أتراهم لا يحسون مقدار الملل الذى يستقبله به قراؤهم ؟

يا أبناء مصر · أذكروا مصر · ان المعارضة هى أهم ملامح المعارضة وبغيرها لا ديمقراطية · وما أوسع المجال لرأى المعارضة على ان يكون رأيا لا شتما · وحجة لا سبابا · ومناقشة لا همجية ·

انها مصر وهى تواجه فترة من أشد أوقاتها عسرا أحوج ماتكون الى الرأى · الا تدركون هو عصب هذا الزمن الذى نمر به ، اننا نعانى الأزمة العالمية ومعها تراكمات ثلاثين عاما من الجهد والعنت والحروب والمؤامرات الخارجية التى كانت مصر تصدرها الى العالم فى الستينات وأصبحت اليوم مسرحا لها من أعدائها ·

أتحتمل مصر هذا جميعا مضافا اليه الشتائم والسباب والهجوم بدون مناقشة والاعتداء بغير حجة ·

علم الله ان مصر لا تحتمل اليوم الفتنة التى تثيرون · والفتنة — كما لابد أنكم تعلمون — لا تصيب الذين يشعلونها وحدهم بل هى تحرق ولا تفكر ، وتندلع ولا ترعوى ، وتفشو ولا تتريث ·

اتقوا الله ، وأذكروا مصر ···

الصفح أجمل

حاولت بكل الجهد ان أصرف نفسى عن هذا الموضـــوع فتحت على الحاحا أعرفه منها اذا انشبت فكرة أظافرها فيها فهى لا تنثنى ولا ترعوى ولا بردها عما تريد كتابته شيء ٠

الكاتب الذى أريد أن أناقشـــه من أحب الكتاب الى نفسى ومن أحب الى القراء ونحن أبناء جيل واحد واتصلت أسـبابى به منذ ما يزيد عن ثلاثين عاما كلها ود وحب واخاء ٠ لم نختلف الا فى مقالين كتبناهما قبل أن نتعارف فكانا سبب صداقتنا بعـد ذلك ٠ ولذلك فأنا أرغم القلم ارغاما الا يذكر اسمه ولا أكاد أسيطر عليه ٠

وحتى هذه اللحظة يبدو أننى سأتمكن من الجام القلم عن ذكر الاسم وأرجو الله أن أظل قادرا عليه حتى أنتهى من كتابة هذه المقالة بسلام ٠

فأنا لا أشك فى ان الكاتب الكبير حين كتب ما كتب كان واقعا تحت تاثير لحظة من لحظات الضيق الشديد التى تحيط بنا نحن الكتاب ولا نجد لنا عونا بعد الله أقلامنا نفزع اليها لعلها تفرج عنا بعض كربنا أو لعلنا نبثها ما يعتلج فى حنايا نفوسنا من شدة وسخط ٠

وأنا لا أشك ان شخصا ما كان السبب فيما ألم بكاتبنا من كروب ووقفت بينه وبين هذا الشخص سدود تذوده عن أن يذكر اسمه حراحة فأنزل سخطه على الناس أجمعين لا يستثنى أحدا ٠ حتى نفسه ما استثناها ولا هو أعفاها وكأنما يعاقبها لأنها غضبت ولأنها ترده عن انزال غضبه بمن يستحقه ٠

بدأ كاتبنا مقاله بمثل شعبى يقول (ان كان لك عند الكلب حاجة قل له ياسيدى) وهو مثل يرفضه كل انسان شريف وما جرى على ألسنة

الناس الا على سبيل النكتة والفكاهة والمازحة · وكل من يقول للكلب ياسيدى يصبح أقل من الكلب شأنا · ولكن كاتبنا الكبير لا يكتفى بهذا بل هو يصر على صدق المثل ويبادر قائلا وهو مبدأ صحيح فى العلاقات السياسية والتجارية بين الدول والأفراد وهو يرى أن المعدة لا دين لها ويقول « نحن كلاب أسياد كلاب » والحقيقة أننى رفضت أن أجد الأهرام يشتمنى على الصبح ويشتم معى الانسانية جميعا دون ذنب جنيته أو جناه أحد من بنى الانسان · بل اننى غضبت لصديقى الكاتب نفسه وأبيت له ان يشتم نفسه ثم يستبيح ان يشتم الناس أجمعين مادام قد مهد بشتيمة نفسه · وليست العلاقات السياسية علاقة كلاب بعضها ببعض ولا علاقات الأفراد علاقة كلاب بعضهم ببعض ·

وليست العلاقات التجارية علاقة كلاب · فالتجارة مهنة من أشرف المهن فى التاريخ والعلاقات بين التاجر والناس علاقة منفعة متبادلة · ولولا هذه المنفعة المتبادلة بين الناس لأصبحوا ـ فعلا ـ كلابا يتخطفون مطالبهم بلا شرف ولا عقل ولا منطق ولا خلق · فالكلاب وكل الحيوانات لا تتبادل المنافع بينها ولكنها تأخذ ما تريد غصبا وبغير حق الا حق القوة والمزاحمة ، ولهذا فهى حيوانات ولهذا لم يكرمها الله وكرم الانسان ولم يجعل من الناس كلابا ويقول سبحانه وتعالى فى سورة الاسراء « **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » الاسراء آية ـ ٧ ·· فالانسان لن يكون كلبا الا اذا اختار لنفسه هذا وكم طلب ناس من صديقى الكاتب أنواعا من المعروف وكم أجاب وما كان الناس حين طلبوا كلابا وما كان صديقى · وانما كان حين يستجيب لرجاء انسانا فى أرفع درجات الانسانية · وما الانسانية ان لم تكن تواصلا ، ورحمة ، وحبا بين الناس ، واجراء للخير فى القنوات ، واشاعة للمعروف ، واستجابة لنداء مظلوم ، أو ذى حاجة ، وتفريجا لكربه ، وتخفيفا لأعباء الحياة ·

وصديقى الكاتب من هؤلاء الذين لا يخيب عندهم رجاء وقد جربته فى كثير من الأمر فكان عندما أعلمه عنه ·

أخى الكاتب الكبير لقد ضقت بواحد من الناس ذرعا ولم تدر كيف تقول عنه انه كلب فشتمت نفسك لأنك لم تعرف كيف تشتمه وحده ثم أفرغت غضبك على الناس أجمعين ٠

ولكننا نحبك ويحبك القراء الذين شتمتهم ٠ فما ذنبهم عندك ٠

الله ان أظل قادرا عليه حتى أنتهى من لحظات الضيق الشديد التى تحيط لما بعض كربنا أو لعلنا نبثها مايعتلج فى وانما كان حين يستجيب لرجاء انسانا فى أرفع درجات الانسانية ٠ وما الانسانية ان لم تكن تواصلا ، ورحمة ، وحبا بين الناس ، واجراء للخير فى القنوات ، واشاعة للمعروف ، واستجابة لنداء مظلوم ، أو ذى حاجة ، وتفريجا لكربه ، وتخفيفا لأعباء الحياة ٠

والناس يا أخى حين تتواصل انما يجرون على سنة الحياة التى أرادها لهم الله فى علياء سمائه وهو جل علاه يقول فى سورة الحجرات ٠٠ « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير** » سورة الحجرات آية ١٣ ٠٠ هكذا أراد لنا العليم الخبير ٠ واذا كان قد جعلنا شعوبا وقبائل لنتعارف فمن الطبيعى ان نتراحم وان نتواصل واذا كانت هذه حكمة الله بين الشعوب فلا عجب ان تكون المودة هى أساس الصلات بين الأفراد فى هذه الشعوب ٠

والشاعر القديم يقول :

الناس للناس من بدو وحاضرة

بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

وهم حين يفعلون انما يمارسون معنى من أكرم معانى الانسانية وأشرفها وأرفعها مكانا وأعلاها مرتبة ٠

والحطيئة يقول :

من يصنع الخير لم يعدم جوازيه

لا يذهب العرف بين الله والناس

وانت ياصديقي من هؤلاء الذين يصنعون الخير · وانت ياصـــديقي لم تعدم جوازى هذا الخير · وانت ياسيدى كريم حين صنعت الخير وكريم حين استقبلت جوازيه مشكورا حين صنعت ، مباركا حين استقبلت ·

وانت يا أخي الكاتب تكتب للنـــاس فليس يقـرؤك الكلاب · وقد أكرمتهم حين اجتهدت جهدك وبذلت بذلك في تثقيف نفسك · وما كنت لتفعل لو لم تكن تحمل كل الاجلال والاحترام لقارئيك · وقد جازوك عن هذا حبا واقبالا واعجابا ·

أخي الكاتب الكبير · لاشك أن بين الناس كلابا ولكن الناس تحتقرهم حين تعرف كلبيتهم وتسقطهم من قوائم الآدميين وتنزلهم منزلة أحقر من منازل الكلاب الذين خلقهم الله كلابا ·

فحين يدلل الرحماء الكلاب ويهيئون لهـــم المطعـم والمشرب تراهم يحتقرون كلاب الناس ويقبضون عنهم صداقتهم وودهم ·

فكلاب الناس كانوا بشرا واختاروا لأنفسهم أن يكونوا كلابا حين لا يملك الكلب أن يجعل من نفسه بشرا ولو ملك ما نكص ولما استأخر ولبادر وسارع ·

وهناك أيضا نوع آخر من الكلاب ذكره ابن الرومي في بيتين شهيرين لعله أظنك تعرفهما وربما كانا من محفوظاتك وهي وفيرة ·

يقول ابن الرومي :

ان للحظ كيميـــــــاء اذا مـــا
مس كلبـــا احـــاله انيســـانا

يفعـــل الله ما يشـــاء متى شـــاء
كمـــا شـــاء كائنـــا ما كانـــا

ولاشك ان الحظ مشغول بكيميائه فى أيامنا هذه مشغلة عظيمة فهو دائم الدوران بين أسافل الكلاب يحيلهم اناسا ولكنهم مهما يتكاثروا يظلوا فى الناس قلة قليلة ويظل الانسان هو الأصل وهو الأغلبية الساحقة ٠

أخى الكاتب الكبير أرجم من أهاجك ما طاب لك الرجم ولكن اياك أن تقسو على نفسك هذه القسوة التى أنزلتها بها ٠

أو الصفح وأنت به أولى ٠ وكم نسيت وكم نسينا وكم صفحت وكم صفحنا ٠ وما هى الا لمحة من زمن ثم نجد أن الصفح كان أجلى فى نفوسنا من النقمة ٠ وأن النسيان من أعظم منن الخالق على الانسان ٠

١٩٨٦/٩/١٤ م الأهرام

حـرية خصـمى حـريتى

طالما ضقنا ذرعا بأولئك الذين يأبون علينا أن نتكلم فى السياسة نحن الأدباء • وكم عجبنا أن تكون السياسة متاحة للجميع لايردهم أحد عن الحديث فهى موضوع من لا موضوع له وهى النقل بين المتنادمين وهى الشراب بين المتسامرين ، حل ماح للجميع أن يقول فيها ما يشاء وان خلا قوله من منطق وان جهل التاريخ القريب والبعيد • ومع ذلك نجـد من يرسل لنا الخطابات مالكم أنتم الأدباء وما للسياسة وعجبنا • أنكون لسان المجتمع ونبضه ومشاعره وأمله وغضبه ورضاءه بعيدين عن السـياسة فى حين يسومها كل جاهل بها •

احـرام عـلى بلابـله الدوح
حـلال للطـير مـن كل جنس

كـل دار أحـق بالأهـل الا
فى خبيث مـن المذاهـب رجس

وبعد فقد كنا من قولهم هذا نعجب ، وكنا نقدم عجبنا بين أيديهم حتى فوجئت فى الأسابيع الماضية بخطابين من شيخين ، أما أحدهما فيناقش الدكتور عبد المنعم النمر فيما رآه من وجوب الاجتهاد ولا بأس على الشيخ ان يناقش الموضوع بما يراه من حجج اما الخطاب الآخر فان الشيخ يرفض منى أن أتدخل فى شئون الدين • ولو كانت هذه هى المرة الأولى التى أسمع فيها هذا الرأى لصرفت عنها القلم ولم أشغل نفسى ولاشغلت القراء بها •

وأنا لا أدرى ماذا يريد الناس من الأدباء اذا كانوا لا يرضـون لهم الكلام فى السياسة ولا الدين !؟ أنا أفهم ان نمتنع عن الافتاء فى المسائل الدينية الشرعية التى استأثر بالعلم فيها المشايخ الاعلام والتى اختلفوا حولها اختلافا بعيدا حتى اننا نجد للمسألة الواحـدة ما يزيد عن خمسين رأيا • ولكن ألا يحق لنا أن نناقش مشايخنا فى أمور ديننا ونعمل المنطق فيما يصدرونه لنا من فتاوى فى الأمور الخلافيـة من ديننـا القيم الذى أرسل به سيد البشر وخاتم الأنبياء للناس كافة •

ألا يسمح لنا المشايخ أن نكون ناسا من هؤلاء الناس مادمنا نقف خاشعين مخبتين عند الفرائض التى لايجادل فيها الا ملحد أو زنديق ٠ والتى لا مجال فيها لأعمال رأى أو لاجتهاد ٠

أما الموضوعات التى اختلف حولها الأئمة الكبار وعلى رأسهم الأربعة الاعلام ، ألا يجوز لنا أن نسأل فى شأنها وقد احتدم فيها الرأى بين مئات العلماء ثم صدر فرمان باقفال باب الاجتهاد لا نعلم من هذا الذى أصدره ولا نعلم من الذى جعله مقدسا لاتجوز مناقشته ٠ ثم ها هو ذا شيخ من أعلام مشايخ المسلمين يزيل عن هذا الفرمان قداسته ويطرح الموضوع كله للمناقشة ٠ فاذا أيدناه وجدنا من يقول لنا ما شأنكم أنتم بالدين فتزداد الأمور استبهاما علينا ٠ أيريد بعضهم من الكتاب أن ينفى عنهم وظنيتهم ويريد البعض الآخر أن ينفى عنهم عقيدتهم ٠ فماذا يبقى للكتاب بعد ذاك اذا حرم عليهم الكلام فى السياسة وهى عماد وطنهم وفى الدين وهو عصام عقيدتهم ٠

وكان مما أدهشنى أيضا هذا الأسبوع خطاب من سوهاج من فتى لن أذيع اسمه حتى لا أجعله بين ذويه أمثولة وانى أضع صورة الكتاب بين يديك ٠ فاذا كان الفتى لايعرف كيف يكتب مادة قرأت فكيف يريد لنفسه ان يكون كاتبا والفتى يتهمنى اننى لم أقرأ أعمال الماستر ومع ذلك أرفضها ٠ الحق يابنى أننى قرأت بعض ما وصل الى يدى من أعمال الماستر ولن أناقش هنا قيمته فأنا لم أرفضه ٠ وانما أكبرت اتحاد الكتـــاب أن يكون بين أعضائه أولئك الذين لم ينشروا شيئا ورفضت اعتبـــار طريقـة الماستر وسيلة من وسائل النشر فمنذ ظهرت المطبعة كف الناس أن يعتبروا هذه الطريقة وسيلة من وسائل النشر ٠ وقانون اتحاد الكتاب ينص على ألا يقبل بين أعضائه الا من كان له عمل أدبى ملحوظ ٠ وانى اسأل أصحاب الماستر هل أصبح أى عمل لهم أدبيا ملحوظا ٠ واذا كان هذا الذى أرسل لى خطابه نموذجا لكتابهم أيرضون لاتحاد الكتاب أن يضم بين أعضائه من يخطىء أخطاء املائية بالغة السذاجة الى هذا الحد حتى ليكتب قرأت بهذه الصورة المضحكة التى تدل على أنه لم يقرأ فى حياته شيئا فاذا كان لم ينته بعد من مادة قرأ يقرأ قارىء فكيف يريد أن ينتقل الى مادة كتب يكتب فهو كاتب وعضو أيضا فى اتحاد الكتاب ٠

ومن الظلم القديم الذى تعرضت له حكاية مضى على وقوعها أكثر من عام ولم أشأ أن أرد عليها فى حينها لما توسمت فيها من هوان الشـــأن وكم كنت بعيدا عن معرفة قومى يومذاك ٠

نشرت احدى الصحف العربية خبرا مؤداه أن ثروت أباظة طالب بصفته رئيسا لاتحاد الكتاب ان تمنع مصر دخـــول الشـــاعر نزار قبانى الى الأراضى المصرية ٠

وتولانى العجب فالخبر مختلق جملة وتفصيلا ٠ فأنا ــ أولا ــ لست بوابا على مداخل مصر وليس لى الحق أن أطالب بخروج أحد أو بدخوله ٠

وأنا فى هذه المرة التى زعموا فيها أننى تقدمت بهذا الطلب لقيت الشاعر الكبير نزار قبانى فى جريدة الأهرام ورحبت به كل الترحيب ودعوته أن يتناول العشاء فى منزلى على عادتى كلما لقيته فى القاهرة ٠ وطلب الى يومذاك أن أنظره حتى يستقر به المقام وكان هو قد دعانى الى بيته فى بيروت حين كانت بيروت لا تزال على قيد الحياة ٠ وان صلتى بالشاعر الكبير كلها حب متبادل واعجاب متبادل ٠ وأنا فى ضيلة نفسى لا أحاسب الشعراء على آرائهم السياسية وأمتثل لقوله تعالى عنهم « **ألم تر انهم فى كل واد يهيمون ٠ وانهم يقولون مالا يفعلون** » الشـــعراء الآيات من ٢٢٥ ، ٢٢٦ ٠ وأتمثل فى شأن الشاعر نزار بقول المتنبى :

فان يك الفضل الذى حســـناء واحدا فانحـــاله الملاثى سورن الوف

ولا بأس عليه أن يغضب فيقول فهو ما يلبث أن يعود فيرضى ويقول أيضا ٠ هذا هو موقفى من الشاعر نزار قبانى الذى أعتبره علامة من العلامات الكبرى للشعراء ٠ فى العصر الحديث والذى أكبر موهبته الفذة واستعذب شعره الأصيل وأستمتع به ٠

لهذا جميعا كففت نفسى أن أكذب هذا الخبر السخيف الذى نشر عنى وتوقعت أن يكذبه نزار القبانى نفسه ولكنه لم يفعل والتمست له العذر وقلت ربما لم يعلم به ٠ ولكننى فوجئت بالجرائد والمجلات العربية كلها وليس لها حديث الا هذا الخبر ٠ وكيف يمنع ثروت أباظة الشاعر القبانى أن يدخل البلاد المصرية ٠ وأقرأ وأزداد دهشة وعجبا ٠

وكتب صديقى ورجاء النقاش مقالا يسيل رقة ويقطر سما فى مجلة « التوحة » يعيدنى أن افعل هذا الذى يظن أننى فعلته ويذكرنى بأننى ابن دسوقى أباظة الذى لقب بأبى الشعراء فكان ملاذهم وموئلهم وراعيهم ٠

وازداد عجبى فرجاء يعرفنى ويعرف اننى أبعد ما أكون عن مثل هذا الصنيع · ولكنه لم يكتف بهذا بل زاد أننى أطلب مصـادرة الكتابات الشيوعية فكانت هذه بداية حملة أخرى شنها الشيوعيون كيف يجوز لرئيس اتحاد الكتاب أن يطالب بمنع الكتاب من قول رأيهم · وقد تمكنوا من اختـلاق الأكذوبة ومهاجمة الشخص الذى ألصقوها به ووجـدوا من يصـدقهم · ورئيس تحرير مجلتهم رآنى أدافع عنهم فى المجلس الأعلى للصـحافة لأن الأمر المطروح كان يتعلق بالحرية وبالعـدالة ومع ذلك استباحوا لأنفسهم أن يرمونى بهذه التهمة حين طالبت أن تكون لكل صحيفة فى مصر سمات واضحة ولا تكون الجرائد متميعة الرأى مختلطة المفاهيم · وهم قد رأونى فى اجتماع هام خطير طالب بعض الحاضرين فيه باغلاق جريدتهم أعارض هذه المطالبة فى حسم قاطـع وأرفضه كل الرفض · وأنا لم أصطنع موقفى هذا من مكانى فى اتحاد الكتاب وانما الحرية هى عقيدتى التى أدين بها بعد الاسلام · وهل الإسلام إلا الحرية · واذا خنت حرية خصمى خنت حريتى وخنت نفسى وأنا والحمد لله أعتقد اننى ما خنت نفسى قط · ولا دعاء لى الا أن ألقى الله قبـل أن ترغمنى الحياة أن أصنع ما لا أرضى لنفسى من صنيع · وانه سبحانه قادر أن يبلغنى هذه النشيدة · فانه هو القريب وهو هو تقدست أسماؤه يجيب دعاء المخلصين من عباده جل علاه ·

١٩٨٦/٩/٢١ م الأهرام

هـــم والآخـــرون

من عجب أن الانسان يأبى أن يستفيد من تجارب الأخرين • ولو أن كل جيل انتفع بتجارب الجيل الذى سبقه لأصبحت الانسانية فى مستوى غاية فى الرفعة ولأصبحت الحياة نعيما لا مثيل له •

وهذا الرفض لتجارب الأخرين قديم قدم البشرية فان يكن آدم قد أخطأ فأكل من الشجرة المحرمة • وان يكن قابيل ارتكب الخطيئة الأولى فى حياة البشر فان أبناء آدم أصبحوا جميعهم خطائين وان تفاوتت بينهم درجات الخطيئة •

ثم تعاقبت الأجيال وكل انسان يعتقد أن ما حدث لغيره لا يمكن أن يحدث له • وأصبح كل مجتمع يظن أن ما حاق بالمجتمع السابق لا يمكن أن يحيق به • ولو أن الأجيال المتعاقبة أخذت العبرة من التاريخ ما تعاقب الأنبياء • ولما أرسل الله سبحانه وتعالى الى الأرض الا نبيا واحدا • ولكن كيف وكل أمة فى التاريخ تجاهلت ما وقع للأمة السابقة ويقول سبحانه وتعالى فى سورة الأنعام « **وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم • ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهـارون وكذلك نجزى المحسـنين • وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين • واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضـلنا على العالمين • ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم** » الأنعام الآيات من ٨٣ ــ ٨٧ صدق الله العظيـم •

فهو سبحانه أرسل كل هؤلاء الذين جاء ذكرهم بالآيات الكريمات لأن أقوام هؤلاء الرسل جميعا لم يعتبروا بما وقع للقوم الذين سبقوهم الى الحياة والى الموت أيضا • ولم يتدبروا العظة فى اهلاك الله للقوم الكافرين على مدى السنوات الطوال التى أرسـل فيها هؤلاء الرسل • وقد كان العقاب من الضخامة والهول بحيث أن بعضا منه كان كافيا أن يردع الأمم التى بعده ، ولكن هيهات فما قمعهم الأهـلاك بالرياح ولا بالعواصف ولا بالحواصب • لا شىء أجدى معهم • حتى شاء سبحانه أن يختم رسالاته

الى الأرض فأرسل سيد الأنبياء وخاتمهم بالكتاب الكريم المعجزة الخالدة الباقية حتى اليوم لأن كل المعجزات البصرية لم تكن ذات جدوى مع الأمم التى خلت • فما نفع معهم سفينة نوح ولا نار ابراهيم ولا عصا موسى ولا احياء الموتى من الانسان والطير • فجاء القرآن • فهل من مدكر • هيهات • قليلا ما يذكرون •

ان القرآن الكريم هو الرسول الخالد على الأرض • ولكن الناس أبعد ما يكونون عن روحه السامية الرفيعة • فهم لا يأخذون من تجارب الأمم قبلهم ما ينفعهم فى حاضر أيامهم وقابلها •

والعجيب الأعجب أن الدولة وهى الدولة لا تنظر الى تجارب الآخرين ولا تفيد منها وتحل بها الأزمة الاقتصادية الطاحنة فتغض النظر عن الأدواء السفاكة التى تنشب أظافرها فى كيانها وتروح تبحث عن الدواء فى شتى مظان ومختلف سبل وتأبى كل الاباء أن تعمل الدواء الوحيد الذى ينقذها والذى تعلمه غاية العلم ومع ذلك تتجاهله •

فى أى دولة من دول العالم صدر قانون يجعل الفلاحين والعمال يمثلون على غير أساس من علم أو ثقافة أو حتى دراية الخمسين فى المائة من المشرعين فى الدولة والخمسين فى المائة من مجالس ادارات الشركات فتكون النتائج فادحة الخسران بالغة التدهور • وهل سمع أحد فى العالم أن دولة ما بها أربعة عشر ألف قانون سارية المفعول فى وقت واحد • صدر أغلبها بغير بحث ولا استقصاء ولا دراية ولا خبرة •

وتكون النتيجة أيضا قطاعا عاما يمتص فى شراهة سرطانية أكثر من مليار جنيه سنويا ونجد محلات بيع مملوكة للقطاع العام ، الأمر الذى لا نشهد له مثيلا فى أى دولة حرة • ولا فى أى دولة اشتراكية • ذلك ان المحلات فى الدول الاشتراكية جميعها مملوكة للدولة فهى كلها قطاع عام فليس لها منافس من القطاع الخاص مثلما الأمر عندنا والنتيجة الطبيعية انهيار هذه المحلات ويدفعها الى الهوة عمال بها لهم وجوه ذات جهامة وكشرة ، وكبود ذات غلظة وقسوة ، غير منتمين هم الى مصادر رزقهم وما بعجيب منهم الا أن ينتموا لوطنهم ولا يشفقوا على مواطنيهم فى الخطاب على الأقل وفى اللسان الرطب • وما لهم لا يغلظون وهم يعلمون أنهم بالغون مرتبهم أول الشهر فقابضوه حتى وان قبضوا أرواح الزبائن وما لهم لا يعنفون بالمشترين وهم يعلمون لا عقاب هناك بل ولا حساب ولا مساءلة • هكذا قانونهم وهكذا قوانين جميع العاملين فى القطاع العام •

وأعجب معى لدولة تستطيع أن تخرج الوزير فيها والمدير فى غمضة عين ثم تقف عاجزة أمام كل العاملين فيها .

لا عبرة عند الدولة فلا هى تنظر الى يمين من دول ولا الى اليسار . فالدول ذات اليمين تفصل عمالها . والدول ذات الشمال تنزل بعمالها المهملين ألوانا من العقوبات لا حدود لها ويكفيك أن تعلم أن القتل من بينها بما يقف فى حظيرته من نفى وسجن وما يلى ذلك من عقوبات .

ويتوقف الانتاج فى القطاع العام أو يكاد ولا تنظر الدولة الى ديننا السماوى القيم الذى يعد المحسنين بالجنة وأنهار من عسل ولبن لم يتسنه وخلوا أساور من ذهب ويتوعد المخطئين بالنار وشجرة الزقوم وماء من حميم لا يموتون فيها ولا يحيون . ولا تنظر الى القول المأثور أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

والدولة تأبى أن تستفيد بتجارب دول العالم من يمين ويسار فى التعليم فتسمح للطالب القادر الفاره الغنى أن يستلب من أموال الدولة آلاف الجنيهات يتعلم بها دون أن يبذل للدولة بعض حقها عليه وليس يخجل أن يقصد الى معاهد الدراسة بالسيارات الفاخرة اشتراها له ذووه بالأثمان التى لا يطيقها الا أولو الثروة الخالبة الباذخة .

يسرقون على أنفسهم اسرافا لا خجل فيه ولا قصد وينتهبون الدولة بغير حياء ولا خلق . وما لهم لا يفعلون والدولة تفسح لهم من الطرق أوسعها ليسلموا أموالها الخسف والانتهاب .

والمعارضة لا تتخذ من الماضى القريب عبر فتعتبر ، فاذا هى اثارة للفتن وتهجم على كل ذى كرامة . وتنابز بالألقاب وتدمير للمعانى الشريفة . لا عمل لهم الا السخرية دون النقد والهدم بغير بناء والاساءة خلت من العقل ، والتمزيق الفاحش لكل انسان ، لا يراعون الله ولا يفكرون فيما قد تجره عليهم الفتنة من وبال وجحيم .

واذا كان هذا شأن الدولة والمعارضة فما بعجيب أن يكون هذا شأن الأفراد من وزراء ورعية .

فأما الوزراء فكثير منهم يفكر فى قول الحكيم : (لو دامت لغيرك ما آلت اليك) ، فهم يعضون على كراسيهم بالنواجذ وهم فى عضهم هذا

يخشون أن يوقعوا قرارا أو يصدروا أمرا مخيرين هم عيونهم تدور فى رءوسهم خوفا على كراسيهم وذعرا من المعارضة ومن غير المعارضة ٠

ولو أن كل وزير منهم استلهم ضميره ونظر الى ربه والى صوالح وطنه وأصدر ما يرى أنه الحق من القرارات لما كان هذا حالنا ٠ فما لهم يخشون الناس ولا يخشون الله ، والله والوطن أحق بالخشية ٠

واذا كان هذا شـــأن بعض الوزراء فما بعجيب أن نرى الافراد لا يعتبرون بما وقع على أمثالهم عبر الحياة معتقدين أن ما حدث للغير لايمكن أن يحدث لهم ، فكل مجرم منهم يحسب أنه أوتي من الذكاء والفطنة ما لم يتأت لأحد قبله ٠ وان كان المجرمون من قبله قد حل بهم العقاب فلأنهم لم يكونوا فى مثل ذكائهم وفطنتهم ولباقتهم وعلمهم بأبواب السرقة والنهب والفجور ٠

ان جميع المجرمين والمنحرفين تزخم نفوسهم بالغرور ويظنون أنهم يستطيعون أن يماكروا الله والقانون والمجتمع ٠ ويرفضون أن يصدقوا أنهم بشر من البشر وأن العقـــاب الذى حل على من قبلهم واقع عليهم لا محالة ٠ وأن الله سبحانه وتعالى هو خير الماكرين ٠

خطاب كريم

جاءنى هذا الخطاب الكريم من الأستاذ العالم عدنان أسعد ٠

كاتبنا الكبير الأستاذ ثروت أباظة ــ دام تحية وبعد :

فى مقالكم بالأهرام تحت عنوان (الصـــلح أجمل) ٠٠ ذكرتم بيتا لشاعر قديم هو :

الناس للناس من بدو وحاضرة ٠ بعض لبعض وان لم يشـــعروا

(خدموا) بقولـــكم (خدموا) فى آخر البيت على أنه فعل ماض ٠٠ والصـــواب هو (خدم) على صـــورة جمع التكسير ، جمع لخادم ٠ والذاكرة قد تخون أحيانا فى المحفوظ صوصا اذا صح الوزن وصح المعنى ٠

وقلتم كذلك (أخى الكاتب الكبير أرجم من (أهاجك ما طاب لك الرجم) ، والمعروف لغة أن الفعل (هاج) ثلاثى متعد بنفسه فيقال (هاجه) ولا يقال (أهاجه) ٠

هذا ولولا أستاذية الكاتب الكبير ومكانته بين محبيه من القراء ، لما ذكرت هذه الهنات الهينات ، فللأستاذية مسئولية القيـــادة ٠ ولكم تقديرى والسلام ٠

تعليق : أشكر لك كريم تصحيحك وكريم رأيك واستاذنك اننى وجدت أهاج بالقاموس فيقول أهاجت أهاجة الريح النبت : ايبسته فأرجو أن أكون مصيبا وأكرر شكرى ٠

١٩٨٦/٩/٢٨ م الأهرام

خـــواطر ونقـــد

كم من خاطرة راودتنى في هذا الأسبوع وكم أردت أن أصيح بأقوام أن اسكتوا عن باطلكم حتى يتاح لنا ان نسكت عن حقنا · فويل لزمان يعلو فيه صراخ الباطل ويتخافت فيه صوت الحق ، وويل لزمان يجعل المشرق مغربا والمغرب مشرقا · ويجعل الهوان مجدا والمجد هوانا ويل لزمان يتواثب فيه الزبد على أكتاف الجوهر · والخبث على أعمدة السموق وكم قاسيت من نفسى وكم قسوت عليها أن تكف عن المضى فى هذا السبيل الذى أصبحت أضيق بالكتابة فيه زهدا واجلالا للقراء أن أجعلهم يقرءون عن أمر هم به محيطون · وبعضهم اصطلى أواره وبعضهم به من أثاره جروح دامية لم تزل وما أحسب ان دماءها ستنضب · وكم كففت نفسى حتى لا أقول ما يعرفه جميع بنى آدم ان كرامة الانسان وعرضه هما أثمن ما فى الانسان ، وان الانســان هو سيد المخلوقات · ولا شيء فى العالم يعوض الانسان عن سحق الآدمية فيه · ولا شيء فى العالم يعوض الشعب عن اذلال وطنه فى ساحات الشرف وامتهان عقيدته وهى طريقه الى السماء ·

أيها القلم فلتكف فورا عن الاسترسال فانى أعلم اننى اذا لم أقمعك بعزم ستمضى لا تقف ·

مل بنا الى ديوان شعر جديد ظهر لصديق قريب الى نفسى قرابة أخ وحى ديوانه معى فان هذا لا شك أحب اليك من حديث تمقته وأين حلاوة الشعر من مرارة الأسى ·

أما الديوان فهو « **لا تسالينى** » وأما الشـــاعر فهو العالم الأديب **الأستاذ الدكتور عبد العزيز شرف** · وما عبد العزيز بغريب عن قراء العربية عامة ولا عن قراء هذه الصفحة خاصة فهو من عمدها ·

هذا الديوان فيض شعور فهو أشبه ما يكون بلحن جميل متناغم المقاطع عذب اذا قرأته انتشيت واذا أعدت قراءته أعجبت ، اقرأ معى :

كنت ألقـــاها صـــباحا فتلاقينـــى العشـــية
ثم تأســـو لى جروحـــى بالأغـــانى العبقريـــة

آه مـن لفـظ حبيبـي فى أغانيهـا الشـجيه
آه من جـرح قديـم قـد تولت هى ريـه
وتنـاءت ذات يـوم مثـل أعراض التحيـه

كم هو جميل قوله مثل أعراض التحية · ولا أحسب أن الدكتور عبد العزيز قد ذكر الأبيات الجميلة عن التحية حين ألهمته شاعريته هذا التعبير الشعرى المشرق أما أنا فتذكرت تلك الأبيات القديمة ·

بيضـاء باكرهـا فصـاغهـا بلبـاقة فادقهـا فأجلهـا
منعت تحيتهـا فقلت لصـاحبى ما كان أكثرهـا لنا وأقلهـا
فدنـا وقـال لعلهـا معـذورة من بعض رقبتهـا فقلت لعلهـا

وما أجمل الشعر الذى يذكرك بالشعر الجميل وهكذا استطاع عبد العزيز أن يجعل هذه الأبيات الرائعة تثب الى خاطرى · ونعود الى الديوان ونمضى بين بساتينه الفواحة العبير · ونقف عند نفثه :

ضـاقت بى الدنيا كأنى خصمها يا قلب واللقيـا طوتهـا الأنجم
صحبى وحبى والكرامـة كلهـا ممـا أعاهد بالوفـاء واكـرم
ان الوفـاء سجية لك هل ترى تدع السـجية للشـكاة وتحجم
وأنا الذى قد عافهـا ، ومقـاله ما زال ينضـح بالسـلام ويبسم
آثرت بالحب الذيـن وددتهـم ما بالهم ظلموا ولم أك أظلـم

وأن أجمل ما فى هذه الأبيات أنها تجمع بين البساطة الحديثة وبين الأصالة العربية العربية · وأعجب معى لأقوام يقيمون موازين للجمال من صنعهم ما أنزل الله بها من سلطان · ان الشعر الجميل جميل فى كل عصر · وان أثره هو أثره منذ الجاهلية الأولى وحتى اليوم وانه ليتسرب الى النفس فيشيع فيها اسمى معانى الانسانية وأشرفها حتى كان الانسان يدف بجناحين ملكا فى السماء بعيدا عن الأرضية وكل ما فى البشر من شرور ·

وقد أحسن الدكتور شرف صنعا بذلك الفصل الذى أضـافه الى الكتاب بعنوان « **مع النصوص الشعرية** » بقلم الدكتور كمال اسماعيل والفضل من أعمق البحوث التى قرأتها عن الشعر · وحين يتكلم الدكتور كمال عن عبد العزيز شرف يقول فى أول حديثه : زعم أحد المثقفين ان الدكتور عبد العزيز شرف رومانسى وتساءل هل نحن بحاجة الى مزيد من

الرومانسيين · وأترك الدكتور كمال اسـماعيل يجيب اجابة مفصحة وأتناول هذه القضية التى يثيرها بعض النقاد حين يصنفون الشعراء والكتاب عامة الى رومانسيين ورمزيين وواقعيين فتلك من المضحكات المبكيات فالشاعر أو الكاتب لا يعير هذه التصنيفات أى التفات · وانما هو يلتقى مع نفسه ويكتب فنه وليس يعنيه فى قليل أو كثير هذا التصنيف بل اننى أحسب انه لا يعنى أحدا ·

واسمحوا لى الآن أن أقدم رواية قرأتها فما دمت قد أمسكت قلم الناقد وطفت به فى بحور الشعر فمن حق الرواية على أن أتناول ربوعها بالحديث وأنا منها وهى منى على وشيجة من القربى وعلى آصرة من الحب لا تجيزان لى أن أنساها اذا أنا ولجت من باب الناقدين ·

الرواية من أعظم ما قرأت فى السنوات الأخيرة وكاتبها الناقد العالم المتمكن العميق الدكتور نبيل راغب · وليس نبيل غريبا على الرواية فقد مارسها سنوات ناقدا وأستاذا ودارسا ثم كتب بعد ذلك عدة روايات فاستطاع أن يفلت من أسوار النظريات الى ساحات الفن المترامية الأطراف·

وروايته هذه التى قرأتها أخيرا هى « **درب الشوك** » وقد استطاع نبيل فيها أن يمزج فى براعة فائقة بين التاريخ القريب وبين الابداع الفنى حتى لقد ظن كثيرون ممن قرءوها أنها وقعت وانه انما يروى وقائع ولا يبدع فنا · ويوشك كثير من القراء أن يردوا كل اسم من أسماء الرواية الى اسم انسان عرفه الشعب المصرى وذاع أمره فيه ·

وأشهد اننى لم أقرأ عملا مشابها لرواية الدكتور نبيل راغب قبل هذا وأشهد أنه وفق غاية التوفيق فى هذا المزج الرائع بين التاريخ القريب وبين الفن الروائى ·

وأما الرواية من الناحية الفنية فهى شـائقة السرد · ولا يزال التشويق من أهم مقومات الرواية وان رغمت أنوف ·

واننى أهنىء الأسـتاذ الدكتور نبيل بروايته هـذه وأهنئه بلغته العربية الجميلة المتدفقة فى طبيعة وفى غير قسر ولا اصطناع وأرجو أن يضيف الى مكتبة الرواية كثيرا من هذه الأعمال الرائعة ·

١٩٨٦/١٠/٥ م الأهرام

الحيـــاء قـــوام الحيـــاة

ما أكثر الأقلام التى حاولت أن تزيف التاريخ فاذا التاريخ يدفع زيفها ويكشفها ولا يبقى على صفحاته الا الحق أبلج ناصعا نقيا • وما أكثر هؤلاء الذين كتبوا التاريخ من أغوار مصالحهم الشخصية ، ومن ثنايا عواطفهم ، ومن أعطاف منافعهم ومن كشوف حساباتهم فى البنوك • والتاريخ من هؤلاء جميعا بمرقب عتيد •• فهو بعين نافذة ، وبصيرة تخترق الحجب يصل الى البعيد القصى من أغوار الحقيقة فلا يصـــح عنده الا الصحيح ويذهب الزبد جفاء تذروه الرياح وكأنه ما وجد •

وكم من أقوام حاولوا أن يمسكوا الدفوف فى زمر المنافقين وكم تباروا أن يرفعوا أصواتهم لتلتهم أصوات الحق فبحت منهم الأصوات وسجل الحق صوته على صفحات التاريخ وذهبت دفوفهم ومزاميرهم أدراج الرياح كأنها ما كانت •

ولقد نشـــهد اليوم أقواما منهم يكتبون عن أكتوبر ولا يذكرون السادات العظيم ، وهم فى عماية منهم وحمق يحسبون أنهم يستطيعون بذلك أن يقصوا السادات عن التاريخ •• وهيهات •• فان أعمال السادات الخالدة قد حفرها الزمن فى سجل التاريخ وما قدره الله كان ولأراد لمشيئة الحق سبحانه تعالت أسماؤه وتقدست •

ان السادات هو صاحب قرار أكتوبر ، وهو الذى صنعه ، وهو الذى اختار قواد جيشه عن علم منه واخلاص ، كل الاخلاص لمصر دون نظر الى هوى ودون ميل عن القصد • ثم هو ـ وقد وثق بوطنيتهم وعظمتهم ـ أطلق أيديهم ليجهزوا جيوشهم ليوم اللقاء • فكان نصر أكتوبر الذى يبقى على الزمان حتى يرث الله الأرض وما عليها •

ولقد يسقط الحياء عن وجوه بعض الكتاب فيقولون انه لولا اندحار يونية الذى لم يعرف العالم له مثيلا فى الذل ولا شبيها فى الهوان ولولا ما تلاه من هزائم منكرة تزيد البلاء فداحة والجروح عمقا والخيبة مرارة والفشل احباطا ••ولولا ما كان من حرب الاستنزاف التى بكى لها المصريون

بالنكته الحزينة الملتاعة والتى سخر منها العالم والتى مع ذلك زادت قتلانا عددا وجراحنا ألما ومصيبتنا سوادا ونفوسنا أسى وحزنا وفجيعتنا ثقـلا ٠

لولا حرب يونية الماحقة لكرامتنا ولولا ألعاب الاستنزاف وأكاذيبه وأضاحيكه التى كان ثمنها أرواحا هى أرواح أبناء وآباء وأخوة استهان بها الحكام من أجل تمثيلية حقيرة أكثر ضآلة وهوانا من أن نقول عنها انها هازلة ٠

لولا هزيمة يونية وما تلاها من صمود واستنزاف خائبين لما كان لنصر أكتوبر معنى ولا قيمة ٠

أيستطيع الحياء أن يغيب عن الوجود الى هذا الحد ٠ ان الحياء هو قوام الحياة ٠ وبلا حياء لا حياة ٠ وما الانسانية كلها الا الحياء والا صار البشر شأنهم شأن الحيوانات التى لا عقل لها والتى تصنع كل صنيع فى علن فى حين يتخفى البشر حين يأتون ما يخدش حياء الآخرين ٠

واذا كان الحياء هو قوام الحياة لسـائر الناس فهو عند الكاتب حياته كلها وقيمته وبغير حياء الكاتب تسقط حياته جميعا لأن الكاتب يعلن الناس بوقاحته على الحق ٠

وحين يفعل يكون واحدا من اثنين لا أدرى ولا يدرى أحد أيهما شر من صاحبه ٠ فهو اما أن يصارح الناس بأنه خلع أثواب الحياء وليس يعفيه أن يمشى بينهم بغيرها أو هو يجابه الناس أجمعين والتاريخ أيضا بأنهم أغبياء وأنهم لا يفهمون وأنه يستطيع أن يخادعهم ولا يكشفوا خداعه ويماكرهم ويقصروا عن الوصول الى حقيقة أمره ٠

وكلا الأمرين أكثر فجورا من صاحبه ٠

اذا قلنا انه لولا هزيمة يونية لما كان نصر أكتوبر ٠ لجاز لنا اذا أصاب شخص آخر فى مقتل وجاء طبيب فانقذ المصاب المشفى على الموت أن نصفق للقاتل لا للطبيب البارع ٠ فانه لولا أن القاتل رمى المصاب فى مقتل لما استطاع الطبيب أن يحقق المعجزة التى حققها ٠

بهذا المنطق الأخرق المأفون يتحدث عبيد الطغيان عن أكتوبر والأدهى من ذلك والأمر انهم يريدوننا ان نلغى عقولنا وعقيدتنا ومشاعرنا ونؤمن بهذا السخف الذى يحاولون أن يفشوه بين الناس ٠

ولكننا نذكر قول الله تعالى « **أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء أنا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا** » سورة الكهف آية ١٠٢ وصدق الله العظيم ٠

لقد كان السادات رجل التاريخ وان رغمت من الأنوف أنوف ٠ ولقد خط اسمه على مشارق الأرض ومغاربها ٠ وحقق النصر الذى أعاد الكرامة لمصر وللعرب أجمعين ٠ وجعل الأعزة حماة مصر يشعرون أن مصر مصرهم لا مصر فئـــة ولا جماعة ٠ وانها هى الأم والنشيدة ٠ وانهـــا أمسهم ويومهم وغدهم وغد أبنائهم وأحفادهم حتى تقوم الساعة ٠

وبايمان عميق بالله العلى القدير القـــاهر فـوق عبـاده وبحب صادق مبارك من السماء لمصر ٠ انتصر العمالقة الاعلام من بعد هزيمة كانوا فى مواجهتها محجوبين عن أبواب السماء ٠ وكانوا حين وقعت بهم أبعد ما يكونون عن مصر لا يشعرون أنهم يملكون من أحضانها أنملا ولا من احنائها ضلعا ولا من أنحائها ركنا ٠ فكانت الهزيمة ٠ فاذا قالوا الله أكبر أظلهم الله برعايته واذا قالوا مصر لنا انقدحت شرارة حبها فى كيانهم ٠ وكان النصر ٠

وأتبع السادات نصر الحرب بنصر سياسى لم يشهد التاريخ له مثيلا فكان أن شق صخور اللهو والشعارات الفارغة والصراخ الأجوف والهزل المائع واتخذ سبيله أمما الى بيت المقدس ووقع الصلح الذى تتقطع الأنفاس اليوم من الذين عارضوه ليصلوا الى قصاصة منه فتنغلق دونهم المسالك وتقفل الأبواب ويحيط بهم الفشل والاحباط ٠

لقد أنقذ السلام أرض مصر من الضياع ٠ وأوقف تدفق الدماء التى سالت من أبناء مصر على مدى ثلاثين عاما ٠ وحول مجرى المال الذى كانت تبتلعه صحراوات الحروب المتتابعة الى مرافق مصر المتهرئة المنهارة ٠

وانى لأسأل ولن أجد من يجيب ٠ الى أى مصير كانت ستلقى مصر لو أنها ظلت الى اليوم فى حروب لا تنتهى ٠

واذا كنا فى ظل السلام نعانى هذه الأزمة الطاحنة التى نشـــقى بها فماذا كنا صانعين اذا كنا لا نزال فى حالة حرب تنتهب فى وحشية ضارية كل أموال مصر مخضبة بدماء الأعزة الأبرار من الشهداء ٠

ويل لهؤلاء الذين يحاولون أن يغضوا من شأن السادات العظيم ٠ وويل لكتاب أسقطوا الحياء عن وجوههم وأقلامهم ٠

فان قلم الكاتب قبسة من نور السماء ونفحه من روح الأنبياء فليكرموا ما حباهم به الله · أو هم أكثر ضلالا من ابليس وأعظم مقتا عند الله والناس من الجن والشياطين ·

ان فى أعطافهم وعلى لهواتهم وفيما تخط أقلامهم شرور كل وسواس خناس يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ·

وبعد فلقد نرى بعض الناس يطلبون الينا أن نكتب أدبا ·· وانى اليوم أستحلفهم بكل مقدس عندهم · ان لم يكن هذا الذى نكتب أدبا فما هو الأدب وحسبنا الله ونعم الوكيل ·

١٩٨٦/١٠/١٢ م الأهرام

المسرح والســـلطان

شـــعاع الأمل حين يشق سحابات اليأس يكون فى النفس فرحـة لا مثيل لها واشراقا ضاحيا · وقد شاء لى المولى الرفيق بعباده أن أقصد الى المسرح القومى يوم الاثنين الماضى لأشهد مسرحية « لعبة السلطان » ، وكنت شهدت من قبلها رواية « ايزيس » · وما دمت اليوم سأتحدث اليك عن الرواية الجديدة فالعدل يقتضى أن أقدم أعظم اعجابى للفنـان العظيم كرم مطاوع · فقد استطاع فى رواية ايزيس أن يقدم عملا رائعا فى اخراج مبهر ذكى دون أن يعدو بالاخراج على النص · وقد كان أيضا ممثلا عظيما شأنه دائما وكانت سهير المرشدى فى القمة وكذلك كان كل من شارك فى تقديم هذا العمل الرائع ·

لم أكتب عن ايزيس يومذاك خشية أن تكون هى الأولى والأخيرة فى هذا الانتاج الرائع المشرف · وقلت فى نفسى فلتكن فرصتى حبيسة حتى يصبح الأمل حقيقة ·

وظهرت بعد ذلك رواية مجنون ليلى لشاعر العربية الأول أحمد شوقى وأبت ظروف الحياة أن تتيح لى رؤيتها ·

ثم جاءت لعبة السلطان ورأيتها ·

مؤلف الرواية كاتب من أعظم الكتاب الذين يكتبون للمسرح اليوم فهو يتمتع برصيد ضخم هائل من الثقافة العامة والثقافة المسرحية على السواء ·

وهو يملك حسا فنيا مرهفا · وحبيب الى نفس مثلى ان يشهد عملا لكاتب له ما **للدكتور فوزى فهمى أحمد** من أصالة وثقافة وفن ·

وصدقنى شعورى ورأيت لعبة السلطان فاستطاعت كل جملة حوار فيها أن تمدنا بسعادة ومتعة غامرين ·

والحوار فى الرواية حوار شعرى قريب كل القرب من النفس لا تجد فيه كلمة واحدة تستعصى عن الفهم ·

وقد استطاع المؤلف أن يجمع فى الرواية بين الأصالة والمعاصرة ٠

فالرواية تبدأ فى القـاهرة فى عصر المماليك أو ما يشبهه وينتهز المؤلف هذه الفرصة فيطرح قضايا مصر المعاصرة فى فكاهة حبيبة تجعل مرارة المشكلة مكسوة بالضحكة المنطلقة من أعماق الصدور ٠

ثم هو فى مهارة فائقة ألقى بزمن الرواية الى عصر الرشيد وطرح مشكلة الحكم فى هذا العهد المزدهر الملىء بالأحداث والأمجاد والمظالم فى وقت معا ٠ وفى ثقـافة ثرية عميقة بعيدة الغور ناقش آراء المعتزلة ٠ والأفكار الشرعية فى عدالة الحكم ٠ ومدى حرية الحاكم ٠ والى أين ينبغى أن تنتهى حريته واقرأ معى هذا الحوار :

الأشرس : الله لا يرضى بظلم ٠

الرشيد : أنا لم أظلمك ٠

الأشرس : اذا وقع ظلم منك على الرعايا أو من عمالك فتلك مسئولية اختيارك ٠

وأقف هنا قليلا فالقضية التى تثيرها هذه الجملة غاية فى الخطورة والأهمية معا ٠ فالحاكم وصاحب المسئولية فى أى مكان ليس مسئولا عن عمله وحده ولكنه مسئول عن كل شخص اختاره ليقوم بعمل ٠ فاذا ظلمنى عامل فى مكتب رئيس فليس الظلم واقعا منه وانما واقع من الرئيس ٠ واذا ظلم وزير فالظلم وقع من الذى اختاره للوزارة ٠ وعلى هذا المنطق الطبيعى الذى لا يقبل رأيا آخر يجرى القياس فى كل أعمال أعضـــاء السلطة التنفيذية وبهذا المنطق الذى لا يقبل رأيا آخر ينتفى أن يدافع بعض المغرضين عن أخطاء الطغاة بأنهم لا يعلون بالطغيان الذى يحيط بالناس من عمالهم ٠ فانهم هم الذين اختاروا عمالهم وهم الذين فرضوهم على الناس فرضا لا مشورة فيه ٠ وهم فى اختيارهم لهم لابد قد تحروا أن يكونوا مثلهم طغاة ان كان الرؤساء طغاة ٠٠ لصوصا ان كان الرؤساء لصوصا ، عادلون ان كان الرئيس عادلا ، شرفاء ان كان الرئيس شريفا ، فالذى أصدر الأمر بالتعيين يحمل مسئولية الأعمال التى يقوم بها كل من عينهم ٠ وأذكر البيت الشهير :

ان كنت لا تدرى فتلك مصيبة ٠٠ أو كنت تدرى فالمصـــيبة أعظم

وأعود الى حوار المسرحية ٠٠ ونختار موضعا آخر من الحوار لعله سابق بعض الشىء عن هذه الجمل التى اخترتها ٠

الأشرس : مولاى ألست الأمام ·

الرشيد : أوتشك ؟

الأشرس : بل أجزم غير أن العصمة لا تثبت عليك ·

الرشيد : أنا امام بالبيعة ·· أنا للمسلمين حجة ·

الأشرس : وأيضا عليك تجوز الشبهة ·

الرشيد : افصح ·

الأشرس : ألست تفعل تخطط وتقدر · ألست حرا فى اختيـــار ما تنفذ · لك اذن مشيئة وارادة ولك استطاعة وقدرة ·

الرشيد : لك الله ·· اكمل ·

الأشرس : ويبغى مولاى الرشيد من الامامة أن يعود الصلاح على الكافة أم أن تلك منك للبشر افاضة ·

الرشيد : كلا ·· كى أربح عند الله الثواب ·

الأشرس : فالوعد والوعيد لكل منا يا مولاى ، على كل حر أفعاله والجزاء وفاقا لما قدمه البشر المكلف ، فى كفره وايمانه ، وفى المعصية والطاعة ·· ذاك عدل الله وأنا من دعاته ·

الرشيد : اذن فأنا حر يا ابن الأشرس فى أفعالى ·

الأشرس : انت يا مولاى حر · وبالعقل حصنت فكلفت ·

فاذا كنت معصوما فأنت لأفعالك لا تملك اختيارا · وعندئذ يسقط التكليف عنك حيث لا ثواب على لا شىء ·

الرشيد : لا عصمة اذن فى أفعالى ·

الأشرس : الله وحده المعصوم وأنت بشر لا تفعل أفعاله سبحانه ·

الرشيد : اذن فأفعالى يا ابن الأشرس حكمها مرجأ لله وحده يوم القيامة ·

الأشرس : الأرجاء يا مولاى فلسفة الملوك والحكام كى يبقى حال المظلوم فلا يغضب ، يقبل دون تذمر حكما الهيا لا ينقض · ويحلم بالعدل يوم البعث والبلسم هى الجنة ·

واكتفى بهذا القدر من الحوار · فأنت لا شك ـ قد استطعت أن تلمس هذه الأعماق البعيدة التى يســـتمد الكاتب المسرحى العظيم فنه منهـــا ·

ولا أستطيع الا أن أحمد الله الذى من لمينا بالديمقراطية التى قضينا بها على فكرة الحاكم المعصوم وأصبح لا يوجد الا الحاكم الطاغية ولا يكون طاغية الا حين يلغى الديمقراطية وينفرد بالحكم · وهكذا أصبحت فلسفة الأرجاء لا معنى لها فالشعب ان سكت عن طاغية فهو انما يسكت مقهورا لا مختارا وهو فى سكوته مجبر لا اختيار له وهو بالقطع واليقين لا يفكر بفلسفة الأرجاء التى روجها الحكام الذين ادعوا العصمة ·

وبهذه الفلسفة العميقة يضع **فوزى فهمى** مشكلة زواج العباسة من جعفر البرمكى على المسرح ويجعل منها بؤرة الأحداث ويناقشها من جوانبها الشرعية والعنصرية والانسانية جميعا ·

وبعد فأنا أهنىء الكاتب العظيم وأودع بين يديه أملا كبيرا فى مسرح رفيع يطلع به هو وأبناء جيله الذين أناروا لنا شعاعا رائعا فى ظلمة سواء يئس أو شك ان يكون خانقا ·

ولابد لى أن أهنىء المخرج العملاق **نبيل الألفى** الذى أصبح اليوم هو ورعيله روادا للمسرح الحديث وأساتذته وأعلامه ·

وقد استطاع أن يقدم النص فى اتقان رفيع دون افتعال وتكلف واستطاع أيضا أن يقدم لنا مسرحا متطورا عظيما فى غير جلبة ولا صراخ · وما هذا جميعه بغريب على من كان فى قدرة **نبيل الألفى** وفنيته وثقافته ·

أما عن التمثيل فحدث عنه ولا حرج فقد شهدنا سيمفونية من الفن الرفيع المايسترو فيها هو الألفى والعازفون جميعا قمم وأعلام شاهقة · مرحبا بالنجم العظيم **نور الشريف** فى بيته من المسرح وما أعظم **عبد الرحمن أبو زهرة** وما أرفع موهبته ضاحكا وباكيـــا وما أروعه وهو يقوم بدور المهرج وما أعظمه وهو يقوم بدور الواعظ وعلى نفس القمة تقف **عايدة عبد العزيز ومحمد وفيق وأشرف عبد الغفور** حتى لقد خرجنا من المسرح عاجزين تماما أن تفضل واحدا منهم على الآخر فقد كانوا جميعا على أعلى مستوى من الفن لا أقول المسرحى المصرى أو العربى وانما أقول وأنا فخور بهم على المستوى العالمى ·

وبعد فقد شهدت المسرحية كما قدمت فى يوم الاثنين وقصدت أن أذكر اليوم · فيوم الاثنين من الأيام التى تخلو فيها المسارح عادة ولكن المسرح كان موشكا على الاكتمال ·

اذن فالجمهور يحب الفن الرفيع ويقدره ٠

اذن فلماذا لا نعود بمسرحنا الى شموخه القديم ويعرض مع الروايات الرفيعة الجديدة مثل لعبة السلطان روايات العمالقة الاعلام « **شـــوقى وعزيز أباظة وتوفيق الحكيم وباكثير** ومالنا لا نعيد الى المسرح الأعمال العالمية الكبرى التى كانت وجها مشرقا عظيما فى تاريخ المسرح العربى ٠

وما أعظم أن يكون المسرح القومى هو ميدان الأعمال السامقة التى تبقى على مصر ريادتها الفنية الباذخة ٠

وبعد فاننى أهنىء السيدة الفنانة العملاقة **سميحة أيوب** مديرة المسرح القومى بهذا الجهد الرفيع الذى يتفق وتاريخها الفنى العريض ٠

١٩٨٦٨/١٠/١٩ م الأهرام

السيف والذهب

صورة قلمية

قد يطيب للحياة بين الحين والآخر أن تؤلف قصة فنية تلتزم فيها بجمع قواعد القصة التى وضعها النقاد . وهذه القصص الفنية نادرة فى مجموعات الحياة القصصية . فأغلب قصصها بعيدة عن المعقولية التي يلتزم بها القصاصون فهى لا يعنيها في شيء اقناع المطلع على ما تكتب ولا يعنيها أيضا رضاؤه أو عدم رضائه . ولعل شوقي هو أعظم من وصف قصص الحياة الضارية في قصيدته الخالدة مصاير الأيام . وان الحياة حين تؤلف قصصها تبدو لبنى الأرض كأنها ظالمة لأن الانسان لا يعرف الا عدالة ضيقة الحدود ضئيلة المعالم . أما عدالة السماء فتشمل الكون كله وهو سبحانه وحده يعلم وليس غيره يعلم ما هو خير لعباده فهو يطبق عدالته تقدست اسماؤه بالصورة التى تمكن العدالة أن تتاح لجميع عباده وهو حين يطبقها يشفعها بكرمه ولطفه ورحمته التى كتبها على نفسه .

فشوقى حين كتب أبياته هذه الخالدة التى ساروبها لك سجل ما تجرى عليه الحياة فى ظاهر أمرها ، لأن الله وحده هو الذى يملك ما وراء أحداث الأرض من عدالة تشمل الجميع . وقد أعجبت باحصاء قامت به سيدة أمريكية أثبتت به أن الناس جميعا يتمتعون بأنصبة متساوية من السعادة تقابلها أنصبة متساوية من الشقاء فكل انسان حظى بقدر من السعادة يعدل ما أصاب الآخرين وناله قدر من الشقاء نال مثيله الأخرون ، والله وحده يعلم مداخل السعادة والشقاء فى نفوس أبناء البشرية . فقد يقع الحدث الهين ولكن الشقاء به فى نفس من وقع عليه يكون فادحا . وقد ينال انسان ما خيرا ضئيل الشأن ولكن سعادته به تفوق كل سعادات الدنيا .

يقول شوقى :

قطيع يزجيه راع من الدهر ... ليس بلين ولا صلب
أهابت هراوته بالرفاق ... وثابت على الحيد الهرب
وصرف قطعانه فاستبد ... ولم يخش شيئا ولم يرهب

أراد لمن شـــــاء رعي الجـديب وأنزل من شـــــاء بالمخصـــب
وروى على ريهـــــا الناهـــلات ورد الظمـــــاء فـلم تشـــرب
وألقى رءوســـا الى الضـــاربين وضـــن بأخرى فـلم تضـــرب
وليس يبـــالى رضـــا المستريح ولا ضـــجر النـــاقم المتعب
وليس بمبـق على الحاضـــرين وليس ببـــــاك عـلى الغيـب
فيا ويحهم هل أحســـوا الحيـــاة لقـــد لعبـــوا وهى لم تلعـب

هكذا الحياة اذن حين تؤلف . ولكن القصة التى سأرويها لك اليوم كاملة الخطوط لن ترى فيها عوجا ولا أمتا وان كنت سترى فيها أموال مصر كيف امتهنت . وأقدار الناس كيف ضاعت . وسترى فيها الرعب وكيف فشا فى حياتنا فى عهد الطغيان الأسود والجبروت العاتى .

كان أستاذا فى الجامعة وقع عليه الاختيار ليكون وزيرا فكان . وكان قد استطاع على مدى أيام حياته أن يبنى لنفسه ولبنيه عمارة يسكن بها هو وأولاده ولم يترك بالعمارة شقة خالية لابنه حين يتزوج مطمئنا الى القانون الذى كان ساريا فى ذلك الحين ان من حق صاحب العمارة أن يخلى شقة فى ملكه أو أكثر اذا كان الاخلاء من أجل أبنائه أو بناته عند الزواج .

ولكن هذا القانون ألغى فجأة ودون مناقشـــة وبأمر قاطع باتر لا مراجعة فيه ولا تدبر .

وبلغ ابنه سن الزواج . ووجـد العروس ولم يبق الا ان يجـد العروسان سقفا يضمهما .

ووقع الوزير فى حيرة . ووجد بين سكان عمارته شخصـــا فردا يستأجر شقة ولكنه لا يقيم بها وانما له غيرها فظن فى سذاجة أنه يستطيع أن يفاوض صاحب هذه الشقة أن يتركها لابنه . ولكن كيف ؟ ومتى كانت الانسانية عاملا ذا قيمة فى دنيا الجشع .

رفض الرجل وراح يرسل البرقيات الى كل ذى سلطان . أن الوزير يريد أن يخرجه من مسكنه وانه يستغل منصبه .

وملأ الرعب قلب الوزير المسكين ، وانطوى قطا هالعا . وذهب الى صاحب الشقة يعلنه أنه تنازل عن رجائه وانه لا يريد الشقة وأنه ليس

من الضرورى أن يتزوج ابنه على الاطلاق · فلا بأس أن يظل الابن بلا زواج اذا كان فى زواجه سجن الأب وسحقه · فقد كان الوزراء من أساتذة الجامعة أكثر الناس قربا الى الهوان والتدمير اذا ما غضب عليهم السلطان أو أحد الأمراء المقربين للذات العلية ·

ولكن هل سلم الوزير ·· هيهات · كان كلما لقى وزيرا من أمراء الزمان طالعه فى جهامة ؟

ـ ما حكاية الشقة !!

ويقول الوزير المغلوب على أمره ·

ـ لا ·· شىء ·· لقد صرفت النظر عنها ·

كان الوزير أستاذ الجامعة السابق يدرى كل الدراية أن العلم الذى يحمله يجعله عرضة للتمزيق والتحقير · ففى عصر الجهلاء يصبح العلم تهمة وتصبح الثقافة جريمة لا تغتفر · فأبشع أنواع الجهل العلم الناقص ورحم الله شوقى أيضا حين قال :

كل تعليم تـــراه ناقصـــا سلم رث اذا استعمل خانا

وفى يوم اجتمع مجلس الوزراء برئاسة القطب الأعظم وجرى الحديث من فرد واحد يلقى الأوامر لتصبح نفاذا !!

ولاحظ الدكتور والوزير أن الذات العلية مشيحة عنه فأوجس كل شرور الدنيا وانتهى الاجتماع ونظر السلطان الى الوزير المذعور ·

ـ لا تنصرف قبل أن أراك ·

ـ أمرك ·

ـ ستعرف متى ألقاك حين أرسل اليك ·

ـ أمرك ·

ودلفت الذات العلية الى حجرتها الخاصة ·

وظل الوزير مرتجفا فى انتظار طال ثم جاء له السادن حامل الأختام وقال له :

ـ ما هذا يا دكتور الذى صنعته ·

ـ ابنى ـ لعنة الله عليه ـ أراد أن يتزوج ·· وهل تأتى المصائب الا من الأبناء هل كان لابد له أن يتزوج · وهل ستخرب الدنيا اذا لم يتزوج ، سخف وحماقة أنصبت على دماغى · وعلى كل حال انا اعتذرت

لصاحب الشقة وسحبت رجائى الذى توجهت به اليه ولا داعى أبدا أن يتزوج ابنى ٠

ـ اسمع انت ستدخل الآن الى السلطان قبل أن تدخل حجرته ستجد كوب ماء وأقراص فليوم للتهدئة خذ قرصا ٠٠ أو لعل من الأحسن أن تأخذ قرصين وادخل ولا تناقش واسمع فقط ٠

ـ أمرك ٠

وتوجه الوزير مرتعش الأطراف وفتح بابا فوجد الأقراص والماء فتناول ثلاثة أقراص ٠ وانتظر لحظات يقرأ الآيات القرآنية لعلها تثبت بعض قلبه الذى أصبح وكأنه بين مخالب طائر يهوى فى السماء صعدا ٠٠ ثم قرأ الفاتحة وبسمل وبيد توشك على الشلل فتح الباب وطالعه الهول الآخذ والرعب المبين ٠

ـ ما هذا يا دكتور ٠

وصمت الدكتور وقد أصبح فقدان الوزارة أملا له فى تلك اللحظة ٠ فهو انما كان يخشى ما يلى هذا الفقدان من سجن وعذاب وتمزيق أعراض وأجساد أو كان يخشى التشريد فى أقطار مصر بلا مأوى ولا ملجأ ولا أمان ٠

صمت وظل البركان ثائرا حتى اذا استوقت الثورة وبلغت قمتها قال السلطان :

ـ مر على السادن حامل الأختام قبل أن تغادر الى بيتك ٠

واستطاع الوزير أن يستجمع لسانه ليقول :

وخرج وذهب الى السادن حامل الأختام منتظرا أن يصدر اليه الأمر بأن يلزم البيت ويترك الوزارة ولكن أمرا عجيبا حدث قال السادن حامل الأختام :

ـ مثل هذه الأمور لا تكون هكذا ٠٠ كان عليك أن تخبرنا ونحن نتصرف ٠

ـ لم أكن أعرف ٠

ـ على كل حال خذ هذان : مفتاحان لشقتين مفتوحتين على بعضهما البعض من شقق الحراسات فى أفخم عمارة فى القاهرة وأخذ الوزير المفتاحين وهو لا يصدق نفسه ٠

ولم يجرؤ الوزير وهو يركب سيارة الوزارة فى طريقه الى البيت أن يفكر ولو لحظة واحدة ٠٠ أكانت الحراسات قد وضعت على الناس

لتصبح أموالهم ملكا خاصا للذات العلية والأمراء والسدنة وحملة الأختام والقماقم ·

لقد كان التفكير جناية عقوبتها فى تلك الأيام لها من الشراسة والفجور ما يجعل الاعدام معها رحمة وشفقة ولطفا ·

ومع ذلك مازالت هناك السنة تلهج بمديح تلك السنين السفاكة التى أنقذنا منها الله بواسع فضله وغامر نعمته جل جلاله وسبحانه وتعالى عما يشرك به الطغاة المشركون ·· له الحمد وله الشـــكر فانه لا موئل للانسان الا كريم وجه !

١٩٨٦/١٠/٢٦ م الأهرام ·

الـــكاتب وابليس

أقرأ فى كتاب الأجوبة المسكنة وقد وجدت فيه حوارا أعجبت به غاية الاعجاب · فقد كان الحجاج يستعمل كاتبا له اسمه أبو العلاء يزيد ابن أبى مسلم · وكان من شأن الكاتب أن يكون موضع سر الأمير الذى يعمل له وكان من الطبيعى أن يكون مقربا اليه أثيرا يعرف خاصة شأنه ، وكان من الطبيعى أيضا أن يكون الكاتب ذا شفاعة مقبولة ·

والحجـاج بن يوسف الثقفى من أكبر عتاة التاريخ ومن أعظمهم ارتكابا للمظالم ولعل تاريخ العرب لم يعرف فى عصوره الأولى ــ وليس فى العصر الحـديث ــ طاغية فى مثـــل طغواه · وله الجبروت والفجور احداث واحداث حسبك أن تعلم منها انه وهو المسلم هاجم الكعبة واستباح حرمتها ليحارب عبد الله بن الزبير وابن أسماء ذات النطاقين وكانت عـلى قيد الحياة حين اقتحم الحجاج الكعبة وأسر عبد الله بن الزبير وقتله وعلقه مقتولا امعانا منه فى التمثيل به ·

ولو مضينا فى الرواية عن جبروت الحجاج ما وقف بنا القلم · فلنتركه جانبا فان أمره شائع ذائع لا يحتاج الى مزيد من تفصيل ·

ومات الحجاج لأنه انسان مهما يبلغ به البغى أقصاه فهو يموت وهو لا يستطيع أن يخرق الأرض أو يبلغ الجبال طـولا وزعموا أنه قال وهو يموت : « اللهم اغفر فقد زعموا انك لا تغفر » وهكذا أقر بكفره وهو يموت أيضا فمهما يكن فجوره فهو يعلم أن الله يغفر الذنوب جميعا الا أن يشرك به ·

ولا تقتصر أنواع الشرك على القول وحده بل ان ألوانا من الشرك أبشع وأفدح · فحين يشارك انسان الله فى ملكه فيقتل فى غير ذنب · ويعذب دون سؤال ، ويندفع فى الحياة اعصارا من الهول الوبيل ، يصبح مشركا بالقول والفعل جميعا · لمثل هؤلاء تفتح جهنم أبوابها · ومهما يحاول الحجاج أن يوقع بين الله وعباده فان الله مبطل مكره · فهـو من يعرف خائنة الأعين وما تخفى الصدور ·

مات الحجاج اذن وجرى عليه ما يجرى على كل بنى آدم ·

وتولى بعد فترة سليمان بن عبد الملك الخلافة وكانت قد أصبحت أشبه بالملك منها بالخلافة · وأراد سليمان بن عبد الملك أن يتخذ كاتب الحجاج أبا العلاء كاتبا له وأراد أن يحتضنه ويقربه اليه ويصبح كاتم سره وأمين عرشه · والكاتب حين ينال هذه المكانة يصبح ذا شفاعة عند الملك مقبولة ، وذا رجاء مجاب ، ومن كان هذا أمره استطاع أن يكون عاصفة ضارية فى شتى مجالات الحياة ·

ولعل هذا الحوار الذى أنقله اليك يعيننى على تفصيل ما أجملت ·

حين أراد عبد الملك أن يختار ذلك الكاتب ويحتضنه ، عارضه فى الأمر خامس الخلفاء والمثل الأعلى فى العدالة عمر بن عبد العزيز ــ رضى الله عنه ــ ولم يكن قد ولى الخلافة بعد بطبيعة الحال وقد نصحه بالعدول عن أبى العلاء ذاك وقال له :

ــ أناشدك الله يا أمير المؤمنين ألا تعيد ذكرى الحجاج بن يوسف وتحيى سيرته باستكتابك كاتبه وجعله أمين سرك ·

فقال له أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك :

ــ يا أبا حفص انى كشفت عنه فلم أقف له على خيانة فهو لم يسرق فى أيام الحجاج دينارا ولا درهما ·

فقال أبو حفص عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه :

ــ أنا أدلك يا أمير المؤمنين على من هو أعف عن الدرهم والدينار من كاتب الحجاج ·

فقال أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك ··

ــ من هو يا أبا حفص ؟ ·

فقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه :

ــ هو ابليس لقد أهلك الحرث والنسل وأشاع الضلال والفساد فى الأرض ولم يلمس درهما ولا دينارا ·

فقال سليمان بن عبد الملك :

ــ لقد تركناه بعد أن لزمتنا الحجة ·

والى هنا ينتهى الحوار الذى نقلته نقلا يكاد يكون حرفيا عن كتاب الأجوبة المسكتة ورحت أفكر فى الأمر ·

اذن فالكاتب الفاسد الضمير بجانب العاتية معدوم الضمير أشد هولا على الناس من ابليس وهو ابليس ·

فابليس واضح المعالم جلي السمات قال سبحانه وتعالى في سورة « الحجر » « **فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين • قال يا ابليس ما لك ألا تكون مع الساجدين • قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون • قال فاخرج منها فانك رجيم • وان عليك اللعنة الى يوم الدين • قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون • قال فانك من المنظرين • الى يوم الوقت المعلوم • قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين • الا عبادك منهم المخلصين** » الحجر الآيات من ٣٠ : ٤٠ صدق الله العظيم •

فابليس اذن واضح مع نفسه أخذ على نفسه العهد أن يغوى الناس ويجيد بهم عن الصراط المستقيم وهو فى حضرة رب العرش وقد أنظره سبحانه وتعالى وأمهله الى يوم البعث بمشيئة الهية فما من شيء في الكون يحدث الا بمشيئته سبحانه فابليس اذن يقوم بالعمل الذى رصد نفسه له منذ أبى ان يسجد لآدم مع الساجدين •

أما الكاتب المخادع فهو شر من ابليس ، وأشد وبالا لأنه حين أصبح كاتبا انما أصبح كذلك بثقة أولاها اياه القراء وبهذه الثقة أصبحت له الصحف صدورها ، وبهذه الثقة قد يختاره السلطان ليكون كاتبا وكاتم سره ونجيه • وهو — لا شك — سيسأله المشورة فان لم يكن بعيدا عن الهوى • يخلص السلطان الرأى ويقدم له النصح بعيدا عن الرأى بريئا من النفع الشخصى نقيا من الغرض فهو اذن كارثة لا مثيل لها ومصيبة لا دفع لأهوالها •

وحين يقترب الكاتب من السلطان ويصبح قربه منه شهيرا بين الناس معروفا ، يصبح لكتاباته وقع آخر غير الواقع الذى يثيره الكتاب الآخرون عند عامة الناس من القراء بل وعند الخاصة أيضا •

وحين يشتهر قرب الكاتب الذى خلا من الحياء والذى تجرد من الضمير يصبح موئل نفاق عند الناس • وتصبح كل مطالبه مجابة بل هى قد تصبح أوامر لا تقبل المراجعة • فالحاكم الطاغية يصبح كل من حوله طغاة • والكاتب فيهم هو أوسعهم طغيانا وأبعدهم فجورا لأن صلته بصاحب السلطان معلقة بكل وسائل الاعلان • وهو أيضا يعمل بكل جهده على اذاعتها حتى لا يصبح أحد فى العالم جاهلا بها •

وهذه الصلة فى عصرنا الحديث جسور ممتدة الى جميع أنحاء العالم • فوسائل الاعلام فى كل مكان يهمها أن تنشر كل ما يتاح لها عن رؤساء الدول • فاذا وقعت على كاتب محترف كان لصيقا لكل ملتصق برئيس دولة فهذا الكاتب طلبتهم وبغيتهم ونشيدتهم وهدفهم يوسعون له مجالات

النشر ويغدقون عليه الأموال اغداقا لا يمكن أن يتاح لهذا الكاتب لولا هذه الصلة الحميمة من رئيس دولة ٠

ولما كانت الطيور على أشكالها دائما تقع ٠ فاننا نجد الطغاة يختارون أصفياءهم وكتابهم وذوى الرأى عندهم وأصحاب المشورة من المنافقين حتى لا يعارضوا ، ومن السفلة حتى يحمدوا الظلم ، ويمجدوا الأخطاء ، ويحمد الجرائم ، ويباركوا ألوان الخسف والجبروت التى ينزلها الطاغية على عباد الله ٠ ومن الحتم أن تكون هذه البطانة من الذين لا يؤمنون بالله ولا بالآخرة ، لأن المؤمن بالله يخاف عقابه ٠ والمؤمن بالآخرة يخشى نيرانها وجهنمها وبئس المصير ٠

وهكذا ترى أن الكاتب المعدوم الضمير شر من ابليس ٠ لأن ابليس أعلن أنه سيغوى الناس ، بينما الكاتب المنافق يعلن للناس انه سيرشدهم الى الحق ثم يروغ به الى الباطل ٠ ويقول لهم فى العلن انه سيقدم اليهم الهداية ثم ينحرف بقرائه الى الغواية ٠

فما كان أعظم عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه حين نصح سليمان ابن عبد الملك ألا يتخذ كاتب الحجاج كاتبا له ، لأن هذا الكاتب الذى استخلصه الحجاج لنفسه طالما مدح الطغيان وهون الجبروت وجعل من فجور الحجاج فخرا ومن ظلمه عدلا ومن قبحه جمالا ومن كفره ايمانا ٠

ومثل هذا الكاتب اذا كان سليمان بن عبد الملك اختاره وختم له بالوظيفة لأمسى وبالا عليه ولجعل الناس يتوقعون من سليمان بن عبد الملك حجاجا آخر مسلطا على أقدارهم وأرزاقهم وكراماتهم وحريتهم وحياتهم ٠

ما أعظم عمر بن عبد العزيز خامسا للخلفاء الراشدين وما أعظمه وهو بعد لم يصبح أميرا للمؤمنين ٠

١٩٨٦/١١/١٢ م الأهرام

« البحـر لا يحترق » ..
والجيل الذى يحترق

مازال الواقع المتغير أبدا يفرض ظله الثقيل على الكاتب فلا يجد بدا من التوقف عنده والاغراق فيه ٠

غير أن الواقع يتخذ فى كل جيل شـكلا جديدا ، فاذا اتخذ عند طه حسين فى « **شجرة البؤس** » الشكل الحضارى ، حيث كانت تواجه مصر فى نهاية القرن الماضى وبداية هذا القرن مجموعة من المتغيرات التى تنعكس فى الدين والعادات والتقاليد ، فان هذا الواقع يتخذ عند ثروت أباظة فى أحدث رواياته « **البحر لا يحترق** » مجموعة من المتغيرات التى تنعكس فى شكل الحياة وطبيعة تصاريفها ٠

فاذا كان الحاح طه حسين حضاريا اجتماعيا كان الحاح ثروت أباظة اجتماعيا فى المقام الأول واذا كنا مضطرين الى مقارنة « **شجرة البؤس** » و « البحر لا يحترق » ، فلان العنصر الدال منها يتحدد عند تطور الأجيال ، فضلا عن تشابه الأحداث الا قليلا ٠

اننا فى « **البحر لا يحترق** » أمام التاجر لمبرو وزوجته التى تساعده فى احدى القرى المصرية ، حتى اذا ما رحلت يسعى لمبرو اليونانى الى سويلم ليساعده عوضا عنها ، ويسعى سويلم بدوره ـ وهو لم يجاوز العشرين ـ الى العمل مع لمبرو ويتزوج ويلعب طيلة النص دورا محوريا ، فهو يسعى بمعسول كلامه الى الحاج محمدين تاجر الحمزاوى فيوثق علاقته به ، وهو يسعى ليزوج ابن الحاج فؤاد بابنة عمدة الفؤادية ـ وهيبة ـ وهو يجنى صنيع عمله ، وأمانته من الخواجة الذى يترك له كل أمواله قبل وفاته ٠٠٠ فاذا بسويلم ، وقد أصبح تاجرا مرموقا ، يجىء الى القاهرة ويقيم مع الحاج وابنه لتتكون الأسرتان (أسرة سويلم وأسرة فؤاد) فيشتريان العقارات وينجبان الأولاد (سويلم / مجدى ، فؤاد / فكرى ، والهام) ، وحين تهيأ أسرة فؤاد لتزويج ابنتها من ابن سويلم يرفض أبناء الجيل الجديد مثل هذا الاقتران الموعز به فى وقت يمضى الزمن فيه بمجدى فيستقيم فى دراسته وعمله ويتزوج من أخرى أحبها ،

أما فكرى ، فانه يلحق ببعض رفاق السوء ويؤثر طريق المخدرات والرقيق الأبيض ويقترن من غانية ، ويستيقظ مجدى فى أحد الأيام على رجاء زميل له بالعمل لينقذ ابنه من هذه العصبة التى تضم فكرى ، فيقنع الزميل ابنه ليستنقذه بارغامه على السفر ... ويذهب مجدى الى أسرة فؤاد بالفعل ... وحين يخلص فؤاد الأب وزوجته النصح للأمين هو لا يلتفت اليهما ، ويكون على الأب أن يضع أمواله كلها ـ كما فعل لمبرو مع سويلم ـ فى أيدى مجدى الأمين ليعيدها الى الأب فى حالة واحدة بعد رحيله أم عودته للرشد ، ففى كل جيل دائما « الشرفاء وغير الشرفاء » .

على هذا ، فان العنصر الدال فى الرواية يظلل تطور الأجيال سحيث يحدد فيه الأجيال الفعل ، ففى حين يمضى جيل الى الأمام فان ثمة جيلا آخر يمضى الى الخلف ، فالجيل الأول يمضى كالبحر « لا يحترق » والجيل الآخر يقضى بأن يحترق حين يحكم عليه بالبتر ، وهو المصير الذى اختارته أم فكرى لابنها العاق « ان العضو الفاسد اذا لم يبتر يقتل » .

وفى هذه الحالة الأخيرة ، فان المقابل ، لتطور الأجيال ، فى جانب منه ، يكون ، الفعل الردىء ، وهو قرين الشر الذى يوجد دائما فى كل جيل ، ويوجد دائما معه سلاح الحسم القادر على البتر من أجل القصاص والاصلاح والتغيير .

الرواية على ما تحمله من رؤية اجتماعية ، فان التطور الداخلى فيها يفوق التطور الخارجى ويطغى عليه ! ، فالرمز يتطور فى أحشاء الحدث بطيئا لا يعلو الى طفرة التحول الكبير المباشر ، والرؤية الاجتماعية تتحدد حول ردود فعل أفراد فى المجتمع دون أن تضع هذا الفعل فى موضع التساؤل والدهشة ، فكان التغيير هنا يظل أسيرا للداخل (الانسان) وليس للخارج (وتطور المجتمع وتداعيه .. لفعل الفرد وليس لفعل هذا الواقع الكابوس .

وهو مأخذ لا تفلت منه أغلب الأعمال الابداعية الآن ... فالحاضر يرصد جيدا دون سبر أغوار وتكشف بواعث التغيير فيه مما يحول بيننا وبين التنبؤ بالمستقبل أو الهجس به .

وثمة أمر آخر لا يمكن اغفاله ، فان الرؤية التى تستمد خيوطها من الحاضر لا تلتزم بضمير الحكى الروائى الذى التزم به صاحبه دائما ، وانما شهدنا خروجا غير مبرر ، كأن يعلو صوت سويلم فى اللوحة الثانية بضمير المتكلم ، أو أن يعلو صوت الهام فى اللوحة السادسة عشرة ، دون

أن يبرز أيضا خروج الضمائر وتباينها ... وعدم ذوبانها فى النسيج العـام .

غير أن هذا كله لا يجب أن ينسينا الاشادة باللغة الجزلة والأسلوب الطبيعى الذى يميز نسيج الحكى الروائى ، وهو ما يمكن أن يلحظ أكثر فى الحوار الذى لم يغادر العربية الفصحى بأية حال ..

مما يكن ، فان رواية « **البحر لا يحترق** » حرصت على أن تؤكد أن الجيل هو البطل ، كما جعلت من عقد السبعينيات وامتداده محورا أساسيا من مجاور العمل فى حدود الحاضر دون وضع هذا الحاضر موضع تساؤل أو تفسير كبير .

١٩٨٦/١١/٦ م الأهرام

تعقيب على المسئولية

قدر لى أن أشهد بالتليفزيون فيلما عن حياة ايزنهاور · والفيلم يبدأ بايزنهاور حين تولى قيادة جيوش الحلفاء تمهيدا للهجوم الشامل على أوروبا · ذلك الهجوم الذى بدأ من الشاطىء الفرنسى وأدى الى نهاية الحرب بهزيمة جيوش المحور ·

والفيلم من الناحية الفنية غاية فى الروعة · وانك لواجد فى أغلب مشاهده مواقف انسانية تهز المشاعر فى قدرة حوارية فائقة ·

وقد استثارنى الى الكتابة عن هذا الفيلم فقرتان من الحوار رأيت أنهما يمثلان معنى الديمقراطية فى أعظم صورها · بل هما يمثلان فلسفة الحكم فى كل أشكاله ونظمه ·

ففى أحد مشاهد الفيلم يحدث لقاء فيه كثير من العنف بين منتجمرى وايزنهاور · بعد هزيمة ساحقة للقوات الأمريكية فى أفريقيا ·

ويقول ايزنهاور :

ـ لقد نحيت القائد الذى كان مشرفا على العمليات الحربية وعينت آخر بدلا منه ·

ويقول منتجمرى :

ـ فاذا كان شيئا مثل الذى نحيته ماذا أنت صانع ؟

ـ أنحيه وآتى بغيره ·

ويقول منتجمرى فى لهجة ساخرة قاسية ·

ـ انى لأعجب أيها الجنرال من سينحيك أنت اذا أخطأت ·

ويبتلع ايزنهاور الاهانة على مضض ويصمت ·

وفى حوار آخر نشاهد ايزنهاور يتفقد ميدان القتال ويحس بالألم المروع من رؤية الشباب القتيل ·

ويقول لرفيقه فى المسير ·

ـ أتمنى ألا ينظر هؤلاء القتلى الى هذه النظرة المتهمة النافذة ··

ويقول رفيقه ·

ـ ان قوادك لم يحسنوا معاونتك ·

ويقول ايزنهاور فى شجاعة منقطعة النظير ·

ـ أنا الذى اخترت هؤلاء وأنا وحدى الذى أحمل المسئولية ·

وسواء كان هذا الحوار منقولا عن ايزنهاور وهو الذى قال هذه الجملة أم أن كاتب الحوار ألفها فهى تمثل قاعدة أساسية فى الحياة السياسية ·

فالشخص الذى يختار يحمل مسئولية من وقع عليه اختياره · وخاصة اذا كان الاختيار ليس نتيجة انتخاب من عدة أشخاص ·

ففى النظام الديمقراطى حين يتقدم حزب بأسماء الأعضاء الذين يمثلونه فى الوزارة يصبح الحزب مسئولا عن كل وزير مسئولية تضامنية · فاذا أخطأ الوزير أصبح الحزب كله متهما ولابد أن يتخذ الحزب اجراء حاسما وقد يستقيل كل وزرائه من الوزارة اذا كانت التهمة فادحة الأثر ·

وفى نظام انتخابات القائمة يكون الحزب مسئولا عن كل عضو رشحه الحزب فى قائمته · بل هو يحمل نفس المسئولية فى الانتخاب الفردى لأنه حين يرشح شخصا ما لعضوية المجلس النيابى فهو انما يعلن بذلك ثقته فى هذا الشخص ·

فاذا خذله النائب واتضح أنه لم يكن جديرا بهذه الثقة يقع فى ضمير الحزب جميعه أن يتخذ اجراء ضد هذا النائب الذى خان الأمانة ولم يرع ما علقه به حزبه من ثقة حين رشحه ولا ما أولته اياه دائرته من تأييد حين انتخبته ·

وفى النظام الرئاسى يعين رئيس الدولة الوزراء جميعا بمعاونة رئيس الوزراء ولا شك أن الرئيس حين يصدر المرسوم بالتعيين يكون قد جمع فى يديه المعلومات الوثيقة التى تؤكد له أن هذا الاختيار الذى يقدم عليه اختيار موفق · وأن الوزير الذى يختاره جدير بأن يحمل الأمانة الملقاه على عاتقه · فاذا فشل الوزير فى القيام بالعبء · واذا لحقت بتصرفاته أو ضار الشك التى ترقى الى اليقين · واذا أصاب صوالح الدولة بالضربات القاتلة يكون الرئيس الذى عينه هو المسئول أمام الشعب عن هذا الاختيار ، لأن هذا الوزير لم يتقدم فى قائمة حزب ولم يختره للكرسى

أعضاء جماعة بذاتها · وانما اختاره الرئيس · فالاختيار أولا وأخيرا بيد رئيس الجمهورية الرئاسية · وطبيعي أن يقيل الرئيس ذلك الوزير وطبيعي أيضا اذا فشا في الوزراء الضعف والتردد والعجز عن مواجهة المسئولية التي أقسموا اليمين أن يحملوها أن تستقيل الوزارة أو تقال وليس هناك في الحكم الرئاسي فارق بين الاقالة والاستقالة ·

الا أن الرئيس وزيره الأول يعلن غضبه عليه ، وحين يأمر رئيس الوزارة في خفاء عن الناس أن يستقيل يكون حينذاك راغبا أن يجعل غضبه على وزيره الأول طي الكتمان غير معلن اعلانا رسميا · ولكن الغضب واقع في الحالين فليس من المعقول أن يكون رئيس الدولة راضيا عن رئيس وزرائه وفي نفس الوقت يطلب منه أن يستقيل ·

والرئيس في الدولة الرئاسية في مواجهة غير ذات قناع مع الشعب· فهو وحده يحمل مسئولية كل تقصير يقع فيه أي وزير من الوزراء · لأنه هو الذي اختار هؤلاء الوزراء · وهو وحده الذي وضعهم على كراسي الحكم وأسلمهم أزمة التحكم في أقدار الشعب · وأصبح يقع في ضمائرهم أيضا سمعة الدولة التي يمثلون فيها السلطة التنفيذية وهم المسئولون أن يرفعوا دولتهم الى قمة الثقة بها عند الدول الأخرى · فليس في العالم دولة تستطيع أن تحيا الا اذا ظفرت بثقة المجتمع الدولي · وهم أيضا المسئولون اذا تردوا بدولتهم الى حضيض الاحتقار في نظر الأمم الأخرى حكومات وشعوبا في وقت معا · والرئيس حين عينهم يعلم علم يقين أن بيدهم أن يبثوا في نفوس الدول والشعوب الثقة بدولتهم وبيدهم أيضا أن يحطموا كل ثقة بها ·

والرئيس حين يختار يعتمد على ما يتقدم اليه من بيانات فاذا اتضح له أن الوزير الذي اختاره لم يكن جديرا بهذا الاختيار أصبح من الحتم أن يعيد رئيس الدولة النظر في هؤلاء الذين قدموا له المعلومات التي اعتمد عليها في هذا التعيين · فانه يستحيل على رئيس الدولة ان يعرف كل الجديرين بتولي الوزارة وهذه الاستحالة واقعة بصورة مضاعفة آلاف المرات عند اختيار المرشحين للمجالس التشريعية · فالاختيار اذن يتم بناء على معلومات من جهات ومن أشخاص · وهؤلاء يمثلون أخطر أجهزة الدولة فانه بناء على ما يقدمون من حقائق يختار الرئيس معاونيه من الوزراء · والوجوه الصالحة لتمثيل حزبه في المجالس النيابية ·

فاذا كان هذا الجهاز وهو يضم ـ لا شك ـ مؤسسات وأفرادا في وقت معا ، غير صالح · واذا كانت المؤسسات فيه لا تحسن تقصي الأنباء

عن المرشحين ومعرفة أخلاقهم وتاريخهم فى داخل الدولة وخارجها ، اذا كانوا قد عملوا خارج الدولة · واذا كانت هذه المؤسسات يديرها أشخاص يميل بهم الهوى الى الظلم · ويهوى بهم الغرض الى قلب الحقائق أو اختلاق المحاسن أو المثالب بغير حق · أصبح من الحتم ازالة المؤسسة جميعا وانشاء أخرى لا تتحرى الا الأمانة والصدق والعدالة · أفرادها كلهم لا هوى لهم الا دولتهم ولا غرض لهم الا الصالح العام ·

واذا كان بين المستشارين الذين يأنس الرئيس الى رأيهم ، من يقدم رأيه بناء على صداقات فى الماضى وطيدة ، أو آمال عريضة غير مشروعة فى المستقبل · فالمستشار هنا غير جدير بأن يكون صاحب مشورة ، لأن الرأى فى أمور الدولة اذا قام على غير العدل والعدل وحده فهو كارثة الكوارث ·

فاذا تبين للرئيس ـ وما أيسر ان يكشف هذا ـ أن الذى يستشيره صاحب هوى أو باحث عن منافع ذاتية أصبح من الحتم ان يستبعده عن المكان الذى يتيح له أن يقدم رأيا أو أن يكون من أهل المشورة ·

ان أى رئيس انسان · والانسان لا يستطيع الا بغيره فى خاصة شأنه وفى مألوف حياته · فكيف بهذا الانسان وهو يحمل على كتفيه أقدار الملايين من عباد الله فى حاضرهم ومستقبلهم ومستقبل أولادهم · فاذا لم يتهيأ لرئيس الدولة أصحاب مشورة يصدقونه عند الرأى ويخلصونه عند المشورة · فويل كل الويل · للشعب ولمصائره جميعا ·

هذا الحديث لا يصلح الا للدول التى تتخذ الديمقراطية واجهة للحكم فيها فانه لولا الديمقراطية ما علا صوت من رأى ولا كتبت وجهة نظر · وما الديمقراطية ان لم تكن قولا شريفا وقلما حرا لا قيود على سنه ، ورأيا متخففا من كبول الديمقراطية بريئا من قيود الطغيان ·

فبحق هذه الديمقراطية يكون هناك الرأى وتلتمس المشورة ويسعى رؤساء الدول الى من يتوسمون فيهم الصدق والأخلاق ليعرفوا منهم الحق والباطل والعدل والظلم ·

أما الديكتاتور فلا رأى هناك الا ما يرى · ولا قول عند اعتابه الا النفاق وزور القول وما يطيب لغبائه أن يسمعه وما يحلو لوحشيته أن يصغى له ·

فالديكتاتور خلية سرطانية من البشر وحسبك نظرة الى بهلوان ليبيا أو فرعون سوريا وما أسرع ما تعود اليك نظرتك بالاشفاق على الشعوب التى يحكمها الفرد والآسى على البشرية التى يمثلها أولئك الطغاة الذين لم يفلت أحد فيهم من الخبال والتخبط تخبط من به من الشيطان مس ان هؤلاء الذين يحكمون بالقهر والعذاب يتعرضون لحلقة شيطانية تصيبهم بالجنون المسعور · فهم يرتكبون الآثام والمخازى · وهم يدمرون البشرية ويحطمون كل نبالة فى الحياة ويمزقون كرامات البشر ·

وبدلا من أن يسمعوا كلمة حق تردهم أو تحاول أن تردهم الى بعض صواب ينسكب عليهم المديح والتمجيد ارسالا ، وكيف لا والناس تعلم ان الذى يصمت عن تأليه ذواتهم الشيطانية مصيره أن يمزق عرضه ويشتت أهله ويصبح الموت بالنسبة اليه أملا يحلم به ولولا خوفه أن يذهب الى الآخرة كافرا لسعى اليه جاهدا سعيدا ·

فالطغاة اذن استثناء من القاعدة البشرية العامة انما هم خلايا سرطانية تفنى الخلايا التى حولها ولكنها أيضا ـ ودون أن تشعر ـ تفنى نفسها وتكسب لذكراها على التاريخ الاحتقار والكراهية والمقت الشديد حتى يرث الله الأرض ومن عليها وما أعظم شوقى حين قال :

وعند الذى قهر القيصرين مصير الأمور وأحيانها
ويختلف الدهر حتى يبين رعاة العهود وخوانها

١٩٨٦/١١/٩ م الأهرام

فما معك أحد

كان أحد الأمراء يلعب مع صديق له النرد حين قدم الى مجلسيهما رجل ذو هيبة فى منظره ، فهو طويل القامة عريض المنكبين أنيق الملبس · ورحب الأمير بزائره وتعرف على اسمه وأذن له بالجلوس وأخرج من جيبه منديلا وألقاه على النرد والتفت الى الضيف يحييه ثم سأله :

ـ هل الشيخ من العلماء ؟

قـال :

ـ لا ·

ـ فالشيخ اذن محدث ·

قـال :

ـ لا ·

قال الأمير ·

ـ فالشيخ اذن شاعر ·

قـال :

ـ لا ·

قال الأمير ·

قـال :

ـ اذن فالشيخ راوية

قـال :

ـ لا ·

قال الأمير ·

ـ فالشيخ أديب ·

قـال :

ـ لا ·

قال الأمير ·

ـ فالشيخ اذن من أهل النجارة ·

قال الشيخ ·

ـ لا ·

فالتفت الأمير الى صديقه الذى كان يلعب النرد معه وقال له بعد أن رفع المنديل عن النرد ـ العب فما معك أحد ·

واستأنفا اللعب ·

ترى لو أن هذا الأمير عاش فى زماننا هذا ماذا تراه كان يفعل اذا وجه أسئلته تلك الى كثير ممن يتولون أعلى المناصب فى مختلف مناحى الحياة ·

علم الله ان الأمير لو فعل لظل يلعب النرد طوال يومه وأمسه ولما وضع منديله على النرد أبدا ·

فكم نرى المناصب مشغولة وكأنها شاغرة من فرط الفراغ الذى يتسم به شاغلوها · وهم من فراغهم هذا فى ذعر هالع تدور رءوسهم حواليهم يحسبون كل صرخة عليهم · حتى لقد سمعت أن أحد أفراد الشعب من أصحاب الحقوق ذهب الى وكيل وزارة وعرض عليه ظلامته فاذا بالوكيل يقول :

ـ انك صاحب حق لا شك فيه ·

فقال صاحب الحق ·

ـ فاكتب هذا على الورق المعروض عليك ·

ـ لا يمكن ·

ـ كيف ؟

ـ اذا أنا وافقت قالوا عنى اننى وافقت لأننى أخذت منك رشوة ·

ويذهل صاحب الحق ·

ـ مادمت صاحب الحق فلماذا أقدم رشوة ·

– وهل أنا الذى أقول هدا . انهم هم الذين سيقولون .

– من هؤلاء .

– من أدرى ومن لا أدرى . صحف المعارضة وزملائى الذين يطمعون فى الكرسى الذى أجلس عليه والمرءوسون الذين قد أكون قد أوقعت بهم الجزاء لتقصير أو تدليس أو تأخير وآخرون ممن لا أعلمهم والله يعلمهم .

– اذن يضيع حقى .

– وأنا أليس من حقى أن أحافظ على نفسى .

– لا حول ولا قوة الا بالله . اذن فأكتب على الورق انك ترفض .

– وأيضا لا أستطيع .

– ماذا ... حتى هذا لا تستطيعه ؟!

– بالطبع لا أستطيع .

– لماذا بحق السماء ؟ ..

– لأنك صـــاحب حق فادا كتبت على الورق بما يفيـــد الرفض فسيقولون اننى لم أوافق على مطلبك لأننى طلبت منك رشوة ولم تقبل أن تستجيب لى .

– واذن ..

– لا اذن ولا يحزنون . ليس أمامى الا طريق واحد هو أن أضع الورق فى درج مكتبى وينتظر حتى يأتى غيرى ويتحمل المسئولية .

– هل هذا معقول ؟

– وهل ترى شيئا معقولا حولك حتى تلتمس المعقولية عندى .

أنا لا أعرف صاحب الحوار هذا وانما نقله عنه ناقل فيما يسمر به الناس . وقد ظللت طول ليلى صاحيا مفتح العينين حزينا أو قل مفجوعا . ما مصير بلادنا اذا كانت مقدراتها فى أيدى قوم مثل هذا الموظف .

والأهم من ذلك هل هذا الموظف محق أم مخطىء . لقد أصبحت الاتهامات تلقى جزافا لا تفرق بين لص وشريف أو بين ظالم وعادل والعجيب أن اللص ذو جرأة على الحق فهو يتصرف والشريف أحيانا يكون ذا رعدة فهو يتوقف عن التصرف .

ولكن الشريف العادل الذى يمتنع عن اعطاء الحق يصبح لصا وظالما . بل يصبح شرا من اللص والظالم فى وقت معا .

والشريف العادل الذى يصنع ذاك هو ذلك الرجل الفارغ ذو القامة الفارعة والأكتاف العريضة الذى لا يحوى كيانه شيئا والذى دخل الى الأمير فانصرف عنه ٠

أصبح هذا الرجل هو السمة الغالبة على أصحاب العقد والحل فى مصر قاطبة ٠ الموظف يرفع الى رئيسه والرئيس يحيل الى رئيسه حتى يصل الورق الى الوزير بغير رأى فيه ولا مشورة ٠ وحينئذ يصبح الورق الذى تقدم الى الوزير هلعا ورعبا وخوفا وتتولاه الحيرة الآخذة وتدور رأسه فى الجهات الأربع أو الجهات الثمانى ان شئت وتدور عيناه فى المحاجر ٠ ولا يجد خروجا من المأزق الا بأن يعيد الورق الى من أصعده اليه ليبدى رأيه لينزله الآخر الى من رفعه اليه ليزيحه الآخر الى من أحاله عليه ٠ وهكذا يصدق على هذا الورق بيت الهجاء القديم ٠

لعن الله صاعدا وأباه فصاعدا ٠ وبنيه فنازلا واحد بعد واحد ٠

ويظل الورق اما قعيدا كسيح الحركة فى أحد المكاتب أو متحركا فى تخاذل كمريض أشفى على الموت ٠ ثم يموت وتموت معه حقوق وآمال وتصاب مصر أشد ما تكون الاصابة فى اقتصادها وفى سمعتها فى الخارج وفى الداخل على السواء ٠

فلو أن كل مسئول كان يتمتع بنصيب مهما يكن ضئيلا من الثقة بالله ومن الثقة بالنفس ومن التوكل ــ لا التواكل ــ على الواحد الحق لصدرت القرارات وســـارت الأمور فى الطريق الأقوم الذى ينبغى أن تسير فيه ٠

لا أمل لمصر فى أزمتها الا المواجهة ٠

مواجهة من السلطة التنفيذية ، قوامها الجرأة فى الحق والحسم كل الحسم فيما يعرفون أنه العدالة ومصلحة مصر ومصلحة مصر ٠

دون خوف ودون تحسب للغوغائيـــة والهتافات الهوجاء المجنونة الفارغة ٠

ومواجهة صادقة أمينة من السلطة التشريعية فتصدر عنها القوانين الحازمة الأمينة ، لا يراعون فى ذلك صوت ناخب مغرض وغير باحثين عن نفع شخصى فليس أقتل للرأى الحر من النفع الشخصى ٠

ان مصر هى البلد الوحيد فى العالم التى تعرف أدواءها وأمراضها كما تعرف دواءها ومصـــادر شفائها ، وتقف مع ذلك عاجزة عن تناول الدواء والسير فى طريق الشفاء ٠

وان الداء الأول هو تجنب الحق الى الزيف والميـــل عن الطريق. الأقوم حذر أقوال المخربين والهازلين والزاعقين والصـــارخين والفارغين. وأولئك الذين يصيبون النفع من الدول والأفراد على السواء ·

وان الله لن يكون معهـم الا اذا كانوا هم مع الله فانه لا يفلـــح الا الصادقون المؤمنون ·

مصرى مـؤمن

قال لى صاحبى العالم الطبيب العظيم وهو يحاورنى :

ـ هل كان الخلفاء الراشدون يحتفلون بالمولد النبوى

وادركت لهجة الاستنكار فى سؤاله وقلت :

ـ لا ٠

فقال وكأنما وصل الى مبتغاه :

ـ شكرا هذا كل ما أردت أن أعرفه ٠

ولم تتح لى الفرصة أن أكمل الحوار فقد كنا فى جماعة توشك على الانصراف ولم أستطع أن أقول ما أردت أن أقول ٠ وحمدت الله ٠ فلو أننى كنت أجبت لغنيت بأجابتى الشقوية التى كانت ـ لا شك ـ ذاهبة ادراج الرياح ولما أعددت نفسى لكتابة هذا الحديث اليك واليه والى من يشاء أن يقرأه ٠

لم يكن الخلفاء يقيمون إحتفالا بالمولد النبوى هذا حق ، ولكن الاحتفال بأى ميلاد لم يكن معروفا ـ فيما أحسب ـ فى عهد الخلفاء ٠ أما فى العصر الحديث فأغلب الناس يحتفلون بأعياد ميلادهم ٠ ويسعدون به فأى عجيبة أذن فى حضارتنا الحديثة ان نحتفل بعيد ميلاد سيدنا وسيد البشر أجمعين ، النور الهادى ، حامل رسالة السماء الأخيرة الى الأرض ٠

النبى الأمى الذى اختاره الله فى رفيع سماوته ليبلغ قرآنه المبارك الى دنيا الناس فقدم للبشرية المعجزة الوحيدة من معجزات الأنبياء التى خلدت بأمر الله بها أن تحفظ بسر كلمة (كن) فى آيته الكريمة « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » فاذا الذكر محفوظ بأمره واذا أمره يتم على أعيننا وفى عصرنا والذكر اليوم فى مصاحف مطبوعة بالآلة ولم تكن تلك الآلة معروفة يوم بدأ هبـوط الوحى بادئا بالأمر الالهى المقـدس « **اقرأ باسـم ربك الذى خلق خلق الانسـان علق ٠ اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ٠ علم الانسـان ما لم يكن** » سـورة العلق الآيات من ١ : ٥ ٠

وهكذا شاء الله تقدست أسماؤه أن يكون القلم · والعلم أول شيء يذكره لنفسه بعد معجزة الخلق التي أوجد بها الانسان ·

النبي الأمي حمل هذه الرسالة التي هي القرآن ويقول عنه جل علاه سبحانه « **وبالحق أنزلناه وبالحق نزل** » الاسراء آية ١٠٥ · تباركت يارب السماوات انه يبشر عباده ببشريين لا واحدة البشرى الأولى أنه أنزل بالحق ، وهل الحق الا اسم من أسمائه ·

وأخواننا المسيحيون يقيمون أعظم احتفالاتهم الدينية والدنيوية اليكم أيها البشر كما أنزلها الله · وأصبحت هذا القرآن نزل بالحق وأبلغه من نزل عليه وحيه بالحق أيضا ·

أفلا يستحق الأمين الذى حمل الأمانة أثقل ما تكون الأمانة وبالحق أبلغها أصدق ما يكون الحق أن نحتفل بعيد مولده ·

وأخواننا المسيحيون يقيمون أعظم احتفالاتهم الدينية والدنيوية أيضا في مولد المسيح وجعلوا حياتهم وأيامهم مؤرخة بتاريخ مولده · فأى باس علينا نحن المسلمين أن نذكر الله ونصلى ونسلم على نبينا فى عيد مولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقول سبحانه : « **ان الله وملائكته يصلون على النبي يا يها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** » الأحزاب آية ٥٦ ·

وبعد فما أحسب عالمنا الطبيب العظيم حين سأل ما سأل واستنكر ما استنكر ، ألا يريد أن ينتقد فحسب · وان للنقد فى أفواه الناس حلاوة لا يجدونها فى المديح · فالنقد يظهر المتحدث وكأنه فى المكان الأعلى ناظرا الى عباد الله فى مضطرب حياتهم نظرة تنصب على الخطأ ولا تريد أن ترى الى الصواب ·

دأب الناس فى ذلك كدأب بعض الكتاب المصريين فى أيامنا هذه فهم فى اعتداء على الحق يمزقون كل شرف ويحطمون كل جميل ويدمرون كل أمل ·

وكان أحرى بهؤلاء الكتاب أن يتغيوا المصلحة لا التشويش ·· وينشدوا النفع للوطن لا الركوب على أزماته وما يعانيه ليظهروا بصورة الأبطال ناسين أنه لا بطولة هناك · فما تنتظرهم السجون وماتهم بهم الأيدى الفراسة الطاحنة من أعداء البشرية الذين مزقوا الأعراض فى عهد الطغيان ولا تلتقمهم أفواه الكلاب المسعورة التى شهدها الأبرياء من المعتقلين ·

لا بطولة أذن اليوم فيما يصنعه بعض الكتاب ٠

انما البطولة الحقة أن يذكروا الداء والدواء ٠ فالطبيب الذى يذهب اليه المريض فيخبره أنه مريض بكيت وكيت دون أن يذكر له الدواء يكون وبالا على مريضه لا شفاء له ٠

والمريض اليوم هى مصر أم الجميع لا تفرق هى فى أمومتها وعظمتها بين أحد من أبنائها وآخر ٠

يقول بعض الكتاب فيما يقولون اهدموا القطاع العام ألا يعقلون ٠ ان القطاع العام ركيزة لا يستغنى عنها الاقتصاد المصرى وهيهات أن نستطيع ان نهدمه فى طرفة عين ٠

فأولى بهؤلاء الكتاب ثم أولى بهم أن يقولوا أقيموا المعوج فى القطاع العام ثم على الحكومة من قبل أن تنظر فيما لا يجوز أن يكون قطاعا عاما فتبيعه لينصلح ما فسد منه وما انهار من بنيانه ٠

والأمثلة قريبة ٠ ان كل المحلات التجارية لا يجوز أن تكون قطاعا عاما وليس فى أى دولة مثيل لهذه المحلات ، لأن القطاع العام هنا قليل ولا يملكه قطاع خاص أما الدول الشيوعية فكل المحلات التجارية فيها كانت الى الأسبوع الماضى ملكا للدولة لأن الفرد فيها لا يجوز أن يملك ما يغل ، وقد بدأت الصين تصفى القطاع العام فيها ليعود على الأفراد بالربح ويدفعوا عن أرباحهم الضرائب فيصبح الكسب مؤكدا للدولة لا مشاكلة فيه ولا شك ولا مضاربة ولا مخاطرة وبالأمس القريب تبعتها روسيا ٠

والدولة الديمقراطية لا تتصور أن يكون هناك محل تجارى تابع للدولة فليس من عمل الدولة أن تتأجر على بنيها ٠

فالأجدر بمصر أن تبيع كل المحلات التى تعمل وسيطا فى السوق مثل عمر أفندى وصيدناوى والصالون الأخضر وشيكوريل وكل المحلات المشابهة لها مما نعرفه ومما لا نعرفه من محلات تبيع الفول والطعمية والسمك وغير ذلك مما يجعل الدولة تاجرة من الطبقة العاشرة ومما يحقق لها خسائر فادحة بفضل التهاون الزرى الذى تدار به هذه المحلات

وبفضل المعاملة الظالمة الجائرة التى يعامل بها البائعون فى هذه المحلات عباد الله الذين كتب عليهم أن يدخلوا الى ساحاتهم غير المقدسة ٠

قال لى أحد الاقتصاديين والعهدة عليه ان مصر لو باعت هذه المحلات لاستطاعت أن تسدد ديونها جميعا ٠

ولقد نعلم أن القطاع الخاص لا يمكن أن يشترى هذه بما تحمله ميزانياتها من أعباء فادحة من تزاحم العاملين بها من غير عمل يؤدونه ٠

وبالطبع لا يستطيع انسان فى قلبه ذرة من الرحمة أن يطالب الدولة بابعاد هذه الجموع الحاشدة من الموظفين عن موارد رزقهم ٠

ولكن ماداموا هم لا يقومون بأى عمل فى مواطن عملهم الحالية فأى بأس أن ينقلوا الى مواطن أخرى من القطاع العام ويظلون على حالهم أيضا من البطالة ٠ ان التوقف عن أداء عمل حين يصبح وظيفة معترفا بها لا يضيره فى شىء أن ينتقل الى أى مكان ٠ فانهم يستطيعون أن يمارسوا عدم أداء العمل فى أى مكان وتظل مرتباتهم جارية عليهم كما كانت تجرى وحينئذ تصبح هذه المحلات متخففة من أعبائها وتستطيع أن تحقق ربحا لمن يشتريها ٠ وهو حين يربح ستربح الدولة لأنها ـ باليقين والقطع ـ ستحصل الضرائب عن أرباحه ومثل هذه الدور التجارية الكبرى لاتستطيع أن تتلاعب فى أرباحها أى تلاعب فالرقابة عليها ميسورة وأصحابها لا يفكرون مطلقا فى تشويه حقائق الأسعار فى البيع أو الشراء ٠

لو أن هؤلاء الكتاب بحثوا هذا الموضوع وقدموا عنه الدراسات الوافية المستفيضة البريئة من الغرض البعيدة عن المهاترة لأدوا الأمانة وأصبحوا أطباء يشخصون الداء ويصفون الدواء ٠

ولو أنهم أرادوا أن يلبسوا ثوب البطولة حقا فمالهم لا يلبسونه فى قضية العلاقة بين المالك والمستأجر فى الأراضى الزراعية على الأقل اذا كانوا لا يستطيعون أن يتحدثوا عن العلاقة بين المالك والمستأجر فى المساكن أيضا ٠

الأمر فى الزراعة واضح لا يحتاج الى مزيد من الحديث وحسبك نظرة الى هؤلاء المساكين الذين حكم عليهم الزمان ان يكونوا ملاكا لخمسة أفدنة أو لعشرة أو حتى لعشرين فدانا ٠ وانظر اليهم فى بؤسهم لا يطيقون أن يواجهوا العيش فى مألوف حياتهم اليومية وأبك معهم حين تلم بهم

كارثة من الكوارث التى كانت فيما مضى أفراحا وسعادة وهناء • أبك معهم اذا جاء لابنتهم خاطب يريد أن يتزوجها • أو شب ابنهم الى طوق الشباب وأراد أن يتزوج من فتاة أحبها أو فتاة اختارها • الأفراح فى بيوتهم حزن وعنت وألم وضيق •

وويل لهم كل الويل اذا فكروا أن يبيعوا فدانا مما تقول سجلات الشهر العقارى أنهم يملكون • يقف لهم المستأجر الغنى المتكبر لا بيع هناك فان كان من المحتم أن تبيعوا فلى نصف الثمن وقد أفكر فيما هو أكثر من النصف • فكأن هؤلاء الملاك الضعاف من جنس لا ينتمى الى بنى الانسان • أو من وطن عدو ليس هو مصر على أى حال من الأحوال •

أما فى السكن فلأضرب المثل بنفسى وأحس قلمى يبكى وأنا أقدم ما أعانيه أنا • وأنا لست من نفسى كمستأجر لا كمالك • فقد استأجرت من رجل طيب الخلق عفيف النفس شقة فى الاسكندرية فى عام ٦١ على ما أذكر • وهى على البحر ومكونة من ست حجرات وبها حمامان وكنت أدفع ايجارا حين استأجرتها سبعة عشر جنيها أصبحت أربعة عشر أى أننى أدفع فيها مائة وثمانية وستين جنيها فى العام كله • بينما الكابينة فى المتنزة ارتفع أجرها من مائة وعشرين جنيهـــا فى العـــام الى ألف وثلاثمائة جنيه فى العام • وهى أقل من حجرة وأقل من حمام وأقل من شرفـــة •

فالحكومة أباحت لنفسها أن ترفع أجور مساكنها الى أكثر من عشرة أضعاف ضعف ما كانت عليه ولولا أننى أستأجر الكابينة أنا وأخوتى أجمعين ما أطقت البقاء فيها • وفى نفس الوقت حرمت الحكومة أن يرفع ملاك المساكن مليما واحدا على قيمة ايجاراتهم •

ادفع للمسكين صاحب العمارة أجره وقلبى يبكى من أجله ونفسى تتقطع حسرات •

فليكتبوا فى مثل هذا وليقترحوا له الحلول الاقتصادية وليحاولوا أن يفشوا العدل فى ربوع الوطن بدلا من أن يفشوا أسرارا أمر الله بها أن تستر ان كانت صحيحة وأمر بقائليها أن يقتلوا ان كانت كاذبة وأغلب الأمر فيها أنها كاذبة •

أمعارض أنا أم مؤيد •• لا أدرى •• ولكننى واثق اننى مصرى وأننى مؤمن •

١٩٨٦/١١/٢٣ م الأهرام

المحافظات وفلسفة الاعـلان

خرج علينا العالم الغربى بنظرية أدبية ذات أسماء كثيرة منها العبث ومنها اللامعقول وكلها تؤدى الى معنى واحد هو البعد كل البعد عن المنطق والعقل ٠

وسار فى ركب هذه النظرية كثير من شبابنا ووقع فى أحابيلها جيل كثير بالغ فى الاعجاب بها حتى لقد أنشأ بعضهم مجلة خاصة لهذا العبث لم تستطع أن تقيم فى الحياة أكثر من عددين أو ثلاثة ثم اختفت تماما ٠ وأذكر أننى حاولت أن أفهم شيئا من هذه المجلة فاستعصى على الأمر ٠ ولكننى كنت أشاهد كتاب هذا اللون يقرءون لبعضهم البعض ويتبادلون عدم الفهم مع تبادل الاعجاب ٠

وقد كتب فى هذا الشكل أستاذنا توفيق الحكيم ونجيب محفوظ فجنحا الى طريق آخر فقد استطاعا أن يجعلا المعنى الاجمالى لأعمالهما واضحا وان كانت سطوره غير واضحة ٠ وبهذا وصلا الى المعقول عن طريق اللامعقول ٠ وقد أغرانى هذا الذى صنعاه فكتبت فى هذا الشكل قصتين أو ثلاثا لا أذكر ٠

وطغى هذا الشكل طغيانا كبيرا على المسرح وكثرت الأعمال فى ميدانه وتكاملت له مدرسة ٠

وكان لى فيه رأى : انه يصلح أن يكون موضوعا لعمل أو اثنين أو ثلاثة ولكنه لا يستطيع أن يكون نظرية أدبية ثابتة تستمر على مدى أجيال ٠ وأحسب أن ما توقعته قد حدث فعلا وماتت النظرية وعدل عنها روادها بعد أن اختانت من حياة الشباب فترة غير قصيرة من حياتهم الأدبيـــة ٠

ومجمل النظرية فيما أحسب أن هذه الحياة عبث وأن التعبير عن العبث لا يكون الا بالعبث ٠ وكما ترى تصلح هذه القالة أن تقال وتسمع مرة أو اثنتين أو ثلاثا ٠ ولكنك ان ظللت تقولها فى كل عمل عزف عنك الذوق الأدبى ورفضت نفوس المستقبلين أن تستجيب لك ٠

وهكذا ماتت النظرية حتى لم يعد أحد يسمع عنها شيئا ٠

ماتت النظرية فى أدب القصة والرواية والمسرح واتجه روادها الى الأعمال الأدبية المعقولة ٠ بل لقد بالغ بعضهم ورضى أن يكتب الرواية البوليسية وهى أقل الروايات شأنا فى ميزان الأدب وأرتاى هذا البعض أن الرواية البوليسية أكثر قيمة بالنسبة اليه وللقارىء جميعا ٠

ماتت النظرية أذن قبل أن تعيش وانصرف عنها كتابها مادام الكتاب توقفوا عن كتابتها فالنتيجة الحتمية أنها أصبحت بلا قراء ٠ فلا يمكن عقلا ان يكون هناك قراء لشىء ليس له كتاب ٠ وربما كان هذا القول يعكس مثالا رائعا لأدب العبث ٠ وقد رأينا فى ظل النظرية من يقرأ ورقا أبيض لا كتابة فيه ٠ أو ساعة بلا عقارب أو غير هذا مما لا يسيغه منطق أو عقل ٠

ماتت النظرية فى الفن الأدبى ولكنى أراها لا تزال تعيش أقوى ما تكون الحياة فى شتى مناحى حياتنا العامة ٠

والا فبربك أذكر لى سببا واحدا يجعلنى أرى فى تلك الاعلانات التى تنشرها المحافظات أمرا معقولا يسيغه منطق أو يرضى به عقل ٠

ما هذا الذى تصنعه المحافظات ومن أى أموال ينفقون على تلك الاعلانات التى ينشرونها فى الصحف اليومية ٠

وقد اسيغ ان تحتفل المحافظات بعيدها القومى فى حفل وسمر يعيد الى أبناء المحافظة ذكرى أمجادهم وأمجاد أبناء المحافظة من العظماء ٠

وقد يصلح ان تختلق المحافظة الأسباب للترفيه عن بنيها فى وقدة الحياة الثقيلة الخطى الشديدة الوطأة ٠ فالنفوس فى أيامنا هذه تحاصرها أنواع من الهموم شتى وتحيط بها ألوان من الأسى لا يقف لها عدد أو تنتهى بها حدود ٠ وحسبك ما نعانيه من ضيق الطريق عند الموارد واتساع الطرق وانفساحها عند المصارف والانفاق ، فلعل حفلا أن ينسى هما وان كان من المؤكد انه لن يزيحه ٠

فلسفة الحفلات اذن قد تجد لها عند العقل مبررا أو هى واجدة باليقين عند النفوس ٠

ولكن ما قصة هذه الاعلانات التى نراها فى الجرائد اليومية ٠ الذى أعرفه أن الاعلان يكون فى أغلب الأمر صادرا من تاجر يريد أن يبيع بضاعته أو مالك لعقار أو منقول يريد أن يستبدل بالمال السائل قال :

ويكون الاعلان فى حالات قليلة من مشتر يبحث عن شيء لا يجده فى مألوف حياته اليومية ويريد أن يعلن عن حاجته وليشترى هذا الذى يريد شراءه منقولا كان مبتغاه أو كان عقارا ٠

هذا هو ما أتصوره فى الاعلانات ٠ ولكننى ـ كعادتى دائما اتشكك فى كل معلومة أنا غير متخصص فى شأنها ٠ وأنا فى باب الاعلان لا أعرف شيئا على الاطلاق فتلك صناعة أنا بعيد عنها كل البعد ومن أجل هذا لم أطبع لنفسى كتابا على نفقتى الخاصة قط ٠ وما أظن أننى فاعل ذلك أبدا ٠ وقد جعلنى شكى فيما أعلمه عن الاعلان ألجأ الى الأستاذ الأخ الصديق « **أبو السعود ابراهيم** » أمين مكتبة الأهرام استعينه أن يرسل الى تعريفا عن هذه المادة ٠ وانى ناقل اليك ما أرسل ٠

الاعلان وفلسفته : هو عملية اتصال تهدف الى التأثير من بائع الى مشتر حيث يفصح المعلن عن شخصيته ويتم الاتصال من خلال وسائل الاتصال العامة أو هو فن اغراء الأفراد على السلوك بطريقة معينة تؤدى الى اتمام الصفقات المنشور بشأنها الاعلان ٠

هذا ما يعرف به الاعلان اذن ٠ فأنا غير بعيد عن فلسفته ٠ وما أحسب أحدا يبتعد عن هذا المعنى فيما يدريه هو بخبرته عن الاعلان ٠

اذن ما خطب هذه المحافظات المعلنة ٠ وعن أى شيء تعلن ٠ أنه من الطبيعى والمعقول أن تنتهز المحلات التجارية فرصة عيد المحافظة لتعلن عن نفسها وتروج بضائعها ٠ وانما سؤالى ٠ وعجبى عن الاعلان الرئيسى للمحافظة تتصدر به اعلانات التجار جميعا ٠

أليس هذا الاعلان يثبت أن نظرية العبث وغير المعقول مازالت تسيطر على بعض الناس ٠

انه من المؤكد أن المحافظة لا تنوى أن تبيع نفسها لأى مشتر مهما يكن شأنه ٠

وهى باليقين ليست سلعة ٠ بل هى باليقين أيضا لا مالك لها ٠ فهى جزء من دولة ذات دستور وسلطات تنفيذية وتشريعية وقضائية ويسرى عليها ما يسرى على ربوع هذه الدولة فى حدودها الأربعة ٠

فعن أى شيء تعلن المحافظة اذن ؟ ٠

أتراها تريد أن تعرف الناس بها ٠ فتلك اذن مصيبة لا كاشف لها الا الله القاهر فوق عباده ٠ أم تراها ـ وأنا لا أدرى ـ تعلن عن نفسها لتعرف الناس باسم محافظها ٠

وأن كان الأمر كذلك ـ وما أحسبه الا ذلك ـ فأى فائدة تعود على السيد المحافظ أن يقرأ الناس اسمه فى اعلان ٠

ان الناسى تحب أن تقرأ أسماء الناس حتى المحافظين ـ حين يقومون بعمل يستحق ان يذكروا من أجله ٠ ولا يحب الناس ـ وهم محقون ـ أن يقرءوا أسماء الناس لا لشيء الا لأنهم فى وظيفة معينة ٠

فاننا اذا ما ذكرنا اسما دون أن نذكر له فعلا معينا نكون بهذا قد كتبنا جملة غير مفيدة نقش فيها المبتدأ دون أن يذكر الخبر ٠ ولا يمكن أن تستقيم جملة بغير مبتدأ وخبر ٠ فأى معنى يمكن أن يصل الى عقولنا « نعمان » مثلا ولم نقل ماذا فعل نعمان هذا لنذكره ٠ وأكتب نعمان ما شاء لك هواك من عدد المرات فانك مهما تكتب تظل غير مفهوم عند من تخاطبهم وكأنك لم تقل شيئا الا أنك زدتنا بنعمان جهالة ٠

وقد أرى فى هذا الاعلان أن المحافظ يرفع الى السيد الرئيس تهنئاته واجلاله ودعاءه ٠

وغريب أن يكون المحافظ ـ وهو بدرجة وزير وقد لقى الرئيس عدة مرات ـ على غير علم واف بأخلاق رئيس الجمهورية ٠

أبعد ما يكون حسنى مبارك عن الرغبة فى التأليه ٠ وأكثر الناس عزوفا هو عن تحية تقدم بغير داع أو تهنئة تسعى اليه بلا مناسبة ٠

متواضع هو كل التواضع ٠ انسان عميق الشعور بالانسانية ٠ أزهد ما يكون فى البريق وفى المظهر ٠ أعرف الناس أن منصبه جهد وعمل ومسئولية ومشقة ٠ وليس منصبه ـ كما يتخذه آخرون ـ وسيلة لدعاية أو استجلابا لمديح أو طريقا الى تكبر ٠

يعرف رئيس الجمهورية الدافع خلف كل هتاف فردى ٠ الباعث الذى يتخفى وراءه أى تبجيل ٠ بل ويعلم أن بعض الناس يطلبون أن يقابلوه لمجرد أن يقولوا فى مجالسهم أنهم قابلوا الرئيس ٠ ويعرف أن هناك أثرياء وذوى ثراء باذخ أصابوا من المال ما شاءوا ولم يبق لهم الا أن

يتخذوا سمت أصحاب النفوذ والكلمة المسموعة فهم يحسون – وهم محقون – أن المال وحده لا يصنع للفارغين قيمة · ويعرف الرئيس أن كثيرا من هؤلاء يحاول أن يلقاه ليقنع نفسه أنه بلغ من الحياة تلك القيمة التى يفتقدها فى ذاته فيفقدها ·

ففيم اذن يحاول المحافظ أن يقدم التحية للرئيس · علم الله أن الرئيس يرى أن انتاج وحدة واحدة من سلعة مصرية أحب اليه من ألف تحية لا معنى لها · ولو أن المحافظ أنفق الوقت الذى بذله فى تدبيج التحية والمال الذى أنفقه من الخزانة العامة فيما يعود على أقليمه الذى هو جزء من مصر بشىء من الخير لكان هذا أجدى له وأنفع · ولكان فعله حبيبا الى رئيس الجمهورية فى حين يكره الرئيس أن يتخذ المحافظ من اسمه وسيلة لاعلان عن لا شىء · فان الرئيس حسنى مبارك يعمل نهاره وليله ليحطم اللافتات المرفوعة على الفراغ ليحل مكانها عمل وجهد واتقان وجدية وصدق وشرف والله على ما أقول شهيد ·

١٩٨٦/١١/٣٠ م الأهرام

السلطان والبهلوان

هذه قصة طوتها يد النسيان من قصص ألف ليلة وليلة · ربما رواها الرواة ولكنها لم يكن لها حظ الاثبات بين دفتى كتاب · ولست أدرى أسمعتها فأرويها أم شدتها فأحكيها أم تخيلتها كما يتخيل المؤلفون فسنعيت اليك بها ·· أقصها عليك فيما تعودت أن أقص عليك ·

يحكى أنه فى زمن من الأزمان ولى الحكم سلطان طاغية جبار · لا يطيب له الحكم الا بالحديد النار · يقتل الناس لأهون الأسباب · ويغتصب الأموال فهى له أسلاب · ويستحل كل حرام · ويعامل الناس بالاجرام · نشر جواسيسه فى كل مكان · وبث عيونه بجميع الأركان · والويل والثبور لمن قال « الا اله الا الله » فالموت ينتظر كل أهله وذوى قرباه · أمر السلطان ألا يغادر أحد البلاد ومعه أمواله · فاضطر كل فرد فى الشعب أن يرضى بحاله · واقفل جميعهم فمه · حتى لا يريق الجبار دمه · وصار الناس لا يتكلمون الا همسا · فاذا مررت بالديار فلن تسمع حسا · وامتنع عن الاجتماع فى الأماكن العامة · فقد كانوا يخشون اذا اجتمعوا أن تقع عليهم الطامة · وكان المكان الوحيد الذى يضطرون أن يحتشدوا فيه هو السوق · وهو مكان مرموق · لا يجرؤ فيه أحد أن يتكلم فى غير التجارة · فقد كانوا يعلمون ان الجواسيس قد تكون فى جداره · وأن عيون السلطان تحصى أنفاسهم · تكاد تمسك الكلمة التى تدور فى أذهانهم ·

وكان للسلطان وزير على شاكلته · يحبب اليه كل ظلم ويحمل له كل قبيح · فاذا حرم الله فهو يبيح · وأن منع الشرع فهو يتيح · كان كلبا عقورا · ويظل طول ليله مخمورا · حتى اذا صحا الصباح لا يشعر به الوزير اذا لاح · فهو من خمر الأمس سكران · وان بدا كأنه يقظان · فهو مفتوح الأجفان · ولكن بعقل نعسان · يلوح لمن يراه كأنه يفهم ما يقال بينما هو من السكر فى شر حال ·

نزل السلطان والوزير الى السوق متخفيان · يريدان أن يريا الناس رأى عيان · ولم يطل انتظارهما ، فسرعان ما شهدا الناس لا تقول

الا ما يسر الطاغية · وما يجعل نفسه راضية · ولم يحاول واحد منهما أن يشهد الحزن الذى يتحرك فيه الناس · ولا البؤس الذى يسيطر عليهم من شدة اليأس · فعين الطاغية ومعاونيه · لا ترى الا ما يرضيها ويرضيه ·

وبينما السلطان والوزير يتخذان من مكانهما ستارا خفيا · رأيا بهلوانا يطوى السوق طيا · ويقف الى جانب حصان هزيل · له صاحب أشد منه هزالا فهو فى وقفته يميل · واقتربت رأس البهلوان من المالك المتهالك · ثم اعتدل الرأسان وقد وضحت أمامهما المسالك · وبدأ البهلوان يصيح · مفتريا صفات البطولة للحصان القبيح · فهو الأسد الواثب · وهو فى الميدان هو الغالب · وتقاطر الناس من كل حدب · وتجمعوا حوله من كل صوب · وراح هو يجعل الحديث فى كذب مفضوح ويسويه · حتى وجد الحصان من يشتريه · وفرح البائع أى فرح · وأعطى البهلوان نصيبا من الثمن فأكرم وسجح ·

ثم رأى السلطان البهلوان ينتقل الى حمار شأنه شأن الحصان الواهن الضعيف ويقول عن الحمار فيزيل من هزاله والى قوته يزيد ويضيف · ويباع الحمار ويجنى البهلوان الثمار · ويتكرر فعل البهلوان · والسلطان والوزير مندهشان ·

قال السلطان لوزيره :

ـ أريد هذا البهلوان ·

وقال الوزير :

ـ لك الأمر وعلى الطاعة ولكن هل لى أن أسأل سؤالا حائرا فى نفسى لا يجد اجابة ·

وقال السلطان :

ـ القاعدة الأصيلة أنك لا ملك السؤال فهو ليس حقك ولكن وقد قلت ما قلت فانك أثرت فى نفسى حب الاستطلاع ·

فأسأل سؤالك على سبيل الاستثناء لا القاعدة · والاستثناء كما تعلم لا يقاس عليه ولا يتوسع فيه ·

ـ فيم تزيد هذا البهلوان الحقير ؟ وهو انسان لا قيمة له لم نسمع منه الا كذبا · ولم يقل الا الزور والبهتان ·

ـ كنت أحسب أنك فهمت ٠

ـ لا وحياتك ما فهمت ٠

ـ لو لم تكن طول ليلك سكران ما فاتك ما قصدت له ولا غبيت ما هدفت اليه ٠

ـ أنا الآن على الأقل لست فى حالة سكر ٠

ـ بل أنت فى حالة خمار دائم من مخلفات السكر ومما تصنعه بك الخمر ٠ فشراب المساء تبدو عليك آثار منه شديدة فى الصباح ٠

ـ لا أستطيع أن أعارضك ٠

ـ ولا يستطيع أحد ٠

ـ ولكننى مازلت لا أدرى فيم تريد البهلوان ؟ ٠

ـ ألم تر كيف هو ماهر فى اتمام الصفقات ٠

ـ ولكنك يا مولاى السلطان لا تعقد صفقات فانك اذا أردت شيئا من ملك غيرك أخذته بالأمر من غير شراء وان أردت أن تبيع فرضت الثمن ونلته ففيم انتفاعك بالبهلوان وانت لا بيع عندك ولا شراء ؟

ـ ومن قال لك أننى أريده لبيع أو شراء ٠

ـ ففيم أذن ؟ ٠

ـ اذا خالط هذا البهلوان الناس ٠ ودخل الى البيوت وراح يمتدح السلطان جعل الناس يصدقون مديحه ولا يكرهون السلطان ولا يبغضونه ٠

ـ ومنذ متى يا مولاى تهتم برضاء الناس أو سخطهم ٠

ـ أليس من الأحكم أن أصنع بهم ما أشاء ومع ذلك أجعلهم يمدحون بدلا من أن يذموا ٠

ـ وهل يجرؤ أحد على ذمك ٠

ـ أنهم جميعا يذمون السلطان فى دخيلة نفوسهم ٠

ـ وماذا يهمك من دخيلة النفوس ٠

ـ أن تكن راضية خيرا من أن تكون ساخطة ٠

ـ وهل تظنها سترضى ٠

ـ ربما ٠

ـ أيستطيع هذا البهلوان أن يصل الى خافية الصدور ٠

– يستطيع على الأقل أن يجعلهم يلتمسون العذر لأنفسهم فلا تبدو نفوسهم أمامهم مهينة ويهيئون لأنفسهم أنهم يقبلون حكمى وهم به راضون وأنهم ليسوا جبناء ولا ضعافا مهازيل .

– قلت الصواب يامولاى السلطان .

– فالتمس لى هذا البهلوان .

– سأحضره من فوره . ولكن هل أخبره من يريده .

– بل أكتم حقيقتى عنه .

– فماذا أقـول ؟

– قل تاجر من كبار التجار واسع الثراء موفور المال .

وانصرف الوزير الوسنان من فوره . وما لبث ان عاد بالبهلوان . ووضعه بين يدى السلطان .

– ما أسمك أيها البهلوان .

– عبدك يامولاى .

– أو عرفتنى .

– منذ شرفت السوق يامولاى

– يالك من داهية .

– دهائى كله ملكك .

– اذن فانت تعرف فيم أريدك ؟ .

– اذا لم أكـــن قد عرفت من أول وهـــلة فلســـت جـــديرا باستدعائك لى .

– فهل تستطيع أن تقوم بما انتدبتك له .

– وأكثر .

– قبل أن تذهب الى الأكثر قل لى فيم أردتـــك لأختبر مقـــدار ذكـائك .

– تريدنى أن أجعل الناس يمتدحونك فى دخيلة نفوســـهم كما يطيعونك فى جهير أقوالهم .

– أصبت فهل تستطيع .

– لك أن تجربنى .

– وما الأكثر .

– ان أجعلك أنت دائم السرور موفور الحبور .

ـ بالكذب والتحـــايل ·

ـ بل برواية دخائل الناس ومخبوء أسرارهم وكل ظريف طريف من أحوال معيشتهم ·

ـ هل أنت أيضا ستاجب حكاية ·

ـ لن أقول لا أو نعم حتى تشهد لى ·

ـ ولكنك لم تقل ما اسمك ·

ـ خادمك الأمين حسونه هنداوى ·

ـ ومتى تبدأ عملك ·

ـ لقد بدأته فعلا يامولاى ·

وضحك السلطان فى سرور واستظراف · واستأذن حســونه فى الطاف · وما لبث أن بدأ العمل فى غير تأخر ولا مهل · وراح يندس بين الجموع · ويختلق المحامد للسلطان ويذيع · ولم يلحظ الأبله الموهوم · ان الناس تستمع اليه فى وجوم · وأنها تدعو للسلطان فى الظاهر · لأنها لا تملك أن تقول ما يدور بالخاطر · وكما فشا حسونه فى الشعب · أضحك السلطان من القلب وجهل أنه قد يستطيع أن يضحك سلطانا · ولكنه لا يستطيع أن يخدع انسانا ·

ومر الزمان واستدار · وجاء موعد السلطان للاقاة الجبار القاهر فوق عباده · والذى لا يخرج شىء عن مراده ·

وانقلب الحال الى حال جديد · وانتهى زمن حسونه والوزير غير الرشيد · وذهب الوزير الى كسرة من زاوية النسيان · ولكن حسونة أراد أن يغالب الزمان · فنزل الى النـــاس فى السوق · فاذا هم يضربونه ضربا لم يذقه مخلوق · وهو يجرى أمامهم مذعورا · ويتخاضع لهم مذلولا مدحـــورا ·

وأصبح دأب حسونه منذ ذلك اليوم · أن يظل قابعا فى بيته بعض الوقت ثم يعود الى الناس أملا فى أن يكونوا قد نسوا ما أحاطهم به من وهم · ولكنهم كلما عاد اثخنوه ضربا وشتما وحملوه ما يطيقون ولا يطيق غما وهما · وظل هذه حاله وسنته · حتى توارى فى تربته ·

وهكذا ترى أن دولة الظلم ساعة · ودولة الحق الى قيام الساعة ·

قصة وقعت فى يدى بعد أن أخطأت طريقها الى مؤلفى ألف ليله وليلة · سلمتها اليك راجيا رضاءك أملا أن تقع من نفســـك فى خير مـــكان ·

١٩٨٦/١٢/٢ الأهرام

ان النفـــاق قـــديم

خرج جماعة من العرب فى زمن الجاهلية يريدون العراق بتجارة لهم · وكان كسرى يحكمها · وحين اقتربوا من العراق قال قائلهم :

انا من مسيرنا هذا لعلى خطر · فلقد قدمنا على ملك جبار · ونحن ندخل بلاده دون اذن منه · وما أحسب ألنا نستطيع أن نتجر فى هذه البلاد · والرأى عندى أن يذهب واحد منا بالتجارة · فان قتله الطاغية كسرى فنحن براء من دمه وان غنم فله نصف الربح ·

وتقدم شاعر جاهلى اسمه غيلان بن سلمة الثقفى وقال :

ـ أنا لها ·

فلما دخل بلاد كسرى وضع كثيرا من الطيب ولبس ثوبين أصفرين · وهذا عجيب فى ذاته فقد كشف علماء الألوان بعد هذا الزمان بأزمان ان اللون الأصفر من أكثر الألوان اجتذابا للأنظار وهكذا تجد أن للمنافقين موهبة خاصـــة يعرفون بها كيف يصلون الى المكامن الخفية من مواطن الارضاء عند الناس ·

جلس غيلان ببباب كسرى وقد أصبح أمره بين الناس شهيرا · وأخيرا اذن له كسرى ·· وخرج اليه الترجمان وقال له :

ـ يقول لك الملك ما أدخلك بلادى بغير اذنى ·

فقال :

ـ قل له لست من أهل عداوة لك · ولا أنيتك جاسوسا لضد من اضدادك وانما جئت بتجارة تستمتع بها فان اردتها فهى لك وان لم تردها وأذنت فى بيعها لرعيتك بعتها · وان لم تأذن فى ذلك رددتها ·

وبينما هو ماض فى حديثه سمع صوت كسرى فاذا به يهوى ساجدا ويدهش كسرى والترجمان ويسأل الملك ·

ـ لم سجدت ؟

فاذا هو يقول فى دربه المنافق الأصيل ·

ـ سمعت صوتا عاليا فى القصر · وليس من المعقول أن يعلو فى القصر صوت الا صوت الملك فعلمت أنه بمقربة منى فسجدت اجلالا واعظاما لصوت الملك ·

وطبعا استحسن كسرى ما فعل وأمر له بمخدة توضع تحته فى جلسته فحين أمسك بها غيلان وضعها على رأسه · فضحك الملك وظن بالشاعر الجهل والحمق وقال : عن طريق ترجمانه ·

ـ انما بعثنا بهذه لتجلس عليها ·

فقال غيلان :

ـ أعلم هذا ولكننى رأيت عليها صورة الملك فلم يكن من حق منلى أن يجلس عليها ولكن كان حقها التعظيم فوضعتها على رأسى لأنه أشرف أعضائى وأكرمها على ·

ما أحسب الا انك عرفت النتيجة المحتمة لهذا النفاق العظيم فان للمنافق الى العتاة مسلكا لا يخيب وطريقا لا يكدى وسبيلا لا يخطىء ·

لقد اشترى كسرى التجارة من غيلان بأضعاف ثمنها وكساه وبعث معه بنائين من الفرس ابتنوا له قصرا بالطائف · فكان أول قصر شيد بالطائف ·

أرأيت · قديم هو النفاق قديم ·· موغل فى الزمن الى الأعماق الغائرة من أوائل التاريخ · وان كان هذا الذى حملته الينا أنباء الرواة قد حدث فى الجاهلية فهناك مما لم يروه الرواة ما يخطئه الحصر وما يعجز عن الالمام به ذكر أو رواية ·

سمعنا أنباء النفاق أحاديث ورأيناه رأى العين · واحتقرناه فلم يعبأ بالاحتقار وسخرنا منه فلم يلق أى عناية بالسخرية ·

وعلى الرغم من أن النفاق قديم الا اننى أعجب من شأنه كل العجب فهو واسع الانتشار حتى يوشك أن يكون هو الأصل · وما لى لا أقول انه أصبح هو الأصل حين انكمش الصدق خزيان خجلا وكأنه هو الخلق الشائن المعيب ·

ولا ننسى واحدا من زعماء المنافقين فى العصر الحديث سأله طاغوته عن أمر يشغله فاستأذنه المنافق أن يتيح له بعض الوقت حتى يعود اليه

بالرأى الأسد الرشيد · ويروى المنافق نفسه فيقول انه راح يدور فى المماشى ويلوب حول نفسه ويروى أنه راح يصعد ويهبط ويتهم وينجد حتى أوحى اليه الشيطان ما أوحى واقتنع هو انه الرأى لا رأى مثله حتى اذا فرغ من الهامه نصب · والى مولاه الطاغية رغب · يقول له فى سعادة غامرة ، وفى هناءة طاغية ، وفى جدل مسرور محبور ·

ـ ما كان لنا ان نقول لك رأيا فأنت وحدك صاحب الرأى · فأنت ملهم يصل اليك الرأى من حيث لا نعلم فكيف لمثلنا من البشر أن يفكر فى امر انت تفكر فيه ·

وقد كان المنافق وطاغوته كلاهما لا يؤمنان بالله · فالالهام الذى قصد اليه زعيم المنافقين الهام هابط من مكان آخر غير السماء ، وهو وحده الذى يعرف هذا المكان ولا يعرفه سواه ·

ان يحدث هذا كارثة بشرية بالغة الحقارة · فاذا وقع سرا دون أن يعلم به أحد كان فى ذاته عارا أما أن يرويه صاحبه فى كتاب ويفاخر به ويزهى كما يزهى ويفاخر انه وسيده لم يكونا من المؤمنين بالله فذلك هو الفجور أو هو أمر أعظم فداحة من الفجور لم تستطع لغة فى العالم بعد أن تجد له لفظا ·· ولكن ربما ـ ومع انتشار النفاق ـ تجد له فى الغد القريب وصفا يحيط بمدى سقوطه وهوانه ·

والمجتمع لم يوقع على المنافق جزاء · بل هو يكرمه ·· وهو أيضا يوسع له فى المكان ·

وأرى من بعده أنواعا شتى من المنافقين ·· أشاهدهم بعينى يتقافزون فعل القردة · ويسجدون فعل العبيد ·· ويجعلون من رءوسهم مواطىء أقدام لينالوا منصبا كبيرا مرموقا أو يهتبلوا مالا ·

وأعجب ·· انما يطمع الانسان فى المنصب ليكون بين الناس ذا كرامة ووجاهة وجاه · فكيف يمتهن كرامته ويمزقها ويحقر ما أكرمه الله به حين جعله انسانا · وينسلخ عما وهب له المولى من عزة الأحرار من أجل أن يكون بين الناس ذا كرامة ·

أيشترى المنصب بالكرامة وهو فى ذاته جانب قليل من معنى الكرامة ·

كيف يقبل انسان عاقل رشيد أن يبيع الكل فى مقابل الجزء ، والقليل التافه فى مقابل العظيم النبيل ، كيف يقبل انسان أن ينحدر الى هاوية الهوان ليكون أمام الناس فى قمة العزة ؟

تناقض لا يسيغه منطق ، ولكننى أرى المنافقين فى كل مكان ، وما بعجيب أن ينالوا ما يسعون اليه ، ففى كل انسان ضعف الى المديح وكم رأينا الصلب العنيد عند الاشادة به وتعظيم شأنه يلين ويسجح ويقدم ما كان يمنع ؟

وما بعجيب أن ينالوا ما يسعون اليه ، فان لهم لجاجة لا تنتهى ، فالمنافق بطبيعة تكوينه صفيق الوجه ساقط الحياء ، فهو يستطيع أن يلح بصورة لا يستطيعها غيره ، فان الحياء وحده هو الذى يرد الانسان عن كثرة الالحاح ، فمن ضاع حياؤه وجف ماء وجهه فأى شىء يمكن أن يرده عن المبالغة كل المبالغة فى الالحاح ؟

والنفس ذات ملالة وكثيرا ما يصاب من بيده شغل المناصب بالملل من شدة النفاق ومن كثرة الطلب ، والانسان ـ من قبل ومن بعد ـ إنسان ولعله قائل لنفسه فلاضعه فى هذا المنصب الذى يكاد يموت شوقا لبلوغه وهو ـ على أية حال ـ ليس شرا من غيره ؟

وما البأس أن نجربه فاذا لم يرتفع بنفسه الى مستوى المنصب عزلناه وكل ذى منصب لابد يوما أن يعزل ؟

وينسى الانسان ان فى رفع الذليل الى منصب رفيع اهانة للمنصب وحطا له عن كرامته وسفولا به عن مكانته ؟

ولا عجب أن يكون إنسان من الناس ذليلا ولكن شين أن يشغل المكان الكريم انسان ارتضى أن يمحق كرامته ويمحو حياءه ويريق ماء وجهه حتى يجف ؟

ان يكن التاريخ قد روى لنا قصة غيلان بن سلمة الثقفى مع الطاغية كسرى فان التاريخ نفسه لا يهمه شأن غيلان وما استطاع أن يناله من مال كسرى ، لأن مال كسرى كان يمكن أن ينفق فى أى مصرف من مصارف البذخ الأرعن المجنون التى يرمى فيها الطغاة بأموال شعوبهم ؟

ولكن أن يصل انسان بلا كرامة الى منصب له مسئوليته فتلك اذن هى الطامة الكبرى ؟ لأن المنصب ليس جاها فحسب ولا هو وجاهة وكفى ؟

وانما هو حياة أقوام وصوالحهم . فان بيد صاحب المنصب مستقبل جماعات وأقوام وأسرات وبيده أيضا حاضرهم وعيشتهم وحياتهم .

والدليل في المنصب عنوان كريه لكل من يعرف حقيقته . واذا استطاعت الحقيقة من أمره أن تتخفى عن سائر الناس قبل صعوده على أربع إلى منصبه فان هذا المنصب نفسه سيجعل المخفى من أمره معلنا والمستتر من هوانه شهيرا جهيرا .

وبعد فان النفاق قديم كما قد علمت . وهو يتجدد مع كل يوم من أيام الحياة لا ينتهي أمره ولن ينتهي .

وتسألني ففيم اذن تكتب ما تكتب مادمت تعلم أن النفاق سيبقى ما بقيت الانسانية .

انما أكتب لانه لابد أن يجد المنافق من يقول له انك منافق . ولابد أن نظل نقول ان النفاق هوان واذلال للبشرية ومحو للكرامة وتمزيق لكل ما هو شريف نبيل في حياتنا .

لعلنا — من يدري — لعلنا أن نمنع مشروع منافق أن يصبح منافقا كاملا .. فان الطريق الى النفاق — للأسف الشديد — ملىء بالاغراء والطريق الى الشرف — للأسف الشديد أيضا — محشود بالصعاب :

والجنة — كما نعرف جميعا — محفوفة بالمكاره . والقابض على دينه كالقابض على الجمر . كان الله في عون الشرفاء المؤمنين ..

١٩٨٦/١٢/١٤ الأهرام

الحطيئة في عصرنا

أما الحطيئة فشاعر من أعظم شعراء جيله اذا وضعناه في ميزان الشعر وحده اما اذا انتقلنا به الى ميزان الأخلاق فالأمر مختلف كل الاختلاف . وحتى أغنيك عن التفصيل أروى لك بعضا مما ذكره عنك المؤرخون .

قيل فيما قيل انه لقي الزبرقان بن بدر وهو رجل من وجوه عصره وسمي بابن بدر لحسنه وجمال وجهه . وقد استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه وأقره أبو بكر في مكانه لم يغيره وتوفي الزبرقان أيام معاوية .

لقي الحطيئة وعرض عليه أن يستضيفه فرحب بذلك كل الترحيب ولم يكن الزبرقان متجها الى بيته وانما كان في بعض شأن له سيبعده عن داره بضعة أيام فكتب خطابا الى أمه وأعطاه للحطيئة وطلب اليها في الخطاب أن تحسن الى الشاعر وتكرمه وتكثر له من التمر واللبن . وكان الحطيئة دميما لا تحترمه العين فلما رأته أم الزبرقان احتقرته وقصرت في شأنه .

واهتبل أعداء الزبرقان من بني بغيض الفرصة فمازالوا يغرون الحطيئة أن يترك ضيافة ابن بدر الى ضيافتهم حتى استلان لهم وقبل عرضهم وراح يمدحهم .

ثم راحوا يطلبون اليه أن يذم الزبرقان والحوا عليه حتى قال أبياته الشهيرة .

لما بدا لي منكم عيب أنفسكم ... ولم يكن لجراحي فيكم أسى
أزمعت يأسا مبينا من نوالكم ... ولن ترى طاردا للحر كاليأس
ما كان ذنبي بغيض أن أرى رجلا ... ذا فاقة حل مبتوعر شاسي
جارا لقوم أطالوا هون منزله ... وغادروه مقيما بين أرماس
ملوا قراه وهرته كلابهم ... وجرحوه بأنياب وأضراس

دع المكارم لا ترحل لبغيتها وأقعد فانك أنت الطاعم الكاسى
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه نرى مرح فقال عمرو بن العاص
لا يذهب العرف بين الله والناس ما أظلت الخضراء ولا أقلت

ولم يجد الزبرقان ماذا يلجأ اليه من هول هذا الهجاء الا عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وقد يعجب قراء هذا الجيل أن يلجأ شخص الى أمير المؤمنين وامام المسلمين وأعظم من أقام فى التاريخ عدلا ليشكو اليه شاعرا نال منه ببضعة أبيات .

وقد يجهل قراء هذا الجيل ان الشعراء فى ذلك الزمان كانوا التليفزيون والاذاعة والصحافة والسينما والمسرح والندوات أيضا . وكان يكفى الحطيئة أن يقول أبياته حتى يتناقلها الرواة فما هى الا أيام قلائل حتى تصبح على كل لسان ناطق بالعربية فى العالم أجمع .

فليس عجيباً أن يفزع الزبرقان الى عمر بن الخطاب وليس عجيبا أن يستنشده عمر الابيات ويرويها له ويقول عمر :

ـ ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة .

فقال الزباقان :

ـ أو تبلغ مروءتى الا أن آكل وألبس .

فاستقدم سيدنا عمر حسان بن ثابت وسأله :

ـ أتراه هجاه .

فقال حسان :

ـ لقد هجاه شر هجاء .

فأمر عمر بالحطيئة فحبس وراح الحطيئة يكتب الشعر لأمير المؤمنين لعله أن يصفح عنه وكتب له فيما كتب هذه الأبيات الشهيرة :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الأمام الذى من بعد صاحبه ألقيت اليك مقاليد النهى البشر
لم يؤثروك بها اذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر

وبكى عمر فان عمر أواه حليم . بكى وهو يسمع « ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ » فقال عمرو بن العاص « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء اعدل من رجل يبكى على تركة الحطيئة » وقال عمر « ما أرانى الا قاطعا لسانه » ثم قال « على بالطست » ثم قال « على بالسكين » ثم عاد فقال

« لا بل على بالموسى فهو أسرع » فضج الحطيئة وقال انى والله يا أمير المؤمنين قد هجوت أبى وأمى وامرأتى ونفسى وتبسم عمر وقال فماذا قلت قال « قلت لأبى » :

فبئس الشيخ أنت لدى تميم ... وبئس الشيخ أنت لدى المعالى

وقلت لأمى :

تنحى واجلسى منى بعيدا ... أراح الله منك العالمينا
اغربالا اذا استودعت سرا ... وكانونا على المتحدثينا
حياتك ما علمت حياة سوء ... وموتك قد يسر الظالمينا

وقلت لأمرأتى :

أطوف ما أطوف ثم أوى ... الى بيت قعيدته لكاع

وقلت لنفسى :

أبت شفتاى اليوم الا تكلما ... بسوء فما أدرى لمن أنا قائله
أرى لى وجها شوه الله خلقه ... فقبح من وجه وقبح حامله

فقال الذين مع عمر « أصفح عنه يا أمير المؤمنين ولن يعود الى هذا أبدا » وأشاروا الى الحطيئة أن يقول انه لن يعود فقال « لا أعود يا أمير المؤمنين » فقال عمر « كانى بك عند فتى من قريش قد بسط لك وسادة وكسر لك أخرى وقال أنشدنا يا حطيئة فرحت تنشده بأعراض الناس ·

ويكمل رجل اسمه ابن أسلم القصة قائلا « فما انفضت الدنيا حتى رأيت الحطيئة عند عبيد الله بن عمر قد بسط له وسادة وكسر له أخرى وقال أنشدنا يا حطيئة فراح ينشد بأعراض الناس فقلت له « أتذكر قول عمر ؟! » ففزع وقال « يرحم الله ذلك المرء ، أما انه لو كان حيا ما فعلت » ·

ولعلك اليوم تسألنى فيما رويت لك مارويت · وما تذكرى لشاعر من شعراء صدر الاسلام · وانى لأسمح لنفسى أن أسألك أنت · ألم يذكرك ما رويته عن الحطيئة بماتراه اليوم ، اننى فى زمان الحطيئات فيه ملء الدنيا لو كنت بعيدا عن مجالات الصحافة والمجالس التشريعية فانك لن تعرف ما دفعنى الى رواية ما رويت والى قول ما أقول عن الحطيئات وهو جمع لا أدرى مدى صحته للحطيئة ·

انى أرى بعينى كثيرا من الذين يكتبون فى الصحافة يهددون كل من بيده مسئولية سواء كان ذا شأن فى التليفزيون أو الاذاعة أو المسرح اذا هو لم يستجب لما يفرضونه عليه من أعمال هزيلة حقيرة تافهة شائنة لهم

أو لأصدقائهم أو لمن يقدم اليهم الرشا فانهم سيشهرون به ويرصدون أعمالهم الغليظة وأقلامهم الخائنة لحربه واختلاق السوء عنه اذا لم يجدوا من الحقيقة ما يسعفهم ولقد رأيت رأى العين المسئولين وهم حيارى لا يدرون ماذا يصنعون . اذا هم قبلوا ما يفرضه عليهم هؤلاء السفاجون من حملة أقلام حطيئة الذليلة .

قدموا للناس أعمالا غثة تثير عليهم ثائرة الناس وغضبهم . واذا هم رفضوا خرجت عليهم الأعمدة الثقال تتهمهم بالحق والباطل وتلقى عليهم ظلالا كثيفة من شكوك وتختلق عنهم الأكاذيب وتشوه أمام الناس صورهم بلا حسيب من ضمير أو وازع من شرف .

وقد أرى ما هو أدهى من ذلك وأشد وطأة حين أجد الأسئلة والاستجوابات وطلبات الاحاطة تنهمر على الوزراء من أجل مطالب شخصية .

فأين المفر ؟

وأين لنا بعمر بن الخطاب ؟

بلى لقد أحسب أن عمر وهو عمر اذا عاد لعجز عن مواجهة هذه الأزمة الأخلاقية الطاحنة . ومالى لا أظن هذا الظن وأنا أذكر ما كان من أمر عمر بن عبد العزيز حين سأله أستاذه في خطاب أرسل به اليه .

« ماذا تريد أن تصنع بعبدك الناس هذا الذي تفرضه على الناس » .

فقال يرد على خطابه :

« أريد أن أكون مثل جدى عمر بن الخطاب » .

فكتب اليه أستاذه يقول : « لن تستطيع واذا استطعت تصبح أعظم من عمر بن الخطاب نفسه . لأن الذين حول عمر كانوا يعينونه على هذا العدل ويؤيدونه ويؤازرونه أما أنت فان الذين حولك سيمنعونك ويجاربونك ويقاتلونك وقد يقتلونك » .

وصدق حدس الأستاذ وقتل عمر بن عبد العزيز قبل أن يتم سنتين من حكمه .

ويل لنا اذن من زماننا وقد أصبح حملة الأمانة هم حملة الظلم والابتزاز .

وأراك تسألنى عن أمل وارى نفسى تبكى وقد تمزقت ليس من أمل الا فى وجـــه الله وان ســألتنى فلماذا أكتب فاننى مجيبك اننى أكتب لاننى لا أملك الا أن أشكو العاتية الى نفسه لا أرجو أن يثوب الى فضل من نبالة وانما أرجو أن يعلم ان أمره ليس على الناس سرا · وما هذا ينافع أيضـــا ولا شافـــع فان الذى يعتو لا يعنيـــه فى شىء أن يظهر أمره للناس · ثم هو يتحصن منى ومن غيرى بأننا لا نملك الدليل · فالتهديد غير مكتوب فى عقد مشهر وانما هو كلمة تقال فى السر فاذا لم تصب من الذى يهدده مواطن خوف وفزع نشر المبتز ما عن له من هجوم ضار واعلنه على الناس وصوره لهم على إنه رأى برىء من كل غرض بعيد عن كل غاية ·

والنتيجة كما نرى · اعلام هابط · واقتصـــاد متعثر خائف · وعصر مرتعش وأجف · وحسبنا الله وحده فانه نعم الوكيل ·

الأهرام ١٩٨٦/١٢/٢١

مصر المنـــارة

الأبناء أجمل ما وهب الله للانسان ، هم حياتنا ... بل انهم أعز علينا من حياتنا ... يسعدنا أن نموت من أجلهم . نسـعى فى الحياة سعينا ونشقى ، وتؤودنا الأيام بشتى أنواع المحن ، وتلاقينا بمختلف صنوف الجهد لنوفر لأبنائنا الهناء ونجنبهم كل ما يمس سعادتهم ورغد عيشهم وأمن نفوسهم .

الابتسامة على وجه أبنائنا أعظم ما ينير لنا الحياة . وجوه كل الأبناء عند أبويهم هى أجمل الوجوه وأنضرها . وهى الخفقة السعيدة من قلوبنا . اذا انحرف بهم طريق ، جزعنا كأننا نواجه عواصف العالم أجمع . واذا استقام سبيلهم فكل ما نلقـاه من أحداث الحياة محتمل . اذا جحدوا التمسنا لهم المعاذير ، وان جنحوا لقسوة اختلقنا لقسوتهم الدوافع أكرم ما تكون الدوافـع .

نغضى عن خطاياهم حتى كأنها ما كانت ونحتفى بحنانهم بالغا ما بلغ حنانهم من هوان الشـأن .

نلتمس عندهم نظرة رضا . وقد نكون أعزة على أنفســنا نشمخ بأنوفنا على القمم والهامات العالية ولكننـا عند أطفالنـا أطفال . نسعد بأوهى ما يعطون ، اذا أعطوا . وماذا يمكنهم أن يعطوا الا كلمة فيهـا حنان . أو سؤالا عند مرض . أو مشاركة باللفظ عند شدة حاطمة .

هؤلاء الأبناء . هناؤنا وشقاؤنا . عزنا وحرصنا . أمننا وفزعنا . غاية الغاية لحياتنا . هم نهايتنا وبدايتنا .

فماذا حدث فى العالم اليوم . ماذا صنع البشر بالبشر . وكيف سمحت الحياة لنفسها أن تخرج علينا صبيحة أحد الأيام تعلن الينا أن أبوين فى لبنان عرضـا أبناءهما للبيـع . ماذا صنعت القوة الغـاشمة بالانسانية هنـاك .

ان ما فعله الأبوان ليس قسوة منهما على أبنائهما وانما ما فعـلاه أبشـع من انتحار كل من الأبوين . ولكن كليهما كان ممزقـا بين جوع

أبنائه في ظله وعريهم وهوانهم وذلهم في حماه · وبين أن يبتعدوا عنه كل البعد مكتفيا أن يطمئن انهم على قيد الحياة · مرتئيا أن حياتهم في رعاية غيره ينالون عنده غذاء مهما يكن قليلا وعناية مهما تكن غير حانية · حنو الأب · خير لهم من حيـاتهم في بيته جوعى مهزولين يقتلهم البرد أو يحرقهم الحر وأجسادهم بلا كساء ·

وادرك كل من الابوين أنه لو انتحر فقد دينه وفقد معه مستقبل أولاده وهرب من واجبات الأبوة فاقدم على هذه الخطوة التي ما أحسب الا انها زلزلت كل من قرأ عنها أو سمع بها ·

أي عذاب تعرض له كل من الأبوين حتى انتهى الى هذا القرار · اتراه يوم اتخذه وأعلنه خرج من حيرته الى طمأنينة أم زاد حيرته هلعا وذعرا واشفاقا على بنيـه ·

هل تملك الانسانية أن تلوم الأبوين أم هي تقف واجمة مستخزية حسرى ازاء ما صنعه الأبوان أو ما صنعته بهما الانسانية ·

هل هي الانسانية التي صنعت أم الوحوش الضارية التي صعقت لبنان وفرقتها شيعا وحطمتها جذاذات قاتلة سفاكة ! واأسفا على لبنان بلاد الجبال الشماء تعممها الثلوج كأنها مصابيح الشيوخ الأئمة والجداول الرقراقة صفا نميرها وطاب منها المجرى والمرأى والمشرب · بلاد الأرز الأشم يغطي السهول منها والوديان كأنه أيد مرفوعة بالدعاء والشكر لمن جعل لبنان جنات النعيم وطريق الخلد كما كان يراها خالد الشعر العربي أحمد شوقي ·

الى أي مصير ألقى بها التعصب والغباء والأصدقاء والأعداء· أصبحت جبالها كالمجرمين العتاة الزنادقـة واستثيرت الجداول منها هادرة فهي أنهار صاخبة من الدماء الحمراء القانية · وتهدلت الأيدي المرفوعة من الأرز واسترخت في استسلام الموتى ويأس المطحونين ·

وما أخال الجبال والجداول وأشجار الأرز الأصـارخة اليوم في عويل طويل مفجوع من هذين الأبوين أحدهما في شمال لبنان والآخر في الجنوب يعلنان الرغبة منهما أن يبيعا كبودهما لمن يشتري ·

اذن فهكذا يصنع التعصب والتطرف بأصحابه · أترانا سنسمع في قريب عن أباء وأمهات يبيعون أبناءهم في ايران · .

وهل يمكن أن تنتهى هذه الحرب هنـاك الا بهذا الفتـك بأسمى العلاقات الإنسانية وأشرفها معدنا وأنبلها أصرة ٠

أيريد الارهابيون هنا أن تتمزق نحن أيضا كما مزق الأرهابيون لبنان وكما يمزقون اليوم ايران !

أيريد المتطرفون فى مصر أن يوقعوا بين الأخوة حتى ينتهى بنـا الأمر الى نبيـح أبنائنـا ؟

ألا من مدكر ٠٠٠ ويحهم ألا يعقلون ؟! ويل لهم ألا يبصرون أم على القلوب منهم أقفالها ؟

ان المتطرفين من شتى الأنواع والنحل تعاقدت منهم الأيدى واتحدت الطرق وأصبحوا حربا على كل قيمة يحـاولون أن يحطمـوا مصر أول ما يحطمون ٠

أيريدون أن ينتهى بنا الأمر أن نبيع أبناءنا كما صنعوا فى لبنان ؟

ان الذى يحدث اليوم فى لبنان هو المصير المحتوم لكل بلد يحاول فيه المتطرفون أن يفرضوا أنفسهم على الحكم على أى لون كان تطرفهم هذا وعلى أى عقيدة أو ملة أو مذهب ٠

وتلك الأقلام التى لا تنفث الا سما ولا تكتب الا خزيا ولا تخط الا سفولا ، أما آن لها أن تدرى أن الطريق الذى فيه يسيرون يتجه بوحدة مصر الى تمزيق ؟

لماذا يتاجرون بالأمنا ولا يحاولون أن يخففوا منها ٠ ولماذا يزيدون أوجاعنا أو صابا ولا يحاولون أن يكونوا دواء لداء ٠ وهم يدعون أنهم أبناء مصر ويزيدون انهم هم هم وحدهم الأبناء المخلصون ٠

أما آن لهم أن يرعوا الله فيما يصنعون ؟

كره الله هذا والمؤمنون ٠

انما الله سلام ٠ وأمن وطمأنينة ٠ وهو سبحانه يرى الفتنة أشد وبالا من القتل ٠ فما لكم ترفعون اسم الله وتشيعون الفتنة بين عباده ٠ وما لكم تدعون الوطنيـة وتفشون الفرقة والتنـابذ والأحقاد بين أبنـاء

الوطن · وما لكم ويلكم تجعلون صحفكم سوداء بالسخيمة غبراء بالكراهية قاتمة بالسباب الى اين وماذا تريدون ؟

أتراكم قرأتم من بيع الاباء لبنيهم · أو تراكم فزعتم كما فزعت الانسانية جميعا على شتى ألوانها وصنوفها ومعتقداتها وأديانها · أم انكم أنتم بلا انسانية ولا معتقدات الا الخراب ولا دين الا التمزيق والحرق والتدمير ؟

ستبقى مصر · ولن نبيع أبناءنا ولن نبيع قيمنا ونبالتنا وان تكن منا فئة عاجت اليوم عن الطريق أو حادت عن الشرف فان وجه مصر المشرق بتاريخها الذى كان بكر الحضارات وأولها · وبدينها الذى ظل عماد الحياة فيها وأسسها · وبخلقها الذى ورثته عن أعظم ما فى الحياة من سجايا سيعيد المعوج الى الطريق والحائد الى السبيل وستبقى مصر كما أراد لها الحى القيوم كنانة الله فى أرضه· اختارها سبحانه مسرى أنبيائه وطريقهم واختارها أن تكون مئذنة العالم العربى ينطلق من مناراتها : الله أكبر فيرددها من ورائها كل المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ·

واختارها أن تكون الضياء الغامر للعالم العربى أجمع ·

هكذا كانت وهكذا هى وهكذا ستظل وان رغمت من المارقين الأنوف والله سبحانه غالب على أمره ·

١٩٨٦/١٢/٢٧ الأهرام

واغـــوثاه

لابد للدولة أن تعيش • ومهما تكن الصعاب والعقبات والعراقيل فان الدولة تجتازها وتعبرها الى الحياة •

فالدولة أصل • ولن يمنع الدولة أن تصل الى الرأى السديد لافتات على فراغ • أو شعارات جوفاء • أو نداءات تصدر عازفة بشقشقة فارغة أو الفاظ غنائية •

وما أرى الا أن مصر اليوم تؤجل ما ستضطرها الأيام أن تتخذه من قوانين • وعزيز على كل مصرى أن يرى مصر مرغمة •

ان الرشاوى غير المنطقية التى قدمتها بعض الحكومات الى فئات من هذا الشعب الطيب لابد أن تصدر القوانين بالعدول عنها •

فالرشوة بعيدة كل البعد عن العدالة • والعدالة فى النهاية هى صاحبة الكلمة العليا • لأن العدالة ليست الحق وحده وانما هى أيضـا تمكين صاحب الحق أن يناله • وكل حق يقابله واجب • فالحق والواجب وجهان لعملة واحدة • ولن يسـتقيم فى العقول أن تكون عملة ما ذات واجهة واحدة •

وحقوق مصر مهدرة عنـد كثير من الفئات • هذه الفئات لم تؤد واجبها ونالت أكثر من حقها • فالعدالة اذن بينها وبين الدولة غير قائمة بل هى منهارة •

ان العـالم جميعـه يدهش أن تكون فترة العمل اليوميـة فى مصر سبعا وعشرين دقيقة • وان جامع حروف هذه المقالة سيجدنى كتبت عدد ساعات العمل بدلا من فترة العمل ثم شطبتها وكتبت فترة • لأن الجملة لم تستقم فى ذهنى • ففترة العمل عندنا لا تحسب بالساعات شأنها فى جميع دول العالم وانما تحسب بالدقـائق • التى لم تصل الى الثـلاثين دقيقـة •

فكيف تستطيع هذه الدقائق اقالة اقتصاد مصر مما يتردى فيه ٠ وما هو موقفنا أمام العالم وهو يسخر من هذه الحقيقة الموجعة الأليمة ومالى لا اقول المضحكة وشر البلاء ما يضحك ٠

ليس فى العالم أجمع دولة تماثلنا فى هذا ٠ ذلك لأن الجزاء رفع تماما عن العامل ٠

فحين نجد الدول الشيوعية تعاقب المتكاسلين من العمال لا بالرفت وحده ٠ وانما بالسجن والنفى وما لا يعلمه الا الله من وسائل التعذيب نجد العمال متحصنين فى مصر من أى عقاب مهما يكن هينا ٠ ونحن دولة تتخذ الديمقراطية التى هى حكم الأغلبية عنوانا لحكمنا ٠ بينما ترفع الدول الشيوعية شعار حكم الطبقة العاملة لافتة على نوع الحكم فيها ٠

فاذا كان حكم الطبقة العاملة يوقع الجزاء أشد ما يكون الجزاء على العامل الذى لا يؤدى واجبه أليس من الأولى أن نعيد نحن النظر فى قوانين العمال عندنا حتى ينال الكسول والمهمل وغير المبالى جزاءهم ٠

وهل من العدالة فى أى شرع أو منطق أن يتساوى المحسن والمسىء والجاد والهازل ٠ والخامل والنشيط ٠

ان قوانين العمل التى نحاذر اليوم أن نأتى بذكرها وكأنها ذات مصونة لا تمس لن تستطيع أن تواجه الأزمة الطاحنة التى تعيشها مصر ٠ ويأتى حين على الدولة تشعر أن الأمر جدلا يحتمل المراوغة ٠ وحين يأتى هذا الحين تصبح الدولة ولا خيار أمامها ٠ فاما أن توجد أو لا توجد واما أن تعيش أو لا تعيش ٠ والدول دائما تعيش على الرغم من كل اللافتات ٠

وحينئذ تتخذ سبيلها قصدا الى الصحيح من الأمر ٠ ويقول القائل يومذاك المثل العربى القديم « مرغم أخاك لابطل » ٠ فقبل أن نكون هذا المرغم لابد لنا أن نفىء الى الرشد ٠ وأن نفيق الى الهول الذى يحيط بنا ٠ فعزيز على كل مصرى أن يرى مصر مرغمة ٠

وقوانين التعليم المجانى ذات اسم عريض على غير المسمى ٠ فانه بفضل اللافتات التى رفعتها والشعارات التى اصطنعتها نجحت كل النجاح ان تجعل الاسم المطلق على هذه القوانين اسما على غير مسمى ٠ وأنشودة بلا صوت ٠ وجعجعة ولا طحن ٠

لم يعد فى مصر تعليم · والمدارس والكليات فى مصر ليست مجانية ·

وليصرخوا بأعلى صوت لهم · ليس فى مصر اليوم تعليم ·

والانتساب الى دور العلم الموجودة الآن ليس مجانيا ·

أين المجانية مع هذه الأرقام الهائلة التى يدفعها الأباء المطحونون فى الدروس الخصوصية · وأين التعليم فى بلد نرى فيه خريجى الجامعات لا يقيمون جملة صحيحة بلغة بلادهم ·

وكم نادينا أن يدفع القادر أجرا لنعين به غير القادر فى التعليم وهباء راح نداؤنا ، وتصايح هواة اللافتات ، اصطرخ أبناء الشعارات ، وتهاتف الجبناء الحريصون على الخراب ·

ان التعليم حق · هل ننادى بأن يدفع القادر الا لكى نؤدى هذا الحق لأصحابه ·

ان التعليم حق · فهل ناله أبناء مصر ؟! علم الله انهم لا ينالونه الا من دروس خاصة يبذلون فيها دماء آبائهم ·

ويعلن بعض رؤساء الجامعات انهم هيأوا مواقف لسيارات الطلبة تتسع لآلاف من هذه السيارت · اشتراها أصحابها بالعشرات الكثيرة من الألوف وأصحابها فى داخل الكليات يعتصرون دماء مصر المأزومة ويزيدون الرهق الذى تعانيه · وبعض هؤلاء الطلبة نال شهادة الثانوية العامة وتلقى تعليمه الاعدادى والابتدائى بل والحضانة بمدارس أجنبية كانت المصروفات فيها آلافا مؤلفة دفعها الآباء عن رضا وطيب خاطر طوال سنوات الدراسة دون أن يقول واحد منهم كلمة معارضة أو احتجاج حتى اذا نال أبناؤهم الشهادة الثانوية استباحوا لأنفسهم أن يتلقى أبناؤهم تعليمهم العالى وهو العالى مجانا على نفقة مصر ·

ويتدهور التعليم فى المدارس والجامعات · والهتاف بمجانية التعليم يعلو ويتفاقم · وهيهات ·

لن يصح الا الصحيح ·

وها نحن أولاء نصيح · ادركوا الأمر وأنتم بعد فى نهاية الطريق من الاختيار قبل أن ينغلق دونكم الاختيار ويقول القائل · مرغم أخاك لا بطل فعزيز على كل مصرى أن يرى مصر مرغمة ·

أنا مؤمن ايمانا وثيقا انه لا سبيل الآن الى الغاء القطاع العام فان في الغائه سحقا للاقتصاد المصرى ٠

ولكن الا من نظرة أمينة اليـه ٠

ما معنى أن يشغل القطاع العام نفسه بالتجارة في دكاكين انما نعرف أن يكون القطاع العـام في الصناعات الكبرى ٠ وقد يكون من المعقول أن يتصدى للصناعات المتوسطة ٠

أما أن يكون عمر أفندى وشيكوريل وصيدناوى والصالون الأخضر وأشباه هذه المتاجر قطاعا عاما فتلك عجيبة من عجائب الزمن ٠

وأسـمع أخيرا ان بعض هذه المحلات العـامة تؤجر الأركان فيها للقطاع الخاص ٠٠ ما هذا ؟! ٠٠ وأى نوع من الاقتصاد ذاك ! ٠٠ أهو عام أم خاص أم هو خليط شائه مضحك لم يعرف العالم له مثيلا ٠٠

ويقولـون أين يذهب عمـاله الذين تكاثروا بصـورة سرطانيـة وأصـبحوا يقبضـون مرتبـات دون أن يقـدموا عملا ٠ ونقول لهم انقلوهم بدرجـة البطالة التى يشـغلونها الى أى مكان وازيحوا أورامهم عن هذه المتاجر التى تستطيع ـ ان هم زحزحوا عنها ـ أن تصبح قطاعا خاصا مربحا لمن يشتريه ومربحا للدولة في وقت معا ٠

فالخسارة في هذه المتاجر ليست ناتجة عن العمالة الزائدة أضعافا مضعفة فحسب وانما هى بادىء ذى بدء من انعدام الحافز الشخصى الذى اعترفت به الدول الشيوعية نفسها ٠

فلو أن لهذه المتاجر أصحابا لعرفوا كيف يستخلصون منها أحسن ما يمكن أن تعطى ٠ وهم بعد سيدفعون عن أرباحهم ضرائب للدولة خالصة بغير جهد من الدولة ولا نصب ٠

أما الدكاكين التى تبيع فيها الدولة الفول والطعمية والكباب فتلك في ذاتها مسرحية من المسرح الهزلى العابث وأنا لا أستطيع أن أصدق انها موجودة حتى ولو كانت فعلا موجودة ٠

واليوم الذى يتحتم فيه على مصر أن تواجه هذه الخسائر أن لا شك آت ٠ ان لم يكن قد أتى فعلا ٠ وستضطر مصر مرغمة أن تقيم القواعد

على الأسس الصحيحة · لأنه ـ ودائما ـ لا يصح الا الصحيح وكم نرجو أن تحزم الدولة أمرها قبل أن يصيح صائح مرغم أخاك لابطل · فعزيز على كل مصرى أن يرى مصر مرغمة ·

وبعد فما أسوق الا أمثلة قليلة من أشباه كثيرة سيأتى اليوم عاجلا لا أجلا نجد أنفسنا فيه مضطرين أن نتخذ القرار الأمثل بغير هتاف ولا لافتات ولا تهريج ولا مغالطة · فقد تصلح هذه الأشياء بعض الحين ولكن ما أقل هذا الحين · ثم سرعان ما ينجلى عن الحق الذى لا حق غيره · وسرعان ما يستبين الصواب ويصح الصحيح · فادركوها ·· فانها اليوم تصيح بكم واغوثاه · ولم يبق أمامكم الا أن تستجيبوا لصراخها فانما تستصرخ بنيها ولا يصرف الأبناء أذانهم عن الأمهات الا ان كانوا صما أو كافرين بحق الأمومة وما نحن بصم وما نحن بحق الأمومة بكافرين ودائما والى الأبد عزيز على كل مصرى أن يرى مصر مرغمة ·

١٩٨٦/١٢/٢٨ الأهرام

سنة ١٩٨٧

جفـــاء ·· لا يمـكث

كان قدرى ان أعيش مع الناس منذ البواكير الأولى من حياتى · فقد ولدت وأبى عضو مجلس النواب · وعضو مجلس النواب لابد أن يعرف كل البلاد التى انتخبته فله فى كل بلد أصدقاء منهم التاجر ومنهم الفلاح ومنهم شيخ البلد · وهو باليقين يعرف عمد هذه البـــلاد جميعا وعلى صلة وثيقة بهم وكل عمدة منهم يظن انه الأثير عند النائـب · وفى هذا الحين من الزمان كان بيت النائب مثابة لأهل دائـرته جميعا والدوائر المجاورة أيضا · واذا احتاج بعضهم ان يبيت بضع ليـــال فى القاهرة فانه يكرم النائب ويبيت فى بيته فلا يصح ان يكون بيت النائب موجـــودا ويبيت زوار القاهرة من أبناء المنطقة فى فندق أو عند قريب لهم أو نسيب ·

وكان أبى أيضا محبا للشعر والشعراء حتى لقبوه بأبى الشعراء · فكان بيتنا منذ وعيت لايخلو من الشعراء ·

واتصلت أسبابنا بذوى الحكم والسلطان وهكذا قدر لى ان أعرف جميع فئات المجتمع وأن تقوم بينى وبينهم أواصر ألفة ومودة ·

فأنا أرضى من الناس بما لا يرضى به غيرى · أقبل الالحاح فى الطلب وأقبل الازعاج فى غير وقت العمل · واسترضى أولئك الذين يتظاهـرون بالغضب لأهون الأسباب ولأكثرها تفاهة · وأذكر البيت القديم :

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

مرنت على أن أقبل الناس على ما فيهم من عيوب · وأغضى عن عيوبهم عينا تعرف ما بهم من شوائب · فمن غلبت فضائله على مثالبه قبلته · ومن غلبت مثالبه على فضائله قطعته وكأننى لا أعـرفه · وأذكر حكمـة ماثورة مؤداها « نصف الفطنة تغافل » وأعمل بها ما وسعنى الجهد ولكن الجهد قد ينفد · وقد لا تسعفنى سعة الصـدر · وقد يضيق بى التغافل فاثور ولكن ما أقل ما تدوم ثورتى وما أسرع ما أثوب الى سكينة النفس وهدوء الطبـــع ·

ولكن هناك بعض صفات فى الانسان لا أستطيع أن أغتفرها فيما اغتفر من مثالبه .

لا أطيق الذى يحسب أن الناس أغبياء وهو وحده الذكى ولا أطيق الكذوب الذى لا تستطيع ان تعرف منه حقا . قد أغضى عن صادق اضطرته الظروف الى الكذب أحيانا ومن فى الناس لا يضطر الى ذلك . وغفر الله لابن الرومى حين قال .

وانـــى لـــذو حلـــف حاضر
اذا ما اضطررت وفى الحال ضيق

وهل من جنـــاح على مؤمن
يدافـــــع باللـــه مالا يطيق

اما ان يكون الكذب هو الأصل فى الانسان والصدق صـــدفة فتلك خلة لا أستطيع ان أعرف صاحبها ولا أقبل ان يعرفنى .

وأذكر واحدا ممن عملوا مع أبى كان مصـــابا بداء الكذب حتى اذا أراد أن يقول الصدق عصاه لسانه وقال الكذب وكان أبى يقول عنه انه لو عرف ان الصدق سينقذه وان الكذب سيحيطه بالمهالك كذب وفاء منه للكذب وحرصا عليه .

أما أبشع من عرفت من الناس فهو ذلك الذى يتظاهر بما ليس فيه فهو شخص يعلن على الناس انه ليس راضيا عن نفسه كما هى فهو يحاول ان يضفى عليها ما ليس فيها .

وفى هذه الحمـــاة من المهـــانة يقع الذين يعشقون المظاهر الكاذبة فتراهم وقد انتفخت أوداجهم وورمت أنوفهم وعلت صـــدورهم . وتراهم يصطنعون دواعى العظمة . فان كانـــوا من ذوى سلطـــان استكثروا من الحراس واختاروا من السيارات أكثرها اجتذابا للأنظار .

مساكين هؤلاء انهم لا يهدأون أبدا اذا أرادوا ان يسلموا على صديق رسموا لأنفسهم شكل السلام . وان أرادوا ان يبتسموا فكروا طويلا فى صورة الابتسامة وان أرادوا ان يمشوا شكلوا خطاهم ، وان أرادوا أن يجلسوا تحيروا كيف يجلسون فى عظمة وكيف تحتفل بهم الأنظار وتحيط بهم الأصدقاء وتتخلق حولهم الاهتمامات حتى لا يضبح أحد فى الجالسين ذا شأن الا هم . وقد يكون فى جلستهم من يسمو عنهم منصبا أو نسبا

يعلو عليهم علما وشهرة ومكانة ولكنهم مساكين يحسب كل صغير منهم انه مركز الكون وانه لولاه ما دارت الأرض ولتوقفت الحياة ·

كم هو هزيل ذلك الأدهى من هؤلاء وكم تضيق به الحياة على سعتها وكم أريد ان أصيح به كن انت ايها الانسان فانك مهما تتخذ من أبهة فارغة ومن مظاهرة كاذبة لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ·

هؤلاء الناس يحسبون ان أى منصب أقل من عبقريتهم الباذخة ومن شخصياتهم العلوية السامقة · يحفرون بأيديهم المهاوى لخطواتهم لأنهم يطمعون ان ينالوا من الحياة أكثر مما تستطيع الحياة ان تعطيهم يتمثلون قول المتنبى :

أريد من زمنى ذا ان يبلغنى
ما ليس يبلغه من نفسه الزمن

ناسين ان المتنبى ـ على عظمته ـ مات حتف غروره وكان موته نهاية طبيعية لسعيه المجنون الى امارة أو بعض امارة ·

وهؤلاء الصغار لا يقف بهم طموح · وويل كل الويل اذا ولوا من المناصب كبيرها · فانهم بعد ذلك يلهبون ظهر الزمن لينالوا المنصب الذى يليه · هيهات أن ينتهى جنون العظمة عندهم الى غاية أو يبلغ بهم الى مرفأ · فان ملكوا الأرض طلبوا السماء · يقتلهم صغارهم · ترديهم تفاهتهم · تقضى عليهم رغبتهم المشتعلة ان يحيط بهم الاهتمام والتكبير والتعظيم · وانك لترى العاملين معهم يؤلهونهم فى ذلة وهوان فان غفلوا لحظة عن التملق لهم · والتمدح بالائهم ومآثرهم استحثوهم ان يمدحوا وأرغموهم على التغنى بقدراتهم الخارقة · وهؤلاء الصغار الذين يتخذون ملابس الكبار لا يرضون ان يكون نبوغهم فى جانب واحد من الحياة أو فى ناحية واحدة من التفوق فهم يتوهمون انهم علماء وأدباء وساسة وأصحاب وسامة وجمال ورشاقة وانهم على كل شىء قادرون والذين حولهم لا يقف بهم نفاق عند حد وهم ـ والعياذ بالله ـ بلا حياء ومن فقد حياءه زاد نفاقه لأنه بلا كرامة ترده وبلا خلق يردعه · والذى يصدقه أشد منه وقاحة وأكثر منه جهلا··

مصير هؤلاء معروف · فان الحياة ترفض من يريد ان يخلق لهـــا ناموسا غير ناموسها أو يحاول أن يضع لدورانها دستورا غير دستورها · وسبحان الذى قال « فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » ·· ومثل هذا النوع من الانسان زبد فهو جفاء وهو لا يمكث ؟

الأهرام ١٩٨٧/٢/٦

نفيـــق

للشيوعيين – والعياذ بالله – نوع من الخلق ينفردون به عن سائر المخلوقات في العالم – وهم – في أنماط أخلاقهم هذه يتشابهون حـذوك النعل بالنعل في كل جماعة لهم لا يختلف رهط منهم عن رهط ولا تجمع لهم عن تجمع ٠

فهم جميعا ينطقون عن لسان واحد والحجة التى تجدها عند أحدهم تجدها عند الآخر وان تباعدت بين الاثنين الأماكن ٠٠ وان شط مستقر أحدهم عن مستقر الآخر ٠ والمراقب لهم يدرك من فوره ان جميعهم أبواق لصدر اذاعى واحد ٠ وان جميعهم صدى لصوت أمر ينطلق من هناك وينقله حجر منهم في شكل انسان ٠ أو ان شئت فقل فى وعاء انسان الى حجر آخر يتخذ هو أيضا شكل الانسان ٠

وتصبح أصواتهم جميعا وكأنها نقيق ضفادع يتعالى منها الصـــياح وتصوت جميعها فى وقت واحد لاتستطيع اذنك ان تميز صـوت ضفدعة منها عن أخرى ٠ وانما تنطلق الضفادع جميعا بصيحة واحدة ٠ والعجيب العجيب فى شأن هؤلاء الشيوعيين انهم اذا صمتوا ٠٠ صمتوا جميعا في لحظة واحدة ويسود سكون ينبيء ان الأصوات الى عودة ٠ وتكون العودة دائما بنفس الضجيج كثيرون هم يتصاخبون وجميعهم يقول مايقوله الآخر ٠

تصاعدت أصوات ضفادعهم فى الفترة الأخيرة موجهـة نقيقها الى شخصى ، وغاية ما أسفر عنه صياحهم اننى كنت ضد حرية الرأى فى ساحة فخامة رئيس الجمهورية حين اجتمع بالكتاب وهو يفتتح معرض الكتاب ٠

وان لهم لصفاقة هيهات وألف هيهات ان تتأتى لغيرهم ٠ وقد رمونى بتهمة لم أصنعها والشهود على صدقى وكذبهم أكثر من مائة كاتب كانوا يشهدون اللقاء وقد استمعوا الى كل كلمة قيلت فيه ولو كانوا على ذرة من حياء لخجلوا ان يفتروا فريتهـــم تلك والشـهود جميعا يعرفون كذبهم واختلافهم واعتداءهم على الحق ٠

أما الواقعة كما حدثت فهي أن عالمهم محمود أمين العالم طلب الكلمة من فخامة الرئيس فأعطاه اياها فراح يلقي حديثا طويلا لم يجعل له عنوانا وانما كل كلمة فيه تطالب بأن تطبق مصر النظرية الشيوعية الماركسية ٠

ولم يفجر المتحدث ان روسيا وهي روسيا بدأت باخرة تتخلى عن كل ما كان ينادى به سيادته ويريد تطبيقه ٠

وزاح الرئيس يستمع ويناقش فى هدوء وفى أدب جم نعرفه فيه جميعا واستمر النقاش حتى سأل الرئيس فى هدوء :

ـ يعنى ماذا تريدنا ان نفعل ٠

وقلت أنا فى محـــاولة طبيعية لوضع عنـــوان لحديث الأســتاذ محمود أمين العالم :

ـ انه ياسيادة الرئيس يريد أن يطبق النظرية الشيوعية الماركسية على حكم مصر ٠

وارتج على الأستاذ محمود أمين العالم وكأنما لم يكن يتوقع أن يعلن واحد من الحاضرين عنوان الحديث الطويل الذى ألقاه ولم يجد شيئا يقوله الا جملة متلعثمة مترددة :

ـ لا ٠٠ النظرية الشيوعية ٠٠ لا ٠٠ هذه موعدها بعد عشر سنوات أو عشرين سنة ٠

وانتهى النقاش ٠

وخرج جميع الشيوعيين من جحورهم ٠ ما كان لرئيس اتحاد الكتاب ان يمنع أحدا من ابداء رأيه وثروت أباظة يصـــادر الرأى ٠ والمدافع عن الحرية يتصدى للحرية ٠ وتجاوبت أعمدتهم ومجلاتهم متناوحة تحمـــل نقيقا واحدا الا كاتبا منهم هو الأستاذ عبد الستار الطويلة الذى آكن له احترام الخصم فى الرأى الذى يمنعه كرم نفسه أن يخلط خصومته بدخل أو كذب أو ادعاء باطل ٠

فقد كان شريفا فى حديثه عنى وما أحسب التهمة التى وجهها الى الا سوء تفاهم لا ألومه عليه وأشكره فى ذات الوقت على نبيل رأيه فى ٠

وما هذه هى المرة الأولى التى يختلق فيها الشيوعيون الأكاذيب عنى ثم يصدقونها ثم تتوالى مقالاتهم فى مهاجمتى من أجل الواقعة التى يعلمون هم علم يقين انهم اختلقوها . ولكن هذا دأبهم فما رأيت فى حياتى أجرأ على الحق منهم . وما العجب ؟ والمذهب بأجمعه يقوم على انكار الحق وهو الحق سبحانه وتعالى عما يشركون .

قال قائلهم ونشر بجريدة عربية تصدر فى دولة غربية: ان ثروت أباظة طالب بمنع دخول الشاعر نزار القبانى الى مصر . فى هذه الزيارة التى أدعوا فيها اننى أريد ان أمنع دخول الشاعر الى مصر التقيت بالشـــاعر فى « الأهرام » ودعوته ان يشرفنى ببيتى فى غداء أو عشاء فنحن صديقان قديمان ولقـــد طالما شرفنى ببيتى والتقيت به أكثر من مرة فى بيت عمى عزيز أباظة باشا الذى كان يصر على دعوته كلما جاء الى القاهرة . وقد دعانى نزار الى بيته أكثر من مرة . فكيف تنوطد بيننـا هذه العلاقة . وكيف أدعوه الى بيتى وفى نفس اليوم أطالب بأن يمنع من الدخول الى مصر .

هذه واحدة وأخرى . من نصب رئيس اتحاد الكتاب بوابا على مداخل مصر . وبأى صفة يحق لى ان أطالب بادخال أى شخص أو بعدم دخوله .

وكيف يسوغ فى الأذهان ان يطالب رئيس اتحاد الكتاب وهى نقابة حملة القلم باتخاذ اجراء تعسفى ضد واحد من شعراء العصر أو أى حامل للقـــلم .

كانت الفرية مضحكة واضحة الهزل والضحالة فأوليتهـــا أذنا غير صاغية وأهملت شأنها .

ولكن الكذبة سعت بأصوات الضفادع الى أركان الأرض العربيـــة جميعا وتصايحت أقلام الشيوعيين من كل حدب وصوب ترفض موقفى الذى لم اتخذه ولم أفكر فى اتخاذه ولم أتصور ان من حقى أو من واجبى ان أقفـــه .

وجاءنى محرر من الجريدة العربية التى نشرت الخبر أول ظهوره فبادرت بتكذيب ما اختلقوه اختلاقا ونشر المحرر الأمـير الخبر ووضعته الجريدة مشكورة فى مكان واضح من صفحاتها .

فهل أجدى التكذيب هيهات .. مازال الشيوعيون حتى الأيام الأخيرة الماضية ينددون بالموقف الذى لم اتخذه ولم أفكر فى اتخاذه .

ونزار قباني شاعر من أعظم شعراء جيله · ونحن لانحاسب الشعراء على مواقفهم السياسية · ولو فعلنا لتعرض أغلب الشعراء من الجاهلية الى يومنا هذا لرفض شديد · ولكان المتنبى أكبر شعراء العربية بعد شوقى اكثر الشعراء تعرضا للمحاسبة وانما ينبغى ان يكون دأبنـــا مع الشعراء ما وصفهم به الخلاق العليم فى محكم قرآنه « ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون » · صدق الله العظيم ·

ومالنا أن نحاسب نزار على تقلب رأيه بشأن نقده لمصر او مديحه لها وبين كتاب مصر الذين ينتسبون بآبائهم وأمهاتهم وعظام أجدادهم الى مصر من باعوها حين ذهبوا الى الدول العربية بيع السماح أو بيع اللئام وراحوا يكيلون الشتائم لمصر وحكام مصر ويتقاضون أجر أعراضهم ثمنا دنسا حقيرا ·

ثم هاهم أولاء اليوم بين ربوع مصر يقولون آراءهم مديحـا ونقدا كأنهم ما باعوا مصر بأموال مازالت حتى اليوم تملأ خزائنهم · وغفرت لهم مصر ومن يغفر اذا لم تغفر الأم · وغفرنا نحن أبناء مصر ما أساءوا ومن أولى بالغفران للأخ من أخيه ·

وها هو ذا الشاعر الفنان نزار قباني يعود الى مصر منشدا لها نشيد الحبيب العائد الى حبه · وما زالت مصر هى حب العرب أجمعين · يحبونها على أى حال هى عليه · وقد يضيقون بما تعانيه ولكنها عندهم أجمل من أمريكا التى يجدون فيها آخر ما وصل اليه الانســان لتدليل الانسان · ولكنهم لايجدون فيها أو فى غيرها دفء الأخوة العربية ولن يجـــدوا ولا يجدون فيها ولن يجدوا مايلتقون به فى مصر من فن يخاطبهم ويخاطبونه ويناجيهم فيفهمون نجواه ·

فمرحبا بنزار الشاعر المطبوع الذى أعتبره أنا ويعتبره كل منصف واحدا من علامات جيله فى الشعر العربى · ومرحبا به فى بيتى الكبير مصر · ومرحبا به فى بيتى الصغير الذى ظالما زاره والذى اعتقـــد انه يعتبره واحدا من أقرب البيوت الى نفسه بين البيوت الكثيرة التى ترحب به فى مصر ·

١٩٨٧/٣/١ الأهرام

الأيدى الفصيحة

أحسب ان هذه الكلمة ستظهر وقد انتهى كل نبا فى شأن المرشحين الى مستقر ٠

ومع انتهاء الأحزاب من اختيار قوائمهم سنرى وجوها راضية وأخرى عليها من الغضب قترة ٠٠ ولا علينا من هؤلاء ولا من هؤلاء فكل من تطمح نفسه للترشيح يظن انه مكتسح خصومه وان الناس لا تحب أحدا قدر حبها له ٠ وسبحانه وتعالى هو وحده الذى يعلم القلوب وهواها فى سخطها ورضـــاها ٠

لم يكن الناس على أية حال راضين عن المجلس المنحل ولذلك نرى الشعب جميعه مقتنعا لأول مرة فى تاريخ الاستفتاء بصحة نسبة التسعين فى المائة ٠ فهى نسبة تمثل اتجاه الشعب حقا فى غير افتئات عليه ٠

وكره الناس فى أعضاء المجلس القديم انصرافهم عن مصالح الوطن العليا وسعيهم الحثيث لتحقيق المصالح الخاصـــة ٠ وكره الناس كثرة التصفيق والتهليل ٠ وكره من المعارضة الصوت المرتفع الجهير الذى لا يقول شيئا ٠ وكره منها ادعاء البطولة فيما لا بطولة فيه ٠ وكره الناس تصادم المنصة مع الأعضاء وحجبها للأسئلة والاستجوابات وهى الوسائل الجادة للمعارضة التى يستطيع بها المعارض ان يقدم رأيـــا ذا قيمة وتستطيع الحكومة عن طريقها ان تبين وجهة نظرها ان كانت سليمة أو العدول الى الطريق الأقوم ان لم تكن سائرة فيه ٠ وكره الناس من أعضـــاء المجلس القديم حرصهم على اثبات أسمائهم ليتالوا مكافأة الحضور ثم انصرافهم بعد ذلك عن الجلسات ليسعى كل منهم الى شأن يغنيه ٠ وكره الناس خوف الأعضاء من مواجهة كبريات الأمور وأمهات المسائل والخطير الخطير من شئون الدولة ٠ وكره الناس من المجلس جميعه منصـــة وأعضـــاء حرصهم غاية الحرص ان يحجبوا القوانين عن مجلس الشورى وهم يعلمون كل العلم انه يجمع بين جنباته عقولا باذخة تشرف بها مصر بل يشرف بها كل فرع ثقافى بمثلونه فى أنحاء المعمورة ٠

وكره الناس ان تخرج احصائية معجلة تثبت ان أكثـــر من مائتي عضو لم يفتحوا فما بكلمة واحدة وتساءل النـــاس وانى معهم أتســاءل ما حرصهم اذن على مقعد فى مجلس نيابى وهم بكم الأفواه فصحاء الأيدى · فهم عن الكلام معرضون وهم الى التصفيق يتسابقون · ولقد نعلم ــ وبئس ما نعـــلم ــ ان التصفيق الذى يرتكبونه هو على صغاره وهوانه أشرف ما تصنعه أيدى البعض منهم مهما يكن هذا البعض قليلا · وكره الناس تجمع نواب الشعب والرقبـــاء على السلطة التنفيذية حـول الوزراء فى مقاعدهم وبايديهم مطالبهم أو مطالب أصدقائهم · وجميعنا يعلم ان كل وزير يخصص لأعضاء مجلسى الشعب والشورى أياما محددة فى الاسبوع ليلتقى بهم وينظر فى مطالب دوائرهم ·

وكره الناس من أعضاء المجلس الماضى ان نواب الشعب رفضوا ان يتحرروا من ربقة الناخبين وقد كانت انتخابات القائمة كفيلة ان تجعلهم نوابا لمصر جميعها وليس للدائرة التى يمثلونها وحدها · وهذا هو الأصل الدستورى الذى تقوم عليه عضوية المجالس التشريعية · كما ان الأصل الدستورى أيضا ان عمل الناخب ينتهى عند صندوق الانتخاب · ولايمنع هذا النائب ان يرفع ظلما عن ابن دائرته اذا وقع عليه ظلم أو ان يرد عنه غائلة الحياة اذا ما غالبته الحياة على ان يكون عمله هذا بجانب واجبـــه الأصلى الذى تفترض الديمقراطية انه انتخب من أجله نظرا فى التشريعات ومساءلة للحكومة ·

وكره الناس ان تتحدد صلات أعضاء مجلس الشعب بالوزراء على أساس الخدمات الشخصية التى يقدمها الوزراء لممثلى الشعب ودويهم ومن يلوذ بهم ومن يجعل منهم وساطة الى الوزير · فاذا أجابهـــم الى مطالبهم مهما تكن جائرة صفقوا له وأحبـــوه وان أبى الا الحق انصرفوا عنـــه وكرهـــوه ·

واليوم تلك هى القوائم وأولئك هم المرشحون فى الدوائر الفردية · وهذه هى الانتخابات قد بدأت فهل يدرى المرشحون ماذا ينتظر الشعب منهم كمرشحين ثم ماذا ينتظر منهم اذا قدر لهم النجاح وأصبحوا ممثلين للأمـــة ·

أحسب انهم يعرفون · ولكن لم أخش ان يضربوا صفحا عما يعلمون·

الوعود البراقة · والكلمات المعسولة · والألفاظ الرنانة والجلسات الهامسة · والعلاقات الدفينة · والايمان الكاذبة · والتلطف الذى لا يخدع

أحـــدا · والعزاء في كل ميت · والتهنئـــة لكل مناسبة ولغير مناسبة · والسرادقات واللافتات والهنافات والطبول والزمور · كل هذا لن يفيدهم شيئا ، ان من محاسن انتخاب القائمـــة ان الناخب ينبغي له ان ينتخب المبدأ لا الشخص · ويعطي صوته للقائمة التي لا تضم بين أعضائها من يعلمون عنه ما يخدش الشرف أو يجرح الأمانة ·

فاذا فاز من فاز أفيدرى ماذا عليه أن يواجه ·
كبريات الأمور لا صغائرها ·
ومصير أمته ومستقبلها ·

لم تعد مصر تستطيع أن تصبر على ما ابتلاها به الزمن من قوانين هازلة ، ومن شعارات كاذبة ، ومن مفولات فارغة · أدت بهـــا الى هذا الانهيار الاقتصادى الذى لابد لنا أن نواجه مواجهة صادقة لا ميوعة فيها ولا مهادنة ·

سيواجه المجلس الجديد القوانين الظالمة الغاشمة التي تجعل العامل الكسول الخامل ينال نفس الحقوق والحوافز التي ينـالها العامل المجد الأمين الصادق · هذا الحيف القاتل للانتاج يقع في غيبة الجزاء والثواب · غيبة لاتعرفها دولة في العالم من شرقيه الى غربيه ·

سيواجه المجلس موقفا حاسما مع العاملين في القطـــاع العام الذى بلغت جملة أرباحه المتدهورة واحدا في المائة بنسبة لايعرفها التاريخ · ولم لا والعاملون فيه يشعرون انهم سينالون رواتبهم وعلاواتهم وحوافزهم ومكافأتهم وبدائل طبائع العمل والوقت الاضافي والأجازات المدفوعة الأجر مهما تكن الشركة التي يعملون بها خاسرة فادحة قاتلة مهينة ·
وما لهم الا تنماع نفوسهم وهم يحرقون الآلات بملايين الجنيهات لأنهـــم لم ينالوا حوافز الخسارة التي حققوها والخراب الذى أحلوه بالبلاد ·

المجلس القادم سيواجه هذا واما أن يأخذ موقفا حازما واما ان تضطر مصر ان تأخذ هي الموقف · فالدول لاتموت ولكن يموت فيها من لايؤدى واجبه بالصدق الذى ينبغي له وبالأمانة الخليقة بأعضاء مجالسها التشريعيـــة ·

المجلس القادم سيواجه وحتم عليـــه ان يواجـه مشاكل التعليم أو ان شئت فقل مشاكل عدم التعليم في مصر ولا تقل الدستور فالدستور

قانون أم · والأم رحيمة بأبنائها · نعمة هي وليست نقمة، حنان هي وليست تدميرا · في ظل لافتة مجانية التعليم لابد ان يحرم من المجانية كل طالب يرسب في الامتحان في أي سنة من سنوات الدراسة سواء كانت ابتدائية أو اعدادية أو ثانوية أو جامعية · وفي ظل مجانية التعليم وجدت المدارس الخاصة ينفق فيها التلاميذ آلاف الجنيهات حتى اذا أصبحوا تلامذة في الجامعة حجبوا أموالهم وكنزوها واشتروا بها لأبنائهم السيارات الفارهة تتبجح في صفوف أمام الجامعات حتى لقد أعلن أحد رؤساء الجامعات انه أعد لهم الأرض الشاسعة لتكون مرتعا لسياراتهم · أتقف سياراتهم بالخارج ويدخلون هم الى المدرجات والمعامل يتلقون تعليمهم مجانيا بلا مقابل ·

أي دستور يقر هذا وأي عرف وأي أمانة وأي شرف · سيواجه المجلس القادم أهوال القطاع العام جميعا · سيواجه حالة فريدة في أنحاء المعمورة · دولة في قطاعها العام المحلات التجارية والذي تعرفه الدول ان تكون الصناعة قطاعا عاما وما عرفت الدول ذات الاقتصاد الحر محلات بيع في اطار القطاع العام قط · وان كانت الدول الشيوعية تعرفها فها هي ذي تتخلص منها ·

سيواجه المجلس الشعبي القادم ان يقول كلمته وان يحسم الرأي في القطاع العام الخاسر الجائر الذي يبتلع أموال الدولة وعليه ان يقر الرأي الاقتصادي الذي لا رأي غيره الا يبقى الا القطاع العام الأكبر الذي لابد للدولة ان تقوم بعبئه وان يصفى القطاع العام الخاسر مع الانسانية كل الانسانية بعمالة فما يقبل مجلس نيابي أن يضيع حق فرد من أفراد الشعب · وانما كما تراعي الدولة الناحية الانسانية في معاملتها لأبنائها لابد من الناحية الأخرى ان يراعي أبناؤها الناحية الانسانية في معاملتهم للدولة · وانما الدولة هي هؤلاء الأفراد كلهم ومعهم أبناؤهم وأزواجهم وآباؤهم وأمهاتهم وكل ذويهم ·

في أي عرف في العالم تبيع الدولة الدبوس والفول وتبيع الطعمية · أي مهانة للدولة ان تتصدى لمثل هذا · والعجيب المضحك المفجع انها أيضا تخسر حين تبيع الفول والطعمية ·

ونسمع وويل لنا حين نسمع ان متاجر القطاع العام مثل عمر أفندي والصالون الأخضر وصيدناوي وغيرها وغيرها كثير تؤجر للقطاع الخاص أركانا فيها ليبيع القطاع الخاص منتجاته ·

ويل لدولة تتحايل على نفسها وويل لقانون يتستر على قانون وويل لنا من أنفسنا اذا نحن لم نواجه الحقيقة المؤكدة من انهيار القطـــاع العام بالحق الذى لا حق غيره • بالقانون نواجه الزيف وبالجرأة نواجه الجبن • وبالصراحة نواجه الاحتيال وبعون الله يكتب النصر للمفلحين الذين على ربهم يتوكلون والذين اذا عـرفوا الحق لزمـوه غير مخادعين ولا محاذرين ولا مجانبين •

على المجلس القادم ان يواجه هذا ويواجه الكثير من أمثال هذا المين والخداع والغش ويدعو الله من أعمـــاق القلوب ان رب أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين •

وحينئذ يقول شعب مصر جميعا أمين •

الأهرام ١٩٨٧/٣/٨